تهذيب

تاريخ الإسلام

ووفيات المشاهير والأعلام

للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

المتوفى ٧٤٨ هـ / ١٣٧٤ م

قام بالتهذيب

د / رجب محمود إبراهيم بخيت

بطاقة الفهرسة

اسم الكتاب : تهذيب تاريخ الإسلام

قام بالتهذيب : د / رجب محمود إبراهيم بخيت

الطبعة : طبعة أولى / ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م

الناشر : مكتبة جزيرة الورد

رقم الإيداع :

مكتبة جزيرة الورد - القاهرة / ميدان حليم
خلف بنك فيصل شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا
٠٢/٢٧٨٧٧٥٧٤ - ٠١٢/٩٩٦١٦٣٥
٠١٠/٠١٠٤١١٥ - ٠١٠/٠٠٠٤٠٤٦

المقدمـة

الحمـد لله، وسـلام علـى عبـاده الـذين اصـطفى، حمـدًا إذا قابـل الـنعم وفـى، وسلاما إذا بلغ المصطفين شفى، وخص الله بخاصة ذلك نبينا المصطفى، ومن احتذى حذوه من أصحابه وأتباعه واقتفى، وفقنا لسلوك طريقهم...

قد ظهر لي من خلال عملي حاجة الناس إلى اختصار مبسط لكتب التـاريخ والتراجم والطبقات ذات الحجم والقطع الكبير، والتي تمتد فتراتها التاريخية إلى حقب زمنية طويلة، يجمع بين الحقيقة التاريخية البسيطة والترجمـة العلميـة فـي ثوب مختصر وبين أصالة الحدث التاريخي، يكون في متناول الكل يتميز بخلوه من التكرار أو الإسهاب، مع الحفـاظ علـى الحقيقـة التاريخيـة المهمـة وإنصـاف الشخص المترجم لـه بذكر مالـه ومـا عليـه؛ وذلك لأن الوقـت فـي هذا العصـر أصبح قليلاً جدًّا بسبب تـزاحم المعلومـات فـي كل العلـوم، كمـا أن إيقـاع الحيـاة السريع يجعل من الصعب علي غير المتخصص أن يستمتع بقـراء كتـب حوليـة أو كتـب طبقـات متعددة الأجزاء، تحتـاج قراءتهـا إلـى فتـرات زمنيـة ووقتيـة لا يمكن لعاقل غير متخصص أن يفرط فيها بسهولة، فرأيت مـن المناسـب عمـل مختصـر يلبـي حاجـة مـن أراد الاطـلاع علـى كتـاب أصـيل لتـاريخ ومشـاهير الشخصيات في تاريخ البشرية، ولـيس المسلمين فقط. يغطـي جـزءًا كبيـرًا مـن فتراتها التاريخية يتميز بالأصالة التاريخية ومعاصرة الحدث التاريخي.

ولما كان كتـاب " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام " للإمام الذهبي يجمـع بالأصـالة العلميـة والتاريخيـة ومعاصـرة الحـدث التـاريخي مـع وضـوح العبـارة، وجمعه لكثيـر مـن المعلومـات التاريخيـة والدينيـة والسياسـية والتـراجم الشخصية، بأسلوب سهل مقتضب بعيدًا عن الألغاز والتعمية مع ما يتميز به من الالتزام بتوثيق المعلومة التي يوردها عن الشخصية المترجم لهـا، أو نقلهـا مـن مصدر موثوق منه ومتعارف عليه لدي المؤرخين المعاصـرين، ومـا خـص بـه من ثناء العلماء والأئمة، وما حظي به من القبول لدى الأمـة، ثـم الإمـام الـذهبي كـان يهتم بإعطـاء رأيـه ورأي مشـاهير علمـاء الأمـة فـي الحـدث التـاريخي أو الشخص المترجم له. وزاد من قيمـة كتـاب " تـاريخ الإسـلام ووفيـات المشـاهير

والأعلام " أن الإمام الذهبي جمع بين التاريخ السياسي وكثير من الجوانب الحضارية، إضافة إلى كثير من التراجم والطبقات الذي يجعل القارئ يكون علي بينه من أمره فيما يقرأ وعمن يقرأ، ثم إن الذهبي يعطي رأيه في الشخصيات والأحداث القلقة والمختلف عليها، وفي الأراء والمذاهب المناقضة لمذهب أهل السنة.

وما يجده القارئ في هذا المختصر هو كله من كلام الإمام الذهبي، فقد التزمت بنصه التزامًا تامًّا ولم أتصرف فيه بالزيادة إلا ما استدعى السياق إضافته لربط كلام الإمام الذهبي بعضه ببعض كواو العطف ونحوها، ليبقى الكتاب الأم " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام " بأسلوبه السهل الميسر وجماله الناصع مع تمام الترابط والانسجام.

وما عملته في الاختصار لا يخرج في الغالب عن أحد الأمور التالية:

١ - استبعاد ما لا ضرورة له مما أورده الذهبي من وفيات، أو أحداث قد لا يحتاج لها القارئ غير المتخصص، أو تلك التي يشكل علي القارئ العادي فهمها وتركت لمن أراد الاستزادة الرجوع إلى الأصل المختصر، وأنهيت المختصر عند موقعة حطين.

٢ - إذا تكررت المعلومة التاريخية أو الدينية أو السياسية التي يوردها المؤلف لشخص واحد، اقتصرت على ذكر واحدة فقط منها، لاسيما وإن كانت تؤدي الهدف منها دون الحاجة إلى غيرها.

٣ - كان من المفترض أن يجري تخريج الأحاديث الشريفة، والتعريف ببعض المصطلحات، والكلمات المبهمة، والغير واضحة التي وردت في المختصر في بداية العمل في هذا المختصر، ولكن وجدت أن هذه الإضافة سوف تخرج المختصر من حجمه المستهدف وهو مجلد واحد ولهذا اضطررت - آسفًا - عدم سلوك هذا الدرب.

٤ - الإبقاء ما أمكن على رأي الإمام الذهبي في بعض الأحداث التاريخية وترجمته لبعض الشخصيات، أو رأيه في مذهب معين، أو حادثة معينة لإضافة هدف جديد لأهداف هذا المختصر.

٥ - تجريد المختصر مما ورد به من أمر الرواية ومتون الحديث الذي يتبعه الذهبي علي أساس أن هذا الأمر لا يحتاجه غير المتخصص الذي لا غني له عن الأصل وليس المختصر.

٦ - جري الاكتفاء بأحداث التاريخ وحذف معظم تراجم مشاهير الأمة الإسلامية، أو لمن كان له علاقة بالعالم الإسلامي من قريب أو بعيد في المعارف الإنسانية شتي، على أساس أننا قد استقصينا تراجم مشاهير العالم الإسلامي في كتاب " مختصر سير أعلام النبلاء " لنفس المؤلف.

٧ - جرى حذف بعض الأحداث التاريخية التي ذكرها الذهبي عرضًا لبعض الشخصيات السياسية المؤثرة في التاريخ؛ لأن المختصر لا يحتمل كل هذا الكم الهائل من المعلومات، التي تجعل القارئ يقف مشدوها أمامها من كثرتها وأهميتها، وجعلت المختصر كمن يختار من بين قطع الذهب واللؤلؤ والمرجان، ومن شدة إعجابه بها لا يريد التفريط في أي منها، ولكن كان مجبرًا علي الإكتفاء ببعضها. وكلما اختار ترجمة وجد غيرها أهل منها، وكلما اختار معلومة وجد أختها لها قيمتها... وهكذا.

وأخيرًا:

أسأل الله التواب الغفور أن يغفر لنا ويرحمنا، ونشهده أنَّا نحبه ونبيه والأنبياء والمؤمنين، ونبغض الكافرين...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه

رجب محمود إبراهيم بخيت

* * *

التعريف بالإمام الذهبي

هو الشيخ الإمام الحافظ الكبير، مؤرخ الإسلام، شيخ المحدثين، محدث العصر، وخاتمة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الذهبي التركماني الفارقي، ثم الدمشقي، الشافعي، المقرئ.

يرجع الذهبي إلى أصول تركمانية، فهو من أسرة تركمانية الأصل سكنت مدينة مَيَّافارقين من أشهر مدن ديار بكر ويرجع في ولائه[١] إلى بني تميم.

ولد الذهبي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة في مدينة دمشق، وعاش في أجواء أسرة متدينة متعلمة ميسورة الحال، الأمر الذي ساعده على التحصيل العلمي منذ نعومة أظفاره، فمن جهة والده كان والده شهاب الدين أحمد بن عثمان قد طلب العلم، وسمع الصحيح من المقداد القيسي سنة (٦٦٦هـ)، وقد ترجم له الذهبي في معجم شيوخه، وقد توفي والده سنة (٦٩٧هـ)، وكذلك استفاد الذهبي من عمته ست الأهل بنت عثمان بن قايماز، وهي أمه من الرضاعة، وكان قد أجاز لها ابن أبي اليسر، وجمال الدين بن مالك، وزهير بن عمر الزرعي، وجماعة. وسمعت من عمر بن القواس وغيره.

فروى الذهبي عنها، وكانت وفاتها سنة (٧٢٩هـ).

وأما من جهة والدته: فإنها ابنة علم الدين، أبو بكر سنجر بن عبد الله الموصلي، فقد كان خيراً، عاقلاً، مديراً للمناشير بديوان الجيش، مات سنة (٦٨٠هـ ").

ولما كان الذهبي من أسرة متدينة متعلمة، ميسورة الحال، فقد دفعتت به إلى كتاتيب تعليم القرآن في صغره، وفرغته بعد ذلك لطلب العلم وتحصيله من

---

(١) المقصود بالولاء هنا :أ- ولاء عتق: وهو الغالب بحيث ينسب إلى من أعتقه.
ب- وإما أن يكون ولاء إسلام: وذلك بأن يسلم العجمي على يد العربي.
ج- وإما أن يكون ولاء حلف: وذلك بأن يكون الشخص حليفاً لقبيلة فينسب إليها. انظر: المنهل الراوي من تقريب النواوي (ص١٩٩-٢٠٠).

ريعان شبابه، بدلاً من الانشغال في تحصيل قوته وطلب رزقه. ولم يكن يكدر صفو هذه النعمة إلا امتناع والده عن السماح له بالرحلة في طلب العلم إلا في رحلات قصيرة لا تتجاوز أربعة أشهر، وذلك لخوفه عليه وشدة تعلقه به.

والعامل الثاني الذي أثر في نشأة الذهبي، فهو بلده دمشق التي كانت تجمع في ذلك العصر شموس العلم من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ المزي وغيرهما، فقد حظي الذهبي برفقة هؤلاء والإفادة منهم، وأضف إلى ذلك اشتهار دمشق في ذلك الحين بكبريات دور الحديث، كدار الحديث الظاهرية، ودار الحديث السكرية، ودار الحديث الأشرفية، وغيرها. فقد كانت دمشق في ذلك العصر مركز إشعاع علمي وخاصة في علوم الحديث.

وقد بدأ الذهبي بدايته العلمية بحفظ كتاب الله تعالى، وتعلم مبادىء القراءة والكتابة، وذلك على يد أحد المؤدبين، واسمه علاء الدين علي بن محمد الحلبي، المعروف بالبصبص، حيث أقام الذهبي في مَكْتَبِه أربعة أعوام.

ثم انتقل الذهبي بعدها إلى الشيخ مسعود بن عبد الله الأغزازي، فلقنه جميع القرآن، ثم قرأ عليه نحو من أربعين ختمة.

تلك هي بواكير دراسته، والتي تبعها بعد ذلك جلوسه في مجالس الشيوخ، وذلك ببلوغ سن الثامنة عشرة؛ حيث تعتبر هذه السن عند الذهبي بداية مرحلة العناية بطلب العلم، وقد ركز في تلك المرحلة على علمين شريفين عظيمين هما:

علم القراءات وعلم الحديث، فلازم كبار علماء القراءات في عصره، حتى أصبح متقناً لهذا الفن وأصوله ومسائله، مما حذا بالشيخ محمد بن عبد العزيز الدمياطي - وهو من المقرئين المجودين - أن يتنازل له عن حلقته بالجامع الأموي، عقب مرض الشيخ، الذي توفي على إثره سنة (٦٩٣هـ).

إلا أن الذهبي لم يستمر في ذلك المنصب إلا قرابة السنة بسبب انشغاله بالرحلة إلى طلب العلم.

وأما علم الحديث، فقد كان له النصيب الأوفر عند الذهبي؛ حيث اعتنى به العناية الفائقة حتى أصبح هذا العلم هو شغله الشاغل طيلة حياته، فقد سمع الذهبي مئات الكتب والأجزاء الحديثية.

ومع عناية الذهبي بعلمي القراءات والحديث في تلك المرحلة، إلا أنه لم يهمل علوم العربية والأدب والتاريخ، فقد عني بدراسة النحو، فسمع " الحاجبية " على شيخه موفق الدين أبي عبد الله محمد بن أبي العلاء - النصيبي المتوفى سنة (٦٩٥هـ).

كما دَرَسَ على شيخ العربية، وإمام أهل الأدب في مصر آنذاك، الشيخ محمد ابن إبراهيم بن النحاس الحلبي المتوفى سنة (٦٩٨هـ).

" إضافة إلى سماعه لعدد كبير من مجاميع الشعر واللغة والأدب "، وقد تعاطى الشعر، ونظم اليسير منه.

" واهتم بالكتب التاريخية، فسمع عدداً كبيراً منها على شيوخه، في المغازي، والسيرة، والتاريخ العام، ومعجمات الشيوخ والمشيخات، وكتب التراجم الأخرى ".

وفي العموم فقد اعتنى الذهبي في فترة تحصيله بشتى العلوم الدينية مع ما تحتاجه تلك العلوم من علوم الآلة ونحوها من العلوم المساعدة مع أنه لم ينقطع عن التحصيل والسماع طوال حياته، يشهد لذلك معجمات شيوخه ومؤلفاته الموسوعية التي تؤكد دراسته لعدد ضخم من المؤلفات في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، واللغة، والأدب، وغيرها.

وقد انعكس هذا التحصيل الواسع على مؤلفاته التي تشهد له بسعة الإطلاع وغزارة الإنتاج مع القوة والتمكن في مختلف العلوم.

ومن أشهر كتبه في علوم الحديث " ميزان الاعتدال في نقد الرجال ".

وأما علم التاريخ والتراجم:

فالذهبي صاحب الموسوعات الكبار في هذا المجال، والتي أهمها " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام "، و" سير أعلام النبلاء "، و" العبر "، و" دول الإسلام "، و" تذكرة الحفاظ "، وغيرها كثير، وقد أظهر الذهبي في تلك

المؤلفات براعة في العرض، ودقة في التحليل والنقد، مع غزارة في المعلومات، تشهد له بالذكاء والعبقرية وقوة الحافظة، لدرجة أن ابن حجر - مع فضله وجلالة قدره - شرب ماء زمزم سائلاً الله أن يصل إلى مرتبة الذهبي في الحفظ والفطنة.

وقد عول الكتاب والعلماء على مؤلفاته، وأصبحت عمدة لهم فيما كتبوا وألفوا من بعده. وقد عد الذهبي والمزي أكبر المؤرخين في القرن الثامن.

وقد عُرف الذهبي - رحمه الله - بمواقفه التي تدعو إلى التمسك بعقيدة السلف الصالح علماً واعتقاداً وعملاً ودعوة وتعليماً، ويظهر ذلك جلياً لمن اطلع على مصنفاته سواء ما يتعلق منها بمسائل الاعتقاد مثل كتاب " العلو "، وكتاب " العرش "، وكتاب " الأربعين في صفات رب العالمين "، ورسالة " التمسك بالسنن والتحذير من البدع وغيرها "، أو كتبه الأخرى في علوم الحديث وغيرها.

فقد سطر الذهبي بيراعه معتقد السلف وأثبته في تلك الكتب، ونافح ودافع عن عقيدة أهل السنة وأثنى على أهلها بما يستحقونه من الأوصاف، كما أبرز جهودهم العلمية والعملية في نشر السنة ونصرتها، وفي الوقت ذاته سلط قلمه على أهل البدع والأهواء، فما يمر على صاحب بدعة إلا ويشير إلى بدعته، ويبين وجه انحرافه، وقول أهل السنة فيه وفي بدعته، وإن كان في بعض الأحيان يوجد في كلامه بعض التساهل مع بعض المبتدعة لكنه قليل ومحدود.

والحقيقة التي يجب الإشارة إليها والإشادة بها في هذا المقام، أن الذهبي قام رحمه الله على ثغرة عظيمة، هي علم الرجال والتراجم، فاعتنى بها واهتم بأمرها اهتماماً كبيراً، حتى أصبحت محور تفكيره وأساس كثير من كتبه، فقام بخدمة هذا الجانب خير قيام، وذلك وفق منهج أهل السنة والجماعة، على غرار ما فعل شيخه وصاحبه شيخ الإسلام ابن تيمية في خدمة مسائل الاعتقاد والرد على أصحاب المقالات، فكل من الإمامين قام على ثغرة، وقام بأكبر خدمة.

فقد شوه أصحاب البدع وأرباب المقالات حقائق التاريخ وسير العلماء بما دسوا فيها من الأكاذيب والأباطيل، كما فعلوا في مسائل الاعتقاد الأمر ذاته.

فتصدى الذهبي - رحمه الله تعالى - للجانب التاريخي فوضع الأمور في نصابها وأوضح بجلاء سير أعلام السنة على وجهها الصحيح وحلاها بأجمل الحلل وكساها أبهى العبارات.

وقام في الوقت ذاته بفضح أهل البدع والأهواء وكشف باطلهم، الأمر الذي أثار حفيظة أهل البدع والأهواء ونقمتهم على كتب الإمام الذهبي لما لها من ثقل ووزن في فنها، فهي تعد غصة في حلوق أهل الكلام والمتصوفة والرافضة ومن على شاكلتهم، لكونها كشفت عورات زعمائهم، وأظهرت بطلان عقائدهم.

وكان الذهبي معروفاً في حياته بمواقفه الصلبة من العقائد المنحرفة وأهلها، كما اشتهر عنه صلته الوثيقة وموافقته لشيخ الإسلام ابن تيمية في نصرة السنة ومحاربة البدعة، الأمر الذي جعل الأشاعرة من الشافعية بدمشق يمانعون في توليه لمشيخة أكبر دار للحديث بدمشق حينذاك، وهي دار الحديث الأشرفية، التي شغرت مشيختها بعد وفاة رفيقه المزي سنة (٧٤٢هـ)، رغم ترشيح قاضي القضاة علي بن عبد الكافي السبكي أن يعين الذهبي لها، وكان السبب في رفضهم كون الذهبي ليس بأشعري.

ومعلوم أن الصراع كان على أشده في ذلك الحين بدمشق بين أنصار المنهج السلفي وخصومهم من أهل الكلام والمتصوفة.

ولكن مع ذلك كله فاللذهبي بعض المواقف المخالفة في المسائل المتعلقة بالقبور وتعظيمها لا يُقر عليها ولا يُوافق.

وأشتهر الذهبي بكثرة التصنيف حتى قال عنه ابن حجر: " كان أكثر أهل عصره تصنيفاً ".

وقد اجتهد الدكتور بشار عواد في جمع أسماء مؤلفات الذهبي في كتابه " الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام "، وقد بلغ مجموع ما سمى من مؤلفاته (٢١٥) مؤلفاً. **ونظراً لكثرتها فإني سوف أكتفي بذكر أسمائها:**

مؤلفات الذهبي:

أولاً: القراءات:

١ - التلويحات في علم القراءات.

ثانيًّا: الحديث:

٢ - الأربعون البلدانية.

٣ - الثلاثون البلدانية.

٤ - طرق حديث " من كنت مولاه فعلي مولاه ".

٥ - الكلام على حديث الطير.

٦ - المستدرك على مستدرك الحاكم.

ثالثًا: مصطلح الحديث وآدابه:

٧ - كتاب الزيادة المضطربة.

٨ - طريق أحاديث النزول.

٩ - العذب السلسل في الحديث المسلسل.

١٠ - منية الطالب لا عز المطالب.

١١ - الموقظة في علم مصطلح الحديث (باريس: ٤٥٧٧).

رابعًا: العقائد:

١٢ - أحاديث الصفات.

١٣ - الأربعين في صفات رب العالمين.

١٤ - جزء في الشفاعة.

١٥ - جزآن في صفة النار.

١٦ - الرسالة الذهبية إلى ابن تيمية.

١٧ - الروع والأوجال في نبأ المسيح الدجال.

١٨ - رؤية الباري.

١٩ - العرش.
٢٠ - العلو للعلي الغفار.
٢١ - الكبائر.
٢٢ - ما بعد الموت.
٢٣ - مسألة دوام النار.
٢٤ - مسألة الغيبة.
٢٥ - مسألة الوعيد.

خامسًا: أصول الفقه:

٢٦ - مسألة الاجتهاد.
٢٧ - مسألة خبر الواحد.

سادسًا: الفقه:

٢٨ - تحريم أدبار النساء.
٢٩ - تشبيه الخسيس بأهل الخميس.
٣٠ - جزء في الخضاب.
٣١ - جزء من صلاة التسبيح.
٣٢ - جزء في القهقهة.
٣٣ - حقوق الجار.
٣٤ - فضائل الحج وأفعاله.
٣٥ - اللباس.
٣٦ - مسألة السماع.
٣٧ - الوتر.

سابعًا: الرقائق:

٣٨ - جزء في محبة الصالحين.

٣٩ - دعاء المكروب.
٤٠ - ذكر الولدان.
٤١ - التعزية الحسنة بالأعزة.
٤٢ - كشف الكربة عند فقد الأحبة.

ثامنًا: التاريخ والتراجم:

٤٣ - أخبار السد.
٤٤ - أخبار قضاة دمشق.
٤٥ - أسماء من عاش ثمانين سنة بعد شيخ، أو بعد تاريخ سماع.
٤٦ - الإشارة إلى وفيات الإعيان، والمنتقى من تاريخ الإسلام.
٤٧ - الأعلام بوفيات الأعلام.
٤٨ - الأمصار ذوات الآثار.
٤٩ - أهل المئة فصاعدا.
٥٠ - البيان عن اسم ابن فلان.
٥١ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.
٥٢ - التاريخ الممتع.
٥٣ - تذكرة الحفاظ.
٥٤ - تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق.
٥٥ - تسمية رجال صحيح مسلم الذين انفرد بهم عن البخاري.
٥٦ - تقييد المهمل.
٥٧ - التلويح بمن سبق ولحق.
٥٨ - جزء أربعة تعاصروا.
٥٩ - دول الإسلام.
٦٠ - ديوان الضعفاء والمتروكين.

٦١ - ذكر من اشتهر بكنيته من الأعيان.

٦٢ - ذكر من يؤتمن قوله في الجرح والتعديل.

٦٣ - ذيل الاشارة إلى وفيات الأعيان.

٦٤ - ذيل دول الإسلام.

٦٥ - ذيل سير أعلام النبلاء.

٦٦ - ذيل ديوان الضعفاء والمتروكين.

٦٧ - ذيل كتاب "" الضعفاء " لابن الجوزي.

٦٨ - الذيل على ذيل كتاب " الضعفاء " لابن الجوزي.

٦٩ - ذيل العبر في خبر من عبر.

٧٠ - الرد على ابن القطان.

٧١ - الزلازل.

٧٢ - سير أعلام النبلاء.

٧٣ - طبقات الشيوخ.

٧٤ - العباب في التاريخ.

٧٥ - العبر في خبر من عبر.

٧٦ - عنوان السير في ذكر الصحابة.

٧٧ - القبان (في أصحاب التقي ابن تيمية).

٧٨ - المجرد في أسماء رجال كتب سنن الامام أبي عبد الله بن ماجة سوى من أخرج له منهم في أحد الصحيحين.

٦٩ - المرتجل في الكنى.

٨٠ - المشتبه في الرجال: أسمائهم وأنسابهم.

٨١ - معجم الشيوخ الكبير.

٨٣ - المعجم الصغير (اللطيف).

٨٤ - المعجم المختص بمحدثي العصر.

٨٥ - معرفة آل منده.

٨٦ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار.

٨٧ - المعين في طبقات المحدثين.

٨٨ - المغني في الضعفاء.

٨٩ - المقدمة ذات النقاط في الالقاب.

٩٠ - من تكلم فيه وهو موثق.

٩١ - الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم.

٩٢ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال.

٩٣ - هالة البدر في عدد أهل بدر.

تاسعًا: السير والتراجم المفردة:

٩٤ - أخبار أبي مسلم الخراساني.

٩٥ - أخبار أم المؤمنين عائشة.

٩٦ - التبيان في مناقب عثمان.

٩٧ - ترجمة ابن عقدة الكوفي.

٩٨ - ترجمة أبي حنيفة.

٩٩ - ترجمة أبي يوسف القاضي.

١٠٠ - ترجمة أحمد بن حنبل.

١٠١ - ترجمة الخضر.

١٠٢ - ترجمة السلفي.

١٠٣ - ترجمة الشافعي.

١٠٤ - ترجمة الشيخ الموفق.

١٠٥ - ترجمة مالك بن أنس.

١٠٦ - ترجمة محمد بن الحسن الشيباني.

١٠٧ - توقيف أهل التوفيق على مناقب الصديق.

١٠٨ - الدرة اليتيمية في سيرة التيمية.

١٠٩ - الزخرف القصري (في ترجمة الحسن البصري).

١١٠ - سيرة الحلاج.

١١١ - سيرة أبي القاسم الطبراني.

١١٢ - سيرة سعيد بن المسيب.

١١٣ - سيرة عمر بن عبد العزيز.

١١٤ - السيرة النبوية (وهي في تاريخ الإسلام).

١١٥ - فتح المطالب في مناقب علي بن أبي طالب.

١١٦ - قض نهارك بأخبار ابن المبارك.

١١٧ - مناقب البخاري.

١١٨ - نعم السمر في سيرة عمر.

١١٩ - نفض الجعبة في أخبار شعبة.

١٢٠ - سيرة لنفسه.

عاشرًا: المنوعات:

١٢١ - بيان زغل العلم والطلب.

١٢٢ - التمسك بالسنن.

١٢٣ - جزء في فضل آية الكرسي.

١٢٤ - الطب النبوي (وينسب لغيره أيضًا).

١٢٥ - كسر وثن رتن.

أحد عشر: المختصرات والمنتقيات:

١٢٦ - أحاديث مختارة من الموضوعات من " الأباطيل " للجورقاني.

١٢٧ - بلبل الروض.

١٢٨ - تجريد أسماء الصحابة. اختصره من " أسد الغابة " لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ.

١٢٩ - تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال.

١٣٠ - ترتيب " الموضوعات " لابن الجوزي.

١٣١ - تلخيص " العلل المتناهية في الأحاديث الواهية " لابن الجوزي.

١٣٢ - تنقيح كتاب " التحقيق في أحاديث التعليق " لابن الجوزي.

١٣٣ - تهذيب تاريخ علم الدين البرزالي.

١٣٤ - ذكر الجهر بالبسملة مختصرًا. اختصره من تصنيف في هذا الموضوع للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ.

١٣٥ - الرخصة في الغناء والطرب بشرطه. اختصره من كتاب " السماع " للأدفوي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ.

١٣٦ - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. اختصره من " تهذيب الكمال " لشيخه ورفيقه المزي المتوفى سنة ٧٤٢ هـ.

١٣٧ - المجرد من " تهذيب الكمال ".

١٣٨ - مختصر " إنباه الرواة على أنباه النحاة " لابن القفطي.

١٣٩ - مختصر " الأنساب " لأبي سعد السمعاني.

١٤٠ - مختصر " البعث والنشور " للبيهقي.

١٤١ - مختصر " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي.

١٤٢ - مختصر " تاريخ دمشق " لابن عساكر.

١٤٣ - مختصر " تاريخ مصر " لابن يونس.

١٤٤ - مختصر " تاريخ نيسابور " لأبي عبد الله الحاكم.

١٤٥ - مختصر " تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف " للمزي.

١٤٦ - مختصر " تقويم البلدان " لأبي الفدا.

١٤٧ - مختصر " التكملة لكتاب الصلة " لابن الابار.

١٤٨ - مختصر " التكملة لوفيات النقلة " للمنذري.

١٤٩ - مختصر " جامع بيان العلم وفضله " لابن عبد البر.

١٥٠ - مختصر " الجهاد " لبهاء الدين ابن عساكر.

١٥١ - مختصر " ذيل تاريخ بغداد " لأبي سعد السمعاني.

١٥٢ - مختصر " الرد على ابن طاهر " لابن المجد.

١٥٣ - مختصر " الروضتين في أخبار الدولتين " وذيله لأبي شامة.

١٥٤ - مختصر " الزهد " للبيهقي.

١٥٥ - مختصر " سلاح المؤمن في الأدعية المأثورة " لابن الإمام.

١٥٦ - مختصر " صلة التكملة لوفيات النقلة " لعز الدين الحسيني.

١٥٧ - مختصر " الضعفاء " لابن الجوزي.

١٥٨ - مختصر " الفاروق في الصفات " لشيخ الإسلام الأنصاري.

١٥٩ - مختصر " القدر " للبيهقي.

١٦٠ - المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن سعيد بن محمد بن الدبيثي.

١٦١ - مختصر " المدخل إلى كتاب السنن " للبيهقي.

١٦٢ - مختصر " المستدرك على الصحيحين " لأبي عبد الله الحاكم.

١٦٣ - مختصر " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " للمراكشي.

١٦٤ - مختصر " مناقب سفيان الثوري " لابن الجوزي.

١٦٥ - مختصر " وفيات الأعيان " لابن خلكان.

١٦٦ - مختصر " الوهم والإيهم الواقعين في كتاب الاحكام " لابن القطان.

١٦٧ - المستحلى في اختصار " المحلى " لابن حزم.

١٦٨ - معرفة التابعين من " الثقات " لابن حبان.

١٦٩ - المقتضب من " تهذيب الكمال " للمزي.

١٧٠ - المقتنى في سرد الكنى. اختصره من كتاب " الكنى " لأبي أحمد الحاكم المتوفى سنة (٣٧٨).

١٧١ - المنتخب من " التاريخ المجدد لمدينة السلام " لابن النجار البغدادي.

١٧٢ - منتقى " الاستيعاب في معرفة الاصحاب "، لابن عبد البر.

١٧٣ - المنتقى من تاريخ أبي الفدا.

١٧٤ - المنتقى من " تاريخ خوارزم " لابن أرسلان الخوارزمي.

١٧٥ - المنتقى من " مسند " أبي عوانة.

١٧٦ - المنتقى من " مسند " عبد بن حميد.

١٧٧ - المنتقى من " معجم شيوخ " يوسف بن خليل الدمشقي.

١٧٨ - المنتقى من معجمي الطبراني الأوسط والكبير، ومن مسند المقلين لدعلج.

١٧٩ - المنتقى من " معرفة الصحابة " لابن مندة.

١٨٠ - مهذب " السنن الكبرى " للبيهقي.

١٨٢ - نبذة من فوائد تاريخ ابن الجزري.

١٨٣ - النبلاء في شيوخ السنة. اختصره من كتاب " المعجم المشتمل على أسماء شيوخ الأئمة النبل " لابن عساكر.

اثنا عشر: التخاريج:

قام الذهبي بتخريج عدد كبير من معجمات الشيوخ، والمشيخات، والأربعينات والأجزاء الحديثية الكبيرة، والصغيرة، منها:

أ – معجمات الشيوخ:

١٨٤ معجم شيوخ ابن البالسي المتوفى سنة ٧١١ هـ.

١٨٥ - معجم شيوخ ابن حبيب الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٩ هـ.

١٨٦ - معجم شيوخ علاء الدين ابن العطار الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٤ هـ.

١٨٧ - المعجم العلي للقاضي الحنبلي (أبي الفضل سليمان بن حمزة المقدسي المتوفى سنة ٧١٥ هـ).

ب – المشيخات:

١٨٨ - مشيخة التلي (محمد بن أحمد الصالحي الخياط المتوفى سنة ٧٤١ هـ).

١٨٩ - مشيخة الجعبري المتوفى سنة ٧٠٦ هـ.

١٩٠ - مشيخة ابن الزراد الحريري المتوفى سنة ٧٢٦ هـ.

١٩١ - مشيخة عز الدين المقدسي المتوفى سنة ٧٠٠ هـ.

١٩٢ - مشيخة ابن القواس المتوفى سنة ٦٩٨ هـ.

١٩٣ - مشيخة زين الدين الكحال المتوفى سنة ٧٣٠ هـ.

ج– الأربعينات:

١٩٤ - أربعون حديثًا بلدانية من " المعجم الصغير " للطبراني.

١٩٥ - أربعون حديثًا بلدانية من " معجم " ابن جميع الصيداوي.

١٩٦ - أربعون حديثًا بلدانية من " معجم شيوخ " أبي بكر المقدسي المتوفى سنة ٧١٨ هـ.

١٩٧ - أربعون حديثًا بلدانية من " معجم شيوخ " ابن زاذان المتوفى سنة ٤٨١ هـ.

١٩٨ - أربعون حديثًا لأبي المعالي الأبرقوهي المتوفى سنة ٧٠١ هـ.

١٩٩ - أربعون حديثًا لابنه أبي هريرة عبد الرحمان المتوفى سنة ٧٩٩ هـ

د – الثلاثيات:

٢٠٠ - ثلاثون حديثًا من " المعجم الصغير " للطبراني.

هـ – العوالي:

٢٠١ - عوالي الشمس ابن الواسطي المتوفى سنة ٦٩٩ هـ.

٢٠٢ - عوالي الطاووسي المتوفى سنة ٧٠٤ هـ.

٢٠٣ - عوالي أبي عبد الله ابن اليونيني المتوفى سنة ٧٤٧ هـ.

٢٠٤ - العوالي من حديث مالك بن أنس.

٢٠٥ - العوالي المنتقاة من حديث الذهبي.

و– الأجزاء:

٢٠٦ - الجزء الملقب بالدينار من حديث المشايخ الكبار.

٢٠٧ - جزء من حديث القزويني المتوفى سنة ٧٠٤ هـ.

٢٠٨ - جزء من حديث أبي بكر المرسي المتوفى سنة ٧١٨ هـ.

٢٠٩ - جزء من حديث ابن المحب المقدسي المتوفى سنة ٧٣٠ هـ.

٢١٠ - جزء من حديث ابن الكويك المتوفى سنة ٧٣٤ هـ.

٢١١ - جزء من حديث أمين الدين الواني المتوفى سنة ٧٣٥ هـ.

٢١٢ - جزء من حديث ابن جماعة الكناني المتوفى سنة ٧٦٧ هـ.

٢١٣ - أحاديث " مختصر " ابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ.

٢١٤ - ثلاثيات ابن ماجة.

٢١٥ - المنتقى من حديث تقي الدين ابن الشيخ شمس الدين بن المجد البعلي.

وتوفي الذهبي رحمه الله تعالى قبل منتصف ليلة الإثنين، ثالث ذي القعدة، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، وكان قد بلغ من العمر حينذاك خمسة وسبعين عاماً وسبعة أشهر.

وكانت وفاته بدمشق، ودفن رحمه الله بمقبرة الباب الصغير، وحضر الصلاة عليه جملة من العلماء، وكان رحمه الله قد كف بصره قبل موته بسبع سنين. قال تلميذه الحسيني: " أضر في سنة إحدى وأربعين، ومات في ليلة الإثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بدمشق، ودفن في مقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى " (١).

* * *

(١) مصادر ترجمة الإمام الذهبي : الوافي بالوفيات للصفدي (١٦٣/٢). " البداية " لابن كثير (٢٢٥/١٤). " شذرات الذهب " لابن العماد (١٥٣/٦). " طبقات الحفاظ " للسيوطي (ص٥١٧). طبقات الشافعية الكبرى (١٠٠/٩، ترجمة رقم ١٣٠٦). " الدرر الكامنة " لابن حجر (٤٢٦/٣). البدر الطالع للشوكاني (١١٠/٢). غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٧١/٢). النجوم الزاهرة (١٨٢/١٠). " نكت الهميان " للصفدي (ص٢٤١). ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (ص٣٤، ٣٤٧). الرد الوافر لابن ناصر الدين (ص٣١-٣٢). رونق الألفاظ لسبط ابن حجر (ق١٨٠). مقدمة سير أعلام النبلاء لبشار عواد (٧/١-١٤٦). الذهبي ومنهجه في كتابه التاريخ لبشار عواد.
طبقات الشافعية للأسنوي (٥٥٨/١، ترجمة رقم ٥١٤). الدارس في أخبار المدارس (٧٨/١). وفيات الأعيان (٣٧٠/٢، ترجمة رقم ٣٩١). الدليل الشافي على المنهل الصافي (٥٩١/٢، ترجمة رقم ٢٠٢٩). هدية العارفين (٢٨٩/٨). الأعلام (٢٢٢/٦). معجم المؤلفين (٢٨٩/٨)، كتاب العرش، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، مقدمة كتاب سير أعلام النبلاء طبعة دار الرسالة، تحقيق شعيب الأرنأوط. مقدمة كتاب الكبائر، تحقيق عبد المحسن قاسم البزاز، ط دار الصابوني، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة النبوية

نسب سيد البشر

محمد رسول الله أبو القاسم سيد المرسلين وخاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) : هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، واسم عبد المطلب شيبة بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي، واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة، واسمه عامر بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما وعلى نبينا وسلم بإجماع الناس.

قال الأوزاعي: حدثني شداد أبو عمار حدثني واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :**(اصطفى الله كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى هاشمًا من قريش، واصطفاني من بني هاشم)** رواه مسلم.

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، فهي أقرب نسبًا إلى كلاب من زوجها عبد الله برجل.

مولده المبارك (صلي الله عليه وسلم)

عن ابن عباس: أن النبي (صلي الله عليه وسلم) ولد يوم الفيل، وإسناده صحيح.

وقال ابن إسحاق: حدثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قيس بن مخرمة بن المطلب قال: ولدت أنا ورسول الله (صلي الله عليه وسلم) عام الفيل. أخرجه الترمذي وإسناده حسن.

عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم قال: ولد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عام الفيل، وكانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة وبُني البيت على رأس خمس وعشرين سنة من الفيل. وتنبأ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) على رأس أربعين سنة من الفيل.

قال خليفة بن خياط: المجمع عليه أنه ولد عام الفيل.

عن معروف بن خربوذ وغيره من أهل العلم قالوا: ولد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عام الفيل، وسميت قريش آل الله وعظمت في العرب ولد لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول وقيل: من رمضان يوم الاثنين حين طلع الفجر.

وقال أبو قتادة الأنصاري: سأل أعرابي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: ما تقول في صوم يوم الإثنين؟ قال: " ذاك يوم ولدت فيه، وفيه أوحي إليّ ". أخرجه مسلم.

عن سعيد بن المسيب وغيره أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ولد في ليلة الإثنين من ربيع الأول عند أبهرار النهار.

عن حسان بن ثابت قال: إني لغلام يفعة إذا سمعت يهوديًّا وهو على أطمة يثرب يصرخ: يا معشر يهود، فلما اجتمعوا إليه قالوا: ويلك ما لك؟! قال: طلع نجم أحمد الذي يبعث الليلة.

عن ابن عباس قال: ولد نبيكم (صلي الله عليه وسلم) يوم الإثنين ونبئ يوم الإثنين. وخرج من مكة يوم الإثنين وقَدِمَ المدينة يوم الإثنين، وفتح مكة يوم الإثنين، ونزلت سورة المائدة يوم الإثنين، وتوفي يوم الإثنين. رواه أحمد في مسنده، وأخرجه الفسوي في تاريخه.

وقال أبو معشر نجيح: ولد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

قال الدمياطي: والصحيح قول أبي جعفر قال: ويقال: إنه ولد في العشرين من نيسان.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن عبد المطلب ختن النبي (صلي الله عليه وسلم) يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدًا.

عن ابن عباس عن أبيه العباس قال: ولد النبي (صلي الله عليه وسلم) مختونًا مسرورًا، فأعجب ذلك عبد المطلب، وحظي عنده وقال: ليكونن لابني هذا شأن.

أسماء النبي (صلي الله عليه وسلم) **وكنيته**

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت النبي (صلي الله عليه وسلم) يقول: إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب قال الزهري: والعاقب الذي ليس بعده نبي. متفق عليه. وقال الزهري: وقد سماه الله رؤوفًا رحيمًا.

عن نافع بن جبير بن مطعم: أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له: أتحصي أسماء رسول الله (صلي الله عليه وسلم) التي كان جبير يعدها قال: نعم هي ستة: محمد وأحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماح.

فأما حاشر فبعث مع الساعة نذيرًا لكم، وأما عاقب فإنه عقب الأنبياء، وأما ماحي، فإن الله محا به سيئات من اتبعه.

عن أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يسمي لنا نفسه أسماء فقال: أنا محمد وأحمد والحاشر والمقفي ونبي التوبة والملحمة. رواه مسلم.

عن أبي صالح عن النبي (صلي الله عليه وسلم) مرسلا قال: أيها الناس، إنما أنا رحمة مهداة.

وعن بعضهم قال: لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) في القرآن خمسة أسماء: محمد وأحمد وعبد الله ويس وطه.

وقد وصفه الله تعالى في كتابه فقال: رسولاً ونبيًّا أميًّا وشاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًّا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ورؤوفًا رحيمًا ومذكرًا ومدثرًا ومزملاً وهاديًّا إلى غير ذلك.

ومن أسمائه: الضحوك والقتال. جاء في بعض الآثار عنه (صلي الله عليه وسلم) أنه قال: أنا الضحوك أنا القتال.

وقال ابن مسعود: حدثنا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو الصادق المصدوق، وفي التوراة فيما بلغنا أنه حرز للأميين، وأن اسمه المتوكل.

ومن أسمائه: الأمين. وكانت قريش تدعوه به قبل نبوته. ومن أسمائه الفاتح وقثم.

وقال علي بن زيد بن جدعان: تذاكروا أحسن بيت قالته العرب فقالوا: قول أبي طالب في النبي (صلي الله عليه وسلم) :

وشـــق لـــه مـــن اسمـــه ليجلـــه ::: فذو العرش محمـــود وهـــذا محمـــد

قلت: وأكثر ما سقنا من أسمائه صفات له لا أسماء أعلام.

وقد تواتر أن كنيته أبو القاسم.

قال ابن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال أبو القاسم (صلي الله عليه وسلم) :**(سموا باسمي، ولا تكتنوا بكنيتي)** متفق عليه.

وقال محمد بن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : **(لا تجمعوا اسمي وكنيتي أنا أبو القاسم الله يعطي وأنا أقسم)**.

* * *

ما ورد في قصة سطيح وخمود النيران ليلة المولد وانشقاق الإيوان

قال علي بن حرب الطائي: لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ارتجس إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ورأى الموبذان إبلا صعابًا تقود خيلاً عرابًا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، فلما أصبح كسرى أفزعه ما رأى من شأن إيوانه فصبر عليه تشجعا، ثم رأى أن لا يستر ذلك عن وزرائه ومرازبته فلبس تاجه وقعد على سريره وجمعهم فلما اجتمعوا عنده قال: أتدرون فيم بعثت إليكم؟ قالوا: لا إلا أن يخبرنا الملك، فبينا هم على ذلك؛ إذ ورد عليهم كتاب بخمود النار فازداد غمًا إلى غمه فقال الموبذان: وأنا قد رأيت أصلح الله الملك في هذه الليلة، ثم قص على رؤياه فقال: أي شيء يكون هذا يا موبذان؟ قال: حدث يكون في ناحية العرب وكان أعلمهم في أنفسهم، فكتب كسرى عند ذلك: من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن

المنذر أما بعد فوجه إلى رجل عالم بما أريد أن أسأله عنه. فوجه إليه بعبد المسيح بن حيان بن بقيلة الغساني فلما قدم عليه قال له: ألك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: ليسألني الملك، فإن كان عندي علم إلا أخبرته بمن يعلمه، فأخبره بما رأى فقال: علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له: سطيح قال: فائته فسله عما سألتك وائتني بجوابه، فركب حتى أتى على سطيح وقد أشفى على الموت فسلم عليه. فقال سطيح: عبد المسيح جاء إلى سطيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى إبلاً صعابا تقود خيلاً عرابًا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح، إذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادي السماوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شامًا يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت، ثم قضى سطيح مكانه وسار عبد المسيح إلى رحله وهو يقول:

شمر فإنك ماضي الهم شمير ::: لا يفزعنك تفريق وتغيير
إن يمس ملك بني ساسان أفرطهم ::: فإن ذا الدهر أطوار دهارير
فربما ربما أضحوا بمنزلة ::: تهاب صولهم الأسد المهاصير
منهم أخو الصرح بهرام وإخوته ::: والهرمزان وسابور وسابور
والناس أولاد علات فمن علموا ::: أن قد أقل فمحقور ومهجور
وهم بنو الأم إما إن رأوا نشبا ::: فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مصفودان في قرن ::: فالخير متبع والشر محذور

فلما قدم على كسرى أخبره بقول سطيح، فقال كسرى: إلى متى يملك منا أربعة عشر ملكًا تكون أمور، فملك منهم عشرة أربع سنين، وملك الباقون إلى آخر خلافة عثمان - رضي الله عنه. هذا حديث منكر غريب.

* * *

باب من ليلة المولد

عن ابن عباس عن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:(**خرجت من لدن آدم من نكاح غير سفاح**). هذا حديث ضعيف فيه متروكان: الواقدي وأبو بكر بن أبي سبرة.

وورد مثله عن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن الحسين عن علي، وهو منقطع إن صح عن جعفر بن محمد، ولكن معناه صحيح.

وقال خالد الحذاء، عن عبد الله بن شقيق، عن ابن أبي الجدعاء قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبيًّا؟ قال: وآدم بين الروح والجسد.

وعن أبي هريرة: سئل النبي (صلي الله عليه وسلم): متى وجبت لك النبوة؟ قال: بين خلق آدم ونفخ الروح فيه. قال الترمذي: حسن غريب.

عن خالد بن معدان عن بعض أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أنهم قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك قال: أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي كان نورًا خرج منها أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام.

وعن العرباض بن سارية أنه سمع النبي (صلي الله عليه وسلم) يقول:(**إني عبد الله وخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى لي ورؤيا أمي التي رأت**). وإن أم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) رأت حين وضعته نورًا أضاءت منه قصور الشام.

قوله: لمنجدل أي: ملقى وأما دعوة إبراهيم فقوله:(**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم**) وبشارة عيسى قوله:(**ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**).

وروى زحر بن حصن عن جده حميد بن منهب قال: سمعت جدي خريم بن أوس بن حارثة يقول: هاجرت إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) منصرفه من تبوك فسمعت العباس يقول: يا رسول الله، إني أريد أن أمتدحك. قال: قل لا يفضض الله فاك. فقال:

من قبلها طبت في الظلال وفي ::: مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ::: أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ::: ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم ::: إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من ::: خندف علياء تحتها النطق

وأنت لما ولدت أشرقت الأ رض وضاءت بنورك الأفق.

فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد تخترق.

وأرضعته ثويبة جارية أبي لهب مع عمه حمزة ومع أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي - رضي الله عنهما.

ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، وأخذته معها إلى أرضها فأقام معها في بني سعد نحو أربع سنين، ثم ردته إلى أمه.

عن حليمة بنت الحارث أم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) السعدية قالت: خرجت في نسوة نلتمس الرضعاء بمكة على أتان لي قمراء قد أذمت بالركب وخرجنا في سنة شهباء لم تبق شيئًا ومعنا شارف لنا، والله إن تبض علينا بقطرة ومعي صبي لي لا ننام ليلنا مع بكائه، فلما قدمنا مكة لم يبق منا امرأة عرض عليها رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فتأباه، وإنما كنا نرجو كرامة رضاعة من أبيه، وكان يتيما فلم يبق من صواحبي امرأة إلا أخذت صبيًّا غيري. فقلت لزوجي: لأرجعن إلى ذلك اليتيم، فلآخذنه فأتيته فأخذته، فقال زوجي: عسى الله أن يجعل فيه خيرًا، قالت: فوالله ما هو إلا أن جعلته في حجري فأقبل عليه ثديي بما شاء من اللبن، فشرب وشرب أخوه رويا وقام زوجي إلى شارفنا من الليل، فإذا بها حافل فحلب وشربنا حتى روينا فبتنا شباعًا رواء وقد نام صبياننا قال أبوه: والله يا حليمة ما أراك إلا قد أصبت نسمة مباركة، ثم خرجنا فوالله لخرجت أتاني أمام الركب قد قطعتهن حتى ما يتعلق بها أحد، فقدمنا منازلنا من حاضر بني سعد بن بكر، فقدمنا على اجدب أرض الله فوالذي نفسي بيده إن كانوا ليسرحون أغنامهم ويسرح راعي غنمي، فتروح غنمي بطانا لبنًا حفلاً وتروح أغنامهم جياعًا فيقولون لرعاتهم: ويلكم ألا تسرحون، حيث تسرح راعي حليمة فيسرحون في الشعب الذي يسرح فيه

راعينا فتروح أغنامهم جياعًا ما بها من لبن وتروح غنمي لبنًا حفلاً.

فكان (صلي الله عليه وسلم) يشب في يومه شباب الصبي في الشهر ويشب في الشهر شباب الصبي في سنة قالت: فقدمنا على أمه فقلنا لها: ردي علينا ابني، فإنا نخشى عليه وباء مكة قالت: ونحن أضن شيء به مما رأينا من بركته قالت: ارجعا به فمكث عندنا شهرين فبينا هو يلعب وأخوه خلف البيوت يرعيان بهما لنا؛ إذ جاء أخوه يشتد قال: أدركا أخي قد جاءه رجلان فشقا بطنه فخرجنا نشتد فأتيناه وهو قائم منتقع اللون فاعتنقه أبوه وأنا، ثم قال: ما لك يا بني؟ قال: أتاني رجلان فأضجعاني، ثم شقا بطني فوالله ما أدري ما صنعا؟ فرجعنا به. قالت: يقول أبوه: يا حليمة، ما أرى هذا الغلام إلا أنه أضيب، فانطلقي فلنرده إلى أهله. فرجعنا به إليها فقالت: ما ردكما به؟ فقلت: كفلناه وأدينا الحق، ثم تخوفنا عليه الأحداث.

فقالت: والله ما ذاك بكما؟! فأخبراني خبركما فما زالت بنا حتى أخبرناها قالت: فتخوفتما عليه كلا والله إن لابني هذا شأنا إني حملت به فلم أحمل حملاً قط كان أخف منه ولا أعظم بركة، ثم رأيت نورًا كأنه شهاب خرج مني حين وضعته أضاءت لي أعناق الإبل ببصرى، ثم وضعته فما وقع كما يقع الصبيان وقع واضعًا يديه بالأرض رافعًا رأسه إلى السماء دعاه والحقا شأنكما. هذا حديث جيد الإسناد.

عن أبو الطفيل قال: رأيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأقبلت إليه امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فقلت: من هذه؟ قالوا: أمه التي أرضعته. أخرجه أبو داود.

عن أنس: أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق قلبه فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه وثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني مرضعته فقالوا: إن محمدًا قد قتل فاستقبلوه منتقع اللون. قال أنس: قد كنت أرى أثر المخيط في صدره.

* * *

وفاة عبد الله بن عبد المطلب

وتوفي عبد الله أبوه وللنبي (صلي الله عليه وسلم) ثمانية وعشرون شهرًا. وقيل: أقل من ذلك. وقيل: وهو حمل.

توفي بالمدينة غريبًا وكان قدمها ليمتار تمرًا وقيل: بل مر بها مريضًا راجعًا من الشام فروى محمد بن كعب القرظي وغيره: أن عبد الله بن عبد المطلب خرج إلى الشام إلى غزة في عير تحمل تجارات، فلما قفلوا مروا بالمدينة وعبد الله مريض فقال: أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار، فأقام عندهم مريضًا مدة شهر فبلغ ذلك عبد المطلب، فبعث إليه الحارث وهو أكبر ولده؛ فوجده قد مات؛ ودفن في دار النابغة أحد بني النجار؛ والنبي (صلي الله عليه وسلم) يومئذ حمل على الصحيح.

وعاش عبد الله خمسًا وعشرين سنة.

قال الواقدي: وذلك أثبت الأقاويل في سنه ووفاته. وترك عبد الله من الميراث أم أيمن وخمسة أجمال وغنما فورث ذلك النبي (صلي الله عليه وسلم). وتوفيت أمه آمنة بالأبواء وهي راجعة به (صلي الله عليه وسلم) إلى مكة من زيارة أخوال أبيه بن عدي بن النجار، وهو يومئذ ابن ست سنين ومائة يوم.

فلما ماتت ودفنت حملته أم أيمن مولاته إلى مكة إلى جده، فكان في كفالته إلى أن توفي جده وللنبي (صلي الله عليه وسلم) ثمان سنين فأوصى به إلى عمه أبي طالب.

* * *

وقد رعى الغنم

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**ما من نبي إلا وقد رعى الغنم**) قالوا: وأنت يا رسول الله، قال:(**نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**). رواه البخاري.

وقال أبو سلمة عن جابر قال: كنا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بمر الظهران نجتني الكباث فقال: عليكم بالأسود منه، فإنه أطيب قلنا: وكنت ترعى الغنم يا رسول الله، قال:(**نعم وهل من نبي إلا وقد رعاها**) متفق عليه.

سفره مع عمه إن صح

قال ابن إسحاق في السيرة: إن أبا طالب خرج إلى الشام تاجرًا في ركب ومعه النبي (صلي الله عليه وسلم) وهو غلام فلما نزلوا بصرى وبها بحيرًا الراهب في صومعته، وكان أعلم أهل النصرانية؛ ولم يزل في تلك الصومعة قط راهب يصير إليه علمهم عن كتاب فيهم فيما يزعمون يتوارثونه كابرًا عن كابر؛ قال: فنزلوا قريبًا من الصومعة فصنع بحيرًا طعامًا وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم فنزل بظل شجرة فنزل بحيرًا من صومعته، وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فجاءوه فقال رجل منهم: يا بحيرًا، ما كنت تصنع هذا، فما شأنك؟ قال: نعم ولكنكم ضيف وأحببت أن أكرمكم، فاجتمعوا وتخلف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لصغره في رحالهم. فلما نظر بحيرًا فيهم ولم يره قال: يا معشر قريش، لا يتخلف عن طعامي هذا أحد قالوا: ما تخلف أحد إلا غلام هو أحدث القوم سنا قال: فلا تفعلوا ادعوه فقال رجل: واللات والعزى إن هذا للؤم بنا يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا، ثم قام واحتضنه وأقبل به فلما رآه بحيرًا جعل يلحظه لحظًا شديدًا وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته حتى إذا شبعوا وتفرقوا قام بحيرًا فقال: يا غلام، أسألك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه، فزعموا أنه قال: لا تسألني باللات والعزى، فوالله ما أبغضت بغضهما شيئًا قط فقال له: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه؟! فجعل يسأله عن أشياء من حاله فتوافق ما عنده من الصفة، ثم نظر فيه أثر خاتم النبوة فأقبل على أبي طالب فقال: ما هو منك؟ قال: ابني قال: ما ينبغي أن يكون أبوه حيًّا.

قال: فإنه ابن أخي قال: إرجع به واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفته ليبغنه شرًا، فإنه كائن لابن أخيك شأن فخرج به أبو طالب سريعًا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته. وذكر الحديث.

وقال معتمر بن سليمان: حدثني أبي عن أبي مجلز: أن أبا طالب سافر إلى الشام ومعه محمد فنزل منزلاً فأتاه راهب فقال: فيكم رجل صالح، ثم قال: أين أبو هذا الغلام؟ قال: أبو طالب: هاأنذا وليه. قال: احتفظ به ولا تذهب به إلى

الشام إن اليهود قوم حسد، وإني أخشاهم عليه. فرده.

قال ابن إسحاق: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فيما ذكر لي يحدث عما كان الله تعالى يحفظه به في صغره قال: لقد رأيتني في غلمان من قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب الغلمان به كلنا قد تعرى وجعل إزاره على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكمني لاكم ما أراها لكمة وجيعة وقال: شد عليك إزارك فأخذته فشددته، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي.

* * *

حرب الفجار

قال ابن إسحاق: وهاجت حرب الفجار ولرسول الله (صلي الله عليه وسلم) عشرون سنة سميت بذلك لما استحلت كنانة، وقيس عيلان في الحرب من المحارم بينهم، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : كنت أنبل على أعمامي أي: أرد عنهم نبل عدوهم إذا رموهم. وكان قائد قريش حرب بن أمية.

* * *

شأن خديجة

قال ابن إسحاق: ثم إن خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهي أقرب منه (صلي الله عليه وسلم) إلى قصي برجل كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال وكانت تستأجر الرجال في مالها وكانت قريش تجارًا فعرضت على النبي (صلي الله عليه وسلم) أن يخرج في مال لها إلى الشام ومعه غلام لها اسمه ميسرة فخرج إلى الشام فنزل تحت شجرة بقرب صومعة فأطل الراهب إلى ميسرة فقال: من هذا؟ فقال: رجل من قريش قال: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي، ثم باع النبي (صلي الله عليه وسلم) تجارته وتعوض ورجع، فكان ميسرة فيما يزعمون إذا اشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير.

وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعن الملكين وكانت لبيبة حازمة فبعثت إليه تقول: يا بن عمي، إني رغبت فيك لقرابتك وأمانتك وصدقك وحسن خلقك،

ثم عرضت عليه نفسها، فقال ذلك لأعمامه فجاء معه حمزة عمه حتى دخل على خويلد فخطبها منه وأصدقها النبي (صلي الله عليه وسلم) عشرين بكرة، فلم يتزوج عليها حتى ماتت. وتزوجها وعمره خمس وعشرون سنة.

وأولاده كلهم من خديجة سوى إبراهيم وهم: القاسم والطيب والطاهر وماتوا صغارًا رضعًا قبل المبعث ورقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة - رضي الله عنهم - فرقية وأم كلثوم تزوجتا عثمان بن عفان وزينب زوجة أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس وفاطمة زوجة علي - رضي الله عنهم أجمعين.

* * *

حديث بنيان الكعبة
وحكم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بين قريش في وضع الحجر

قال ابن إسحاق: فلما بلغ (صلي الله عليه وسلم) خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها، وإنما كانت رضمًا فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة فتحطمت فاخذوا خشبها وأعدوه لتسقيفها، وكان بمكة نجار قبطي فتهيا لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت يطرح فيها ما يهدي لها كل يوم، فتشرف على جدار الكعبة، فكانت مما يهابون وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا أحزالت وكشت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبينا هي يومًا تشرف على جدار الكعبة بعث الله إليها طائرًا فاختطفها فذهب بها قال: فاستبشروا بذلك، ثم هابوا هدمها.

فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هدمها فاخذ المعول وهو يقول: اللهم لم ترع اللهم لم نرد إلا خيرًا، ثم هدم من ناحية الركنين وهدموا حتى بلغوا أساس إبراهيم - عليه السلام - فإذا حجارة خضر آخذ بعضها ببعض، ثم بنوا فلما بلغ البنيان موضع الركن - يعني: الحجر الأسود - اختصموا فيمن يضعه وحرصت كل قبيلة على ذلك حتى تحاربوا ومكثوا أربع ليال.

ثم إنهم اجتمعوا في المسجد وتناصفوا فزعموا أن أبا أمية بن المغيرة، وكان أسن قريش قال: اجعلوا بينكم فيما تختلفون أول من يدخل من باب

المسجد ففعلوا فكان أول من دخل عليهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فلما رأوهو قالوا: هذا الأمين رضينا به فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر فقال: هاتوا لي ثوبًا فأتوا به فأخذ الركن بيده فوضعه في الثوب ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعًا ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو (صلي الله عليه وسلم) بيده وبني عليه.

وقال موسى بن عقبة: إنما حمل قريشًا على بناء الكعبة أن السيل كان يأتي من فوقها من فوق الردم الذي صنعوه فأخربه فخافوا أن يدخلها الماء، وكان رجل يقال له: مليح سرق طيب الكعبة فأرادوا أن يشيدوا بناءها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاءوا فأعدوا لذلك نفقة وعمالاً.

وعن زكريا بن إسحاق: أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كان ينقل الحجارة للكعبة مع قريش وعليه إزار فقال له عمه العباس: يا ابن أخي، لو حللت إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة ففعل ذلك فسقط مغشيًّا عليه فما رؤي بعد ذلك اليوم عريانًا. متفق عليه.

وكان بين بنيان الكعبة وبين ما أنزل عليه خمس سنين. هذا حديث صحيح.

* * *

ومما عصم به من أمر الجاهلية

عن الحسن بن محمد بن الحنفية، عن أبيه، عن جده سمع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول: ما هممت بقبيح مما يهم به أهل الجاهلية مرتين عصمني الله فيهما قلت ليلة لفتى من قريش: أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الفتيان. قال: نعم فخرجت حتى جئت أدنى دار من دور مكة، فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلان تزوج فلهوت بذلك حتى غلبتني عيني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبي، ثم فعلت ليلة أخرى مثل ذلك فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمله أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته.

عن أسامة بن زيد عن أبيه قال: كان صنم من نحاس يقال له: إساف أو نائلة يتمسح المشركون به إذا طافوا فطاف رسول الله (صلي الله عليه وسلم)

وطفت معه فلما مررت مسحت به فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): لا تمسه قال زيد: فطفنا فقلت في نفسي: لأمسنه حتى أنظر ما يكون، فمسحته فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): ألم تنه.

هذا حديث حسن. وقد زاد فيه بعضهم عن محمد بن عمرو بإسناده: قال زيد فوالله ما استلم صنمًا حتى أكرمه الله بالذي أنزل عليه.

عن عبد الله بن أبي الحمساء قال: بايعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بيعًا قبل أن يبعث فبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك. قال: فنسيت يومي والغد فأتيته في اليوم الثالث فوجدته في مكانه فقال:(**يا فتى، لقد شققت علي أنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرك**) أخرجه أبو داود.

* * *

مبعثه (صلي الله عليه وسلم)

قال: الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: أول ما بدئ به النبي (صلي الله عليه وسلم) من الوحي الرؤيا الصالحة، ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه أي: يتعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجاه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال:(إقرأ) قال: فقلت:(**ما أنا بقارئ**) فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: إقرأ، فقلت:(**ما أنا بقارئ**) فأخذني الثانية فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: إقرأ فقلت:(**ما أنا بقارئ**) فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال:{ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾} [العلق: ١]، حتى بلغ إلى قوله:{مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ} [العلق: ٥]، قالت: فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال:(**زملوني**) فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال:(**يا خديجة مالي!**) وأخبرها الخبر وقال:(**قد خشيت علي**) فقالت له: كلا فوالله لا يخزيك الله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وكان أمرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الخط العربي فكتب بالعربية من الإنجيل - ما شاء الله - أن يكتب وكان شيخًا قد عمي فقالت: اسمع من ابن أخيك، فقال: يا بن أخي، ما

ترى؟ فأخبره فقال ورقة: هذا الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني فيها جذعًا حين يخرجك قومك قال:(أو مخرجي هم؟) قال: نعم لم يأت أحد بما جئت به إلا عودي وأوذي وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي.

فروى الترمذي، عن أبي موسى الأنصاري، عن يونس بن بكير، عن عثمان، عن عائشة سئل النبي (صلي الله عليه وسلم)، عن ورقة فقالت له خديجة: إنه يا رسول الله، كان صدقك وإنه مات قبل أن تظهر فقال: رأيته في المنام عليه ثياب بيض، ولو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك.

وعن عائشة: وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حزنًا شديدًا وغدًا مرارًا كي يتردى من شواهق الجبال، وكلما أوفى بذروة ليلقي نفسه تبدى له جبريل فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقًا، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال مثل ذلك. رواه أحمد في مسنده والبخاري.

وقال هشام بن حسان، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين. رواه البخاري.

وحدث عاصم بن عمر بن قتادة، عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه لنا أنا كنا نسمع من يهود، وكنا أصحاب أوثان وهم أهل كتاب، وكان لا يزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم قالوا: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم وكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أجبناه حين دعانا وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به ففي ذلك نزل ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا. الآيات.

عن سلمة بن سلامة بن وقش قال: كان لنا جار يهودي فخرج يومًا حتى وقف على بني عبد الأشهل وأنا أحدثهم سنًا فذكر القيامة والحساب والميزان والجنة والنار قال: ذلك لقوم أصحاب أوثان لا يرون بعثًا بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان، أو ترى هذا كائنًا أن الناس يبعثون!.

قال: نعم. قالوا: فما آية ذلك؟ قال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار إلى مكة واليمن قالوا: ومتى نراه؟ قال: فنظر إليَّ وأنا حدث فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدًا (صلي الله عليه وسلم) وهو حي بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغيًا وحسدًا فقلنا له: ويحك يا فلان، ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت؟! قال: بلى، ولكن ليس به.

وعن جابر بن سَمُرَةَ قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**إن بمكة لحجرًا كان يسلم علي ليالي بعثت إني لأعرفه الآن**) رواه أبو داود.

وعن جابر: سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يحدث عن فترة الوحي قال: بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه رعبًا فرجعت فقلت:(زملوني فدثروني) ونزلت:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١} [المدثر: ١]، إلى قوله:{وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥} [المدثر: ٥]، وهي الأوثان. متفق عليه. وهو نص في أن " يا أيها المدثر " نزلت بعد فترة الوحي الأول وهو:{ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ} [العلق: ١]، فكان الوحي الأول للنبوة والثاني للرسالة.

* * *

أول من آمن به (صلي الله عليه وسلم) خديجة رضي الله عنها

قال عز الدين أبو الحسن بن الأثير: خديجة أول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امرأة.

وقال الزهري، وقتادة، وموسى بن عقبة وابن إسحاق، والواقدي، وسعيد بن يحيى الأموي وغيرهم: أول من آمن بالله ورسوله: خديجة وأبو بكر وعلي.

وقال حسان بن ثابت وجماعة: أبو بكر أول من أسلم.

وعن ابن عباس: فيهما قولان لكن اسلم علي وله عشر سنين أو نحوها على الصحيح وقيل: وله ثمان سنين وقيل: تسع وقيل: اثنتا عشرة وقيل: خمس عشرة وهو قول شاذ، فإن ابنه محمدًا وأبا جعفر الباقر، وأبا إسحاق السبيعي وغيرهم قالوا: توفي وله ثلاث وستون سنة.

فهذا يقضي بأنه اسلم وله عشر سنين حتى إن سفيان بن عيينة روى عن جعفر الصادق عن أبيه قال: قتل علي وله ثمان وخمسون سنة.

* * *

ومن معجزاته (صلي الله عليه وسلم)

عن ابن إسحاق: أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه وكان يخرج إلى حراء في كل عام شهرًا من السنة ينسك فيه.

وقال سماك بن حرب، عن جابر بن سَمُرَة قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**إني لأعرف حجرًا بمكة يسلم علي قبل أن أبعث**) أخرجه مسلم.

عن علي - رضي الله عنه - قال: كنت مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. أخرجه الترمذي وقال: غريب.

عن أنس بن مالك قال: جاء جبريل إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) وهو خارج من مكة قد خضبه أهل مكة بالدماء قال: ما لك؟ قال: خضبني هؤلاء بالدماء وفعلوا وفعلوا قال: تريد أن أريك آية؟ قال: نعم قال: ادع تلك الشجرة، فدعاها رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فجاءت تخط الأرض حتى قامت بين يديه قال: مرها فلترجع إلى مكانها قال: ارجعي إلى مكانك، فرجعت فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): حسبي. هذا حديث صحيح.

وقال ابن إسحاق: حدثني وهب بن كيسان سمعت عبد الله بن الزبير يقول لعبد الله بن عمير بن قتادة الليثي: حدثت أبا عبيد الله عن كيف كان بدء ما ابتدأ به رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من النبوة حين جاءه جبريل، فقال عبيد الله بن عمير: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يجاور في حراء من كل

سنة شهرًا، وكان ذلك مما تتحنث به قريش في الجاهلية. والتحنث التبرر.

قال ابن إسحاق: فكان يجاور ذلك في كل سنة يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من شهره كان أول ما يبدأ به الكعبة فيطوف، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله كرامته وذلك الشهر رمضان خرج (صلي الله عليه وسلم) إلى جراء، ومعه أهله حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته جاءه جبريل بأمر الله تعالى. قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**جاءني وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال: إقرأ قلت: ما أقرأ قال: فغتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال: إقرأ. فقلت: وما أقرأ فغتني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: إقرأ، قلت: وما أقرأ، ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي فقال: إقرأ باسم ربك إلى قوله: ما لم يعلم فقرأتها، ثم انتهى عني وهببت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي كتابًا**).

في هذا المكان زيادة زادها يونس بن بكير، عن ابن إسحاق وهي: ولم يكن في خلق الله أحد أبغض إليَّ من شاعر، أو مجنون فكنت لا أطيق أن أنظر إليهما فقلت: إن الأبعد يعني نفسه لشاعر أو مجنون، ثم قلت: لا تحدث عني قريش بهذا أبدًا لأعمدن إلى حالق من الجيل فلأطرحن نفسي فلأستريحن فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتًا من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء فقال: يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل فوقفت أنظر إليه فما أتقدم ولا أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك فما زلت واقفًا حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني فانصرفت إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفا إليها فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا أعلى مكة ورجعوا، ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت: أبشر يا بن عمي، واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها، وكان قد تنصر وقرأ الكتب فأخبرته بما رأى وسمع فقال ورقة: قدوس قدوس والذي

نفسي بيده لئن كنت صدقت يا خديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له: فليثبت فرجعت خديجة إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأخبرته بقول ورقة فلما قضى جواره طاف بالكعبة فلقيه ورقة وهو يطوف فقال: أخبرني بما رأيت وسمعت؟ فأخبره فقال: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكذبنه ولتؤذنه ولتخرجنه ولتقاتلنه ولئن أنا أدركت ذلك اليوم؛ لأنصرن الله نصرًا يعلمه، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه.

وقال موسى بن عقبة في مغازيه: كان (صلي الله عليه وسلم) فيما بلغنا أول ما رأى أن الله أرآه رؤيا في المنام فشق ذلك عليه فذكرها لخديجة فعصمها الله وشرح صدرها بالتصديق فقالت: أبشر، ثم أخبرها أنه رأى بطنه شق، ثم طهر وغسل، ثم أعيد كما كان قالت: هذا والله خير فأبشر، ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة فأجلسه في مجلس كريم معجب كان النبي (صلي الله عليه وسلم) يقول: أجلسني على بساط طهيئة الدرنوك فيه الياقوت واللؤلؤ فبشره برسالة الله - عز وجل - حتى اطمأن.

الذي فيها من شق بطنه يحتمل أن يكون أخبرها بما تم له في صغره ويحتمل أن يكون شق مرة أخرى، ثم شق مرة ثالثة حين عرج به إلى السماء.

وقال ابن إسحاق: ابتدئ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالتنزيل في رمضان قال الله تعالى:{شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ } [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى:{إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١} [القدر: ١]، وقال تعالى:{إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ} [الدخان: ٣].

وقال: الدراوردي، عن عمر بن عبد الله، عن محمد بن كعب القرظي قال: إن أول من أسلم خديجة وأول رجلين أسلما أبو بكر وعلي، وإن أبا بكر أول من أظهر الإسلام، وإن عليًّا كان يكتم الإسلام فرقًا من أبيه حتى لقيه أبوه فقال: أسلمت قال: نعم قال: آزر ابن عمك وانصره.

وقال: أسلم علي قبل أبي بكر.

وقال يونس: عن ابن إسحاق: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:(**ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عتم عنه حين ذكرته وما تردد فيه**).

* * *

إسلام السابقين الأولين

قال ابن إسحاق: ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ومعه علي فيصليان فإذا أمسيا رجعا ثم إن أبا طالب عبر عليهما وهما يصليان فقال للنبي (صلي الله عليه وسلم) : يا ابن أخي ما هذا قال:(**أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين إبراهيم بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحق من أجابني وأعانني**) فقال أبو طالب: أي ابن أخي لا أستطيع أن أفارق دين آبائي، ولكن والله لا يخلص إليك شيء تكره ما بقيت، ولم يكلم عليًّا بشيء يكره فزعموا أنه قال:(**أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فاتبعه**).

ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي - رضي الله عنهما.

وكان حكيم بن حزام قدم من الشام برقيق فدخلت عمته خديجة بنت خويلد فقال: أي هؤلاء الغلمان شئت، فهو لك فاختارت زيدًا فأخذته فرآه النبي (صلي الله عليه وسلم) فاستوهبه فوهبته له فأعتقه وتبناه قبل الوحي، ثم قدم أبوه حارثة لموجدته عليه وجزعه فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) :(**إن شئت فأقم عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك**) قال: بل أقيم عندك، وكان يدعى زيد بن محمد فلما نزل أدعوهم لآبائهم قال: أنا زيد بن حارثة.

وقال ابن إسحاق: وكان أبو بكر رجلاً مألفًا لقومه محببًا سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش وكان تاجرًا ذا خلق ومعروف فجعل لما أسلم يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه فأسلم بدعائه: عثمان، والزبير وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص

فجاء بهم إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حين أسلموا وصلوا، فكان هؤلاء النفر الثمانية أول من سبق بالإسلام وصلوا وصدقوا، ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله المخزومي، والأرقم بن أبي الأرقم ابن أسد بن عبد الله المخزومي. وعثمان بن مظعون الجمحي وأخواه قدامة وعبد الله وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف المطلبي، وسعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي وامرأته فاطمة أخت عمر بن الخطاب وأسماء بنت أبي بكر وخباب بن الأرت حليف بني زهرة وعمير بن أبي وقاص أخو سعد وعبد الله بن مسعود وسليط بن عمرو بن عبد شمس العامري، وأخوه حاطب وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وامرأته أسماء وخنيس ابن حذافة السهمي، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب، وعبد الله، وأبو أحمد ابنا جحش بن رئاب الأسدي، وجعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عميس وحاطب بن الحارث الجمحي، وامرأته فاطمة بنت المجلل وأخوه خطاب، وامرأته فكيهة بنت يسار ومعمر بن الحارث أخوهما والسائب بن عثمان بن مظعون والمطلب بن أزهر بن عبد عوف العدوي الزهري، وامرأته رملة بنت أبي عوف والنحام، وهو نعيم بن عبد الله ابن أسد العدوي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية وامرأته أمينة بنت خلف وحاطب بن عمرو وأبو حذيفة مهشم بن عتبة بن ربيعة وواقد بن عبد الله حليف بني عدي وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير حلفاء بني عدي، وعمار بن ياسر حليف بني مخزوم، وصهيب بن سنان النمري حليف بني تيم.

عن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: قال طلحة بن عبيد الله: حضرت سوق بصرى فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل الموسم أفيهم أحد من أهل الحرم قال طلحة: قلت: نعم أنا فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء مخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخل وحرة وسباخ فإياك أن تسبق إليه قال طلحة: فوقع في قلبي فأسرعت إلى مكة فقلت: هل من حدث؟ قالوا: نعم محمد بن عبد الله الأمين تنبأ وقد تبعه ابن أبي قحافة، فدخلت عليه فقلت: اتبعت هذا

الرجل؟ قال: نعم فانطلق فاتبعه فأخبره طلحة بما قال الراهب، فخرج به حتى دخلا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأسلم طلحة وأخبر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بذلك فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية فشدهما في حبل واحد، ولم يمنعهما بنو تيم وكان نوفل يدعى أسد قريش، فلذلك سمي أبو بكر وطلحة: القرينين.

عن همام قال: سمعت عمار بن ياسر يقول: رأيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر. أخرجه البخاري.

قلت: ولم يذكر عليًّا؛ لأنه كان صغيرًا ابن عشر سنين.

وقال العباس بن سالم، ويحيى بن أبي كثير عن أبي أمامة عن عمرو بن عبسة قال: أتيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو بمكة مستخفيًّا فقلت: من أنت؟ قال: نبي قلت: وما النبي؟ قال: رسول الله قلت: الله أرسلك؟ قال: نعم قلت بم أرسلك؟ قال: بأن يعبد الله وتكسر الأوثان، وتوصل الأرحام قلت: نعم ما أرسلت به، فمن تبعك قال: حر وعبد يعني: أبا بكر وبلالاً فكان عمرو يقول: لقد رأيتني، وأنا رابع أربعة فأسلمت وقلت: أتبعك يا رسول الله قال: لا ولكن إلحق بقومك، فإذا أخبرت بأني قد خرجت فاتبعني أخرجه مسلم.

عن عبد الله بن مسعود قال: كنت يافعًا أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط بمكة فأتى علي رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، وأبو بكر وقد فرا من المشركين فقالا: يا غلام، هل عندك لبن تسقينا؟ قلت: إني مؤتمن، ولست بساقيكما فقالا: هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل؟ قلت: نعم فأتيتهما بها فاعتقلها أبو بكر وأخذ النبي (صلي الله عليه وسلم) الضرع فدعا فحفل الضرع، وأتاه أبو بكر بصخرة منقعرة فحلب فيها، ثم شربا وسقياني، ثم قال للضرع: اقلص فقلص فلما كان بعد أتيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقلت: علمني من هذا القول الطيب يعني القرآن فقال: إنك غلام معلم، فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد.

* * *

فصل في دعوته عشيرته إلى الله وما لقي من قومه:

عن أبي هريرة: لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين دعا النبي (صلي الله عليه وسلم) قريشًا فاجتمعوا فعم وخص فقال: يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها. أخرجه مسلم.

عن قبيصة بن المخارق وزهير بن عمرو قالا: لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين انطلق رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى رضمة من جبل فعلاها، ثم نادى: يا بني عبد مناف، إني نذير إنما مثلي ومثلكم كرجل رأى العدو، فانطلق يربأ أهله فخشي أن يسبقوه فهتف: يا صباحاه، أخرجه مسلم.

وقال الأعمش: عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما نزلت:{وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾} [الشعراء: ٢١٤]، خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى صعد الصفا فهتف؛ يا صباحاه، قالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعتنا ثم قام فنزلت: " تبت يدا أبي لهب وقد تب " كذا قرأ الأعمش. متفق عليه وهي في صحيح مسلم.

وقال ابن عيينة: ثنا الوليد بن كثير عن ابن تدرس عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما نزلت " تبت يدا أبي لهب " أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول:

مذمما أبينا ودينه قلينا ::: وأمره عصينا

والنبي (صلي الله عليه وسلم) في المسجد فقال أبو بكر: يا رسول الله، قد أقبلت وأخاف أن تراك قال: إنها لن تراني وقرأ قرآنا فاعتصم به وقرأ " وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا " فوقفت على أبي بكر ولم تر النبي (صلي الله عليه وسلم) فقالت: إني أخبرت أن

صاحبك هجاني فقال: لا ورب هذا البيت ما هجاك فولت وهي تقول: قد علمت قريش أني ابنة سيدها.

وعن أبي هريرة: إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:(**انظروا قريشًا كيف يصرف الله عني شتمهم ولعنهم يشتمون مذممًا ويلعنون مذممًا وأنا محمد**) أخرجه البخاري.

وقال ابن إسحاق: وفشا الإسلام بمكة، ثم أمر الله رسوله فقال:{ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾} [الحجر: ٩٤]، وقال:{ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ } [الحجر: ٨٩]، قال: وكان أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر بشعب؛ إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم وقاتلوهم فضرب سعد رجلاً من المشركين بلحي بعير فشجه فكان أول دم في الإسلام فلما بادى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قومه وصدع بالإسلام لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه فيما بلغني حتى عاب آلهتهم فأعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداواته فحدب عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه فلما رأت قريش أن محمدًا (صلي الله عليه وسلم) لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه ورأوا أن عمه يمنعه مشوا إلى أبي طالب فكلموه وقالوا: إما أن تكفه عن آلهتنا وعن الكلام في ديننا، وإما أن تخلي بيننا وبينه فقال لهم: قولاً رفيقًا وردهم ردًا جميلاً فانصرفوا، ثم بعد ذلك تباعد الرجال وتضاغنوا أكثرت قريش ذكر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وحض بعضهم بعضًا عليه ومشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا: إن لك نسبًا وشرفًا فينا، وإنا استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه، وإنا والله ما نصبر على شتم آلهتنا وتسفيه أحلامنا حتى تكفه، أو تنازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداواته لهم، ولم يطب نفسًا أن يسلم رسول الله لهم، ولا أن يخذله.

عن موسى بن طلحة قال: أخبرني عقيل بن أبي طالب قال: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا فقال: يا عقيل انطلق فائتني بمحمد فانطلقت إليه فاستخرجته من حفش أو كبس

يقول بيت صغير فلما أتاهم قال أبو طالب: إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم فانته عن أذاهم فحلق رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ببصره إلى السماء فقال: أترون هذه الشمس قالوا: نعم قال: فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة فقال أبو طالب: والله ما كذبنا ابن أخي قط فارجعوا. رواه البخاري في التاريخ عن أبي كريب عن يونس.

وقال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة أن قريشًا حين قالت لأبي طالب ما قالوا بعث إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: يا بن أخي، إن قومك قد جاءوا إليَّ فقالوا: كذا وكذا فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق فظن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أنه قد بدا لعمه بداء، وأنه خاذله ومسلمه فقال: يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته، ثم استعبر رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: اقبل يا بن أخي، فأقبلت إليه فقال: فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك أبدًا.

عن ربيعة بن عباد الدؤلي قال: رأيت النبي (صلي الله عليه وسلم) بسوق ذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول: لا يغرنكم عن دينكم ودين آبائكم قلت: من هذا؟ قالوا: أبو لهب.

عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة قال: رأيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بسوق ذي المجاز وهو يقول:**(قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)**. وإذا خلفه رجل يسفي عليه التراب فإذا هو أبو جهل ويقول: لا يغرنكم هذا عن دينكم، فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى. إسناده قوي.

عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قيل: نعم فقال: والات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطان على رقبته ولأعفرن وجهه، فأتى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو يصلي ليطأ على رقبته فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له: ما لك؟ قال: إن بيني

وبينه لخندقا من نار فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا، أخرجه مسلم.

عن ابن عباس قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا يصلي عند الكعبة لأطأن عنقه فبلغ النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال: لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا. أخرجه البخاري.

عن ابن عباس في قصة طويلة جرت بين المشركين وبين النبي (صلي الله عليه وسلم) فلما قام عنهم قال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمدًا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وسب آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر، فإذا سجد فضحت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم. فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرًا وجلس وأتى النبي (صلي الله عليه وسلم) فقام يصلي بين الركنين الأسود واليماني وكان يصلي إلى الشام وجلست قريش في أنديتها ينظرون فلما سجد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع مرعوبًا منتقعًا لونه قد يبست يداه على حجره حتى قذف به من يده، فقامت إليه رجال قريش فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ فقال: قمت إليه لأفعل ما قلت لكم فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته، ولا أنيابه لفحل قط فهم أن يأكلني.

قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: ذاك جبريل عليه السلام لو دنا مني لأخذه.

وقال المحاربي وغيره، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: مر أبو جهل بالنبي (صلي الله عليه وسلم) وهو يصلي فقال: ألم أنهك عن أن تصلي يا محمد؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر ناديا مني فانتهره النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال جبريل:{ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾} [العلق: ١٧ - ١٨]، والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب.

عن ابن إسحاق أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش، وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر

صاحبكم فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا قالوا: فأنت فقل وأقم لنا رأيًا قال: بل أنتم فقولوا، وأنا أسمع قالوا: نقول كاهن فقال: ما هو بكاهن لقد رأيت الكهذان فما هو بزمزمة الكاهن وسجعه فقالوا: نقول مجنون فقال: ما هو بمجنون ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بحنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا: فنقول شاعر قال: ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا: فنقول ساحر قال: ما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو ينفثه ولا عقده فقالوا: ما تقول؟ يا أبا عبد شمس قال: والله إن لقوله حلاوة، وإن أصله لغدق، وإن فرعه لجني فما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عرف أنه باطل. وإن أقرب القول أن نقول ساحر يفرق بين المرء وبين ابنه وبين المرء وبين أخيه وبين عشيرته فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه. فأنزل في الوليد:{ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾} [المدثر: ١١]. إلى قوله:{سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾} [المدثر: ٢٦]، وأنزل الله في الذي كانوا معه:{ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾} [الحجر: ٩١]، أي: أصنافا:{ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾} [الحجر: ٩٢].

عن جابر بن عبد الله قال: قال أبو جهل والملأ من قريش: لقد انتشر علينا أمر محمد فلو التمستم رجلاً عالمًا بالسحر والكهانة والشعر فكلمه، ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة: لقد سمعت بقول السحر والكهانة والشعر وعلمت من ذلك علمًا وما يخفى علي إن كان لذلك، فأتاه فلما أتاه قال له عتبة: يا محمد، أنت خير أم هاشم أم عبد المطلب أم عبد الله فلم يجبه قال: فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رأسنا ما بقيت، وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي أبيات قريش شئت، وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغني به أنت وعقبك من بعدك ورسول الله (صلي الله عليه وسلم) ساكت فلما فرغ قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : بسم الله الرحمن الرحيم:{حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾} [فصلت: ١ - ٢]، فقرأ حتى بلغ:{أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ } [فصلت: ١٣]، فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم فقال أبو جهل: يا معشر قريش، والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه

طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته انطلقوا بنا إليه، فأتوه فقال أبو جهل: والله يا عتبة، ما حسبنا إلا أنك صبأت فغن كانت بك حاجة جمعنا لك ما يغنيك عن طعام محمد فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمدا أبدًا وقال: لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا، ولكني أتيته فقص عليهم القصة فأجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم:{حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ} [فصلت: ١ - ٣]، حتى بلغ:{فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت: ١٣]، فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب. رواه يحيى بن معين عنه.

حدث الزهري قال: حدثت أن أبا جهل، وأبا سفيان، والأخنس بن شريق خرجوا ليلة يتسمعون من رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو يصلي بالليل في جوف بيته وأخذ كل رجل منهم مجلسًا وكل لا يعلم بمكان صاحبه فلما أصبحوا تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقالوا: لا نعود فلو رآنا بعض السفهاء لوقع في نفسه شيء ثم عادوا لمثل ليلتهم فلما تفرقوا تلاقوا فتلاوموا لذلك فلما كان في الليلة الثالثة وأصبحوا جمعتهم الطريق فتعاهدوا أن لا يعودوا ثم إن الأخنس بن شريق أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها فقال الأخنس: وأنا والذي حلفت به ثم أتى أبا جهل فقال: ما رأيك فقال: ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه فقام الأخنس عنه.

* * *

إسلام حمزه

وقال ابن إسحاق: حدثني رجل من أسلم وكان واعية أن أبا جهل مر برسول الله (صلي الله عليه وسلم) عند الصفا فآذاه وشتمه فلم يكلمه النبي (صلي الله عليه وسلم) ومولاة لعبد الله بن جدعان تسمع ثم انصرف عنه فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص له وكان صاحب قنص وكان إذا رجع من قنصه بدا بالطواف بالكعبة وكان أعز فتى في قريش وأشده شكيمة فلما مر بالمولاة قالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك آنفا من أبي الحكم وجده ها هنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ولم يكلمه محمد فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته فخرج يسعى مغذا لأبي جهل فلما رآه جالسا في القوم أقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ثم قال: أتشتمه!.

فأنا على دينه أقوم ما يقول فرد علي ذلك إن استطعت فقامت رجلا من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فوالله لقد سببت ابن أخيه سبا قبيحا وتم حمزة على إسلامه فلما أسلم عرفت قريش أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قد عز وامتنع وأن حمزة رضي الله عنه سيمنعه فكفوا بعض الشيء.

* * *

إسلام عمر رضي الله عنه

عن ابن عمر أن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال: اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام.

عن عائشة أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:**(اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة)**.

قال إسماعيل بن أبي خالد: ثنا قيس قال ابن مسعود: ما زلنا أعزة منذ اسلم عمر. أخرجه البخاري.

قال عمر: خرجت أتعرض رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرأ:{إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ} [الحاقة: ٤٠ - ٤١]، الآيات فوقع في قلبي الإسلام كل موقع.

عن أنس بن مالك قال: خرج عمر رضي الله عنه متقلدًا السيف فلقيه رجل من بين زهرة فقال له: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمدًا قال: وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدًا فقال: ما أراك إلا قد صبأت قال: أفلا أدلك على العجب إن ختنك وأختك قد صبأ وتركا دينك. فمشى عمر فأتاهما وعندهما خباب فلما سمع بحس عمر توارى في البيت فدخل فقال: ما هذه الهينمة وكانوا يقرءون طه قالا: ما عدا حديثا تحدثناه بيننا قال: فلعلكما قد صبأتما فقال له: ختنه: يا عمر، إن كان الحق في غير دينك فوثب عليه فوطئه وطءًا شديدًا فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها فقالت وهي غضبى: وإن كان الحق في غير دينك إني اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله فقال عمر: أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه، وكان عمر يقرأ الكتاب فقالت أخته: إنك رجس وإنه لا يمسه إلا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ فقام فتوضأ، ثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى إلى:{إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤} [طه: ١٤]، فقال عمر: دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج فقال: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لك ليلة الخميس:(**اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب، أو بعمرو بن هشام**). وكان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في أصل الدار التي في أصل الصفا. فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حمزة وطلحة وناس فقال حمزة: هذا عمر إن يرد الله به خيرا يسلم وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا قال: والنبي (صلي الله عليه وسلم) داخل يوحي إليه فخرج حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال: ما أنت بمنته يا عمر، حتى نزل الله لك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة، فهذا عمر اللهم أعز الإسلام بعمر فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبد الله ورسوله.

عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر قال: أي قريش أنقل للحديث قيل: جميل بن معمر الجمحي فغدا عليه قال ابن عمر: وغدوت أتبع أثره وأنا غلام أعقل حتى جاءه فقال: أعلمت أني أسلمت فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، ألا إن ابن الخطاب قد صبأ قال: يقول عمر من خلفه: كذب ولكني أسلمت وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم قال: وطلح فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا فبينا هو على ذلك؛ إذ أقبل شيخ عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم قالوا: صبأ عمر قال: فمه! رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون! أترون بني كعب بن عدي يسلمونه! خلوا عنه قال: فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه فقلت لأبي بعد أن هاجر: يا أبه من الرجل الذي زجر القوم عنك قال: العاص بن وائل.

عن ابن عباس بإسناد ضعيف قال: سألت عمر لأي شيء سميت الفاروق فقال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام فخرجت إلى المسجد فأسرع أبو جهل إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) يسبه فأخبر حمزة فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد إلى حلقة قريش التي فيها أبو جهل فاتكأ على قوسه مقابل أبي جهل فنظر إليه فعرف أبو جهل الشر في وجهه فقال: ما لك يا أبا عمارة، فرفع القوس فضرب بها أخدعيه فقطعه فسالت الدماء فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر قال: ورسول الله (صلي الله عليه وسلم) مختف في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي فانطلق حمزة فأسلم وخرجت بعده بثلاثة أيام، فإذا فلان المخزومي فقلت: أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد قال: إن فعلت فقد فعله من وأعظم عليك حقًا مني قلت: ومن هو قال: أختك وختنك فانطلقت فوجدت همهمة فدخلت فقلت: ما هذا؟ فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس ختني فضربته وأدميته فقامت إلي أختي فأخذت برأسي وقالت: قد كان ذلك على رغم أنفك فاستحييت حين رأيت الدماء فجلست وقلت: أروني هذا الكتاب فقالت: إنه لا يمسه إلا المطهرون فقمت فاغتسلت فأخرجوا إلي صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم قلت: أسماء طيبة طاهرة:{طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾} [طه:

١ - ٢]، إلى قوله:{لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ} [طه: ٨]، فتعظمت في صدري وقلت: من هذا فرت قريش فأسلمت وقلت: أين رسول الله (صلي الله عليه وسلم)؟ قالت: فإنه في دار الأرقم فأتيت فضربت الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر قال: وعمر! افتحوا له الباب فإن أقبل قبلنا منه، وإن أدبر قتلناه فسمع ذلك رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فخرج فتشهد عمر فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد قلت: يا رسول الله، ألسنا على الحق؟ قال: بلى فقلت: فيم الاختفاء فخرجنا صفين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش إلي وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة فسماني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الفاروق يومئذ وفرق بين الحق والباطل.

وقال الواقدي: ثنا محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن ابن المسيب قال: أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وعشر نسوة، فلما أسلم ظهر الإسلام بمكة.

وقال الواقدي: ثنا معمر، عن الزهري أن عمر أسلم بعد أن دخل النبي (صلي الله عليه وسلم) دار الأرقم وبعد أربعين أو نيف وأربعين من رجال، ونساء فلما أسلم أنزل جبريل فقال: يا محمد، استبشر أهل السماء بإسلام عمر.

عن ابن إسحاق: كان إسلام عمر بعد خروج من خرج من الصحابة إلى الحبشة. فحدثني عبد الرحمن بن الإرث، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه ليلى قالت: كان عمر من أشد الناس علينا في إسلامنا فلما تهيأنا للخروج إلى الحبشة جاءني عمر وأنا على بعير نريد أن نتوجه فقال: إلى أين يا أم عبد الله؟ فقلت: قد آذيتمونا في ديننا فنذهب في أرض الله حيث لا نؤذي في عبادة الله فقال: صحبكم الله، ثم ذهب فجاء زوجي عامر بن ربيعة فأخبرته بما رأيت من رقة عمر بن الخطاب فقال: ترجين أن يسلم قلت: نعم قال: فوالله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب. يعني: من شدته على المسلمين.

عن ابن إسحاق: والمسلمون يومئذ بضع وأربعون رجلاً وإحدى عشرة امرأة.

* * *

الهجرة الأولى إلى الحبشة ثم الثانية

قال يعقوب الفسوي في تاريخه: أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان. سمعت النضر بن أنس يقول: سمعت أبا حمزة يعني: أنس بن مالك يقول: خرج عثمان برقية بنت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى الحبشة فأبطأ خبرهم فقدمت امرأة من قريش فقالت: يا محمد، قد رأيت ختنك ومعه امرأته فقال: على أي حال رأيتهما قالت: رأيته حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة وهو يسوقها فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : صحبهما الله إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط.

عن أم سلمة قالت: لما أمرنا بالخروج إلى الحبشة قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حين رأى ما يصيبنا من البلاء: إلحقوا بأرض الحبشة، فإن بها ملكها لا يظلم عنده أحد فأقيموا ببلاده حتى يجعل الله لكم مخرجًا مما أنتم فيه فقدمنا عليه فاطمأننا في بلاده الحديث.

قال ابن إسحاق: فلما رأى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه، وأنه لا يقدر أن يمنعهم من البلاء قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون مخافة الفتنة وفرارا بدينهم إلى الله.

فخرج عثمان بزوجته وأبو حذيفة ولد عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بزوجته سهلة سهيل بن عمرو فولدت له بالحبشة محمدًا والزبير بن العوام ومصعب بن عمير العبدري، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي وزوجته أم سلمة أم المؤمنين، وعثمان بن مظعون الجمحي، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب وامرأته ليلى بنت أبي حثمة العدوية، وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى العامري وسهيل بن بيضاء وهو سهيل بن وهب الحارثي، فكانوا أول من هاجر إلى الحبشة.

قال: ثم خرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون إلى الحبشة، ثم سمى ابن إسحاق جماعتهم وقال: فكان جميع من لحق بأرض الحبشة، أو ولد بها ثلاثة وثمانين رجلا فعبدوا الله وحمدوا جوار النجاشي.

ولما دخل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) شعب بني عبد المطلب أمر أصحابه بالخروج إلى الحبشة فخرجوا مرتين؛ رجع الذين خرجوا في المرة الأولى حين أنزلت سورة النجم وكان المشركون يقولون: لو كان محمد يذكر آلهتنا بخير قررناه وأصحابه ولكنه لا يذكر من حالفه من اليهود والنصارى بمصل ما يذكر به آلهتنا من الشتم والشر. وكان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يتمنى هداهم فأنزلت " أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى " فألقى الشيطان عندها كلمات " وإنهن الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى " فوقعت في قلب كل مشرك بمكة ودالت بها ألسنتهم وتباشروا بها. وقالوا: إن محمدًا قد رجع إلى ديننا فلما بلغ آخر النجم سجد النبي (صلي الله عليه وسلم) وسجد كل من حضر من مسلم، أو مشرك غير أن الوليد بن المغيرة كان شيخًا كبيرًا رفع ملء كفيه ترابا فسجد عليه فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود بسجود رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عجب المسلمون بسجود المشركين معهم، ولم يكن المسلمون سمعوا ما ألقى الشيطان، وأما المشركون فاطمأنوا إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه لما ألقى الشيطان، وأما المشركون فاطمأنوا إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه لما ألقي في أمنية رسول الله (صلي الله عليه وسلم)؛ وحدثهم الشيطان أن رسول الله قد قرأها في السجدة فسجدوا تعظيما لآلهتهم.

وفشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين عثمان بن مظعون وأصحابه وحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا وأن المسلمين قد أمنوا بمكة فأقبلوا سراعًا وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان وأنزلت:{وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ} [الحج: ٥٢]، الآيات. فلما بين الله قضاءه وبرأه من سجع الشيطان انقلب المشركون بضلالتهم وعداوتهم.

وكان عثمان بن مظعون، وأصحابه فيمن رجع فلم يستطيعوا أن يدخلوا مكة إلا بجوار فأجار الوليد بن المغيرة عثمان بن مظعون فلما رأى عثمان ما يلقى أصحابه من البلاء وعذب طائفة منهم بالسياط والنار وعثمان معافى لا يعرض له استحب البلاء فقال للوليد: يا عم، قد أجرتني وأحب أن تخرجني إلى عشيرتك فتبرأ مني فقال: يا بن أخي لعل أحدًا آذاك أو شتمك قال: لا والله ما اعترض لي أحد ولا آذاني فلما أبى إلا أن يتبرأ منه أخرجه إلى المسجد وقريش فيه كأحفل ما كانوا ولبيد بن ربيعة الشاعر ينشدهم فأخذ الوليد بيد عثمان وقال: إن هذا قد حملني على أن أتبرأ من جواره وإني أشهدكم أني بريء منه إلا أن يشاء فقال عثمان: صدق أنا والله أكرهته على ذلك وهو مني بريء، ثم جلس مع القوم فنالوا منه.

قال موسى: وخرج جعفر بن أبي طالب وأصحابه فرارًا بدينهم إلى الحبشة فبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة وأمروهما أن يسرعا ففعلاً وأهدوا للنجاشي فرسًا وجبة ديباج وأهدوا لعظماء الحبشة هدايا فقبل النجاشي هديتهم وأجلس عمرًا على سريره فقال: إن بأرضك رجالاً منا سفهاء ليسوا على دينك، ولا ديننا فادفعهم إلينا فقال: حتى أكلمهم وأعلم على أي شيء هم فقال عمرو: هم أصحاب الرجل الذي خرج فينا وإنهم لا يشهدون أن عيسى ابن الله ولا يسجدون لك إذا دخلوا فأرسل النجاشي إلى جعفر وأصحابه فلم يسجد له ولا أصحابه وحيوه بالسلام فقال عمرو: ألم نخبرك بخبر القوم؟ فقال النجاشي: حدثوني أيها الرهط ما لكم لا تحيوني كما يحييني من أتاني من قومكم وأخبروني ما تقولون في عيسى، وما دينكم أنصارى أنتم؟ قالوا: لا قال: أفيهود أنتم؟ قالوا: لا قال: فعلى دين قومكم قالوا: لا قال: فما دينكم؟ قالوا: الإسلام قال: وما الإسلام؟ قالوا: نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا قال: من جاءكم بهذا؟ قالوا: جاءنا به رجل منا قد عرفنا وجهه ونسبه بعثه الله كما بعث الرسل إلى من كان قبلنا فأمرنا بالبر والصدقة والوفاء والأمانة ونهانا أن نعبد الأوثان وأمرنا أن نعبد الله فصدقناه وعرفنا كلام الله فعادانا قومنا وعادوه وكذبوه وأرادونا على عبادة الأصنام ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا فقال النجاشي: والله إن خرج هذا الأمر من المشكاة التي خرج منها أمر عيسى قال:

وأما التحية، فإن رسولنا خبرنا أن تحية أهل الجنة السلام فحييناك بها، وأما عيسى فهو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وابن العذراء البتول فخفض النجاشي يده إلى الأرض وأخذ عودا فقال: والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود فقال عظماء الحبشة: والله لئن سمعت هذا الحبشة لتخلعنك فقال: والله لا أقول في عيسى غير هذا أبدًا وما أطاع الله الناس في حين رد إلي ملكي، فأنا أطيع الناس في دين الله! معاذ الله من ذلك.

وكان أبو النجاشي ملك الحبشة فمات والنجاشي صبي فأوصى إلى أخيه أن إليك ملك قومك حتى يبلغ إبني فإذا بلغ فله الملك فرغب أخوه في الملك فباع النجاشي لتاجر وبادر بإخراجه إلى السفينة فأخذ الله عمه قعصا فمات فجاءت الحبشة بالتاج وأخذوا النجاشي فملكوه وزعموا أن التاجر قال: ما لي بد من غلامي، أو مالي قال النجاشي: صدق ادفعوا إليه ماله.

قال: فقال النجاشي حين كلمه جعفر: ردوا إلى هذا هديته يعني عمرا والله لو رشوني على هذا دبر ذهب والدبر بلغته الجبل ما قبلته، وقال لجعفر وأصحابه: أمكثوا آمنين وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق وألقى الله العداوة بين عمرو وعمارة بن الوليد في مسيرهما فمكر به عمرو وقال: إنك رجل جميل فاذهب إلى امرأة النجاشي فتحدث عندها إذا خرج زوجها، فإن ذلك عون لنا في حاجتنا فراسلها عمارة حتى دخل عليها فلما دخل عليها انطلق عمرو إلى النجاشي فقال: إن صاحبي هذا صاحب نساء، وإنه يريد أهلك فاعلم علم ذلك فبعث النجاشي، فإذا عمارة عند امرأته فأمر به فنفخ في إحليله سحرة، ثم ألقي في جزيرة من البحر فجن وصار مع الوحش ورجع عمرو خائب السعي.

عن أم سلمة قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع ما نكره، فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي رجلين جلدين، وأن يعدوا للنجاشي فبعثوا بالهدايا مع عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص.

وذكر الواقدي أن الهجرة الثانية كانت سنة خمس من المبعث.

عن ابن مسعود قال: بعثنا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى النجاشي ونحن ثمانون رجلاً ومعنا جعفر وعثمان بن مظعون وبعثت قريش عمارة وعمرو بن العاص وبعثوا معهما بهدية إلى النجاشي فلما دخلاً عليه سجدًا له وبعثًا إليه بالهدية وقالا: إن ناسًا من قومنا رغبوا عن ديننا وقد نزلوا أرضك فبعث إليهم فقال لنا جعفر: أنا خطيبكم قال: فاتبعوه حتى دخلوا على النجاشي فلم يسجدوا له فقال: وما لكم لم تسجدوا للملك؟ فقال: إن الله قد بعث إلينا نبيه فأمرنا أن لا يسجد إلا الله فقال النجاشي: وما ذاك؟ قال عمرو: إنهم يخالفونك في عيسى قال: فما تقولون في عيسى وأمه قال: نقول كما قال الله وهو روح الله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر، ولم يفرضها ولد فتناول النجاشي عودا فقال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما تزيدون على ما يقول هؤلاء ما يزن هذا فمرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده وأنا أشهد أنه نبي ولوددت أني عنده فأحمل نعليه، أو قال: أخدمه فأنزلوا؛ حيث شئتم من أرضي فجاء ابن مسعود فشهد بدرًا. رواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن حديج.

وقال عبيد الله بن موسى: أنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبيه قال: أمرنا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن ننطلق مع جعفر إلى الحبشة.

ويظهر لي أن إسرائيل وهم فيه ودخل عليه حديث في حديث، وإلا أين كان أبو موسى الأشعري ذلك الوقت؟

رجعنا إلى تمام الحديث الذي سقناه عن أم سلمة قالت: فلم يبق بطريق من بطارقة النجاشي إلا دفعا إليه هدية قبل أن يكلما النجاشي، وأخبرا ذلك البطريق بقصدهما ليشير على الملك بدفع المسلمين إليهم، ثم قربا هدايا النجاشي فقبلها، ثم كلماه فقالا: أيها الملك إنه قدم إلى بلادك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك جاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن، ولا أنت فقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من أقاربهم لتردهم عليهم فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم قالت: ولم يكن أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي فقالت بطارقته حوله: صدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم من دينهم فأسلمهم إليهما فغضب،

ثم قال: لاها الله إذن لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقولان فأرسل إلى الصحابة فدعاهم فلما جاءوا وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم سألهم فقال: ما دينكم؟ فكان الذي كلمه جعفر فقال: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة وأمرنا بالصدق والأمانة وصلة الرحم وعدد عليه أمور الإسلام فصدقناه واتبعناه فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونان عن ديننا وضيقوا علينا فخرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك قالت: قال: وهل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قال جعفر: نعم وقرأ عليه صدرا من كهيعص فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة إنطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكاد قالت: فلما خرجا من عنده قال عمرو: والله لآتينهم غدا بما أستأصل به خضراءهم فقال له ابن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل فإن لهم أرحامًا قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى عبد، ثم غدا عليه فقال له ذلك فطلبنا قالت: ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله كائنًا في ذلك ما كان فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فأخذ النجاشي عودًا ثم قال: ما عدا عيسى ما قلت: هذا العود فتناحرت بطارقته حوله فقال: وإن نخرتم والله إذهبوا، فأنتم سيوم بأرضي والسيوم: الآمنون من سبكم غرم ما أحب أن لي دبرا من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم ردوا هداياهما فلا حاجة لي فيها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به قالت: فإنا على ذلك؛ إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه فوالله

ما علمنا حزنا قد كان أشد علينا من حزن حزناه عند ذلك تخوفًا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه. فسار إليه النجاشي وكان بينهما عرض النيل فقال أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم): من رجل يخرج حتى يحضر الوقعة، ثم يأتينا بالخبر فقال الزبير: أنا فنفخوا له قربة فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها يلتقي القوم، ثم انطلق حتى حضرهم ودعونا الله تعالى للنجاشي، فإنا لعلى ذلك؛ إذ طلع الزبير يسعى فلمع بثوبه وهو يقول: ألا أبشروا فقد ظهر النجاشي وقد أهلك الله عدوه ومكن له في بلاده.

قال الزهري: فحدثت عروة بن الزبير هذا الحديث فقال: هل تدري ما قوله؟ ما أخذ الله مني الرشوة إلى آخره قلت: لا. قال: فإن عائشة أم المؤمنين حدثتني أن أباه كان ملك قومه ولم يكن له ولد إلا النجاشي، وكان للنجاشي عم من صلبه اثنا عشر رجلا فقالت الحبشة: لو أنا قتلنا هذا وملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام ولأخيه اثنا عشر ولدا فتوارثوا ملكه من بعده بقيت الحبشة بعده دهرا فعدوا على أبي النجاشي فقتلوه وملكوا أخاه. فمكثوا حينا ونشا النجاشي مع عمه فكان لبيبًا حازمًا فغلب على أمر عمه ونزل منه بكل منزلة فلما رأت الحبشة مكانه منه قالت بينها: والله لقد غلب هذا على عمه، وإنا لنتخوف أن يملكه علينا، وإن ملك ليقتلنا بأبيه فكلموا الملك فقال: ويلكم قتلت أباه بالأمس واقتله اليوم!.

بل أخرجه من بلادكم قالت: فخرجوا به فباعوه لتاجر بستمائة ردهم فقذفه في سفينة وانطلق به حتى إذا كان آخر النهار هاجت سحابة فخرج عمه يستمطر تحتها فأصابته صاعقة فقتلته ففزعت الحبشة إلى ولده، فإذا هو محمق ليس في ولده خير فمزج الأمر فقالوا: تعلموا والله إن ملككم الذي لا يقيم أمركم غيره للذي بعتموه غدوة فخرجوا في طلبه فأدركوه وأخذوه من التاجر، ثم جاءوا به فعقدوا عليه التاج واقعدوه على سرير ملكه فجاء التاجر فقال: ما لي قالوا: لا نعطيك شيئًا فكلمه فأمرهم فقال: أعطوه دراهمه، أو عبده قالوا: بل نعطيه دراهمه، فكان ذلك أول ما خبر من عدله - رضي الله عنه.

* * *

انشقاق القمر

قال الله تعالى:{ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ} [القمر: ١ - ٣]. عن أنس: إن أهل مكة سألوا نبي الله (صلي الله عليه وسلم) أن يريهم آية فأراهم إنشقاق القمر مرتين. أخرجاه من حديث شيبان لكن لم يقل البخاري مرتين.

عن ابن مسعود قال: رأيت القمر منشقًا شقتين بمكة قبل مخرج النبي (صلي الله عليه وسلم) شقة على أبي قبيس وشقة على السويداء فقالوا: سحر القمر.

وأخرجاه من حديث ابن عيينة ولفظه: إنشق القمر على عهد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) شقتين فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(اشهدوا).

وأخرجاه عن عمر بن حفص، عن أبيه عن الأعمش ثنا إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله قال: انفلق القمر ونحن مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فصارت فلقة من وراء الجبل وفلقة دونه فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(اشهدوا). وأخرجاه من حديث شعبة عن الأعمش.

* * *

أذية المشركين له وللمسلمين

عن عروة قال: سألت عبد الله بن عمرو قلت: حدثني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: أقبل عقبة بن أبي معيط والنبي (صلي الله عليه وسلم) يصلي عند الكعبة فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبيه فدفعه عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ثم قال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟! وقد جاءكم بالبينات من ربكم، أخرجه البخاري.

عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال: بينما رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلى جزور فيضعه على كتفي محمد إذا

سجد؟ فانبعث أشقاهم فأخذه فوضعه بين كتفيه فضحكوا وجعل بعضكم يميل إلى بعض، وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته والنبي (صلي الله عليه وسلم) ما يرفع رأسه فجاءت فاطمة وهي جويرية فطرحته عنه وسبتهم فلما قضى صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم وكان إذا دعا دعا ثلاثًا وإذا سأل سأل ثلاثًا، ثم قال: اللهم عليك بقريش ثلاثًا فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وذكر السابع ولم أحفظه. فوالذي بعث محمدًا بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر.

عن عبد الله قال: إن أول من أظهر إسلام سبعة: رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد.

فأما رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فمنعه الله بعمه أبي طالب.

وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وأوقفوهم في الشمس، فما ن أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا غير بلال فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه، فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد. حديث صحيح.

عن جابر أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال:(**ابشروا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة**).

عن مجاهد قال: كان أول شهيد في الإسلام أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قبلها.

عن هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر أعتق ممن كان يعذب في الله سبعة فذكر منهم الزنيرة قال: فذهب بصرها وكانت ممن يعذب في الله على الإسلام، فتأبى إلا الإسلام فقال المشركون: ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى فقالت: كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها.

وقال إسماعيل بن أبي خالد: سمعت خبابًا يقول: أتيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو متوسد برده في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله فقعد وهو محمر وجهه؟ فقال: " إن كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم، أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله ". متفق عليه.

ويروى عن ابن إسحاق من طريق محمد بن حميد الرازي أن النبي (صلي الله عليه وسلم) كتب إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام، وذلك مع عمرو بن أمية الضمري، وأن النجاشي كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من النجاشي أصحمة بن أبحر سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته أشهد أنك رسول الله، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين وقد بعثت إليك أريحًا ابني، فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله.

قال يونس عن ابن إسحاق: كان اسم النجاشي مصحمة وهو بالعربية عطية وإنما النجاشي اسم الملك كقولك كسرى وهرقل.

* * *

شعب أبي طالب والصحيفة

عن الزهري قال: ثم إنهم اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد واشتد عليهم البلاء واجتمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) علانية فلما رأى أبو طالب عملهم جمع بني هاشم، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) شعبهم ويمنعوه ممن أراد قتله فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم فمنهم من فعله حمية ومنهم من فعله إيمانًا، فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوه أجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) للقتل وكتبوا في

مكرهم صحيفة وعهودًا ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم أبدًا صلحًا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل.

فلبث بنو هاشم في شعبهم يعني ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء وقطعوا عنهم الأسواق، وكان أبو طالب إذا نام الناس أمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد مكرًا به واغتياله، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته فاضطجع على فراش رسول الله (صلي الله عليه وسلم). ويأتي رسول الله فراش ذلك فينام عليه فما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن بني قصي ورجال أمهاتهم من نساء بني هاشم ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه.

وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق ويقال: كانت معلقة في سقف البيت فلم تترك اسما لله إلا لحسته وبقي ما كان فيها من شرك أو ظلم فأطلع الله رسوله على ذلك فأخبر به أبا طالب فقال أبو طالب: لا والثواقب ما كذبني فانطلق يمشي بعصابة من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش، فأنكروا ذلك فقال أبو طالب: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم فائتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح فأتوا بها وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم، فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد وجعلتموه خطرا للهلكة قال أبو طالب: إنما أتيتكم لأعطيكم أمرا لكم فيه نصف إن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني أن الله بريء من هذه الصحيفة ومحا كل اسم هو له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم، فإن كان كما قال: فأفيقوا فوالله لا نسلمه أبدا حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان الذي قال: باطلاً دفعناه إليكم فرضوا وفتحوا الصحيفة فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب: قالوا: والله إن كان هذا قط إلا سحرا من صاحبكم فارتكسوا وعادوا لكفرهم فقال بنو عبد المطلب: إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون وإنا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد الصحيفة، وهي في أيديكم أفنحن السحرة أم أنتم؟ فقال أبو البختري، ومطعم بن عدي،

وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو، وكانت الصحيفة عنده، وهو من بني عامر بن لؤي في رجال من أشرافهم: نحن براء مما في هذه الصحيفة فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل.

وذكر ابن إسحاق نحوا من هذا وقال: أن أبا لهب يعني: حين فارق قومه من الشعب لقي هندا بنت عتبة بن ربيعة فقال لها: هل نصرت اللات والعزى وفارقت؟ فارقها قالت: نعم فجزاك الله خيرًا يا أبا عتبة.

وأقام بنو هاشم سنتين أو ثلاثًا حتى جهدوا لا يصل إليهم شيء إلا سرًا مستخفى به. وقد كان أبو جهل فيما يذكرون لقي حكيم بن حزام بن خويلد ومعه غلام يحمل قمحًا يريد به عمته خديجة وهي في الشعب فتعلق به وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة؟ فجاءه أبو البختري بن هشام فقال: ما لك وله!

قال: يحمل الطعام إلى بني هاشم! قال: طعام كان لعمته عنده أفتمنعه أن يأتيها بطعامها خل سبيل الرجل، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه فأخذ له أبو البختري لحى بعير فضربه فشجه ووطئه وطئًا شديدًا وحمزة يرى ذلك ويكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه فيشتموا بهم قال: ورسول الله على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهارًا سرًا وجهرًا.

وقال موسى بن عقبة: فلما أفسد الله الصحيفة خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ورهطه فعاشوا وخالطوا الناس.

* * *

باب إنا كفيناك المستهزئين

عن ابن عباس في قوله تعالى: " إنا كفيناك المستهزئين " قال: المستهزئون: الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث الزهري، وأبو زمعة الأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى، والحارث بن عيطل السهمي، والعاص بن وائل، فأتاه جبريل فشكاهم النبي (صلي الله عليه وسلم) إليه فأراه الوليد وأومأ جبريل إلى أبجله فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته ثم أراه الأسود فأومأ جبريل إلى عينيه فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته ثم أراه أبا زمعة فأومأ إلى رأسه

فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته، ثم أراه الحارث فأومأ إلى رأسه أو بطنه وقال: كفيته فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبالاً فأصاب أبجله فقطعها، وأما الأسود فعمي. وأما ابن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها، وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها، وأما العاص فدخل في رأسه شبرقة حتى امتلأت فمات منها وقال غيره: إنه ركب إلى الطائف حمارًا فربض به على شوكة فدخلت في أخمصه فمات منها. حديث صحيح.

* * *

ثم توفى عمه أبو طالب وزوجته خديجة

يقال في قوله تعالى:{وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ} [الأنعام: ٢٦]، أنها نزلت في أبي طالب ونزل فيه:{ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص: ٥٦].

عن حبيب بن أبي ثابت عمن سمع ابن عباس يقول في قوله تعالى:{وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ} [الأنعام: ٢٦]، قال: نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وينأى عنه.

عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي (صلي الله عليه وسلم) فوجد أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال له النبي (صلي الله عليه وسلم) " يا عم، قل: لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله " فقالا: أيا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟!

قال: فكان آخر كلمة أن قال: على ملة عبد المطلب فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : **(لأستغفرن لك ما لم أنه عنك)** فنزلت:{ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ} [التوبة: ١١٣]، الآيتين ونزلت:{ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص: ٥٦]، أخرجه مسلم.

قال عروة بن الزبير: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): ما زالت قريش كاعة عني حتى مات عمي. كاعة: جمع كائع وهو الجبان يقال: كع إذا جبن وانقبض.

وقال يزيد بن كيسان: حدثني أبو حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لعمه:(**قل لا إله إلا الله اشهد لك بها يوم القيامة**) فقال: لو لا أن تعيرني قريش يقولون: إنما حمله عليه الجزع لأقررت بها عينك. فأنزل الله:(**إنك لا تهدي من أحببت**) الآية. أخرجه مسلم.

وعن ابن عباس أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: أهون أهل النار عذابًا أبو طالب منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه.

عن علي - رضي الله عنه - قال: لما مات أبو طالب أتيت النبي (صلي الله عليه وسلم) فقلت: إن عمك الشيخ الضال قد مات قال: " اذهب فوار أباك، ولا تحدثن شيئًا، حتى تأتيني " فأتيته فأمرني فاغتسلت، ثم دعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بهن ما على الأرض من شيء.

ورواه الطيالسي في مسنده عن شعبة عن أبي إسحاق فزاد بعد: اذهب فواره: " فقلت: إنه مات مشركًا " قال: اذهب فواره. وفي حديثه تصريح السماع من ناحية قال: شهدت عليًّا يقول: وهذا حديث حسن متصل.

وقال ابن إسحاق: ثم إن خديجة بنت خويلد، وأبا طالب ماتا في عام واحد فتتابعت على رسول الله المصائب بموتهما، وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام كان يسكن إليها.

وذكر الواقدي أنهم خرجوا من الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين وأنهما توفيا في ذلك العام، وتوفيت قبل أبي طالب بخمسة وثلاثين يومًا.

وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدية.

قال الزبير بن بكار: كانت تدعى في الجاهلية الطاهرة وأمها فاطمة بنت زائدة ابن الأصم العامرية. وكانت خديجة تحت أبي هالة بن زرارة التميمي، واختلف في اسم أبي هالة، ثم خلف عليها بعده عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ثم النبي (صلي الله عليه وسلم).

وقال ابن إسحاق: بل تزوجها أبو هالة بعد عتيق. وكانت وزيرة صدق على الإسلام.

وعن عائشة قالت: توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة وقيل: كان موتها في رمضان ودفنت بالحجون وقيل: إنها عاشت خمسًا وستين سنة.

وقال الزبير: تزوجها النبي (صلي الله عليه وسلم) ولها أربعون سنة وأقامت معه أربعا وعشرين سنة.

عن عبد الله البهي قال: قالت عائشة: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إذا ذكر خديجة لم يكد يسام من ثناء عليها واستغفار لها فذكرها يوما فاحتملتني الغيرة فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن فرايته غضب غضبًا أسقطت في خلدي وقلت في نفسي: اللهم إنك إن أذهبت غضب رسولك عني لم أعد إلى ذكرها بسوء فلما رأى النبي (صلي الله عليه وسلم) ما لقيت قال: " كيف قلت؟! والله لقد آمنت بي؛ إذ كفر بي الناس وآوتني إذا رفضني الناس وصدقتني إذ كذبني الناس ورزقت منها الولد وحرمتموه مني " قالت: غدا وراح علي بها شهرًا.

وعن عائشة قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة مما كنت أسمع من ذكر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لها، وما تزوجني إلا بعد موتها بثلاث سنين ولقد أمره ربه أن يبشرها في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب. متفق عليه.

* * *

الإسراء إلى المسجد الأقصى

عن الزهري: أسري برسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى بيت المقدس قبل الهجرة بسنة.

وقال شداد بن أوس: قلنا يا رسول الله، كيف أُسري بك؟ قال: صليت لأصحابي صلاة العتمة بمكة معتمًا فأتاني جبريل بدابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل فقال: اركب فاستصعب علي فرازها بأذنها، ثم حملني عليها فانطلقت تهوي بنا يقع حافرها؛ حيث أدرك طرفًا حتى بلغنا أرضًا ذات نخل فأنزلني فقال: صل فصليت ثم ركبنا فقال: أتدري أين صليت صليت بيثرب صليت بطيبة، فانطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها، ثم بلغنا أرضًا

فقال: انزل فصل ففعلت ثم ركبنا قال: أتدري أين صليت؟ قلت: الله أعلم قال: صليت بمدين عند شجرة موسى - عليه السلام، ثم انطلقت تهوي بنا يقع حافرها؛ حيث أدرك طرفها، ثم بلغنا أرضا بدت لنا قصور فقال: انزل فصليت وركبنا فقال لي: صليت ببيت لحم؛ حيث ولد عيسى، ثم انطلق بي حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني، فأتى قبلة المسجد فربط فيه دابته ودخلنا المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر فصليت من المسجد حيث شاء الله وأخذني من العطش أشد ما أخذني فأتيت بإناءين لبن وعسل أرسل إلي بهما جميعًا فعدلت بينهما، ثم هداني الله فأخذت البن فشربت حتى قرعت به جبيني وبين يدي شيخ متكئ على مثراة له فقال: أخذ صاحبك الفطرة إنه ليهدى، ثم انطلق بي حتى أتينا الوادي الذي في المدينة، فإذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابي قلت: يا رسول الله، كيف وجدتها؟ قال: مثل الحمأة السخنة، ثم انصرف بي فمررنا بعير لقريش بمكان كذا وكذا قد ضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان فسلمت عليهم فقال بعضهم: هذا صوت محمد.

ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة، فأتاني أبو بكر فقال: أين كنت الليلة؟ فقد التمستك في مظانك قلت: علمت أني أتيت بيت المقدس الليلة فقال: يا رسول الله، إنه مسيرة شهر فصفه لي قال: ففتح لي صراط كأني أنظر إليه لا يسألني عن شيء إلا أبنته عنه قال: أشهد أنك رسول الله، فقال المشركون: أنظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة فقال: إني مررت بعير لكم بمكان كذا وقد أضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان، وإن مسيرهم ينزلون بكذا، ثم كذا ويأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان، فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حتى كان قريب من نصف النهار حين أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل.

قال البيهقي: هذا إسناد صحيح.

عن أبي هريرة قال: أتي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ليلة أسري به إيلياء بقدحين من خمر ولبن فنظر إليهما، فأخذ اللبن فقال له جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة لو أخذت الخمر غوت أمتك. متفق عليه.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): " لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلي اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني: نفسه فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل: يا محمد، هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام.

وقد رواه أبو سلمة أيضًا عن جابر مختصرًا.

اخبرأبو سلمة قال: سمعت جابر بن عبد الله يحدث أنه سمع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول: " لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه. أخرجاه.

عن عائشة قالت: لما أسري بالنبي (صلي الله عليه وسلم) إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن آمن وسعوا إلى أبي بكر فقالوا: هل لك في صاحبك يزعم أنه أري به الليلة إلى بيت المقدس؟!

قال: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم قال: لئن قال ذلك: لقد صدق قالوا: وتصدقه! قال: إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبو بكر الصديق.

قال ابن عباس: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**لما كانت ليلة أُسري بي، ثم أصبحت بمكة فظعت بأمري وعلمت بأن الناس يكذبوني**) قال: فقعد معتزلاً حزينا فمر به أبو جهل فجاء فجلس فقال كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**نعم**) قال: ما هو؟ قال:(**إني أسري بي الليلة**) قال: إلى أين؟ قال:(**إلى بيت المقدس**) قال: ثم أصبحت بين أظهرنا! قال:(**نعم**) قال: فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث فقال: أرأيت إن دعوت إليك قومك أتحدثهم بما حدثتني؟ قال:(**نعم**) فدعا قومه فقال: يا معشر بني كعب بن

لؤي، هلم فانتقضت المجالس فجاءوا حتى جلسوا إليهما فقال: حدثهم فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(إني أسري بي الليلة) قالوا: إلى أني قال:(إلى بيت المقدس) قالوا: ثم أصبحت بين ظهرينا! قال:(نعم) قال: فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه مستعجب للكذب زعم قال: وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد فقال: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(فذهبت أنعت فما زلت حتى التبس علي بعض النعت قال: فجئ بالمسجد حتى وضع دون دار عقيل أو عقال. قال: فنعته وأنا أنظر إليه) فقالوا: أما النعت فقد والله أصاب. ورواه هوذة عن عوف.

* * *

المعراج إلى السماء

قال الله تعالى:{عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾} [النجم: ٥ - ١١]، وقال:{وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ} [النجم: ١٣ - ١٤]. تفسير ذلك: قال: زائدة وغيره عن أي: إسحاق الشيباني قال: سألت زرين حبيش عن قوله تعالى:{فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾} [النجم: ٩]، فقال: ثنا عبد الله بن مسعود أنه رأى جبريل له ستمائة جناح. أخرجاه.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(أتيت ليلة أسري بي على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟) قال: هؤلاء أكلة الربا، رواه أحمد.

عن أنس قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري، ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا، ثم أفرغها في صدري، ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا فقال خازنها: افتح قال: من هذا؟ قال: جبريل قال: هل معك أحد؟ قال: نعم محمد قال: أرسل إليه قال: نعم ففتح فلما علونا السماء الدنيا إذا رجل عن يمينه أسودة، وعن يساره أسودة، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى فقال: مرحبًا بالنبي الصالح والابن

الصالح قلت: " يا جبريل من هذا؟ " قال: آدم وهذه الأسودة نسم بنيه، فأهل اليمين أهل الجنة وإلى عن شماله أهل النار، ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها، افتح فقال له خازنها. مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح.

فقال أنس: فذكر أنه وجد في السموات: آدم وإدريس وعيسى وموسى وإبراهيم ولم يثبت يعني: أبا ذر كيف منازلهم؟ غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة فلما مر جبريل ورسول الله (صلي الله عليه وسلم) بإدريس قال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قال: ثم مر، قلت: من هذا؟ قال: إدريس قال: ثم مررت بموسى، فقال: مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح: قلت: من هذا؟ قال: موسى، ثم مررت بعيسى فقال: مرحبًا بالنبي الصالح، والأخ الصالح قلت: من هذا؟ قال: عيسى، ثم مررت بإبراهيم فقال: مرحبًا بالنبي الصالح، والابن الصالح قلت: من هذا؟ قال: إبراهيم كانا يقولان: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوفى أسمع فيه صريف الأقلام.

قال ابن شهاب: قال ابن حزم، وأنس بن مالك: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ففرض الله على أمتي خمسين صلاة كل يوم قال: فرجعت بذلك حتى أمر بموسى فقال: ماذا فرض ربك على أمتك؟ قلت: فرض عليهم خمسين صلاة قال موسى: فراجع ربك؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك قال: فراجعت ربي فوضع عني شطرها فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال: فراجع ربك؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعت ربي فقال: هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي. فرجعت إلى موسى فقال: ارجع إلى ربك فقلت: قد استحييت من ربي قال: ثم انطلق بي حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ قال: ثم دخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك. رواه مسلم والبخاري.

وعن ابن عباس قال: قال نبي الله (صلي الله عليه وسلم) رأيت ليلة أسري بي موسى - عليه السلام - رجلاً طوالاً جعدًا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس قال: وأري مالكًا خازن النار والدجال في آيات أراهن الله إياه قال: " فلا تكن في مرية من لقائه ".

فكان قتادة يفسرها أن نبي الله قد لقي موسى. أخرجه مسلم.

وفي الصحيحين من حديث سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال النبي (صلي الله عليه وسلم) حين أسري به لقيت موسى وعيسى، ثم نعتهما ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به.

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:(**مررت ليلة أسري بي برائحة طيبة فقلت: ما هذه الرائحة يا جبريل؟ قال: هذه ماشطة بنت فرعون كانت تمشطها فوقع المشط من يدها فقالت: باسم الله قالت بنت فرعون: أبي قالت: ربي ورب أبيك قالت: أقول له إذا قالت: قولي له: قال لها: أو لك رب غيري؟! قالت: ربي وربك الذي في السماء قال: فاحمي لها بقرة من نحاس فقالت: إن لي إليك حاجة قال: وما هي؟ قالت: أن تجمع عظامي وولدي قال: ذلك لك علينا لما لك علينا من الحق. فألقي ولدها في البقرة واحدًا واحدًا واحدًا، فكان آخرهم صبي فقال: يا أمه، اصبري فإنك على الحق. قال ابن عباس: فأربعة تكلموا وهم صبيان ماشطة بنت فرعون، وصبي جريج، وعيسى ابن مريم، والرابع لا أحفظه**) هذا حديث حسن.

عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلي الله عليه وسلم) أنه قال له أصحابه: يا رسول الله، أخبرنا عن ليلة أسري بك فيها فقرأ أول " سبحان " وقال:

بينا أنا نائم عشاء في المسجد الحرام إذ أتاني آت فأيقظني فاستيقظت، فلم أر شيئًا ثم عدت في النوم، ثم أيقظني فاستيقظت فلم أر شيئًا ثم نمت فأيقظني فاستيقظت فلم أر شيئًا فإذا أنا بهيئة خيال فأتبعته بصري حتى خرجت من المسجد فإذا أنا بدابة أدنى شبهه بدوابكم هذه بغالكم مضطرب الأذنين يقال له: البراق وكانت الأنبياء تركبه قبلي يقع حافره مد بصره فركبته فبينا أنا أسير عليه؛ إذ دعاني داع عن يميني: يا محمد، أنظرني أسألك فلم أجبه فسرت، ثم دعاني داع عن يساري: يا محمد، أنظرني أسألك فلم أجبه، ثم إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة فقالت: يا محمد، أنظرني فأسألك فلم ألتفت إليها حتى أتيت بيت المقدس فأوثقت دابتي بالحلقة فأتاني جبريل بإناءين: خمر ولبن فشربت اللبن فقال: أصبت الفطرة، فحدثت جبريل عن الداعي الذي

عن يميني قال: ذاك داعي اليهود لو أجبته لتهودت أمتك، والآخر داعي النصارى لو أجبته لتنصرت أمتك، وتلك المرأة الدنيا لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة، ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس فصلينا ركعتين، ثم أتيت بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم، فلم تر الخلائق أحسن من المعراج أما رأيتم الميت حين يشق بصره طامحًا إلى السماء، فإنما يفعل ذلك عجبه به فصعدت أنا وجبريل، فإذا أنا بملك يقال له: إسماعيل وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك قال تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر: ٣١]. فاستفتح جبريل قيل: من هذا قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه قال: نعم. فإذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول: روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول: روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين. ثم مضت هنية فإذا أنا بأخونة يعني: بالخوان المائدة عليها لحم مشرح ليس بقربها أحد وإذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح ونتن وعندها أناس يأكلون منها. قلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام قال: ثم مضت هنية، فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر يقول: اللهم لا تقم الساعة، وهم على سابلة آل فرعون فتجيء السابلة فتطاردهم فسمعتهم يضجون إلى الله قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا، ثم مضت هنية فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل فتفتح أفواههم ويلقمون الجمر، ثم يخرج من أسافلهم فيضجون قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما، ثم مضت هنية فإذا أنا بنساء يعلقن بثديهن فسمعتهن يضجن إلى الله قلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: الزناة من أمتك، ثم مضت هنية، فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال له: كل ما كنت تأكل من لحم أخيك، قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون، ثم صعدت إلى السماء الثانية فإذا أنا برجل أحسن ما خلق الله، قد فضل على الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب، قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف ومعه نفر من قومه، فسلمت عليه وسلم عليَّ ثم صعدت إلى السماء الثالثة فإذا أنا بيحيى وعيسى ومعهما نفر من

قومهما. ثم صعدت إلى الرابعة، فإذا أنا بإدريس، ثم صعدت إلى السماء الخامسة فإذا أنا بهارون ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء، تكاد لحيته تصيب سرته من طولها، قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا المحبب في قومه هذا هارون بن عمران ومعه نفر من قومه، فسلمت عليه ثم صعدت إلى السماء السادسة، فإذا أنا بموسى رجل آدم كثير الشعر، لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دون القميص، وإذا هو يقول: يزعم الناس أني أكرم على الله من هذا بل هذا أكرم على الله مني، قلت: من هذا؟ قال: موسى. ثم صعدت السابعة فإذا أنا بإبراهيم، ساند ظهره إلى البيت المعمور، فدخلته ودخل معي طائفة من أمتي عليهم ثياب بيض، ثم دفعت إلى سدرة المنتهى، فإذا كل ورقة منها تكاد أن تغطي هذه الأمة، وإذا فيها عين تجري يقال لها سلسبيل، فيشق منها نهران، أحدهما: الكوثر، والآخر: نهر الرحمة، فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، ثم إني دفعت إلى الجنة، فاستقبلتني جارية فقلت: لمن أنت؟ قالت: لزيد بن حارثة، ثم عرضت عليَّ النار ثم أغلقت، ثم إني دفعت إلى سدرة المنتهى، فتغشى لي وكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى، قال: ونزل على كل ورقة ملك من الملائكة وفرضت عليَّ الصلاة خمسين، ثم دفعت إلى موسى فذكر مراجعته في التخفيف. وما تأخر ثم إني دفعت إلى الجنة فاستقبلتني جارية، فقلت: لمن أنت؟ قالت: لزيد بن حارثة، ثم عرضت عليَّ النار ثم أغلقت، ثم إني دفعت إلى سدرة المنتهى فتغشى لي وكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى قال: ونزل على كل ورقة ملك من الملائكة وفرضت علي الصلاة خمسين ثم دفعت إلى موسى فذكر مراجعته في التخفيف أنا اختصرت ذلك وغيره إلى أن قال فقلت: رجعت إلى ربي حتى استحييته، ثم أصبح بمكة يخبرهم بالعجائب فقال: إني أتيت البارحة بيت المقدس وعرج بي إلى السماء ورأيت كذا ورأيت كذا فقال أبو جهل: ألا تعجبون مما يقول محمد؟! وذكر الحديث هذا حديث غريب عجيب حذفت نحو النصف منه.

عن أبي هريرة أو غيره عن النبي (صلي الله عليه وسلم) أنه قال في هذه الآية:{سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا } [الإسراء: ١]،قال: أتي بفرس فحمل عليه خطوه منتهى بصره فسار وسار معه

جبريل فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء المهاجرون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف " وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ". ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت! قال: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة، ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام عن الضريع والزقوم ورضف جهنم قال: يا جبريل، ما هؤلاء؟ قال: الذين لا يؤدون الزكاة، ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها شيء إلا قصعته يقول الله تعالى:{ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ } [الأعراف: ٨٦]. ثم مر على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يريد أن يزيد عليها قال: يا جبريل، ما هذا؟ قال: هذا رجل من أمتك عليه أمانة لا يستطيع أداءها وهو يزيد عليها، ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت. قال: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة، ثم نعت الجنة والنار إلى أن قال: ثم سار حتى أتى بيت المقدس فدخل وصلى، ثم أتى أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم.

وذكر حديثًا طويلاً في ثلاث ورقات كبار. تفرد به أبو جعفر الرازي وليس هو بالقوي والحديث منكر يشبه كلام القصاص إنما أوردته للمعرفة لا للحجة.

* * *

زواجه (صلي الله عليه وسلم) بعائشة وسودة

عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قالت عائشة: لما ماتت خديجة - رضي الله عنهما - جاءت خولة بنت حكيم إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقالت: ألا تزوج؟ قال: ومن قالت: إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا قال: من البكر ومن الثيب فقالت: أما البكر فعائشة بنت أحب خلق الله إليك وأما الثيب فسودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك قال: اذكريهما علي قالت: فأتيت أم رومان فقلت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ قالت: ماذا قالت؟ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يذكر عائشة قالت: إنتظري فإن أبا بكر آت فجاء أبو بكر فذكرت ذلك له فقال: أو تصلح له وهي ابنة أخيه فقال

رسول الله (صلي الله عليه وسلم): أنا أخوه وهو أخي وابنته تصلح لي قالت: وقام أبو بكر فقالت لي أم رومان: إن المطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه ووالله ما أخلف وعدا قط تعني: أبا بكر قالت: فأتى أبو بكر المطعم فقال: ما تقول في أمر هذه الجارية؟ قال: فأقبل على امرأته فقال لها: ما تقولين؟ فأقبلت على أبي بكر فقالت: لعلنا إن أنكحنا هذا الفتى إليك تصبئه وتدخله في دينك فاقبل عليه أبو بكر فقال: ما تقول أنت؟ فقال: إنها لتقول ما تسمع فقام أبو بكر وليس في نفسه من الموعد شيء فقال لها: قولي لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) فليأت فجاء رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فملكها قالت: ثم انطلقت إلى سودة بنت زمعة وأبوها شيخ كبير قد جلس عن الموسم فحييته بتحية أهل الجاهلية وقلت: أنعم صباحًا قال: من أنت قلت: خولة بنت حكيم فرحب بي وقال: ما شاء الله أن يقول قلت: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يذكر سودة بنت زمعة قال: كفؤ كريم ماذا تقول صاحبتك؟ قلت: تحب ذلك قال: قولي له فليأت قالت: فجاء رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فملكها. قالت: وقدم عبد بن زمعة فجعل يحثو على رأسه التراب فقال بعد أن أسلم: إني لسفيه يوم أحثو على رأسي التراب أن تزوج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) سودة. إسناده حسن.

* * *

عرض نفسه على القبائل

عن جابر قال: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: **(هل من رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي)**، أخرجه أبو داود.

عن ابن شهاب قال: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤووه ويمنعوه ويقول: لا أكره أحدًا منكم على شيء من رضي منكم بالذي أدعوه إليه فذاك ومن كره لم أكرهه إنما أريد أن تحرزوني مما يراد بي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي وحتى يقضي الله لي ولمن صحبني بما

شاء فلم يقبله أحد ويقولون: قومه أعلم به أترون أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه فكان ذلك مما ذخر الله للأنصار.

وتوفي أبو طالب وابتلي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أشد ما كان فعمد لثقيف بالطائف رجاء أن يؤووه فوجد ثلاثة نفر منهم هم سادة ثقيف: عبد ياليل، وحبيب، ومسعود بنو عمرو فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم البلاء وما انتهك منه قومه فقال أحدهم: أنا أسرق أستار الكعبة إن كان الله بعثك قط وقال الآخر: أعجز على الله أن يرسل غيرك وقال الآخر: والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا والله لئن كنت رسول الله لأنت أعظم شرقًا وحقًا من أن أكلمك ولئن كنت تكذب على الله لأنت أشر من أن أكلمك وتهزأوا به وأفشوا في قومهم الذي راجعوه به وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة وأدموا رجليه فخلص منهم وهما تسيلان الدماء فعمد إلى حائط من حوائطهم واستظل في ظل حبلة منه وهو مكروب موجع، فإذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة أخوه فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما فلما رأياه أرسلا إليه غلامًا لهما يدعى عداسًا وهو نصراني من أهل نينوى معه عنب فلما جاء عداس قال له رسول الله (صلي الله عليه وسلم): " من أي: أرض أنت يا عداس؟ قال: من أهل نينوى فقال له النبي (صلي الله عليه وسلم) : " من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى " فقال: ما يدريك من يونس بن متى؟ قال: " أنا رسول الله والله أخبرني خبر يونس " فلما أبصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا فلما أتاهما قالا: ما شانك سجدت لمحمد وقبلت قدميه؟ قال: هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متى فضحكا به وقالا: لا يفتنك عن نصرانيتك، فإنه رجل خداع فرجع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى مكة.

وعروة أن عائشة حدثته أنها قالت لرسول الله (صلي الله عليه وسلم): هل أتى عليك يوم أشد عليك من يوم أحد؟ قال: " ما لقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبة منذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على زجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالي فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت، فإذا هو جبريل فناداني إن

الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم " ثم ناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال قد بعثني إليك ربك لتأمرني بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال له رسول الله (صلي الله عليه وسلم): بل أرجو أن يخرج الله من أشرارهم أو قال: من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا. أخرجاه.

وكما في حديث ابن شهاب وفيه زيادة وهي: فلما اطمأن (صلي الله عليه وسلم) قال فيما ذكر لي: " اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخط لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك ".

* * *

العقبة الأولى: مبدأ خبر الأنصار والعقبة الأولى

عن ابن إسحاق: لما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في الموسم الذي لقيه فيه الأنصار فعرض نفسه على القبائل كما كان يصنع فبينا هو عند العقبة لقي رهطًا من الخزرج فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لما لقيهم قال: من أنتم؟ قالوا: نفر من الزرج قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن وكان مما صنع الله به في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بهم شيء قالوا: إن نبيًّا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما كلم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه فأجابوه وأسلموا

وقالوا: إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى الله أن يجمعهم بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك به، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا.

قال ابن إسحاق: وهم فيما ذكر ستة من الخزرج: أسعد بن زرارة، وعوف بن عفراء، ورافع بن مالك الزرقي، وقطبة بن عامر السلمي، وعقبة بن عامر. رواه جرير بن حازم عن ابن إسحاق فقال بدل عقبة: معوذ بن عفراء، وجابر بن عبد الله أحد بني عدي بن غنم فلما قدموا المدينة ذكروا لقومهم رسول الله ودعوهم إلى الإسلام وفشا فيهم ذكر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالعقبة، وهي العقبة الأولى فبايعوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) على بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب، وهم أسعد بن زرارة، وعوف ومعوذ ابنا الحارث، وهما ابنا عفراء وذكوان بن عبد قيس، ورافع بن مالك وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة البلوي، وعباس بن عبادة بن نضلة، وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر وهم من الخزرج، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة وهما من الأوس.

وحدث عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ليلة العقبة الأولى ونحن اثنا عشر رجلاً فبايعناه بيعة النساء على أن لا نشرك بالله شيئًا ولا نسرق، ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، وذلك قبل أن تفترض الحرب، فإن وفيتم بذلك فلكم الجنة، وإن غشيتم شيئًا فأمركم إلى الله إن شاء غفر، وإن شاء عذب.

عن ابن إسحاق: فلما انصرف القوم بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مصعب بن عمير العبدري يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين فنزل على أسعد بن زرارة فحدثني عاصم بن عمر أنه كان يصلي بهم وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض.

قال بان إسحاق: وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ.

عن ابن شهاب قال: فلما حضر الموسم حج نفر من الأنصار منهم معاذ بن عفراء، وأسعد بن زرارة ورافع بن مالك، وذكوان وعبادة بن الصامت، وأبو عبد الرحمن بن تغلب، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة فأتاهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأخبرهم خبره وقرأ عليهم القرآن فأيقنوا به واطمأنوا، وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب فصدقوه ثم قالوا: قد علمت الذي كان بين الأوس والخزرج من سفك الدماء ونحن حراص على ما أرشدك الله به مجتهدون لك بالنصيحة، وإنا نشير عليك برأينا فامكث على اسم الله حتى نرجع إلى قومنا فنذكر لهم شأنك وندعوهم إلى الله، فلعل الله يصلح ذات بينهم ويجمع لهم أمرهم فنواعدك الموسم من قابل فرضي بذلك رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ورجعوا إلى قومهم فدعوهم سرًا وتلوا عليهم القرآن حتى قل دار من دور الأنصار إلا قد أسلم فيها ناس، ثم بعثوا إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) معاذ بن عفراء، ورافع بن مالك أن أبعث إلينا رجلاً من قبلك يفقهنا فبعث مصعب بن عمير فنزل في بني تميم على أسعد بن زرارة يدعو الناس سرًا ويفشو فيهم الإسلام ويكثر، ثم أقبل مصعب وأسعد فجلسا عند بئر بني مرق وبعثا إلى رهط من الأنصار فأتوهما مستخفين، فأخبر بذلك سعد بن معاذ ويقول بعض الناس: بل أسيد بن حضير فأتاهم في لأمته معه الرمح حتى وقف عليهم فقال لأبي أمامة أسعد: علام أتيتنا في دورنا بهذا الوحيد الغريب الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه لا أراك بعدها تسيء من جوارنا فقاموا، ثم إنهم عادوا مرة أخرى لبئر بني مرق أو قريبًا منها فذكروا لسعد بن معاذ الثانية فجاءهم فتواعدهم وعيدًا دون وعيده الأول فقال له أسعد: يا بن خالة اسمع من قوله فإن سمعت حقًا فاجب إليه، وإن سمعت منكرًا فاردده بأهدى منه فقال: ماذا يقول؟ فقرأ عليه مصعب: " حم والكتاب المبين. إنا جعلناه قرآنا عربيًّا لعلكم تعقلون " فقال سعد: ما أسمع منكم إلا ما أعرفه فرجع سعد وقد هداه الله، ولم يظهر لهما إسلامه حتى رجع إلى قومه فدعا بني عبد الأشهل إلى الإسلام وأظهر لهم إسلامه وقال: من شك منهم فيه فليأت بأهدى منه فوالله لقد جاء أمر لتحزن منه الرقاب فأسلمت بنو عبد الأشهل عند إسلام سعد بن معاذ إلا من لا يذكر.

ثم إن بني النجار أخرجوا مصعب بن عمير واشتدوا على أسعد فانتقل مصعب إلى سعد بن معاذ يدعو آمنا ويهدي الله به. وأسلم عمرو بن الجموح وكسرت أصنامهم، وكان المسلمون أعز من بالمدينة، وكان مصعب أول من جمع بالمدينة، ثم رجع إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم). هكذا قال ابن شهاب: إن مصعبًا أول من جمع بالمدينة.

* * *

العقبة الثانية

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في المواسم: مجنة وعكاظ ومنى يقول: من يؤويني وينصرني حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة فلا يجد حتى إن الرجل يرحل صاحبه من مضر أو اليمن فيأتيه قومه أو ذو رجمه يقولون: احذر فتى قريش لا يفتنك يمشي بين رحالهم يدعوهم إلى الله يشيرون إليه بأصابعهم حتى بعثنا الله له من يثرب، فيأتيه الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم يبق دار من يثرب إلا وفيها رهط يظهرون الإسلام، ثم ائتمرنا واجتمعنا سبعين رجلاً منا فقلنا: حتى متى نذر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يطوف في جبال مكة ويخاف فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم فواعدنا شعب العقبة، فاجتمعنا فيه من رجل ورجلين حتى توافينا عنده فقلنا يا رسول الله: علام نبايعك؟ قال: " على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم فيه لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم يثرب تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة " فقلنا نبايعه فأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو أصغر السبعين إلا أنا فقال: رويدا يا أهل يثرب إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله إن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على عض السيوف إذا مستكم وعلى قتل خياركم وعلى مفارقة العرب كافة فخذوه وأجركم على الله وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه

فهو أعذر كم عند الله. فقلنا: أمط يدك يا أسعد، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها فقمنا إليه نبايعه رجلاً رجلاً يأخذ علينا شرطه ويعطينا على ذلك الجنة.

عن الشعبي قال: انطلق النبي (صلي الله عليه وسلم) معه عمه العباس إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة قال: ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة، فإن عليكم من المشركين عينا فقال أسعد: سل يا محمد لربك ما شئت، ثم سل لنفسك، ثم أخبرنا ما لنا على الله قال: أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما منعتم منه أنفسكم قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: لكم الجنة قالوا: فلك ذلك.

عن ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر، وعبد الله بن أبي بكر أن العباس بن عبادة بن نضلة أخا بني سالم قال: يا معشر الخزرج، هل تدرون على ما تبايعون رسول الله (صلي الله عليه وسلم)؟ إنكم تبيعونه على حرب الأحمر والأسود، فإن كنتم ترون أنها إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا تركتموه وأسلمتموه، فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم مستعلنون به وافون له فهو والله خير الدنيا والآخرة قال عاصم: فوالله ما قال العباس هذه المقالة إلا ليشد لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) بها العقد.

وقال ابن أبي بكر: ما قالها إلا ليؤخر بها أمر القوم تلك الليلة ليشهد أمرهم عبد الله بن أبي فيكون أقوى قالوا: فما بالنا بذلك يا رسول الله، قال: الجنة قالوا: ابسط يدك وبايعوه فقال عباس بن عبادة: إن شئت لنميلن عليهم غدا بأسيافنا فقال: لم أؤمر بذلك.

قال عروة: فجميع من شهد العقبة من الأنصار سبعون رجلاً وامرأة.

وقال ابن إسحاق: سبعون رجلاً وامرأتان إحداهما أم عمارة وزوجها وابناهما وكان معاذ بن عمرو بن الجموح قد شهد العقبة، وكان أبوه من سادة بني سلمة، وقد اتخذ في داره صنما من خشب يقال له: مناف فلما أسلم فتيان بني سلمة: معاذ بن جبل، وابنه معاذ بن عمرو وغيرهما كانوا يدخلون بالليل على صنمه فيأخذونه ويطرحونه في بعض الحفر وفيها عذر الناس منكسًا على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على آلهتنا في هذه الليلة! ثم يلتمسه

حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه ثم قال: أما والله لو أعلم من يصنع بك هذا لأخزيته. فإذا أمسى ونام فعلوا به مثل ذلك وفعل مرات وفي الآخر علق عليه سيفه ثم قال: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع وهذا السيف معك فلما كان الليل أخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلبًا ميتًا فعلقوه وربطوه به وألقوه في جب عذرة، فإذا جاء عمرو فلم يجده فخرج يتبعه حتى وجده في البئر منكسًا مقرونًا بالكلب، فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن إسلامه وقال:

تالله لو كنت إلها لم تكن ::: أنت وكلب وسط بئر في قرن

أف لمصرعك إلها مستدن ::: الآن فتشناك عن سوء الغبن

الحمد لله العلي ذي المنن ::: الواهب الرزاق وديان الدين

هو الذي أنقذني من قبل أن ::: أكون في ظلمة قبر مرتهن

* * *

أول من هاجر إلى المدينة

عن عائشة قال النبي (صلي الله عليه وسلم) للمسلمين بمكة: قد أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين. وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة عند ذلك ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين، وتجهز أبو بكر مهاجرًا فقال له رسول الله (صلي الله عليه وسلم): على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر: وترجو ذلك بابي أنت وأمي قال: نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ليصحبه وعلف راحلتين عنده ورق السمر أربعة أشهر. أخرجه البخاري.

وعن ابن إسحاق قال: فلما أذن الله لنبيه في الحرب وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة أمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قومه بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بالأنصار فخرجوا أرسالاً فكان أول من هاجر أبو سلمة ابن عبد الأسد إلى المدينة هاجر إليها قبل العقبة الكبرى بسنة، وقد كان قدم من الحبشة مكة فآذته قريش وبلغه أن جماعة من الأنصار قد أسلموا فهاجر إلى المدينة.

فعن أم سلمة قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج رحل لي بعيره، ثم حملني وابني عليه، ثم خرج بي يقودني. فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها هذه علام نتركك تسير بها في البلاد!.

فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه وغضب عند ذلك رهط أبي سلمة فقالوا: والله لا نترك ابننا عندها؛ إذ نزعتموها من صاحبنا فتجاذبوا ابني سلمة حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم فانطلق زوجي؛ إذ فرقوا بيننا فكنت أخرج كل غداة، فأجلس بالأبطح فلا أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريبا منها. حتى مر بي رجل من بني عمي فرحمني فقال: ألا تخرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها؟! فقالوا لي: إلحقي بزوجك قالت: ورد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني. فارتحلت بعيري، ثم وضعت سلمة في حجري وخرجت أريد زوجي بالمدينة وما معي أحد من خلق الله. قلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة العبدري فقال: إلى أين يا بنة أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة قال: أو ما معك أحد؟ قالت: قلت: لا والله إلا الله وبني هذا قال: والله ما لك من مترك. فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي فوالله ما صحبت رجلاً من العرب أرى أنه أكرم منه كان أبدًا إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني حتى نزلت استأخر ببعيري فحط عنه، ثم قيده في الشجر، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فرحله، ثم استأخر عني وقال: اركبي فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فاخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي فلم يزل يصنع ذلك حتى أقدمني المدينة فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية، ثم انصرف راجعًا.

ثم كان أول من قدمها بعد أبي سلمة: عامر بن ربيعة حليف بني عدي ابن كعب مع امرأته، ثم عبد الله بن جحش حليف بني أمية مع امرأته وأخيه أبي أحميد، وكان أبو أحمد ضرير البصر، وكان يمشي بمكة بغير قائد وكان شاعرًا وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب فنزل هؤلاء بقباء على مبشر بن عبد المنذر.

وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: فلما اشتدوا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه أمر رسول الله أصحابه بالهجرة فخرجوا رسلاً رسلاً فخرج منهم قبل مخرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : أبو سلمة وامرأته وعامر بن ربيعة وامرأته أم عبد الله بنت أبي حثمة، ومصعب بن عمير، وعثمان بن مظعون، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وعبد الله بن جحش وعثمان بن الشريد، وعمار بن ياسر، ثم خرج عمر وعياش بن أبي ربيعة، وجماعة فطلب أبو جهل والحارث بن هشام عياشًا وهو أخوهم لأمهم فقدموا المدينة فذكروا له حزن أمه، وأنها حلفت لا يظلها سقف، وكان بها برًا فرق لها وصدقهم فلما خرجا به أوثقاه وقدما به مكة فلم يزل بها إلى قبل الفتح.

قلت: وهو الذي كان يدعو له النبي (صلي الله عليه وسلم) في القنوت: اللهم أنج سلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة. الحديث.

وقال ابن إسحاق: لما أيقنت قريش أن محمدًا (صلي الله عليه وسلم) قد بويع وأمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من كان بمكة من أصحابه أن يلحقوا بإخوانهم بالمدينة تآمروا فيما بينهم فقالوا: الآن فأجمعوا في أمر محمد فوالله لكأنه قد كر عليكم بالرجال فأثبتوه أو اقتلوه أو اخرجوه.

فاجتمعوا له في دار الندوة ليقتلوه. فلما دخلوا الدار اعترضهم الشيطان في صورة رجل جميل في بت له فقال: أأدخل؟ قالوا: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل نجد سمع بالذي اجتمعتم له فأراد أن يحضره معكم فعسى أن لا يعدمكم منه نصح ورأي قالوا: أجل فادخل فلما دخل قال بعضهم لبعض: قد كان من الأمر أم قد علمتم فأجمعوا رأيا في هذا الرجل، فقال قائل: أرى أن تحبسوه، فقال النجدي: ما هذا برأي والله لئن فعلتم ليخرجن رأيه وحديثه إلى من وراءه من أصحابه فأوشك أن ينتزعوه من أيديكم، ثم يغلبوكم على ما في أيديكم من أمركم، فقال قائل منهم: بل نخرجه فننفيه فإذا غيب عنا وجهه وحديثه ما نبالي أين وقع قال؟ النجدي: ما هذا برأي؟ أما رأيتم حلاوة منطقه وحسن حديثه وغلبته على من يلقاه ولئن فعلتم ذلك ليدخل على قبيلة من قبائل العرب فأصفقت معه على رأيه، ثم سار بهم إليكم حتى يطاكم بهم فقال أبو جهل: والله

إن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه قالوا: وما هو؟ قال: أرى أن تأخذوا من كل قبيلة من قريش غلامًا جلدًا نهدًا نسيبًا وسيطًا ثم تعطوه شفارًا صارمة فيضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلتموه تفرق دمه في القبائل فلم تدر عبد مناف بعد ذلك ما تصنع ولم يقووا على حرب قومهم، وإنما غايتهم عند ذلك أن يأخذوا العقل فتدونه لهم قال النجدي: لله در هذا الفتى هذا الرأي وإلا فلا شيء فتفرقوا على ذلك واجتمعوا له وأتى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الخبر وأمر أن لا ينام على فراشه تلك الليلة فلم يبت موضعه بل بيت عليًّا في مضجعه. رواه سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي عن أبيه.

* * *

خروجه إلى المدينة مهاجراً

قال عقيل: قال ابن شهاب وأخبرني عروة أن عائشة زوج النبي (صلي الله عليه وسلم) قالت: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا ويأتينا فيه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) طرفي النهار بكرة وعشيًّا فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا قبل أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة، وهو سيد القارة قال: أين تريد يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي قال: إن مثلك لا يَخرج ولا يُخرج وإنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلادك وارتحل ابن الدغنة مع أبي بكر فطاف في أراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟!.

فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وقالوا له: مر أبا بكر يعبد ربه في داره فليصل وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به فإنا نخشى أن يفتن أبناءنا ونساءنا، فقال ذلك لأبي بكر فلبث يعبد ربه ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره وبرز فيصلي فيه ويقرا القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر لا يكاد يملك دمعه حين يقرا فأفزع ذلك أشراف قريش فأرسلوا إلى ابن

الدغنة، فقدم عليهم فقالوا له: إنا كنا أجرنا أبا بكر على أني عبد ربه في داره وإنه جاوز ذلك وابتنى مسجدا بفناء داره وأعلن الصلاة والقراءة وإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا فأته فإن أحبذ أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد عليك جوارك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان قلت عائشة: فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال: قد علمت الذي عقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترد إلي ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له قال أبو بكر: أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله والنبي (صلي الله عليه وسلم) بمكة فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) للمسلمين: قد أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين. هما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر تلك رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة وتجهز أبو بكر مهاجرًا فقال له رسول الله (صلي الله عليه وسلم): على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي قال: هل ترجو بأبي أنت ذلك؟ قال: نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر أربعة أشهر فبينا نحن جلوس في بيتنا في نحر الظهيرة قيل لأبي بكر: هذا رسول الله مقبلاً متقنعًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي أما والله إن جاء به في هذه الساعة إلا أمر قالت: فجاء واستأذن فأذن له فدخل فقال لأبي بكر: أخرج من عندك قال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، فقال: اخرج فقد أذن لي في الخروج قال: فخذ مني إحدى راحلتي قال: بالثمن وقالت عائشة: فجهزتهما أحث الجهاز فصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فأوكت به الجراب فبذلك كانت تسمى: ذات النطاقين، ثم لحق رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأبو بكر بغار في جبل يقال له: ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب لقن ثقف فيدلج من عندهما بسحر فيصبح في قريش بمكة كبائب فلا يسمع أمرًا يكيدون بع غلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليها عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة، ويريح عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل منحتهما

حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس، ويفعل ذلك كل ليلة من الليالي الثلاث واستأجر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأبو بكر رجلاً من بني الدئل هاديًا خريتا قد غمس يمين حلف في آل العاص بن وائل، وهو على جاهليته فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور فأتاهما براحلتيهما صبيحة ثلاث فارتحلا وانطلق عامر بن فهيرة والدليل الدئلي، فأخذ بهما في طريق الساحل. أخرجه البخاري.

عن أنس أن أبا بكر حدثه قال: كنت مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في الغار فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم ينظر إلى تحت قدميه لأبصرنا فقال النبي: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما. متفق عليه.

عن البراء قال: اشترى أبو بكر من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهمًا فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمله إلى رحلي فقال له عازب: لا حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله (صلي الله عليه وسلم) حين خرجتما والمشركون يطلبونكما؟ قال: أدلجنا من مكة ليلاً فأحيينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة فرميت ببصري هل أرى من ظل نأوي إليه؟ فذا صخرة فانتهيت إليها فإذا بقية ظل لها فسويته، ثم فرشت لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) فروة، ثم قلت: اضطجع يا رسول الله، فاضطجع ثم ذهبت أنفض ما حولي هل أرى من الطلب أحدًا؟ فإذا براعي يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أريد يعني: الظل فسألته: لمن أنت؟ فقال: لرجل من قريش فسماه فعرفته فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم فأمرته فاعتقل شاة من غنمه وأمرته أن ينفض ضرعها من التراب، ثم أمرته أن ينفض كفيه فقال هكذا فضرب إحداهما على الأخرى فحلب لي كثبة من لبن وقد رواه معي لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) إداوة على فمها خرقة فصببت على اللبن حتى برد أسفله فأتيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فوافيته وقد استيقظ فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضي ثم قلت: قد آن الرحيل قال: فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، قال:{لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا } [التوبة: ٤٠]، فلما أن دنا منا وكان بيننا وبينه قيد رمحين أو ثلاثة قلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، وبكيت فقال: ما يبكيك؟

قلت: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكني إنما أبكي عليك فدعا عليه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: " اللهم اكفناه بما شئت " فساخت به فرسه في الأرض إلى بطنها فوثب عنها، ثم قال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب وهذه كنانتي فخذ منها سهما فإنك ستمر بإبلي وغنمي بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): لا حاجة لنا في إبلك وغنمك فدعا له فانطلق راجعًا إلى أصحابه ومضى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأنا معه حتى قدمنا المدينة ليلاً. أخرجاه من حديث زهير بن معاوية سمعت أبا إسحاق قال: سمعت البراء. أخرج البخاري حديث إسرائيل عن عبد الله بن رجاء عنه.

وأخبر عبد الرحمن بن مالك المدلجي أنه سمع سراقة بن مالك بن جعشم يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله وأبي بكر دية كل واحد منهما في قتله، أو أسره فبينا أنا جالس في مجلس قومي بني مدلج؛ إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة، إني قد رأيت آنفًا اسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة: فعرفت أنهم هم فقلت: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا انطلقوا بأعيننا، ثم قلما لبثت في المجلس حتى قمت فدخلت بيتي فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي فتهبطها من وراء أكمة فتحبسها علي فأخذت رمحي وخرجت من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت علية الرمح حتى آتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى إذا دنوت منهم عثرت بي فرسي فخررت فقمت فأهويت بيدي إلى كنانتي واستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم، أو لا أضرهم فخرج الذي أكره: لا أضرهم فركبت فرسي وعصيت الأزلام فرفعتها تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر التلفت ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يداها فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره لا أضرهم فناديتهما بالأمان فوقفا لي وركبت فرسي حتى جئتهما ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهما أنه سيظهر أمر رسول الله (صلي الله عليه

وسلم) فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيكما الدية وأخبرتهما أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني شيئًا ولم يسألاني إلا أن قال: أخف عنا فسألته أن يكتب لي كتاب موادعة آمن به فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من آدم، ثم مضى رسول الله (صلي الله عليه وسلم). أخرجه البخاري.

وقال موسى بن عقبة: نا ابن شعاب الزهري، حدثني عبد الرحمن بن مالك بن جعشم المدلجي أن أباه أخبره أن أخاه سراقة بن جعشم أخبره، ثم ساق الحديث وزاد فيه: وأخرجت سلاحي ثم لبست لأمتي وفيه: فكتب لي أبو بكر، ثم ألقاه إلي فرجعت فسكت فلم أذكر شيئًا مما كان حتى فتح الله مكة وفرغ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من حنين خرجت لألقاه ومعي الكتاب فدخلت بين كتيبة من كتائب الأنصار فطفقوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك حتى دنوت من رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو على ناقته أنظر إلى ساقه في غرزة كأنها جمارة فرفعت يدي بالكتاب فقلت: يا رسول الله، هذا كتابك فقال: يوم وفاء وبر إذن قال: فأسلمت، ثم ذكرت شيئًا أسال عنه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال ابن شهاب: سأله عن الضالة وشيء آخر قال: فانصرفت وسقت إلى رسول الله صدقتي.

وعن ابن إسحاق: حدثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: لما خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأبو بكر أتى نفر من قريش فيهم أبو جهل فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك؟ قلت: لا أدري والله أين أبي؟ فرفع أبو جهل يده وكان فاحشًا خبيثًا فلطمني على خدي لطمة طرح منها قرطي.

وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت: لما خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وخرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم فانطلق به معه فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال: والله إني لا أراه فجعكم بماله مع نفسه قالت: كلا يا أبت، قد ترك لنا خير كثيرًا قالت: فأخذت أحجارًا فوضعتها في كوة من البيت كان أبي يضع فيها ماله ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم

أخذت بيده فقالت: ضع يدك على هذا المال فوضع يده عليه فقال: لا بأس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أسحن في هذا بلاغ لكم قالت: ولا والله ما ترك لنا شيئًا ولكني أردت أن أسكن الشيخ.

عن أبي بكر الصديق قال: خرجت مع النبي (صلي الله عليه وسلم) من مكة فانتهينا إلى حي من أحياء العرب فنظر النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى بيت منتحيًّا فقصد إليه فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت: يا عبدي الله، إنما أنا امرأة وليس معي أحد فعليكما بعظيم الحي إن أردتم القرى قال: فلم يجبها وذلك عند المساء فجاء ابن لها بأعنز له يسوقها فقالت له: يا بني، انطلق بهذه العنز والسفرة إليهما فقل: اذبحا هذه وكلا وأطعمانا فلما جاء قال النبي (صلي الله عليه وسلم):(**انطلق بالشفرة وجئني بالقدح**) قال: إنها قد عزبت وليس بها لبن قال: انطلق فانطلق فجاء بقدح فمسح النبي (صلي الله عليه وسلم) ضرعها، ثم حلب حتى ملأ القدح ثم قال: انطلق به إلى أمك فشربت حتى رويت، ثم جاء به فقال: انطلق بهذه وجئني بأخرى ففعل بها كذلك، ثم سقى أبا بكر، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك، ثم شرب (صلي الله عليه وسلم) قال: فبتنا ليلتنا ثم انطلقنا، فكانت تسمية المبارك وكثر غنمها حتى جلبت جلبًا إلى المدينة فمر أبو بكر فرآه ابنها فعرفه فقال: يا أمه، إن هذا الرجل الذي كان مع المبارك فقامت إليه فقالت: يا عبد الله، من الرجل الذي كان معك قال: وما تدرن من هو؟ قالت: لا قال: هو النبي (صلي الله عليه وسلم) قالت: فأدخلني عليه فأدخلها عليه فأطعمها وأعطاها.

عن الزهري قال: فأخبرني عروة أن الزبير كان في ركب تجار بالشام فقفلوا إلى مكة فعارضوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأبا بكر بثياب بياض وسمع المسلمون بمخرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم نحر الظهيرة فانقلبوا يومًا بعدما أطالوا انتظاره، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود أطما من آطامهم لشأنه فبصر برسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلام فلقوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بظهر الحرة، فعدل بهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ذات

اليمين حتى نزل في بني عمرو بن عوف من الأنصار وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر يذكر الناس وجلس رسول الله (صلي الله عليه وسلم) صامتًا فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يحسبه أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرفوا رسول الله عند ذلك فلبث في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة.

وأسس المسجد الذي أسس على التقوى فصلى فيه، ثم ركب راحلته فسار فمشى معه الناس حتى بركت بالمدينة عند مسجده (صلي الله عليه وسلم) وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين أخوين في حجر أسعد ابن زرارة من بني النجار فقال حين بركت به راحلته: " هذا إن شاء الله المنزل ". ثم دعا الغلامين فساومهما المربد ليتخذه مسجدا فقالا: بل نهبه لك فأبى حتى ابتاعه وبناه.

* * *

فصل في معجزاته (صلي الله عليه وسلم) سوى ما مضى في غضون المغازي

قال حاتم بن إسماعيل، عن يعقوب بن مجاهد أبي حزرة، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال: خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا فكان أول من لقينا أبو اليسر صاحب النبي (صلي الله عليه وسلم) ومعه غلام له. فذكر الحديث ثم قال: حتى أتينا جابر بن عبد الله في مسجده فقال: سرنا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى نزلنا واديًّا أفيح فذهب النبي (صلي الله عليه وسلم) يقضي حاجته واتبعته بإداوة من ماء فنظر النبي (صلي الله عليه وسلم) فلم ير شيئًا يستتر به وإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال:(**انقادي علي بإذن الله**) فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال:(**انقادي علي بإذن الله**) فانقادت معه كذلك حتى إذا كان يالمنصف فيما بينهما لأم بينهما فقال:(**التئما علي بإذن الله**) فالتأمتا قال جابر: فخرجت أحضر مخافة أن يحس

رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بقربي يعني: فيبتعد فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة، فإذا أنا برسول الله (صلي الله عليه وسلم) مقبل وإذا الشجرتان قد افترقتا فرأيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وقف وقفة فقال برأسه هكذا يمينًا وشمالاً، ثم اقبل فلما انتهى إليَّ قال:(**يا جابر، هل رأيت مقامي؟**) قلت: نعم يا رسول الله، قال: فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة غصنا فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصنا عن يسارك قال: فقمت فأخذت حجرًا فكسرته وجشرته فاندلق لي فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصنا، ثم أقبلت أجرهما حتى إذا قمت مقام النبي (صلي الله عليه وسلم) أرسلت غصنًا عن يميني وغصنًا عن يساري، ثم لحقت فقلت: قد فعلت يا رسول الله؟ فعم ذاك؟ قال:(**إني مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتي أن يرفه عنهما ما دام الغصنان رطبين**).

عن عبد الله قال: بينما نحن في سفر مع النبي (صلي الله عليه وسلم)؛ إذ حضرت الصلاة وليس معنا ماء إلا يسير فدعا بماء فصبه في صحفة ووضع كفه فيه فجعل الماء يتفجر من بين أصابعه فأقبل الناس فتوضؤوا وشربوا قال الأعمش: فحدثت به سالم بن أبي الجعد فقال: حدثنيه جابر فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: خمس عشرة مائة.

عن جابر قال: كنا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في سفر فأصابنا عطش فجهشنا إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فوضع يده في تور من ماء، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كأنه العيون فقال: خذوا باسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا، ولو كنا مائة ألف لكفانا قلت: كم كنتم؟ قال: ألفا وخمسمائة. صحيح.

عن عمر بن الخطاب أن النبي (صلي الله عليه وسلم) كان على الحجون لما آذاه المشركون فقال: " اللهم أرني اليوم لا أبالي من كذبني بعدها " قال: فأمر فنادى شجرة فأقبلت تهد الأرض حتى انتهت إليه، ثم أمرها فرجعت.

وعن ابن عباس: جاء أعرابي إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال: بم أعرف أنك رسول الله؟ قال: " أرأيت لو دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله؟ " قال: نعم فدعاه فجعل ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض،

فجعل ينقز حتى أتى النبي (صلي الله عليه وسلم)، ثم قال له: " ارجع " فرجع حتى عاد إلى مكانه فقال: أشهد أنك رسول الله وآمن. رواه البخاري.

عن جابر قال: خرج النبي (صلي الله عليه وسلم) لحاجته وتبعته بالإداوة فإذا شجرتان بينهما أذرع فقال: انطلق فقل لهذه الشجرة الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفهما " ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما حتى قضى حاجته، ثم رجعتا.

عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ذات يوم خلفه فاسر إلي حديثا لا أحدث به أحدًا وكان أحبذ ما استتر به لحاجته هدف أو حائش نخل فدخل حائطًا لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل فلما رأى النبي (صلي الله عليه وسلم) حن إليه وذرفت عيناه فأتاه النبي (صلي الله عليه وسلم) ذفريه فسكن فقال: " من رب هذا الجمل؟ " فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي فقال: " ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه ". أخرج مسلم.

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه قال: كنا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في سفر فدخل رجل غيضة فأخرج بيضة حمرة فجاءت الحمرة ترفرف على رأس النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال: " أيكم فجع هذه؟ " فقال رجل: أنا أخذت بيضتها. فقال: " رده رده رحمة لها ".

عن أبي سعيد قال: مر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بظبية مربوطة إلى خباء فقالت: يا رسول الله، حلني حتى أذهب فأرضع خشفي، ثم أرجع فتربطني فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): " صيد قوم وربيطة قوم " قال: فأخذ عليها فحلفت له فحلها فما مكثت إلا قليلاً حتى جاءت وقد نفضت ما في ضرعها فربطها رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، ثم استوهبها منهم فوهبوها له فحلها، ثم قال: " لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينًا أبدًا ".

وعن أبي سعيد الخدري قال: بينما راع يرعى بالحرة؛ إذ عرض ذئب لشاة فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة فأقعى الذئب على ذنبه، ثم قال للراعي: ألا

تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي؟ فقال الراعي: العجب من ذئب مقع على ذنبه يتكلم بكلام الإنس! فقال الذئب: ألا أحدثك بأعجب مني؟ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق فساق الراعي شاة حتى أتى المدينة فزواها زاوية، ثم دخل على النبي (صلي الله عليه وسلم) فحدثه بحديث الذئب فخرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى الناس فقال للراعي: قم فأخبرهم قال: فاخبر الناس بما قال الذئب فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): صدق الراعي ألا إنه من أشراط الساعة كلام السباع للإنس، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده. أخرجه الترمذي وقال: صحيح غريب.

باب جامع من دلائل النبوة

عن أنس قال: كان منا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي (صلي الله عليه وسلم) فانطلق هاربًا حتى لحق بأهل الكتاب قال: فرفعوه: قالوا: هذا كان يكتب لمحمد فأعجبوا به فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذًا رواه مسلم.

وعن أنس قال: كان رجل نصرانيًا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي (صلي الله عليه وسلم) فعاد نصرانيًا وكان يقول: ما أرى يحسن محمد إلا ما كنت أكتب له. فأماته الله فأقبروه فأصبح وقد لفظته الأرض قالوا: هذا عمل محمد وأصحابه قال: فحفروا له، فأعمقوا فأصبح وقد لفظته الأرض فعلموا أنه من الله تعالى. أخرجه البخاري.

عن أبي هريرة إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:(**ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي وحيًّا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**) متفق عليه.

قلت: هذه هي المعجزة العظمى وهي القرآن، فإن النبي من الأنبياء عليهم السلام كان يأتي بالآية وتنقضي بموته فقل لذلك من يتبعه وكثر أتباع نبينا (صلي الله عليه وسلم) لكون معجزته الكبرى باقية بعده فيؤمن بالله ورسوله كثير ممن يسمع القرآن على مر الأزمان ولهذا قال: فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة.

وعن أنس قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**ما صدق نبي ما صدقت إن من الأنبياء من لا يصدقه من أمته إلا الرجل الواحد**)، رواه مسلم.

وقال جرير، عن منصور، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: {إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾} [القدر: ١]، قال: أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بموقع النجوم فكان الله تعالى ينزله على رسول الله بعضه في إثر بعض. قال تعالى:{وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾} [الفرقان: ٣٢].

قال إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن جده سمع البراء يقول: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أحسن الناس وجهاً: وأحسنه خلقًا ليس بالطويل الذاهب، ولا بالقصير. اتفقا عليه من حديث إبراهيم.

وقال إسرائيل عن سماك أنه سمع جابر بن سمرة قال له رجل: أكان وجه النبي (صلي الله عليه وسلم) مثل السيف؟ قال: بل مثل الشمس والقمر مستديراً. رواه مسلم.

وعن جابر بن سمرة قال: رأيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في ليلة إضحيان وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو كان أحسن في عيني من القمر.

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: قلنا للربيع بنت معوذ: صفي لنا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قالت: لو رأيته لقلت الشمس طالعة.

عن ابن عباس قال: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أفلج الثنيتين إذا تكلم رؤي كالنور بين ثناياه.

وعن علي: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ضخم الرأس واللحية

شثن الكفين والقدمين ضخم الكراديس طويل المسربة.

وقال حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال: ما مسست بيدي ديباجًا ولا حريرًا ولا شيئًا ألين من كف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ولا شممت رائحة قط أطيب من ريح رسول الله (صلي الله عليه وسلم). أخرجه البخاري.

وعن أنس قال: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفا. أخرجه مسلم.

وعن يعلى بن عطاء: سمعت جابر بن يزيد بن الأسود، عن أبيه قال: أتيت النبي (صلي الله عليه وسلم) وهو بمنى فقلت: ناولني يدك فناولينها، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحًا من المسك.

وعن أنس قال: دخل علينا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال عندنا فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فاستيقظ النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال: " يا أم سليم، ما هذا الذي تصنعين؟ " قالت: هذا عرق نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب. أخرجه مسلم.

وعن أنس قال: وكان (صلي الله عليه وسلم) كثير العرق. رواه مسلم.

* * *

خاتم النبوة

وعن سماك سمع جابر بن سمرة قال: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وجهه مستديرًا مثل الشمس مثل الشمس والقمر، ورأيت خاتم النبوة بين كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده. أخرجه مسلم.

* * *

باب جامع من صفاته (صلي الله عليه وسلم)

حدث إبراهيم بن محمد من ولد علي قال: كان علي - رضي الله عنه - إذا نعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: لم يكن بالطويل الممغط ولا القصير المتردد كان ربعة من القوم ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط كان جعدًا رجلاً ولم يكن بالمطهم، ولا المكلثم وكان في وجهه تدوير أبيض مشربًا

حمرة أدعج العينين أهدب الأشفار جليل المشاش والكتف، أو قال: الكتد أجرد ذا مسربة شثن الكفين والقدمين إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب، وإذا التفت معًا بين كتفيه خاتم النبوة أجود الناس كفًا وأجرأ الناس صدرًا، وأصدقهم لهجة وأوفاهم بذمة وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله (صلي الله عليه وسلم).

قوله: ليس بالطويل الممغط: يقول ليس بالبائن الطول. ولا القصير المتردد: يعني: الذي تردد خلقه بعضه على بعض، فهو مجتمع ليس بسبط الخلق يقول: ليس هو كذلك ولكنه ربعة والمطهم: قال الأصمعي: التام كل شيء منه على حدته فهو بارع الجمال. وقال غيره المكلثم: المدور الوجه يقول: ليس هو كذلك، ولكنه مسنون والدعج: شدة سواد العين والجليل المشاش: العظيم رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين والكتد: الكاهل وما يليه من الجسد وشثن الكفين: يعني: أنها إلى الغل والصبب: الانحدار والقطط: مثل شعر الحبشة والأزهر: الذي يخالط بياضه شيء من الحمرة والأمهق: الشديد البياض وشبح الذراعين: يعني: عبل الذراعين عريضهما والمسربة: الشعر المستدق ما بين البة إلى السرة وقال الأصمعي: التقلع. المشي بقوة.

* * *

حديث أم معبد في صفته

وعن حبيش بن خالد الذي قتل بالبطحاء يوم الفتح، وهو أخو عاتكة أن النبي (صلي الله عليه وسلم) خرج من مكة هو، وأبو بكر ومولى لأبي بكر عامر بن فهيرة، ودليلهم عبد الله بن الأريقط الليثي فمروا على خيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت برزة جلدة تحتبي بفناء القبة، ثم تسقي وتطعم فسألوها تمرًا ولحمًا يشترونه منها فلم يصيبوا شيئًا وكان القوم مرملين مسنتين فنظر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى شاة في كسر الخيمة فقال: " ما هذه الشاة يا أم معبد؟ " قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال: " هل بها من لبن؟ " قالت: هي أجهد من ذلك قال: " أتأذنين أن أحلبها؟ " قالت: نعم بأبي وأمي إن رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بها فمسح بيده ضرعها وسمى الله ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت ودعا بإناء يربض الرهط فحلب يجا حتى علاه البهاء، ثم

سقاها حتى رويت، ثم سقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب آخرهم. ثم حلب ثانيًا بعد بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها وبايعها وارتحلوا عنها فقلما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا عجافًا يتساوكن هزالا مخهن قليل. فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين لك هذا يا أم معبد والشاء عازب حيال ولا حلوب في البيت؟ قلت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا قال: صفيه لي.

قالت: رجل ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة لم تزر به صعلة وسيم قسيم في عينيه دعج وفي أشفاره وطف وفي صوته صحل وفي عنقه سطع وفي لحيته كثافة أزج أقرن إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأسحنه وأحلاه من قريب حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ربة لا يا ئس من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين، فهو أنظر الثلاثة منظرا وأسحنهم قدرا له رفقاء يحفون به إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود لا عابس ولا مفند.

قال أبو معبد: فهذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

قوله: إذا مشى تكفا يريد أنه يميد في مشيته ويمشي في رفق غير مختال.

وقوله: فخما مفخمًا قال أبو عبيد: الفخامة في الوجه نبله وامتلاؤه مع الجمال والمهابة وقال ابن الأنباري: معناه أنه كان عظيمًا معظمًا في الصدور والعيون ولم يكن خلقه في جسمه ضخمًا وأقنى العرنين: مرتفع الأنف قليلاً مع تحدب وهو قريب من الشمم والشنب: ماء ورقة في الثغر والفلج: تباعد ما بين الأسنان والدمية: الصورة المصورة.

عن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - قال: سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافًا عن حلية النبي (صلي الله عليه وسلم) وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئًا أتعلق به فقال: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فخمًا مفخمًا يتلألأ وجهه تلألا القمر أطول من المربوع وأقصر من المشذب عظيم الهامة

رجل الشعر إذا انفرقت عقيصته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره أزهر اللون واسع الجبين. أزج الحواجب: سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب. أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة. معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن، وما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل أو سائر الأطراف، خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال قلعا، يخطو تكفيًّا ويمشي هونا ذريع المشية ذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعًا خافض الطرف نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدر من لقيه بالسلام. قال: قلت: صف لي منطقه قال: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة طويل السكت لا يتكلم في غير حاجة يفتتح الكلام بأشداقه ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصل لا فضول ولا تقصير دمث ليس بالجافي ولا المهين يعظم بالنعمة، وإن دقت لا يذم منها شيئًا غير أنه لم يكن يذم ذواقًا ولا يمدحه ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعدى الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها إذا أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها يضرب براحته اليمنى باطن راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام.

قال الحسن: فكتمتها الحسين زمانًا، ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه يعني: إلى هند بن أبي هالة فسأله عما سألته عنه ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومخرجه وشكله فلم يدع منه شيئاً.

قال الحسين: فسألت أبي عن دخول رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: كان دخوله لنفسه مأذونًا له في ذلك، وكان إذا أوى إلى منزله جزا دخوله ثلاثة أجزاء: جزءًا لله وجزءًا لأهله وجزءًا لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه وبين

الناس ورد ذلك بالخاصة على العامة ولا يدخر عنهم شيئًا فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم يقول: ليبلغ الشاهد الغائب وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها، فإنه من أبلغ سلطانًا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة ولا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره يدخلون روادا ولا يفترقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة يعني: على الخير.

فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال: كان يخزن لسانه إلا مما يعنيه ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه ولا يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهيه معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا، أو يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلم عنده نصيحة وأعظمهم عنده أحسنهم مواساة. فسألته عن مجلسه كيف كان يصنع فيه فقال: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها وإذا انتهى إلى قوم جلس، حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك يعطي كل جلسائه نصيبه ولا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه من جالسه، أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول قد وسع الناس منه بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم ولا تثنى فلتاته متعادلين يتفاضلون فيه بالتوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب. أخرج الترمذي أكثره مقطعا في كتاب الشمائل.

* * *

باب هيبته (صلي الله عليه وسلم) وجلاله وحبه وشجاعته وقوته فصاحته

عن أبي مسعود قال: إني لأضرب غلامًا لي؛ إذ سمعت صوتًا من خلفي: أعلم أبا مسعود قال: فجعلت لا ألتفت إليه من الغضب حتى غشيني، فإذا هو رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فلما رأيته وقع السوط من يدي من هيبته فقال لي: " والله لله أقدر عليك منك على هذا " فقلت: والله يا رسول الله، لا أضرب غلامًا لي أبدا. هذا حديث صحيح.

وعن أنس أن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:(**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**) أخرجه مسلم.

وقال الله - عز وجل -:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ} [الحجرات: ٢]. فقال أبو بكر وغيره: لا نكلمك يا رسول الله إلا كأخي السرار.

وقال تعالى:{ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾} [النور: ٦٣].

وقال تعالى:{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التوبة: ٧٣].
وعن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:(**نصرت بالرعب يسير بين يدي مسيرة شهر**).

عن علي - رضي الله عنه - قال: كنا إذا احمر الباس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله (صلي الله عليه وسلم) فما يكون منا أحد أقرب إلى القوم منه، وقد ثبت النبي (صلي الله عليه وسلم) يوم أحد ويوم حنين كما أتى في غزواته.

عن أنس قال: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم): أجمل الناس وجهًا، وأجودهم كفًا، وأشجعهم قلبًا خرج وقد فزع أهل المدينة، فركب فرسًا لأبي طلحة عريا، ثم رجع وهو يقول: لن تراعوا لن تراعوا. متفق عليه.

* * *

باب زهده (صلي الله عليه وسلم)

وبذلك يوزن الزهد وبه يحد قال الله تعالى:{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾} [طه: ١٣١].

عن محمد بن عبد الله بن عباس قال: كان ابن عباس يحدث أن الله تعالى أرسل إلى نبيه (صلي الله عليه وسلم) ملكًا من الملائكة معه جبريل فقال الملك: إن الله يخيرك بين أن تكون عبدًا نبيًّا وبين أن تكون ملكًا نبيًّا فالتفت النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى جبريل كالمستشير له، فأشار جبريل إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن تواضع فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):**(بل أكون عبدا نبيا)** قال: فما أكل بعد تلك الكلمة طعامًا متكئًا حتى لقي ربه تعالى.

وعن ابن عباس أن عمر - رضي الله عنه - قال: دخلت على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في خزانته، فإذا هو مضطجع على حصير فأدنى عليه إزاره وجلس وإذا الحصير قد أثر بجنبه فقلبت عينين في خزانة رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فإذا ليس فيها شيء من الدنيا غير قبضتين، أو قال: قبضة من شعير وقبضة من قرظ نحو الصاعين، وإذا أفيق معلق أو أفيقان قال: فابتدرت عيناي، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : " ما يبكيك يا بن الخطاب؟ " قلت: يا رسول الله، وما لي لا أبكي صفوة الله ورسوله وخيرته وهذه خزانتك! وكسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنت هكذا فقال: " يا بن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا " قلت: بلى يا رسول الله، قال: " فأحمد الله تعالى ". أخرجه مسلم.

وعن أبي هريرة أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:**(لو أن لي مثل أحد ذهبًا ما يسرني أن تأتي علي ثلاث ليال، وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لديني)**، أخرجه البخاري.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):**(اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا)**. أخرجه مسلم والبخاري.

وعن عائشة قالت: ما شبع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ثلاثة أيام تباعًا من خبز بر حتى توفي. أخرجه مسلم.

وعن أبي أمامة بن سهل قال: دخلت على عائشة أنا وعروة فقالت: لو

رأيتما رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في مرض له وكانت عندي ستة دنانير، أو سبعة فأمرني أن أفرقها فشغلني وجعه حتى عافاه الله تعالى، ثم سألني عنها، ثم دعا بها فوضعها في كفه فقال: ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه عنده.

* * *

فصل من شمائله وأفعاله (صلي الله عليه وسلم)

وكان النبي (صلي الله عليه وسلم) فيما ثبت عنه يقول:**(اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع)**.

وكان يحب الحلواء، والعسل، واللحم، ولا سيما الذراع. وكان يأتي النساء ويأكل اللحم ويصوم ويفطر وينام ويتطيب إذا أحرم وإذا حل، وإذا أتى الجمعة وغير ذلك ويقبل الهدية ويثيت عليها ويأمر بها، ويجيب دعوة من دعاه، ويأكل ما وجد ويلبس ما وجد من غير تكلف لقصد ذا ولا ذا، ويأكل القثاء بالرطب والبطيخ بالرطب، وإذا ركب أردف بين يديه الصغير أو يردف وراءه عبده أو من اتفق، ويلبس الصوف ويلبس البرود الحبرة، وكانت أحب اللباس إليه وهي برود يمنية فيها حمرة وبياض ويتختم في يمينه بخاتم فضة نقشه " محمد رسول الله " وربما تختم في يساره.

وكان يواصل في صومه ويبقى أيامًا لا يأكل وينهى عن الوصال ويقول: " إني لست مثلكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني " وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع وقد أتي بمفاتيح خزائن الأرض كلها فأبى أن يقبلها واختار الآخرة عليها، وكان كثير التبسم يحب الروائح الطيبة. وكان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويغضب لغضبه،

وكان لا يكتب ولا يقرأ ولا معلم له من البشر نشأ في بلاد جاهلية وعبادة وثن ليسوا بأصحاب علم ولا كتب فآتاه الله من العلم ما لم يؤت أحدًا من العالمين وقال الله تعالى في حقه: " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى " وكل هذه الأطراف من الأحاديث فصحاح مشهورة وقال (صلي الله عليه وسلم): " حبب إلي النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة " وقال أنس:

طاف النبي (صلي الله عليه وسلم) على نسائه في صحوة بغسل واحد، وكان يحب من النساء عائشة ومن الرجال أباها أبا بكر - رضي الله عنهما - وزيد بن حارثة وابنه أسامة ويقول: " آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار ".

ويحب الحسن والحسين سبطيه ويقول:(**هما ريحانتاي من الدنيا**) ويحب أن يليه المهاجرون والأنصار ليأخذوا عنه ويحب التيمن في ترجله وتنعله وفي شأنه كله، وكان يقول:(**إن أخشاكم لله وأعلمكم بها أتقي**) وقال:(**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا**) وقال:(**شيبتني هود وأخواتها**) وكل هذا في الصحاح.

* * *

باب في مزاحه ودماثة أخلاقه الزكية

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**إني لأمزح وما أقول إلا حقا**). إسناده قريب من الحسن.

عن أبي هريرة قيل: يا رسول الله، إنك تداعبنا قال:(**إني لا أقول إلا حقًا**).

تابعه أبو معشر عن المقبري وهو صحيح.

عن سعيد بن جمهان: سمعت سفينة يقول: ثقل على القوم متاعهم فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**أبسط كساءك**) فجعلوا فيه متاعهم فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**احمل فإنما أنت سفينة**) قال: فلو حملت من يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة حتى بلغ سبعة ما ثقل علي. وهذا يدخل في معجزاته.

عن أنس قال: استحمل أعرابي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال:(**أنا أحملك على ولد الناقة**) فقال: وما أصنع بولد ناقة يا رسول الله؟ فقال:(**وهل تلد الإبل إلا النوق؟!**) صحيح غريب.

عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب أن عائشة قالت: أتيت النبي (صلي الله عليه وسلم) بخزيرة طبختها فقلت لسودة والنبي (صلي الله عليه وسلم) بيني وبينها: كلي فأبت فقلت: لتأكلي أو لألطخن وجهك، فأبت فوضعت يدي فيها فلطختها وطليت وجهها فضحك النبي (صلي الله عليه وسلم) فمر عمر

فقال: يا عبد الله، فظن النبي (صلي الله عليه وسلم) أنه سيدخل فقال:**(قوما فاغسلا وجوهكما)**.

فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) منه.

عن ابن عباس قال: مر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بحسان بن ثابت وقد رش فناء أطمه ومعه أصحابه سماطين وجارية يقال لها: سيرين معها مزهرها تختلف بين السماطين تغنيهم فلما مر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لم يأمرهم ولم ينههم وهي تقول في غنائها:

هل علي ويحكم ::: إن لهوت من حرج

فتبسم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وقال:**(لا حرج إن شاء الله)**.

عن عائشة قالت: دخلت الحبشة المسجد يلعبون فقال لي النبي (صلي الله عليه وسلم): " أتحبين أن تنظري إليهم؟ " قلت: نعم فقال: " تعالي " فقام بالباب وجئت فوضعت ذقني على عاتقه وأسندت وجهي إلى خده قالت: ومن قولهم يومئذ " وأبو القاسم طيب " فقال رسول الله:**(حسبك)**. قلت: لا تعجل يا رسول الله، قال: وما بي حب النظر إليهم، ولكن أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه.

وعن عائشة قالت: كنا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فسمعنا لغطا وصوت الصبيان فقام، فإذا حبشية ترقص والصبيان حولها فقال:**(يا عائشة تعالي فانظري)** فجئت فوضعت ذقني على منكبيه (صلي الله عليه وسلم) فجعلت أنظر فقال: ما شبعت فجعلت أقول: لا لأنظر منزلتي عنده؛ إذ طلع عمر - رضي الله عنه - فارفض الناس عنها فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):**(إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فرقوا من عمر)**.

عن عائشة قالت: سابقني النبي (صلي الله عليه وسلم) فسبقته ما شاء الله حتى إذا رهقني اللحم سابقني فسبقني فقال: " هذه بتلك ". صحيح.

وعن أنس قال: دخلت على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو مستلق والحسن بن علي على ظهره.

عن أبي جعفر الخطمي أن رجلاً كان يكنى أبا عمرة فقال له النبي (صلي

الله عليه وسلم): " يا أم عمرة " فضرب الرجل بيده إلى مذاكيره فقال له النبي (صلي الله عليه وسلم) : " مه؟! " قال: والله ما ظننت إلا أني امرأة لما قلت لي يا أم عمرة فقال النبي (صلي الله عليه وسلم):**(إنما أنا بشر مثلكم أمازحك)** حديث مرسل.

عن أنس أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر، فكان يهدي إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) هدية من البادية فيجهزه النبي (صلي الله عليه وسلم) وقال: " إن زاهرا باديتنا ونحن حاضرته ". وكان دميمًا فأتاه النبي (صلي الله عليه وسلم) يومًا وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال: أرسلني من هذا؟ والتفت فعرف النبي (صلي الله عليه وسلم) وجعل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول: من يشتري مني العبد؟ " فقال: يا رسول الله، إذا والله تجدني كاسدًا فقال: " لكن أنت عند الله غال؟ ". صحيح غريب.

* * *

باب خواتيم النبي (صلي الله عليه وسلم)

عن ابن عمر قال: اتخذ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) خاتمًا من ذهب، فكان يجعل فصه في بطن كفه إذا لبسه في يده اليمنى فصنع الناس خواتيم من ذهب فجلس على المنبر ونزعه ورمى به وقال: والله لا ألبسه أبدًا. فنبذ الناس خواتيمهم. وروي نحوه عن مجاهد وعن محمد بن علي مرسلين. وكان هذا قبل تحريم الذهب.

وفي الصحيح أن النبي (صلي الله عليه وسلم) نهى عن خاتم الذهب.

وصح عن أنس قال: كتب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى قيصر ولم يختمه فقيل له: إن كتابك لا يقرأ إلا أن يكون مختومًا فاتخذ النبي (صلي الله عليه وسلم) خاتمًا من فضة فنقشه محمد رسول الله، فكأني أنظر إلى بياضه في يد رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، وكان من فضة ونهى أن ينقش الناس على خواتيمهم نقشته وقال:**(كان من فضة فصه منه)**.

وصح عنه قال: اتخذ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) خاتمًا من ورق فصه حبشي ونقشه " محمد رسول الله ".

وصح عن ابن عمر قال: اتخذ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) خاتمًا من ورق فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر، ثم كان في يد عمر، ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر أريس نقشه " محمد رسول الله ".

وقال أنس: كان نقش خاتم النبي (صلي الله عليه وسلم) ثلاثة أسطر: " محمد " سطر و" رسول سطر و" الله " سطر.

قال: فكان في يد عثمان ست سنين، فكنا معه على بئر أريس وهو يحول الخاتم في يده فوقع في البئر فطلبناه مع عثمان ثلاثة أيام، فلم نقدر عليه.

* * *

باب سلاحه ودوابه وعدته

عن أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي قال: كان سلاح رسول الله (صلي الله عليه وسلم): ذا الفقار وكان سيفًا أصابه يوم بدر. وكان له سيف ورثه من أبيه. وأعطاه سعد بن عبادة سيفًا يقال له: العضب. وأصاب من سلاح بني قينقاع سيفًا قلعيًّا وفي رواية يقال له: البتار والحتف، وكان له المخذم والرسوب، وكانت ثمانية أسياف.

عن مزيدة قال: دخل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يوم الفتح وعلى سيفه ذهب وفضة. وهو ذو الفقار بالكسر جمع فقرة وبالفتح جمع فقارة سمي بذلك لفقرات كانت فيه، وهي حفر كانت في متنه حسنة.

ويقال: كان أصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة من دفن جرهم فصنع منها ذو الفقار وصمصامة عمرو بن معدي كرب الزبيدي التي وهبها لخالد ابن سعيد بن العاص.

وأخذ من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيفًا قلعيًّا منسوب إلى مرج القلعة بالفتح موضع بالبادية والبتار والحنيف، وكان عنده بعد ذلك الرسوب من رسب في الماء إذا سفل والمخذم وهو القاطع أصابهما من الفلس: صنم كان لطيء وسيف يقال له: القضيب وهو فعيل بمعنى فاعل والقضب: القطع.

وكانت له (صلي الله عليه وسلم) درع يقال لها: ذات الفضول لطولها أرسل بها إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر.

وذات الوشاح وهي الموشحة وذات الحواشي ودرعان من بني قينقاع وهما السغدية وفضة وكانت السغدية درع عكير القينقاعي وهي درع داود - عليه السلام - التي لبسها حين قتل جالوت ودرع يقال لها: البتراء وردع يقال لها: الخرنق. والخرنق: ولد الأرنب. ولبس يوم أحد درعين ذات الفضول وفضة. وكان عليه يوم خيبر: ذات الفضول والسغدية، وقد توفي (صلي الله عليه وسلم) ودرعه مرهونة بثلاثين صاعًا من شعير أخذها قوتا لأهله.

وقال عبيس بن مرحوم العطار: ثنا حاتم بن إسماعيل، عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: كان في درع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حلقتان من فضة في موضع الصدر وحلقتان من خلف ظهره قال محمد بن علي: فلبستها فجعلت أخطها في الأرض.

وكان له خمس أقواس: ثلاث بني قينقاع، وقوس تدعى: الزوراء، وقوس تدعى: الكتوم وكانت جعبته تدعى الكافور.

وكانت له منطقة من أديم مبشور فيها ثلاث حلق من فضة وترس يقال له: الزلوق يزلق عنه السلاح، وترس يقال له العنق وأهدي له ترس فيه تمثال عقاب أو كبش فوضع يده عليه، فأذهب الله ذلك التمثال.

وأصاب ثلاثة أرماح من سلاح بني قينقاع. وكان له رمح يقال له: المثوي وآخر يقال له: المتثني وحربة اسمها البيضاء وأخرى صغيرة كالعكاز.

وكان له مغفر من سلاح بني قينقاع وآخر يقال له: السبوغ.

وكانت له راية سوداء مربعة من نمرة مخملة تدعى العقاب.

وكان له محجن قدر ذراع أو أكثر يمشي ويركب به ويعلقه بين يديه على بعيره.

وكانت له مخصرة تسمى: العرجون، وقضيب يسمى: الممشوق واسم قدحه الريان. وكان له قدح مضبب غير الريان يقدر أكثر من نصف المد وقال ابن سيرين عن أنس: إن قدح النبي (صلي الله عليه وسلم) انكسر، واتخذ مكان الشعب سلسلة من فضة. أخرجه البخاري.

وكان له قدح من زجاج وتور من حجارة يتوضـأ منـه كثيـرًا ومخضـب مـن شبه وركوة تسمى الصادرة، ومغسل من صفر وربعة أهداها له المقوقس يجعل فيها المرآة ومشطًا من عاج والمكحلة، والمقص، والسواك.

وكانـت لـه نعـلان سبتيتان وقصـعة وسـرير وقطيفـة. وكـان يتبخـر بـالعود والكافور وقال ابن فارس بإسنادي الماضي إليه: يقال ترك يوم توفي (صلي الله عليه وسلم) ثـوبي حبـرة وإزارًا عمانيـا وثـوبين صـحاريين وقميصًـا صـحاريًا وقميصًا سحوليًا وجبة يمنية وخميصة، وكساء أبيض وقلانس صـغارًا ثلاثـًا أو أربعًا وإزارًا طوله خمسة أشبار وملحقة يمنية مورسة.

وأكثر هذا الباب كما ترى بلا إسناد نقله هكذا ابن فارس وشـيخنا الـدمياطي والله أعلم هل هو صحيح أم لا؟ وأما دوابه فروى البخاري من حديث عباس بن سهل بن سعد، عن أبيه كان للنبي (صلي الله عليه وسلم) في حائطنا فرس يقال له: اللحيف.

واللحيـف: بمعنـى لاحـف كأنـه يلحـف الأرض بذنبـه لطولـه وقيـل: اللحيـف مصغر.

وأول فرس ملكه: السكب وكان اسمه عند الأعرابي: الضرس فاشتراه منـه بعشر أواقي أول ما غزا عليه أحد ليس مع المسلمين غيره، وفـرس لأبـي بـردة بن نيار. وكان له فرس يدعى: المرتجز سمي بـه لحسن صـهيله وكـان أبـيض. والفرس إذا كان خفيـف الجـري، فهـو سـكب وفـيض كانسكاب المـاء وأهـدى لـه تميم الداري فرسًا يدعى: الورد، فأعطاه عمر.

والـورد: بين الكميت والأشقر، وكانـت لـه فـرس تـدعى: سـبحة مـن قـولهم: طرف سابح إذا كان حسن مد اليدين في الجري.

قال الدمياطي: فهذه سبعة أفراس متفق عليها وذكر بعدها خمسة عشر فرسًا مختلف فيها وقـال: قد شرحنـاها فـي كتـاب الخيـل قـال: وكـان سـرجه دفتـاه مـن ليف، وكانت له بغلة أهداها له المقوقس شهباء يقال لها: دلدل.

مع حمار يقال له: عفير وبغلة يقال لها: فضة أهداها لـه فـروة الجـذامي مـع

حمار يقال له: يعفور فوهب البغلة لأبي بكر وبغلة أخرى.

وقال أيمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله قال: رأيت النبي (صلي الله عليه وسلم) على ناقة صهباء يرمي الجمرة لا ضرب وطرد ولا إليك إليك. حديث حسن.

الصهباء: الشقراء.

وكانت له (صلي الله عليه وسلم) لقاح أغارت عليها غطفان وفزارة فاستنقذها سلمة بن الأكوع وجاء بها يسوقها. أخرجه البخاري.

وهو من الثلاثيات وجاء أن النبي (صلي الله عليه وسلم) أهدى يوم الحديبية جملا في أنفه برة من فضة كان غنمه من أبي جهل يوم بدر أهداه ليغيظ بذلك المشركين إذا رأوه وكان مهريًّا يغزو عليه ويضرب في لقاحه.

وقيل: كان له (صلي الله عليه وسلم) عشرون لقحة بالغابة يراح إليه منها كل ليلة بقربتين من لبن، وكانت له خمس عشرة لقحة يرعاها يسار مولاه الذي قتله العرنيون واستاقوا اللقاح فجيء بهم فسملهم.

وكان له من الغنم مائة شاة لا يريد أن تزيد كلما ولد الراعي بهمة ذبح مكانها شاة.

* * *

ذكر وقد سحر (صلي الله عليه وسلم) **وسم في شواء**

عن عائشة أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) سحر حتى كان يخيل إليه أنه يصنع الشيء ولم يصنعه حتى إذا كان ذات يوم رايته يدعو فقال: " أشعرت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته: أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما: ما وجع الرجل قال الآخر: مطبوب. قال: من طبه قال: لبيد بن الأعصم قال: فيم؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال: فأين هو؟ قال في ذي أروان فانطلق رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فلما رجع أخبر عائشة فقال: كأن نخلها رؤوس الشياطين وكأن ماءها نقاعة الحناء فقلت: يا رسول الله، أخرجه للناس قال: أما أنا فقد شفاني الله وخشيت أن أثور على الناس منه شرًا.

في لفظ: في بئر ذي أروان.

روى عمر مولى عفرة وهو تابعي أن لبيد بن أعصم سحر النبي (صلي الله عليه وسلم) حتى التبس بصره وعاده أصحابه، ثم إن جبريل وميكائيل أخبراه فأخذه النبي (صلي الله عليه وسلم) فاعترف فاستخرج السحر من الجب، ثم نزعه فحله فكشف عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وعفا عنه.

عن الزهري قال في ساحر أهل العهد: لا يقتل وقد سحر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يهودي فلم يقتله، وعن عكرمة أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عفا عنه.

قال الواقدي: هذا أثبت عندنا ممن روى أنه قتله.

وفي الصحيح عن ابن عباس أن امرأة من يهود خيبر أهدت لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) شاة مسمومة.

وعن جابر وأبي هريرة وغيرهما أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لما افتتح خيبر واطمأن جعلت زينب بنت الحارث - وهي بنت أخي مرحب، وامرأة سلام بن مشكم، سمًا قاتلاً في عنز لها ذبحتها وصلتها، وأكثرت السم في الذراعين والكتف فلما صلى النبي (صلي الله عليه وسلم) المغرب انصرف وهي جالسة عند رحله فقالت: يا أبا القاسم، هدية أهديتها لك، فأمر بها النبي (صلي الله عليه وسلم) فأخذت منها، ثم وضعت بين يديه وأصحابه حضور منهم بشر بن البراء بن معرور وتناول رسول الله فانتهش من الذراع وتناول بشر عظمًا آخر فانتهش منه وأكل القوم منها. فلما أكل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لقمة قال: " ارفعوا أيديكم، فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة " فقال بشر: والذي أكرمك لقد وجدت ذلك من أكلتي فما منعني أن ألفظها إلا أني كرهت أن أبغض إليك طعامك فلما أكلت ما في فيك لم أرغب بنفسي عن نفسك ورجوت أن لا تكون ازدردتها وفيها بغي فلم يقم بشر حتى تغير لونه وماطله وجعه سنة ومات.

وقال بعضهم: لم يرم بشر من مكانه حتى توفي فدعاها فقال: ما حملك؟ قالت: نلت من قومي وقتلت أبي وعمي وزوجي فقلت: إن كان نبيًا فستخبره

الذراع، وإن كان ملكا أسترحنا منه فدفعها إلى أولياء بشر يقتلونها. وهو الثبت.

وقال أبو هريرة: لم يعرض لها واحتجم النبي (صلي الله عليه وسلم) على كاهله. حجمه أبو هند بقرن وشفرة وأمر أصحابه فاحتجموا أوساط رؤوسهم وعاش بعد ذلك ثلاث سنين.

وكان في مرض موته يقول: " ما زلت أجد من الأكلة التي أكلتها بخيبر وهذا أوان انقطاع أبهري " وفي لفظ: " ما زالت أكلة خيبر يعاودني ألم سمها " والأبهر عرق في الظهر وهذا سياق غريب. وأصل الحديث في الصحيح.

* * *

باب مرض النبي (صلي الله عليه وسلم)

عن أبي مويهبة مولى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: نبهني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من الليل فقال: " يا أبا مويهبة، إني قد أمرت أن استغفر لأهل هذا البقيع " فخرجت معه حتى أتينا البقيع فرفع يديه فاستغفر لهم طويلاً ثم قال:(**ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها للآخرة شر من الأولى يا أبا مويهبة إني قد أعطيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة**) فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة فقال:(**والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة**) ثم انصرف فلما أصبح ابتدئ بوجعه الذي قبضه عن عائشة قالت: اجتمع نساء رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عند رسول الله لم تغادر منهن امرأة فجاءت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال:(**مرحبا بابنتي**) فأجلسها عن يمينه أو شماله فسارها بشيء فبكت، ثم سارها فضحكت فقلت لها: خصك رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالسرار وتبكين!.

فلما أن قام قلت لها: أخبريني بما سارك؟ قالت: ما كنت لأفشي سره فلما توفي قلت لها: أسألك بما لي عليك من الحق لما أخبرتيني قالت: أما الآن فنعم سارني فقال: " إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة،

وإنه عارضني العام مرتين ولا أرى ذلك إلا اقتراب أجلي فاتقي الله

واصبري فنعم السلف أنالك " فبكيت ثم سارني فقال: " أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نسار هذه الأمة " يعني: فضحكت. متفق عليه.

وروى نحوه عروة عن عائشة وفيه أنها ضحكت؛ لأنه أخبرها أنها أول أهله يتبعه. رواه مسلم.

أخبر عبيد الله بن عبد الله؛ أن عائشة قالت: لما ثقل النبي (صلي الله عليه وسلم) واشتد به الوجع استأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة فأذن له فخرج بين رجلين تخط رجلاه في الأرض قالت: لما أدخل بيتي اشتد وجعه فقال: " أهرقن علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلي أعهد إلى الناس " فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي (صلي الله عليه وسلم)، ثم طفقنا نصب عليه حتى طفق يشير إلينا أن قد فعلتن فخرج إلى الناس فصلى بهم، ثم خطبهم. متفق عليه.

عن أبي سعيد قال: خطب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الناس فقال:(**إن عبدًا خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار ما عند الله**) فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه فكان المخير رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، وكان أبو بكر أعلمنا به فقال: " لا تبك يا أبا بكر، إن أمن الناس علي في صحبته وما له أبو بكر ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذته خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقى في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر ". متفق عليه.

عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وفي البيت رجال فيهم عمر فقال النبي (صلي الله عليه وسلم):(**هلم أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا**) فقال: إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ومنهم من يقول: ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال النبي (صلي الله عليه وسلم):(**قوموا**). فكان ابن عباس يقول: " إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم. متفق عليه.

وإنما أراد عمر التخفيف عن النبي (صلي الله عليه وسلم) حين رآه شديد الوجع لعلمه أن الله قد أكمل ديننا ولو كان ذلك الكتاب واجبًا لكتبه النبي (صلي الله عليه وسلم) ولما أخل به.

عن حمزة بن عبد الله عن أبيه قال: لما اشتد برسول الله (صلي الله عليه وسلم) وجعه قال:(**مروا أبا بكر فليصل بالناس**) فقالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء: فقال:(**مروا أبا بكر فليصل بالناس**) فعاودته مثل مقالتها فقال:(**أنتن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس**). أخرجه البخاري.

وقال موسى بن عقبة: اشتكى النبي (صلي الله عليه وسلم) في صفر فوعك أشد الوعك؛ واجتمع إليه نساؤه يمرضنه أياما وهو في ذلك ينحاز إلى الصلوات حتى غلب فجاءه المؤذن فآذنه بالصلاة فنهض فلم يستطع من الضعف فقال للمؤن:(**اذهب إلى أبي بكر فمره فليصل**) فقالت عائشة: إن أبا بكر رجل رقيق وإنه قام مقامك بكى فأمر عمر فليصل بالناس فقال:(**مروا أبا بكر فأعادت عليه**) فقال:(**إنكن صواحب يوسف**) فلم يزل أبو بكر يصلي بالناس حتى كان ليلة الاثنين من ربيع الأول فأقلع عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الوعك وأصبح مفيقا فغدا إلى صلاة الصبح يتوكأ على الفضل وغلام له يدعى: ثوبان. ورسول الله (صلي الله عليه وسلم) بينهما وقد سجد الناس مع أبي بكر من صلاة الصبح وهو قائم في الأخرى فتخلص رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الصفوف يفرجون له حتى قام إلى جنب أبي بكر فاستأخر أبو بكر فأخذ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بثوبه فقدمه في مصلاه فصفا جميعا ورسول الله (صلي الله عليه وسلم) جالس وأبو بكر قائم يقرا.

فلما قضى قراءته قام رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فركع معه الركعة الآخرة، ثم جلس أبو بكر يتشهد والناس معه فلما سلم أتم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الركعة الآخرة، ثم انصرف إلى جذع من جذوع المسجد والمسجد يومئذ سقفه من جريد وخوص ليس على السقف كثير طين إذا كان المطر امتلأ المسجد طينًا إنما هو كهيئة العريش، وكان أسامة قد تجهز للغزو.

* * *

باب حاله لما احتضر

أخبر عبيد الله بن عبد الله أن عائشة، وابن عباس قالا: لما نزل برسول الله (صلي الله عليه وسلم) طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك:(**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) يحذر ما صنعوا. متفق عليه.

عن جابر قال: سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قبل موته بثلاث يقول:(**أحسنوا الظن بالله عز وجل**). هذا حديث صحيح من العوالي.

وعن أنس قال: كانت عامة وصية النبي (صلي الله عليه وسلم) حين حضره الموت:(**الصلاة وما ملكت أيمانكم**) حتى جعل يغرغر بها في صدره وما يفيض بها لسانه. كذا قال سليمان.

وعن عائشة قالت: رأيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يموت وعنده قدح فيه ماء يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول:(**اللهم أعني على سكرة الموت**).

وعن عائشة قالت: كنا نتحدث أن النبي (صلي الله عليه وسلم) لا يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة فلما مرض عرضت له بحة فسمعته يقول:(**مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**) فظننا أنه كان يخير. متفق عليه.

* * *

باب وفاته (صلي الله عليه وسلم)

عن عائشة قالت: توفي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في بيتي ويومي وبين سحري ونحري، وكان جبريل يعوذه بدعاء إذا مرض فذهبت أدعو به فرفع بصره إلى السماء وقال:(**في الرفيق الأعلى في الرفيق الأعلى**) ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده جريدة رطبة فنظر إليها فظننت أن له بها حاجة فأخذتها فنفضتها ودفعتها إليه فأستن بها أحسن ما كان مستنًا، ثم ذهب يناولنيها فسقطت من يده فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا. رواه البخاري هكذا.

وعن عمر بن سعيد بن أبي حسين أخبرني ابن أبي مليكة أن ذكوان مولى عائشة أخبره أن عائشة كانت تقول: إن من نعمة الله علي أن النبي (صلي الله عليه وسلم) توفي في بيتي وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند الموت دخل علي أخي بسواك، وأنا مسندة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى صدري فرأيته ينظر إليه وقد عرفت أنه السواك ويألفه فقلت: آخذه لك فأشار برأسه أن نعم فلينته له فأمره على فيه وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح وجهه ثم يقول:(**لا إله إلا الله إن للموت سكرات**) ثم نصب إصبعه اليمنى فجعل يقول:(**في الرفيق الأعلى في الرفيق الأعلى**) حتى قبض ومالت يده. أخرجه البخاري.

عن أنس قال: قالت فاطمة: لما مات النبي (صلي الله عليه وسلم) وهي تبكي " يا أبتاه من ربه ما أدناه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، يا أبتاه أجاب ربا دعاه " قال: وقالت: يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على النبي (صلي الله عليه وسلم) التراب.

عن يزيد ابن بابنوس أنه أتى عائشة فقالت: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إذا مر بحجرتي ألقى إلي الكلمة يقر بها عيني فمر ولم يتكلم فعصبت رأسي ونمت على فراشي فمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: " ما لك؟ " قلت: رأسي فقال:(**بل أنا وارأساه أنا الذي أشتكي رأسي**) وذلك حين أخبره جبريل أنه مقبوض فلبثت أيامًا، ثم جيء به يحمل في كساء بين أربعة فأدخل علي فقال: يا عائشة، أرسلي إلى النسوة فلما جئن قال: " إني لا أستطيع أن أختلف بينكن فأذن لي فاكون في بيت عائشة " قلن: نعم فرأيته يحمر وجهه ويعرق ولم أكن رأيت ميتا قط فقال:(**أقعديني**) فأسندته إلي ووضعت يدي عليه فقلب رأسه فرفعت يدي وظننت أنه يريد أن يصيب من رأسي فوقعت من فيه نقطة باردة على ترقوتي أو صدري، ثم مال فسقط على الفراش فسجيته بثوب ولم أكن رأيت ميتًا قط فأعرف الموت بغيره فجاء عمر يستأذن ومعه المغيرة بن شعبة فأذنت لهما ومددت الحجاب فقال عمر: يا عائشة، ما لنبي الله؟ قلت:

غشي عليه منذ ساعة فكشف عن وجهه فقال: واغماه إن هذا لهو الغم، ثم غطاه ولم يتكلم المغيرة فلما بلغ عتبة الباب قال المغيرة: مات رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يا عمر، فقال: كذبت ما مات رسول الله ولا يموت حتى يأمر بقتال المنافقين بل أنت تحوشك فتنة.

فجاء أبو بكر فقال: ما لرسول الله؟ قلت: غشي عليه فكشف عن وجهه فوضع فمه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه، ثم قال: وانبياه واصفياه واخليلاه! صدق الله ورسوله:(إنك ميت وإنهم ميتون).{ وَمَاجَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ} [الأنبياء: ٣٤ - ٣٥]، ثم غطاه وخرج إلى الناس فقال: أيها الناس هل مع أحد منكم عهد من رسول الله (صلي الله عليه وسلم)؟ قالوا: لا قال: من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ومن كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات وقال:{ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾} [الزمر: ٣٠].

فقال عمر: أفي كتاب الله هذا يا أبا بكر؟ قال: نعم قال عمر: هذا أبو بكر صاحب رسول الله في الغار وثاني اثنين فبايعوه فحينئذ بايعوه.

عن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبى فقال: اجلس فأبى فتشهد أبو بكر فأقبل الناس غليه وتركوا عمر فقال أبو بكر: أما بعد فمن كان منكم يعبد محمدًا، فإنه قد مات ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى:{ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ } [آل عمران: ١٤٤]، الآية فكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها.

عن عائشة قالت: توفي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بين حاقنتي وذاقنتي فلا أكره شدة الموت لأحد أبدًا بعد ما رأيت من رسول الله (صلي الله عليه وسلم). حديث صحيح.

عن عروة قال: كان أسامة بن زيد قد تجهز للغزو وخرج ثقله إلى الجرف فأقام تلك الأيام لوجع النبي (صلي الله عليه وسلم) وكان قد أمره على جيش عامتهم المهاجرون وفيهم عمر وأمره أن يغير على أهل مؤتة وعلى جانب

فلسطين؛ حيث أصيب أبوه زيد فجلس رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى جذع في المسجد يعني: صبيحة الإثنين واجتمع المسلمون يسلمون عليه ويدعون له بالعافية فدعا أسامة فقال: " اغد على بركة الله والنصر والعافية " قال: بأبي أنت يا رسول الله، قد أصبحت مفيقًا وأرجو أن يكون الله قد شفاك فأذن لي أن أمكث حتى يشفيك الله، فإن أنا خرجت على هذه الحال خرجت وفي قلبي قرحة من شأنك وأكره أن أسأل عنك الناس فسكت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فلم يراجعه.

وقام فدخل بيت عائشة وهو يومها فدخل أبو بكر على ابنته عائشة فقال: قد اصبح رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مفيقًا وأرجو أن يكون الله قد شفاه، ثم ركب أبو بكر فلحق بأهله بالسنح وهنالك امرأته حبيبة بنت خارجة بن زيد الأنصاري وانقلبت كل امرأة من نساء النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى بيتها وذلك يوم الاثنين.

ولما استقر (صلي الله عليه وسلم) ببيت عائشة وعك أشد الوعك واجتمع إليه نساؤه واشتد وجعه فلم يزل حتى زاغت الشمس وزعموا أنه كان يغشى عليه، ثم شخص بصره إلى السماء فيقول:(**نعم في الرفيق الأعلى**) وذكر الحديث إلى أن قال: فأرسلت عائشة إلى أبي بكر، وأرسلت حفصة إلى عمر، وأرسلت فاطمة إلى علي فلم يجتمعوا حتى توفي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) على صدر عائشة، وفي يومها يوم الإثنين وجزع الناس وظن عامتهم أنه غير ميت منهم من يقول: كيف يكون علينا شهيدًا، ونحن شهداء على الناس؟! فيموت ولم يظهر على الناس، ولكنه رفع كما فعل بعيسى ابن مريم فأوعدوا من سمعوا قول: إنه قد مات ونادوا على الباب " لا تدفنوه فإنه حي " وقام عمر يخطب الناس ويوعد بالقتل والقطع ويقول: إنه لم يمت وتوعد المنافقين والناس قد ملأوا المسجد يبكون ويموجون حتى أقبل أبو بكر من السنح.

* * *

باب عمر النبي والخلف فيه

وعن أنس أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بعثه الله على رأس أربعين

سنة فأقام بمكة عشرًا وبالمدينة عشرًا وتوفي على راس ستين سنة.

وعن أنس قال: قبض النبي (صلي الله عليه وسلم) وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقبض أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين، وقبض عمر وهو ابن ثلاث وستين. رواه مسلم.

قوله في الأول على رأس ستين سنة على سبيل حذف الكسور القليلة لا على سبيل التحرير ومثله موجود في كثير من كلام العرب.

وعن عائشة إن النبي (صلي الله عليه وسلم) توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وعن ابن عباس قال: توفي النبي (صلي الله عليه وسلم) وهو ابن ثلاث وستين سنة. متفق عليه. ولمسلم مثله من حديث أبي حمزة، عن ابن عباس.

* * *

باب غسله وكفنه ودفنه (صلي الله عليه وسلم)

حدث يحيى بن عباد بن عبد الله، عن أبيه سمع عائشة تقول: لما أرادوا غسل النبي (صلي الله عليه وسلم) قالوا: والله ما ندري أنجرد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أم نغسله وعليه ثيابه، فلما اختلفوا ألقى عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبي (صلي الله عليه وسلم) وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فغسلوه وعليه قميص يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص دون أيديهم فكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه. صحيح أخرجه أبو داود.

وعن الشعبي أن النبي (صلي الله عليه وسلم) غسله علي، وأسامة، والفضل بن العباس، وادخلوه قبره وكان علي يقول وهو يغسله: بابي وأمي طبت حيًّا وميتًّا. مرسل جيد.

عن سعيد بن المسيب قال: قال علي: غسلت رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئًا وكان طيبًا حيًّا وميتًّا.

وولي دفنه وإجنابه دون الناس أربعة: علي والعباس، والفضل، وصالح مولى رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، ولحد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لحدا ونصب عليه اللبن نصبًا.

* * *

الصلاة عليه (صلي الله عليه وسلم)

عن ابن عباس قال: لما مات رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أدخل الرجال فصلوا عليه بغير إمام أرسالاً حتى فرغوا، ثم أدخل النساء فصلين عليه، ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه، ثم أدخل العبيد لم يؤمهم أحد.

حدث موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي قال: وجدت بخط أبي قال: لما كفن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ووضع على سريره دخل أبو بكر وعمر ونفر من المهاجرين والأنصار فقالا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وسلم المهاجرون والأنصار كذلك، ثم صفوا صفوفًا لا يؤمهم أحد فقال أبو بكر وعمر وهما في الصف الأول: اللهم إنا نشهد أن قد بلغ ما أنزل إليه ونصح لأمته وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه، وتمت كلمته، وأومن به وحده لا شريك له فاجعلنا إلهنا ممن يتبع القول الذي أنزل معه، واجمع بيننا وبينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به، فإنه كان بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا لا نبغي بالإيمان بدلاً ولا نشتري به ثمنًا أبدًا فيقول الناس: آمين آمين فيخرجون ويدخل آخرون حتى صلى عليه: الرجال ثم النساء ثم الصبيان. مرسل ضعيف لكنه حسن المتن.

وعن ابن عباس قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) كان أبو عبيدة بن الجراح يضرح لأهل مكة، وكان أبو طلحة يلحد لأهل المدينة فأرسل العباس خلفهما رجلين وقال: اللهم خر لرسولك أيهما جاء حفر له فجاء أبو طلحة، فلحد لرسول الله (صلي الله عليه وسلم).

وقال الواقدي: ثنا عبد الحميد بن جعفر، عن عثمان بن محمد الأخنسي، عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع قال: لما توفي النبي (صلي الله عليه وسلم

) اختلفوا في موضع قبره فقال قائل: في البقيع فقد كان يكثر الإستغفار لهم. وقال قائل: عند منبره وقال قائل: في مصلاه فجاء أبو بكر فقال: إن عندي من هذا خبرًا وعلمًا سمعت النبي (صلي الله عليه وسلم) يقول:(**ما قبض نبي إلا دفن حيث توفي**).

* * *

عدد أزواجه (صلي الله عليه وسلم)

عن قتادة إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) تزوج خمس عشرة امرأة ودخل بثلاث عشرة منهن واجتمع عنده منهن إحدى عشرة، وقبض عن تسع فأما اللتان لم يدخل بهن فأفسدتهما النساء فطلقهما، وذلك أن النساء قلن لإحداهما: إذا دنا منك فتمنعي فتمنعت فطلقها، وأما الأخرى فلما مات ابنه إبراهيم قالت: لو كان نبيًّا ما مات ابنه فطلقها. وخمس منهن من قريش: عائشة وحفصة، وأم حبيبة، وأم سلمة، وسودة بنت زمعة، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث الخزاعية، وزينب بنت جحش الأسدية، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية. قبض (صلي الله عليه وسلم) عن هؤلاء - رضي الله عنهن.

ومن سراريه: مارية - أم إبراهيم.

وعن الزهري قال: كانت ريحانة أمة لرسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فأعتقها وتزوجها فكانت تحتجب في أهلها وتقول: لا يراني أحد بعد رسول الله (صلي الله عليه وسلم). قال الواقدي: وهذا أثبت عندنا، وكان زوج ريحانة قبل النبي (صلي الله عليه وسلم) الحكم. وهي من بني النضير فحدثها عاصم بن عبد الله بن الحكم عن عمر بن الحكم قال: أعتق رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خناقة، وكانت ذات جمال قالت: فتزوجني وأصدقني اثنتي عشرة أوقية ونشا وأعرس بي وقسم لي. وكان معجبًا بها توفيت مرجعه من حجة الوداع، وكان تزويجه بها في المحرم سنة ست.

عن ثعلبة بن أبي مالك قال: كانت ريحانة من بني النضير فسباها رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فاعتقها وتزوجها وماتت عنده.

قال أبو عبيدة: كان للنبي (صلي الله عليه وسلم) أربع ولائد: مارية، وريحانة من بني قريظة، وجميلة فكادها نساؤه، وكانت له جارية نفيسة وهبتها له زينب بنت جحش.

وقد خطب (صلي الله عليه وسلم) أم هانئ بنت أبي طالب، وضباعة بنت عامر، وصفية بنت بشامة ولم يقض له أن يتزوج بهن. والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

السنة الأولى من الهجرة

عن عائشة - رضي الله عنها - أن المسلمين بالمدينة سمعوا بمخرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم). فكانوا يغدون إلى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الشمس فانقلبوا يوما فأوفى يهودي على أطم فبصر برسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فأخبرني عروة أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لقي الزبير - رضي الله عنه - في ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام فكسا الزبير - رضي الله عنه - رسول لله (صلي الله عليه وسلم) وأبا بكر ثياب بياض. قال: فلم يملك اليهودي أن صاح يا معشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون.

فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوه بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل في بني عمرو بن عوف يوم الإثنين من ربيع الأول.

فقام أبو بكر للناس فطفق من لم يعرف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يسلم على أبي بكر حتى أصابت الشمس رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأقبل أبو بكر يظله بردائه فعرف لناس عند ذلك رسول الله (صلي الله عليه وسلم). فلبث في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس مسجدهم، ثم ركب راحلته وسار حوله الناس يمشون حتى بركت به مكان المسجد وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربدًا لسهل وسهيل فدعاهما فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدًا فقالا: بل نهبه لك يا رسول لله، ثم بناه مسجد

وكان ينقل للبن معهم ويقول.

هـــذا الجمـــال لا جمـــال خيـــبر ::: هـــــذا أبـــــر ربنـــــا وأطهـــــر

ويقول:

اللـــهم إن الأجـــر أجـــر الآخـــرة ::: فـــارحم الأنصـــار والمهـــاجرة

وقال محمد بن إسحاق: فقدم ضحى يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول فأقام في بني عمرو بن عوف فيما قيل يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، ثم ظعن يوم الجمعة فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها بمن معه. وكان مكان المسجد فيما قال موسى بن عقبة: مربدا لغلامين يتيمين وهما سهل وسهيل، ابنا رافع بن عمرو من بني النجار - وكانا في حجر أسعد بن زرارة.

وأسس رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في إقامته ببني عمرو بن عوف مسجد قباء. وصلى الجمعة في بني سالم في بطن الوادي. فخرج معه رجال منهم: وهم العباس بن عبادة وعتبان بن مالك فسألوه أن ينزل عندهم ويقيم فيهم فقال: خلوا الناقة فإنها مأمورة. وسار والأنصار حوله حتى أتى بني بياضة فتلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو فدعوه إلى النزول فيهم فقال: دعوها فإنها مأمورة.

فأتى دور بني عدي بن النجار، وهم أخوال عبد المطلب فتلقاه سليط بن قيس ورجال من بني عدي فدعوه إلى النزول والبقاء عندهم فقال: دعوها فإنها مأمورة. ومشى حتى أتى دور بني مالك بن النجار فبركت الناقة في موضع المسجد وهو مربد تمر لغلامين يتيمين. وكان فيه نخل وحرث وخرب وقبور للمشركين. فلم ينزل عن ظهرها فقامت ومشت قليلاً وهو (صلي الله عليه وسلم) لا يهيجها، ثم التفتت فكرت إلى مكانها وبركت فيه فنزل عنها. فأخذ أبو أيوب الأنصاري رحلها فحمله إلى داره، ونزل النبي (صلي الله عليه وسلم) في بيت من دار أبي أيوب.

فلم يزل ساكنا عند أبي أيوب حتى بنى مسجده وحجره في المربد. وكان قد طلب شراءه فأبت بنو النجار من بيعه وبذلوه لله وعوضوا اليتيمين. فأمر

بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت. وبنى عضادتيه بالحجارة وجعل سواريه من جذوع النخل وسقفه بالجريد. وعمل فيه المسلمون حسبة.

وآخى في هذه المدة بين المهاجرين والأنصار، ثم فرضت الزكاة وأسلم الحبر عبد الله بن سلام وأناس من اليهود وكفر سائر ليهود.

* * *

قصة إسلام ابن سلام

عن أنس - رضي الله عنه - قال: جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنك رسول الله حقا. ولقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني أسلمت. فأرسل إليهم فأتوا فقال لهم:(**يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله فأسلموا**) قالوا: ما نعلمه فأعاد ذلك عليهم ثلاثًا. ثم قال:(**فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام**) قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا. قال:(**أفرأيتم إن أسلم؟!**) قالوا: حاش الله ما كان ليسلم. قال:(**يا بن سلام اخرج عليهم**) فخرج عليهم فقال: ويلكم اتقوا الله فوالذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله حقًا قالوا: كذبت. فأخرجهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم). أخرجه البخاري بأطول منه.

* * *

قصة بناء المسجد

عن أنس - رضي الله عنه - فأرسل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى ملأ بني النجار فجاءوا فقال:(**يا بني النجار ثامنوني بحائطكم**) هذا. قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله. فكان فيه ما أقول لكم: كان فيه قبور المشركين وكان فيه خرب ونخل. فأمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطع. فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه حجارة وجعلوا ينقلون ذاك الصخر وهم يرتجزون ورسول الله (صلي الله عليه وسلم) معهم ويقولون: اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة متفق عليه. وفي رواية فاغفر للأنصار.

وقال أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال رسول الله (صلي الله عليه

وسلم): المسجد الذي أسس على التقوى مسجدي هذا. أخرجه مسلم بأطول منه وقال (صلي الله عليه وسلم): صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا مسجد الكعبة. صحيح.

وفي شهر رمضان عقد النبي (صلي الله عليه وسلم) لواء لحمزة بن عبد المطلب يعترض عيرًا لقريش. وهو أول لواء عقد في الإسلام.

وفيها: بعث النبي (صلي الله عليه وسلم) زيد بن حارثة، وأبا رافع إلى مكة لينقلا بناته وسودة أم المؤمنين.

وفي ذي القعدة عقد لواء لسعد بن أبي وقاص ليغير على حي من بني كنانة أو بني جهينة. ذكره الواقدي.

وفيها: آخي النبي (صلي الله عليه وسلم) بين المهاجرين والأنصار على المواساة والحق.

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: آخى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بين المهاجرين والأنصار وورث بعضهم من بعض حتى نزلت:{وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ} [الأحزاب: ٦].

والسبب في قلة من توفي في هذا العام وما بعده من السنين أن المسلمين كانوا قليلين بالنسبة إلى من بعدهم. فإن الإسلام لم يكن إلا ببعض الحجاز أو من هاجر إلى الحبشة. وفي خلافة عمر - بل وقبلها - انتشر الإسلام في الأقاليم. فبهذا يظهر لك سبب قلة من توفي في صدر الإسلام وسبب كثرة من توفي في زمان التابعين فمن بعدهم.

* * *

السنة الثانية غزوة الأبواء

فخرج النبي (صلي الله عليه وسلم) من المدينة غازيًا واستعمل على المدينة سعد بن عبادة حتى بلغ ودان يريد قريشًا وبني ضمرة. فوادع بني ضمرة بن عبد مناة بن كنانة وعقد ذلك معه سيدهم مخشي بن عمرو، ثم رجع إلى المدينة. وودان على أربع مراحل.

* * *

بعث حمزة

ثم في أحد الربيعين: بعث عمه حمزة في ثلاثين راكبًا من المهاجرين إلى سيف البحر من ناحية العيص. فلقي أبا جهل في ثلاثمائة وقال الزهري: في مائة وثلاثين راكبًا. وكان مجدي بن عمرو الجهني وقومه حلفاء الفريقين جميعًا فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني.

* * *

بعث عبيدة بن الحارث

وبعث في هذه المدة عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف في ستين راكبًا أو نحوهم من المهاجرين. فنهض حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة. فلقي بها جمعًا من قريش عليهم عكرمة بن أبي جهل وقيل: مكرز بن حفص. فلم يكن بنيهم قتال. إلا أن سعد بن أبي وقاص كان في ذلك البعث فرمي بسهم فكان أول سهم رمي به في سبيل الله.

وفر الكفار يومئذ إلى المسلمين: المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة وعتبة بن غزوان المازني حليف بني عبد مناف. وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالمشركين.

* * *

غزوة بواط

وخرج النبي (صلي الله عليه وسلم) في ربيع الأول غازيًّا. فاستعمل على المدينة السائب ابن عثمان بن مظعون. حتى بلغ بواط من ناحية رضوى، ثم رجع ولم يلق حربًا.

* * *

غزوة العشيرة

وخرج غازيًّا في جمادى الأولى واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد حتى بلغ العشيرة فأقام هناك أيامًا ووادع بني مدلّج ثم رجع فأقام بالمدينة

أيامًا. والعشيرة من بطن ينبع.

غزوة بـدر الأولى

وخرج في جمادى الآخرة في طلب كرز بن جابر الفهري، وكان قد أغار على سرح المدينة. فبلغ (صلي الله عليه وسلم) وادي سفوان من ناحية بدر فلم يلق حرباً. وسميت بدرًا الأولى. ولم يدرك كرزًا.

* * *

سرية سعد بـن أبـي وقاص

وبعث سعد بن أبي وقاص في ثمانية من المهاجرين فبلغ الخرار، ثم رجع إلى المدينة.

* * *

بـعث عبـد الله بـن جحش

قال عروة: ثم بعث النبي (صلي الله عليه وسلم) في رجب عبد الله بن جحش الأسدي ومعه ثمانية. وكتب معه كتابًا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين. فلما قرأ الكتاب وجده: إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل بين نخلة والطائف فترصد لنا قريشا وتعلم لنا من أخبارهم. فلما نظر عبد الله في الكتاب قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن أمضي إلى نخلة ونهاني أن أستكره أحدًا منكم. فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره الموت فليرجع، فأما أنا فماض لأمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم). فمضى ومضى معه الثمانية وهم: أبو حذيفة بن عتبة، وعكاشة بن محصن وعتبة بن غزوان، وسعد بن أبي وقاص، وعامر بن ربيعة، وواقد بن عبد الله التميمي، وسهيل بن بيضاء الفهري، وخالد بن البكير فسلك بهم على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له: بحران أضل سعد بن أبي وقاص، وعتبة ابن غزوان بعيرًا لهما فتخلفا في طلبه.

ومضى عبد الله بمن بقي حتى نزل بنخلة، فمرت بهم عير لقريش تحمل زبيبًا وأدما وفيها عمرو بن الحضرمي وجماعة. فلما رآهم القوم هابوهم.

فأشرف لهم عكاشة، وكان قد حلق رأسه، فلما رأوه أمنوا وقالوا: عمار لا بأس عليكم منهم وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر رجب فقالوا: والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام.

وترددوا ثم أجمعوا على قتلهم وأخذ تجارتهم فرمى واقد ابن عبد الله عمرو بن الحضرمي فقتله واستأسروا عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان. وأفلت نوفل بن عبد الله.

وأقبل ابن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين حتى قدموا المدينة، وعزلوا خمس ما غنموا للنبي (صلي الله عليه وسلم) فنزل القرآن كذلك. وأنكر النبي (صلي الله عليه وسلم) قتل ابن الحضرمي فنزلت:{ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} [البقرة: ٢١٧]، الآية وقبل النبي (صلي الله عليه وسلم) الفداء في الأسيرين. فأما عثمان فمات بمكة كافرا وأما الحكم فأسلم واستشهد ببئر معونة.

وصرفت القبلة في رجب أو قريبًا منه.

* * *

غزوة بدر الكبرى

قال ابن إسحاق: سمع النبي (صلي الله عليه وسلم) أن سفيان بن حرب قد أقبل من الشام في عير وتجارة عظيمة فيها ثلاثون أو أربعون رجلاً من قريش، منهم: مخرمة بن نوفل، وعمرو بن العاص. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها. فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعض ظنا منهم أن النبي (صلي الله عليه وسلم) لا يلقى حربًا.

واستشعر أبو سفيان فجهز منذرا إلى قريش يستنفرهم إلى أموالهم، فأسرعوا الخروج ولم يتخلف من أشرافهم أحد إلا أن أبا لهب قد بعث مكانه العاص أخا أبي جهل، ولم يخرج أحد من بني عدي بن كعب، وكان أمية بن خلف شيخًا جسيمًا فأجمع القعود. فأتاه عقبة بن أبي معيط - وهو في المسجد -

بمجمرة وبخور فوضعها بين يديه وقال: أبا علي استجمر! فإنما أنت من النساء. قال: قبحك الله.

فتجهز وخرج معهم وخرج النبي (صلي الله عليه وسلم) في ثامن رمضان واستعمل على المدينة عمرو بن أم مكتوم على الصلاة، ثم رد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، وكان أمام النبي (صلي الله عليه وسلم) رايتان سودوان؛ إحداهما مع علي - رضي الله عنه - والأخرى مع رجل أنصاري، وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ فكان مع المسلمين سبعون بعيرًا يعتقبونها وكانوا يوم بدر ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً.

فكان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وعلي ومرثد بن أبي مرثد يعتقبون بعيرًا، وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرًا. فلما قرب النبي (صلي الله عليه وسلم) من الصفراء بعث اثنين يتجسسان أمر أبي سفيان. وأتاه الخبر بخروج نفير قريش فاستشار الناس فقالوا خيرًا، وقال المقداد بن الأسود: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى:{فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ} [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) له خيرًا ودعا له وقال سعد بن معاذ: يا رسول الله، والله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك. فسر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قوله وقال: سيروا وأبشروا، فإن ربي قد وعدني إحدى الطائفتين: إما العير وإما النفير.

وسار حتى نزل قريبًا من بدر. فلما أمسى بعث عليًّا والزبير وسعدًا في نفر إلى بدر يلتمسون الخبر. فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم وأبو يسار من مواليهم فأتوا بهما النبي (صلي الله عليه وسلم). فسألوهما فقالا: نحن سقاة لقريش. فكره الصحابة هذا الخبر ورجوا أن يكونوا سقاة للعير. فجعلوا يضربونهما فإذا آلمهما الضرب قالا: نحن من عير أبي سفيان. وكان النبي (صلي الله عليه وسلم) يصلي فلما سلم قال: إذا صدقا ضربتموها وإذا كذبا تركتموهما، ثم قال:

أخبراني أين قريش؟ قالا: هم وراء هذا الكثيب. فسألهما: كم ينحرون كل يوم؟ قالا: عشرًا من الإبل أو تسعاً: فقال: القوم ما بين التسعمائة إلى الألف. وأما اللذان بعثهما النبي (صلي الله عليه وسلم) يتجسسان فأناخا بقرب ماء بدر واستقيا في شنهما ومجدي بن عمرو بقربهما لم يفطنا به، فسمعا جاريتين من جواري الحي تقول إحداهما للأخرى: إنما نأتي العير غدًا أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك. فصرفهما مجدي وكان عينا لأبي سفيان، فرجعا إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) فأخبراه. ولما قرب أبو سفيان من بدر تقدم وحده حتى أتى ماء بدر فقال لمجدي: هل أحسست أحدا؟ فذكر له الراكبين. فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففته، فإذا فيه النوى فقال: هذه والله علائف يثرب. فرجع سريعًا فصرف العير عن طريقها وأخذ طريق الساحل وأرسل يخبر قريشًا أنه قد نجا فارجعوا. فأبى أبو جهل وقال: والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر ونقيم عليه ثلاثًا فتهابنا العرب أبدًا.

ورجع الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة ببني زهرة كلهم، وكان فيهم مطاعا، ثم نزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادي.

وسبق النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى ماء بدر. ومنع قريشًا من السبق إلى الماء مطر عظيم لم يصب المسلمين منه إلا ما لبد لهم الأرض. فنزل النبي (صلي الله عليه وسلم) على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة. فقال الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله، فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال: بل الرأي والحرب والمكيدة. قال: يا رسول الله، إن هذا ليس لك بمنزل فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضًا فنملأه ماء فنشرب ولا يشربون. فاستحسن النبي (صلي الله عليه وسلم) ذلك من رأيه وفعل ما أشار به وأمر بالقلب فغورت وبنى حوضًا وملأه ماء. وبني لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) عريش يكون فيه ومشى النبي (صلي الله عليه وسلم) على موضع الوقعة فأرى أصحابه مصارع قريش يقول: هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان. قال: فما عدا واحد منهم مصرعه ذلك، ثم بعثت قريش فحزروا المسلمين. وكان فيهم فارسان: المقداد والزبير. وأراد

عتبة بن ربيعة وحكيم بن حزام قريشًا على الرجوع فأبوا. وكان الذي صمم على القتال أبو جهل. فارتحلوا من الغد قاصدين نحو الماء.

فلما رآهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مقبلين قال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم أحنهم الغداة. وقال (صلي الله عليه وسلم) وقد رأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل أحمر إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا، وكان خفاف بن إيماء بن رحضة الغفاري بعث إلى قريش حين مروا به بجزائر هدية وقال: إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا. فأرسلوا إليه: أن وصلتك رحم قد قضيت الذي ينبغي فلعمري لئن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا ضعف، وإن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد ما لأحد بالله من طاقة فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): دعوهم.

فما شرب يومئذ رجل إلا قتل إلا ما كان من حكيم بن حزام، ثم إنه أسلم بعد وكان إذا اجتهد في يمينه قال: لا والذي نجاني يوم بدر.

ثم بعثت قريش عمير بن وهب الجمحي ليحزر المسلمين. فجال بفرسه حول العسكر، ثم رجع إليهم فقال: ما رأيت شيئا. ولكن قد رأيت - يا معشر قريش - البلايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع. قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك إلى أن لا تزال تذكر بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عامر بن الحضرمي. قال: قد فعلت. أنت علي بذلك إنما هو حليفي فعلي عقله وما أصيب من ماله. فائت ابن الحنظلية - والحنظلية أم أبي جهل - فإني لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره، ثم قام عتبة خطيبا فقال: يا معشر قريش، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدًا وأصحابه شيئًا.

والله لئن صبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه الرجل يكره النظر إليه قتل

ابن عمه وابن خاله أو رجلاً من عشيرته. فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب فإن أصابوه فذاك وإن كان غير ذلك أكفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون قال حكيم: فأتيت أبا جهل فوجدته قد شد درعا من جرابها فهو يهيؤها قلت: يا أبا الحكم، إن عتبة قد أرسلني بكذا وكذا. فقال: انتفخ والله سحره حين رأى محمدًا وأصحابه. كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد. وما بعتبة ما قال ولكنه قد رأى محمدًا وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه قد تخوفكم عليه، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك. فقام عامر فكشف رأسه وصرخ: واعمراه واعمراه، فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوسقوا على ما هم عليه من الشر، وأفسد على الناس رأي عتبة الذي دعاهم إليه فلما بلغ عتبة قول أبي جهل: انتفخ والله سحره قال: سيعلم مصفر أسته من انتفخ سحره. ثم التمس عتبة بيضة لرأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعة من عظم هامته فاعتجر على رأسه ببرد له.

وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي - وكان شرسًا سيئ الخلق - فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه. وأتاه فخرج إليه حمزة ابن عبد المطلب فالتقيا فضربه حمزة فقطع ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دمًا، ثم جاء إلى الحوض حتى اقتحم فيه ليبر يمينه واتبعه حمزة فقتله في الحوض، ثم إن عتبة بن ربيعة خرج للمبارزة بين أخيه شيبة، وابنه الوليد بن عتبة ودعوا للمبارزة، فخرج إليه عوف ومعوذ ابنا عفراء وآخر من الأنصار، فقالوا: من أنتم؟ قالوا: من الأنصار. قالوا: ما لنا بكم من حاجة ليخرج إلينا أكفاؤنا من قومنا. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): قم يا عبيدة بن الحارث، ويا حمزة، ويا علي، فلما دنوا منهم قالوا: من أنتم؟ فتسموا لهم، فقال: أكفاء كرام. فبارز عبيدة - وكان أسن القوم - عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد.

فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله. وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله. واختلف عتبة وعبيدة بينهما ضربتين: كلاهما أثبت صاحبه وكر علي وحمزة على عتبة فدفقا عليه، واحتملا عبيدة إلى أصحابهما.

ثم تزاحف الجمعان. وقد أمر النبي (صلي الله عليه وسلم) أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم وقال: انضحوهم عنكم بالنبل. وهو (صلي الله عليه وسلم) في العريش معه أبو بكر. وذلك يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان، ثم عدل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الصفوف بنفسه ورجع إلى العريش ومعه أبو بكر فقط، فجعل يناشد ربه ويقول: يا رب، إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد في الأرض. وأبو بكر يقول: يا نبي الله بعض مناشدتك ربك. فإن الله منجز لك ما وعدك، ثم خفق (صلي الله عليه وسلم) فانتبه وقال: أبشر يا أبا بكر، أتاك النصر هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع فرمي مهجع - مولى عمر - بسهم فكان أول قتيل في سبيل الله. ثم رمي حارثة بن سراقة النجاري بسهم وهو يشرب من الحوض فقتل، ثم خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى الناس يحرضهم على القتال. فقاتل عمير ابن الحمام حتى قتل، ثم قاتل عوف بن عفراء - وهي أمه - حتى قتل، ثم إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) رمى المشركين بحفنة من الحصباء وقال: شاهت الوجوه.

وقال لأصحابه: شدوا عليهم. فكانت الهزيمة وقتل الله من قتل من صناديد الكفر: فقتل سبعون وأسر مثلهم ورجع النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى العريش. وقام سعد بن معاذ على الباب بالسيف في نفر من الأنصار يخافون على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كرة العدو ثم قال النبي (صلي الله عليه وسلم) لأصحابه: إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي أحدًا من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هاشم بن الحارث فلا يقتله، ومن لقي العباس فلا يقتله، فإنه إنما خرج مستكرها. فقال أبو حذيفة: أنقتل آباءنا وإخواننا ونترك العباس والله لئن لقيته لألجمنه بالسيف. فبلغت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال لعمر: يا أبا حفص، أيضرب وجه عم رسول الله؟ فقال عمر: دعني فلأضرب عنق هذا المنافق. فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا آمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عني الشهادة. فاستشهد يوم اليمامة وكان أبو البختري أكف القوم عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وقام في نقض الصحيفة. فلقيه المجذر بن زياد البلوي حليف الأنصار فقال: إن رسول الله

(صلى الله عليه وسلم) قد نهانا عن قتلك. فقال: وزميلي جنادة الليثي فقال المجذر: لا والله ما أمرنا إلا بك وحدك.

فقال: لأموتن أنا وهو ولا يتحدث عني نساء مكة أني تركت زميلي حرصًا على الحياة. فاقتتلا فقتله المجذر. ثم أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى إلا أن يقاتلني وعن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - قال: كان أمية بن خلف صديقًا لي بمكة. قال فمررت به ومعي أدراع قد استلبتها فقال لي: هل لك في فأنا خير لك من الأدراع؟ قلت: نعم ها الله إذن. وطرحت الأدراع فأخذت بيده ويد ابنه وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط أما لكم حاجة في اللبن يعني: من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن، ثم جئت أمشي بهما فقال لي أمية: من الرجل المعلم بريشة نعامة في صدره قلت: حمزة. قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل. فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال؛ وكان يعذب بلالا بمكة فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا. قال: أتسمع يا بن السوداء ما يقول، ثم صرخ بلال بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا. قال: فأحاطوا بنا وأنا أذب عنه. فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع فصاح أمية صيحة عظيمة فقلت: انج بنفسك ولا نجاء فوالله ما أغني عنك شيئًا. فهبروهما بأسيافهم. فكان يقول: رحم الله بلالاً ذهبت أدراعي وفجعني بأسيري.

وروى ابن عباس - رضي الله عنهما - عن رجل من غفار قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الدائرة على من تكون فننتهب. فبينما نحن في الجبل؛ إذ دنت منا سحابة فسمعت فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم. فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت.

رواه عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عمن حدثه عن ابن عباس.

وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة قال: لو كان معي بصري وكنت ببدر لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة.

وعن أبي داود المازني قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر

لأضربه بالسيف؛ إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قتله غيري.

وعن ابن عباس قال: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر.

وأما أبو جهل بن هشام فاحتمى في مثل الحرجة - وهو الشجر الملتف - وبقي أصحابه يقولون: أبو الحكم لا يوصل إليه. قال معاذ بن عمرو بن الجموح: فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه فلما أمكنني حملت عليه فضربت ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه.

فوالله ما أشبهها حين طارت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين تضرب بها، فضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي وأجهضني القتال عنه. فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي. فلما آذتني وضعت عليها قدمي، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها. قال: ثم عاش بعد ذلك إلى زمن عثمان، ثم مر بأبي جهل معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته وتركه وبه رمق. وقاتل معوذ حتى قتل. وقتل أخوه عوف قبله. واسم أبيهما: الحارث بن رفاعة بن الحارث الزرقي، ثم مر عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر النبي (صلي الله عليه وسلم) بالتماسه وقال فيما بلغنا: إن خفي عليكم في القتلى فانظروا إلى أثر جرح في ركبته، فإني ازدحمت أنا وهو يومًا على مأدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان؛ وكنت أشف منه بيسير فدفعته فوقع على ركبته فجحش فيها. قال ابن مسعود: فوجدته بآخر رمق فوضعت رجلي على عنقه وقد كان ضبث بي مرة بمكة فآذاني ولكزني. فقلت له: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزاني وهل فوق رجل قتلتموه أخبرني لمن الدائرة اليوم قلت: لله ولرسوله.

قال: لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعبًا. قال: فاحتززت رأسه وجئت به رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقلت: يا رسول الله، هذا رأس عدو الله أبي جهل. قال: الله الذي لا إله غيره قلت: نعم. وألقيت الرأس بين يدي النبي (صلي الله عليه وسلم)، ثم أمر بالقتلى أن يطرحوا في قليب هناك فطرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه فملأها فذهبوا ليخرجوه فتزايل فأقروه به وألقوا عليه التراب فغيبوه.

فلما ألقوا في القليب وقف عليهم النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال: يا أهل القليب، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا.

فقالوا: يا رسول الله، أتنادي أقوامًا قد جيفوا؟ فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يستطيعون أن يجيبو.

ثم بعث النبي (صلي الله عليه وسلم) عبد الله بن رواحة، وزيد بن حارثة بشيرين إلى المدينة. قال أسامة: أتانا الخبر حين سوينا على رقية بنت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قبرها كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) خلفني عليها مع عثمان، ثم قفل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ومعه الأسارى، فيهم: عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، فلما خرج من مضيق الصفراء قسم النفل، فلما أتى الروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بالفتح، فقال لهم سلمة بن سلامة: ما الذي تهنئوننا به؟ فوالله إن لقينا إلا عجائز صلعًا كالبدن المعقلة فنحرناها، فتبسم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وقال: أي ابن أخي أولئك الملأ. يعني: الأشراف والرؤساء.

ثم قتل النضر بن الحارث العبدري بالصفراء، وقتل بعرق الظبية عقبة بن أبي معيط.

فقال عقبة حين أمر النبي (صلي الله عليه وسلم) بقتله: من للصبية يا محمد، قال: النار. فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح. وقيل: علي - رضي الله عنه.

وعن الشعبي قال: لما أمر النبي (صلي الله عليه وسلم) بقتل عقبة قال: أتقتلني يا محمد من بين قريش؟ قال: نعم أتدرون ما صنع هذا بي؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفع حتى ظننت أن عيني ستندران. وجاء مرة أخرى بسلى شاة فألقاه على رأسي، وأنا ساجد فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي.

واستشهد يوم بدر: مهجع وذو الشمالين عمير بن عبد عمرو الخزاعي، وعاقل بن البكير، وصفوان بن بيضاء، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد، وعبيدة بن

الحارث بن المطلب بن عبد مناف المطلبي الذي قطع رجله عتبة مات بعد يومين بالصفراء. وهؤلاء من المهاجرين.

وعمير بن الحمام، وابنا عفراء، وحارثة بن سراقة، ويزيد بن الحارث فسحم ورافع بن المعلي الزرقي، وسعد بن خيثمة الأوسي، ومبشر بن عبد المنذر أخو أبي لبابة فالجملة أربعة عشر رجلاً.

وقتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة وهما ابنا أربعين ومائة سنة. وكان شيبة أكبر بثلاث سنوات.

قال ابن إسحاق: وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش: الحيسمان بن عبد الله الخزاعي. فقالوا: ما وراءك؟ قال: قتل عقبة وشيبة، وأبو جهل، وأمية، وزمعة بن الأسود، ونبيه ومنبه، وأبو البختري ابن هشام.

فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر: والله إن يعقل هذا فاسألوه عني، فقالوا: ما فعل صفوان؟ قال: ها هو ذاك جالس قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا.

وعن أبي رافع مولى النبي (صلي الله عليه وسلم) قال: كنت غلامًا للعباس وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه ويكره الخلاف ويكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فلما جاءه الخبر بمصاب قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزا وكنت رجلاً ضعيفًا وكنت أنحت الأقداح في حجرة زمزم، فإني لجالس أنحت أقداحي وعندي أم الفضل وقد سرنا الخبر؛ إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره إلى ظهري، فبينا هو جالس؛ إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قَدِمَ، فقال أبو لهب: إلي فعندك الخبر. قال: فجلس إليه والناس قيام عليه فقال: يا بن أخي، أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا وأيم الله ما لمت الناس لقينا رجالاً بيضًا على خيل بلق بين السماء والأرض والله ما تليق شيئًا

ولا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت: تلك والله الملائكة. فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة. قال: وثاورته فحملني وضرب بي الأرض، ثم برك علي يضربني وكنت رجلاً ضعيفًا. فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة، فأخذته فضربته به ضربة فلقيت في رأسه شجة منكرة وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده فقام موليًّا ذليلاً. فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته.

وكانت قريش تتقي هذه العدسة كما يتقي الطاعون. حتى قال رجل من قريش لا بنيه: ويحكما أما تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تدفنانه فقالا: نخشى عدوى هذه القرحة. فقال: انطلقا فأنا أعينكما فوالله ما غسلوه إلا قذفًا بالماء عليه من بعيد، ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار، ثم رضموا عليه الحجارة.

قال ابن إسحاق: ثم بعثت قريش في فداء الأسارى، فقدم مكرز بن حفص في فداء سهيل بن عمرو. فقال عمر - رضي الله عنه: دعني يا رسول الله، أنزع ثنيتي سهيل فلا يقوم عليك خطيبًا في موطن أبدًا فقال: لا أمثل به فيمثل الله بي وعسى أن يقوم مقامًا لا تذمه، فقام في أهل مكة بعد وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم) بنحو من خطبة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وحسن إسلامه.

وانسل المطلب بن أبي وداعة ففدى أباه بأربعة آلاف درهم وانطلق به.

وبعثت زينب بنت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في فداء زوجها أبي العاص بن الربيع بن عبد شمسن بمال.

وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص، فلما رآها رسول الله (صلي الله عليه وسلم) رق لها وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها. قالوا: نعم يا رسول الله، وأطلقوه.

فأخذ عليه النبي (صلي الله عليه وسلم) أن يخلي سبيل زينب وكانت من المستضعفين من النساء. واستكتمه النبي (صلي الله عليه وسلم) ذلك. وبعث زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار فقال: كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحبانها حتى تأتياني بها وذلك بعد بدر بشهر، فلما قدم أبو العاص مكة أمرهم باللحوق بأبيها فتجهزت، فقدم أخو زوجها كنانة ابن الربيع بعيرًا فركبته وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهارًا يقودها. فتحدث بذلك رجال فخرجوا في طلبها، فبرك كنانة ونثر كنانته لما أدركوها بذي طوى فروعها هبار بن الأسود بالرمح. فقال كنانة: والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهما، فتكركر الناس عنه، وأتى أبو سفيان في أجلة من قريش فقال: أيها الرجل، كف عنا نبلك حتى نكلمك، فكف، فوقف عليه أبو سفيان فقال: إنك لم تصب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد فيظن الناس إذا خرجت بابنته إليه علانية أن ذلك على ذلك أصابنا وأن ذلك منا وهن وضعف ولعمري ما بنا بحبسها عن أبيها من حاجة، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أنا رددناها فسلها سرًا وألحقها بأبيها. قال: ففعل. ثم خرج بها ليلاً بعد ليال فسلمها إلى زيد وصاحبه، فقدم بها على النبي (صلي الله عليه وسلم) فأقامت عنده.

فلما كان قبل الفتح خرج أبو العاص تاجرًا إلى الشام بماله وبمال كثير لقريش، فلما رجع لقيته سرية فأصابوا ما معه وأعجزهم هاربًا فقدموا بما أصابوا، وأقبل أبو العاص في الليل حتى دخل على زينب فاستجار بها فأجارته وجاء في طلب ماله، فلما خرج النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى الصبح فكبر وكبر الناس معه صرخت زينب من صفة النساء: أيها الناس، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع وبعث النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى السرية الذين أصابوا ماله فقال: إن هذا الرجل منا حين قد علمتم وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به. قالوا: بل نرده فردوه كله، ثم ذهب به إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال ماله. ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد عندي منكم مال؟ قالوا: لا فجزاك الله خيرًا فقد وجدناه وفيًّا كريمًا. قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن

محمدًا عبده ورسوله. والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أني إنما أردت أكل أموالكم، ثم قَدِمَ على رسول الله (صلي الله عليه وسلم). فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: رد عليه النبي (صلي الله عليه وسلم) زينب على النكاح الأول لم يحدث شيئًا.

ومن الأسارى: الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي أسره عبد الله بن جحش وقيل: سليط المازني وقدم في فدائه أخواه: خالد بن الوليد، وهشام بن الوليد فافتكاه بأربعة آلاف درهم وذهبا به.

فلما افتدي أسلم فقيل له في ذلك فقال: كرهت أن تظنوا بي أني جزعت من الأسر فحبسوه بمكة، وكان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يدعو له في القنوت، ثم هرب ولحق برسول الله (صلي الله عليه وسلم) بعد الحديبية. وتوفي قديمًا؛ لعل في حياة النبي (صلي الله عليه وسلم)، ومن الأسرى: أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي. كان محتاجًا ذات بنات قال للنبي (صلي الله عليه وسلم): قد عرفت أني لا مال لي وأني ذو حاجة وعيال فامنن علي، فمن عليه وشرط عليه أن لا يظاهر عليه أحدًا.

وقال عروة بن الزبير: جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر بيسير في الحجر، وكان عمير من شياطين قريش وممن يؤذي المسلمين، وكان ابنه وهيب في الأسرى فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان: والله إن في العيش بعدهم لخير فقال عمير: صدقت والله لولا دين علي ليس عندي له قضاء وعيال أخشى عليهم لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علة؛ ابني أسير في أيديهم فاغتنمها صفوان فقال: علي دينك وعيالك. قال: فاكتم علي، ثم شحذ سيفه وسمه ومضى إلى المدينة فبينا عمر في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر؛ إذ نظر عمر - رضي الله عنه - إلى عمير حين أناخ على باب المسجد متوشحًا بالسيف. فقال: هذا الكلب عدو الله عمير وهو الذي حزرنا يوم بدر، ثم دخل على النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال: هذا عمير. قال: أدخله علي. فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه به وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فاجلسوا عنده واحذروا عليه هذا الخبيث، ثم دخل به فقال: أرسله

يا عمر أدن يا عمير. فدنا ثم قال: أنعموا صباحًا قال: فما جاء بك؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم. قال: فما بال السيف في عنقك قال: قبحها الله من سيوف وهل أغنت شيئًا قال: أصدقني ما الذي جئت له؟ قال: ما جئت إلا لذلك. قال: بلى قعدت أنت وصفوان في الحجر. وقص له ما قالا. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسوله. قد كنا يا رسول لله، نكذبك بما تأتينا به من خبر السماء وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للإسلام. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): فقهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره. ففعلوا ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جاهدًا على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعو إلى الله ورسوله لعل الله أن يهديهم. وإلا آذيتهم في دينهم. فأذن له ولحق بمكة. وكان صفوان يعد قريشًا يقول: ابشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر. وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكبًا فأخبره عن إسلامه فحلف لا يكلمه أبدًا ولا ينفعه بشيء أبدًا، ثم أقام يدعو إلى الإسلام ويؤذيهم. فأسلم على يديه ناس كثير.

وقتل من المشركين: حنظلة بن أبي سفيان بن حرب، وعبيد بن سعيد بن العاص، وأخوه العاص، وعتبة وشيبة وابنا ربيعة وولد عتبة الوليد وعقبة بن أبي معيط قتل صبرًا، والحارث بن عامر النوفلي، وابن عمه طعيمة بن عدي وزمعة بن الأسود وابنه: الحارث، وأخوه عقيل وأبو البختري ابن هشام بن الحارث بن أسد - واسمه العاص - ونوفل بن خويلد أخو خديجة، والنضر بن الحارث قتل صبرًا بعد يومين وعمير بن عثمان التيمي عم طلحة بن عبيد الله، وأبو جهل وأخوه العاص بن هشام، ومسعود بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة، وأبو قيس أخو خالد بن الوليد، والسائب بن أبي السائب المخزومي، وقيل: لم يقتل بل أسلم بعد ذلك، وقيس بن الفاكه بن المغيرة ومنبه ونبيه ابنا الحجاج بن عامر السهمي، وولدا منبه الحارث والعاص، وأمية بن خلف الجمحي، وابنه علي.

وذكر ابن إسحاق وغيره سائر المقتولين وكذا سمي الذين أسروا.

وفي رمضان فرض الله صوم رمضان، ونسخ فريضة يوم عاشوراء وفي

آخره فرضت الفطرة.

وفي شوال دخل النبي (صلي الله عليه وسلم) بعائشة وهي بنت تسع سنين.

وفي صفر توفي أبو جبير المطعم بن عدي بن نوفل - ونوفل أخو هاشم بن عبد مناف بن قصي - توفي مشركا عن سن عالية، وكان من عقلاء قريش وأشرافهم.

وهو الذي قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : لو كان المطعم بن عدي حيا وكلمني في هؤلاء النتنى لأجبته، وكانت له عند النبي (صلي الله عليه وسلم) يد؛ لأنه قام في نقض الصحيفة.

وفيها: ولد عبد الله بن الزبير بالمدينة، والمسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم بمكة.

* * *

سرية عمير بن عدي الخطمي

ذكر الواقدي أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بعثه لخمس بقين من رمضان إلى عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد، كانت تعيب الإسلام وتحرض على النبي (صلي الله عليه وسلم) وتقول الشعر. فجاءها عمير بالليل فقتلها غيلة.

* * *

غزوة بني سليم

قال ابن إسحاق: لم يقم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من صرفه عن بدر بالمدينة إلا سبعة أيام، ثم خرج بنفسه يريد بني سليم، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وقيل: ابن أم مكتوم.

فبلغ ماء يقال له: الكدر. فأقام عليه ثلاثًا ثم انصرف ولم يلق أحدا.

* * *

سرية سالم بن عمير لقتل أبي عفك

وذكر الواقدي أن أبا عفك اليهودي كان قد بلغ مائة وعشرين سنة وهو من بني عمرو بن عوف كان يؤذي النبي (صلي الله عليه وسلم) ويقول الشعر ويحرض عليه، فانتدب له سالم بن عمير؛ فقتله غيلة في شوال منها.

* * *

غزوة السويق

في ذي الحجة عن ابن شهاب كان أبو سفيان بن حرب حين بلغه وقعة بدر نذر أن لا يمس رأسه دهن ولا غسل ولا يقرب أهله حتى يغزو محمدًا ويحرق في طوائف المدينة، فخرج من مكة سرًا خائفًا في ثلاثين فارسًا ليحل يمينه، فنزل بجبل من جبال المدينة يقال له: ثيب. فبعث رجلاً أو رجلين من أصحابه وأمرهم أن يحرقا أدنى نخل يأتيانه من نخل المدينة.

فوجدا صورًا من صيران نخل العريض، فأحرقا فيها وانطلقا وانطلق أبو سفيان مسرعًا وخرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في المسلمين حتى بلغ قرقرة الكدر ففاته أبو سفيان فرجع.

وقال: وركب المسلمون في آثارهم فأعجزوهم وتركوا أزوادهم.

فسميت غزوة أبي سفيان: غزوة السويق.

وفي هذه السنة: تزوج عثمان بأم كلثوم، وفيها تزوج علي بفاطمة الزهراء رضي الله عنهم.

عن علي قال: خطبت فاطمة إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقالت لي مولاة لي علمت أن فاطمة خطبت إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قلت: لا. قالت: فما يمنعك أن تأتيه فيزوجك؟ فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟ قالت: إن جئته زوجك. قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله (صلي الله عليه وسلم). وكان لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) جلالة وهيبة. فأفحمت فوالله ما استطعت أن أتكلم. فقال: ما جاء بك ألك حاجة؟ فسكت ثم قال: لعلك جئت تخطب فاطمة قلت: نعم. قال: وهل عندك من شيء تستحلها به

فقلت: لا والله. فقال: ما فعلت درع سلحتكها؟ فوالذي نفس علي بيده إنها لحطمية ما ثمنها أربعة دراهم. فقلت: عندي. قال: قد زوجتكها فابعث إلي بها، فإن الحطمية كانت لصداق - فاطمة رضي الله عنها.

وعن علي - رضي الله عنه قال: جهز رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فاطمة في خميل وقربة ووسادة أدم حشوها إذخر.

* * *

السنة الثالثة غزوة ذي أمر

في المحرم غزا النبي (صلي الله عليه وسلم) نجدًا يريد غطفان واستعمل على المدينة عثمان، فأقام بنجد صفرًا كله ورجع من غير حرب.

* * *

غزوة بحران

قال ابن إسحاق: أقام رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالمدينة ربيع الأول، ثم غزا يريد قريشًا.

قال عبد الملك بن هشام: فبلغ بحران معدنًا بالحجاز فأقام هناك ربيع.

* * *

غزوة بني قينقاع

ذكرها ابن إسحاق هكذا بعد غزوة الفرع.

وأما الواقدي فقال: كانت يوم السبت نصف شوال على رأس عشرين شهرًا من الهجرة. فحاصرهم إلى هلال ذي القعدة.

وقال البكائي: قال ابن إسحاق: ومن حديثهم أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) جمعهم بسوق بني قينقاع ثم قال: يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم. قالوا: يا محمد، إنك ترى أنا كقومك لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة. إنا والله لو حاربتنا لتعلمن أنا نحن الرجال.

وعن أبي عون قال: كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوقهم وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فلم تفعل،

فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا فصاحت.

فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديًّا فشدت اليهودي على المسلم فقتلوه، فأغضب المسلمون ووقع الشر.

وحدثني عاصم قال: فحاصرهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال: يا محمد، أحسن في موالي، فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فقال له رسول الله (صلي الله عليه وسلم): أرسلني وغضب؛ أرسلني ويحك. قال: والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي: أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): هم لك.

وذكر الواقدي: أن النبي (صلي الله عليه وسلم) حاصرهم خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة. وكانوا أول من غدر من اليهود؟ وحاربوا حتى قذف الله في قلوبهم الرعب ونزلوا على حكمه وأن له أموالهم، فأمر (صلي الله عليه وسلم) فكتفوا واستعمل على كتافهم المنذر بن قدامة السلمي، من بني السلم فكلم عبد الله بن أبي بن سلول رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وألح عليه.

فقال: خذهم وأمر بهم أن يجلوا من المدينة وولى إخراجهم منها عبادة بن الصامت، فلحقوا بأذرعات فما كان أقل من بقائهم فيها، وتولى قبض أموالهم محمد بن مسلمة، ثم خمست وأخذ النبي (صلي الله عليه وسلم) من سلاحهم ثلاثة أسياف ودرعين وغير ذلك.

* * *

غزوة بني النضير

عن عروة كانت غزوة بني النضير، وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكانت منازلهم ونخلهم بناحية المدينة، وحاصرهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى نزلوا على الجلاء على أن لهم ما أقلت الإبل إلا السلاح، فأنزلت:{ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِ} [الحشر: ٢]، الآيات.

فأجلاهم إلى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء، وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وقوله " لأول الحشر "؛ أي: كان جلاؤهم ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام.

وعن ابن عمر: إن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربوا بعد ذلك. أخرجه البخاري.

وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي (صلي الله عليه وسلم)، أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبيّ ومن كان يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج قبل وقعة بدر: إنكم آويتم صاحبنا وإنا نقسم بالله لتقاتلنه، أو لتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فبلغه ذلك فلقيهم فقال: لقد بلغ وعد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم. تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم فلما سمعوا ذلك تفرقوا.

فبلغ ذلك كفار قريش فكتبوا بعد بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصن وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء. وهي الخلاخيل فلما بلغ كتابهم النبي (صلي الله عليه وسلم) أجمعت بنو النضير بالغدر. وأرسلوا إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) أخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حبرًا حتى نلتقي بمكان المنصف فيسمعوا منك، فإن صدقوا وآمنوا بك آمنا بك فقص خبرهم فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالكتائب فحصرهم فقال لهم: إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه، فأبوا أن يعطوه عهدا فقاتلهم يومهم ذلك، ثم غدا على بني قريظة بالكتائب وترك بني النضير ودعاهم إلى أن

يعاهدوه. فعاهدوه فانصرف عنهم.

وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، فجلت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبوابهم وخشبهم.

فكان نخل بني النضير لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) خاصة أعطاه الله إياها فقال:{وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ} [الحشر: ٦]، يقول: بغير قتال. فأعطى النبي (صلي الله عليه وسلم) أكثرها المهاجرين وقسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار كانا ذوي حاجة. وبقي منها صدقة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) التي في أيدي بني فاطمة - رضي الله عنها.

وحديث عروة: إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) خرج إلى بني النضير يستعينهم في عقل الكلابيين. وكانوا - زعموا - قد دسوا إلى قريش حين نزلوا بأحد لقتال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فحضرهم على القتال ودلوهم على العورة، فلما كلمهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في عقل الكلابيين قالوا: إجلس يا أبا القاسم، حتى تطعم وترجع بحاجتك ونقوم فنتشاور. فجلس بأصحابه.

فلما خلوا والشيطان معهم ائتمروا بقتل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وقالوا: لن تجدوه أقرب منه الآن فاستريحوا منه تأمنوا، فقال رجل: إن شئتم ظهرت فوق البيت الذي هو تحته فدليت عليه حجرا فقتلته. فأوحى الله إليه فأخبره بشأنهم وعصمه فقام كأنه يقضي حاجة، وانتظره أعداء الله فراث عليهم. فأقبل رجل من المدينة فسألوه عنه فقال: لقيته قد دخل أزقة المدينة. فقالوا لأصحابه: عجل أبو القاسم أن نقيم أمرنا في حاجته، ثم قام أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فرجعوا ونزلت:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ} [المائدة: ١١]، الآية.

وأمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بإجلائهم وأن يسيروا حيث شاءوا،

وكان النفاق قد كثر بالمدينة. فقالوا: أين تخرجنا؟ قال: أخرجكم إلى الحشر. فلما سمع المنافقون ما يراد بأوليائهم أرسلا إليهم: إنا معكم محيانا ومماتنا إن قوتلتم فلكم علينا النص وإن أخرجتم لم نتخلف عنكم. وسيد اليهود أبو صفية حيي بن أخطب، فلما وثقوا بأماني المنافقين عظمت غرتهم ومناهم الشيطان الظهور فنادوا النبي (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه إنا والله لا نخرج ولئن قاتلتنا لنقاتلنك فمضى النبي (صلي الله عليه وسلم) لأمر الله فيهم وأمر أصحابه فأخذوا السلاح، ثم مضى إليهم، وتحصنت اليهود في دورهم وحصونهم. فلما انتهى النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى أزقتهم وحصونهم كره أن يمكنهم من القتال في دورهم وحصونهم وحفظ الله له أمره وعزم له على رشده فأمر أن يهدم الأدنى فالأدنى من دورهم وبالنخل أن تحرق وتقطع، وكف الله أيديهم وأيدي المنافقين فلم ينصروهم وألقى في قلوب الفريقين الرعب، ثم جعلت اليهود كلما خلص رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من هدم ما يلي مدينتهم ألقى الله في قلوبهم الرعب فهدموا الدور التي هم فيها من أدبارها ولم يستطيعوا أن يخرجوا على النبي (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه يهدمون شيئًا فشيئًا.

فلما كادت اليهود أن تبلغ آخر دورها وهم ينتظرون المنافقين وما كانوا منوهم فلما يئسوا مما عندهم سألوا النبي (صلي الله عليه وسلم) الذي كان عرض عليهم قبل ذلك فقاضاهم على أن يجليهم ولهم أن يحملوا ما استقلت به الإبل إلا السلاح. وطاروا كل مطير وذهبوا كل مذهب، ولحق بنو أبي الحقيق بخيبر ومعهم آنية كثيرة من فضة فرآها النبي (صلي الله عليه وسلم) والمسلمون، وعمد حيي بن أخطب حتى قدم مكة على قريش، فاستغواهم على رسول الله (صلي الله عليه وسلم). وبين الله لرسوله حديث أهل النفاق وما بينهم وبين اليهود وكانوا قد عيروا المسلمين حين قطعوا النخل وهدموا. فقالوا: ما ذنب الشجرة وأنتم تزعمون أنكم مصلحون؟ فأنزل الله:{سَبَّحَ لِلَّهِ} [الحشر: ١]، سورة الحشر، ثم جعلها نفلاً لرسوله فقسمها فيمن أراه الله من المهاجرين. وأعطى منها أبا دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف الأنصاريين. وأعطى - زعموا - سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق، وكان إجلاء بني النضير في المحرم سنة ثلاث.

* * *

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

قال ابن إسحاق: وسرية زيد التي بعثه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فيها حين أصاب عير قريش، وفيها أبو سفيان، على القردة، ماء من مياه نجد وكان من حديثها أن قريشا خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام حين جرت وقعة بدر فسلكوا طريق العراق، فخرج منها تجار فيهم أبو سفيان واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل يقال له: فرات بن حيان يدلهم. فبعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) زيد بن حارثة فلقيهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزهم الرجال فقدم بها على رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

* * *

غزوة قرقرة الكدر

قال الواقدي: إنها في المحرم سنة ثلاث، وهي ناحية معدن بني سليم، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم.

وكان (صلي الله عليه وسلم) بلغه أن بهذا الموضع جمعًا من سليم وغطفان. فلم يجد في المجال أحدا ووجد رعاء منهم غلام يقال له: يسار فانصرف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وقد ظفر بالنعم فانحدر به إلى المدينة فاقتسموها بصرار على ثلاث أميال من المدينة وكانت النعم خمسمائة بعير وأسلم يسار.

القرقرة أرض ملساء والكدر طير في ألوانها كدرة ومنهم من يقول: قرارة الكدر يعني: أنها مستقر هذا الطير.

* * *

مقتل كعب بن الأشرف

قال ابن إسحاق من طريق يونس بن بكير: حدثني عبد الله بن أبي بكر، وصالح بن أبي أمامة بن سهل قالا: بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم)

حين فرغ من بدر بشيرين إلى أهل المدينة، فبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة وبعث عبد الله بن رواحة إلى أهل العالية فبشروا ونعوا أبا جهل، وعتبة والملأ من قريش فلما بلغ ذلك كعب بن الأشرف قال: ويلكم أحق هذا هؤلاء ملوك العرب وسادة الناس، ثم خرج إلى أبي وداعة فجعل يبكي على قتلى قريش ويحرض على رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

وقال موسى بن عقبة: كان ابن الأشرف قد آذى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالهجاء وركب إلى قريش فقدم عليهم فاستغواهم على رسول الله فقال له أبو سفيان: أناشدك الله أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه؟ قال: أنتم أهدى منهم سبيلاً، ثم خرج مقبلاً قد أجمع رأي المشركين على قتال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) معلنا بعداوته وهجائه.

فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) يومًا: من لكعب بن الأشرف فقد آذانا بالشعر وقوى المشركين علينا.

فقال محمد بن مسلمة: أنا يا رسول الله، قال: فأنت. فقام فمشى ثم رجع فقال: إني قائل قال: فأنت في حل، فخرج محمد بعد يوم أو يومين حتى أتى كعبًا وهو في حائط فقال: يا كعب، جئت لحاجة، الحديث.

وقال ابن عيينة: قال عمرو بن دينار: سمعت جابرا يقول: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله فقام محمد بن مسلمة، فقال: يا رسول الله، أعجب إليك أن أقتله قال: نعم. قال: فأذن لي أن أقول شيئًا. قال: قل. فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة وقد عنانا وإني قد أتيتك أستسلفك. قال: وأيضًا لتملنه. قال: إنا قد اتبعناه فنكره أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا. قال: أرهنوني نساءكم. قال: نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب قال: فارهنوني أبناءكم. قال: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب قال: فارهنوني أبناءك. قال: كيف نرهنك أبناءنا فيقال رهن بوسق أو وسقين قال: فأي شيء قال: نرهنك اللأمة. فواعده أن يأتيه ليلاً فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة فدعاه من الحصن فنزل إليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ قال: إنما هو أخي أبو نائلة، ومحمد بن مسلمة إن الكريم لو دعي إلى

طعنة بليل لأجاب. قال محمد: إني إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه، ثم أشمكم فإذا رأيتموني أثبت يدي فدونكم. فنزل إليهم متوشحًا وهو ينفح منه ريح الطيب فقال محمد: ما رأيت كاليوم ريحا أي أطيب أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم. فشمه ثم شم أصحابه ثم قال: أتأذن لي؟ يعني ثانيًا، قال: نعم. فلما استمكن منه قال: دونكم.

فضربوه فقتلوه. وأتوا النبي (صلي الله عليه وسلم) فأخبروه. أخرجه البخاري.

قال ابن إسحاق: وأطلق رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قتل اليهود وقال: من ظفرتم به من اليهود فاقتلوه.

وحينئذ أسلم حويصة بن مسعود، وكان قد أسلم قبله أخوه محيصة، فقتل محيصة بن سنينة اليهودي التاجر فقام محيصة قبل أن يسلم وجعل يضرب أخاه ويقول: أي عدو الله قتلته أما والله لرب شحم في بطنك من ماله. فقال: والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك. قال: والله إن دينا بلغ بك هذا لعجب. فأسلم حويصة.

وفي رمضان: ولد السيد أبو محمد الحسن بن علي - رضي الله عنهما.

وتزوج النبي (صلي الله عليه وسلم) بحفصة بنت عمر.

وفي هذه السنة: تزوج أيضًا بزينب بنت خزيمة من بني عامر بن صعصعة - وهي أم المساكين - فعاشت عنده شهرين أو ثلاثة وتوفيت.

وقيل: أقامت عنده ثمانية أشهر والله تعالى أعلم.

* * *

غزوة أحد

وكانت في شوال قال شيبان عن قتادة: واقع نبي الله (صلي الله عليه وسلم) يوم أحد من العام المقبل بعد بدر في شوال يوم السبت لإحدى عشرة ليلة مضت من شوال.

عن ابن إسحاق قال: كان من حديث أحد، كما حدثني الزهري، ومحمد بن

يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر والحصين بن عبد الرحمن، وغيرهم كل قد حدث بعض الحديث وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت في هذا الحديث عن يوم أحد، أن كفار قريش لما أصيب منهم أصحاب القليب ورجع فلهم إلى مكة ورجع أبو سفيان ابن حرب بالعير مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان ومن كان له في تلك العير تجارة فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأرًا بمن أصاب منا.

فاجتمعوا لحرب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حين فعل ذلك أبو سفيان، وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة.

وكان أبو عزة الجمحي قد من عليه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وكان ذا عيال وحاجة فقال: يا رسول الله، إني فقير ذو عيال وحادة فامنن علي. فقال له صفوان: يا أبا عزة، إنك أمرؤ شاعر فأعنا بلسانك فاخرج معنا فقال: إن محمدًا قد من علي فلا أريد أن أظاهر عليه. قال: بلى فأعنا بنفسك فلك الله علي إن رجعت أن أعينك، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر. فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو كنانة ويقول:

إيها بني عبد مناة الرزام ::: أنتم حماة وأبوكم حام

لا يعدوني نصركم بعد العام ::: لا تسلموني لا يحل إسلام

وخرج مسافع بن عبد مناف الجمحي إلى بني مالك بن كنانة يدعوهم إلى حرب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ويقول شعرًا. ودعا جبير بن مطعم غلامًا له حبشيًّا يقال له: وحشي يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له: أخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق. فخرجت قريش بحدها وحديدها وأحابيشها ومن تابعها وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة وأن لا يفروا. وخرج أبو سفيان وهو قائد الناس بهند بنت عتبة وخرج عكرمة بأم حكيم بنت الحارث بن هشام حتى نزلوا بعينين بجبل أحد ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة

وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها، وكان يكره الخروج إليهم، فقال رجال ممن فاته يوم بدر: يا رسول الله، أخرج بنا إليهم لا يرون أنا جبنا عنهم.

فلم يزالوا برسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى دخل فلبس لأمته وذلك يوم الجمعة حين فرغ الناس من الصلاة، فذكر خروجه وانخزال ابن أبي بثلث الناس فاتبعهم عبد الله والد جابر يقول: أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم.

قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكنا لا نرى أنه يكون قتال. وقالت الأنصار: يا رسول الله، ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟ قال: لا حاجة لنا فيهم. ومضى حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل فجعل ظهره وعسكره إلى أحد وقال: لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال. وتعبأ للقتال وهو في سبعمائة وأمر على الرماة عبد الله بن جبير وهم خمسون رجلاً فقال: انضحوا عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كنت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا تؤتين من قبلك وظاهر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بين درعين ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير.

وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على الميمنة خالدًا وعلى الميسرة عكرمة.

وعن سعيد بن المسيب قال: كانت راية رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يوم أحد مرطا أسود كان لعائشة وراية الأنصار يقال لها: العقاب وعلى ميمنته علي وعلى ميسرته المنذر ابن عمرو الساعدي والزبير بن العوام كان على الرجال، ويقال: المقداد بن الأسود، وكان حمزة على القلب واللواء مع مصعب فقتل فأعطاه النبي (صلي الله عليه وسلم) عليا: قال: ويقال: كانت ثلاثة ألوية لواء إلى مصعب بن عمير للمهاجرين، ولواء إلى علي، ولواء إلى المنذر.

وقال ثابت عن أنس أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أخذ سيفًا يوم أحد فقال: من يأخذ مني هذا السيف بحقه فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول: أنا أنا. فقال من يأخذه بحقه فأحجم القوم فقال له: أبو دجانة سماك: أنا آخذه

بحقه. قال: فأخذه ففلق به هام المشركين. أخرجه مسلم.

وقال ابن إسحاق: حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بني ساعدة فقال: وما حقه؟ قال: أن تضرب به في العدو حتى ينحني. قال: فأنا آخذه يا رسول الله، فأعطاه إياه وكان أبو دجانة رجلاً شجاعًا يختال عند الحرب، وكان إذا قاتل علم بعصابة له حمراء فاعتصب بها على رأسه، ثم جعل يتبختر بين الصفين. فبلغنا أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال حين رآه يتبختر:(**إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن**).

وقال عمرو بن عاصم الكلابي: حدثني عبيد الله بن الوزاع حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن الزبير بن العوام قال: عرض رسول الله (صلي الله عليه وسلم) سيفًا يوم أحد فقال:(**من يأخذه بحقه**) فقمت فقلت: أنا يا رسول الله، فأعرض عني، ثم قال:(**من يأخذ هذا السيف بحقه**) فقام أبو دجانة سماك ابن خرشة فقال: أنا يا رسول الله، فما حقه؟ قال:(**أن لا تقتل به مسلمًا ولا تفر به عن كافر**). قال: فدفعه إليه وكان إذا أراد القتال أعلم بعصابة فقلت: لأنظرن اليوم كيف يصنع؟ قال: فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه حتى انتهى إلى نسوة في سفح جبل معهن دفوف لهن فيهن امرأة وهي تقول:

نحن بنات طارق ::: نمشي على النمارق

إن تقبلوا نعانق ::: أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق

قال: فأهوى بالسيف إلى امرأة ليضربها، ثم كف عنها، فلما انكشف القتال قلت له: كل عملك رأيت ما خلا رفعك السيف على المرأة، ثم لم تضربها، قال: أكرمت سيف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن أقتل به امرأة.

وروى جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر، عن معاوية بن معبد بن كعب بن مالك أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال حين رأى أبا دجانة يتبختر: إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن.

وعن الزهري وغيره إن رجلاً من المشركين خرج يوم أحد فدعا إلى البراز فأحجم الناس عنه حتى دعا ثلاثًا وهو على جمل له فقام إليه الزبير فوثب

حتى استوى معه على بعيره، ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير جميعًا فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): الذي يلي حضيض الأرض مقتول. فوقع المشرك ووقع عليه الزبير فذبحه، ثم إن النبي (صلي الله عليه وسلم) قرب الزبير فأجلسه على فخذه وقال: إن لكل نبي حواريًّا والزبير حواري.

قال ابن إسحاق: واقتتل الناس حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب وآخرون.

وقال زهير بن معاوية: ثنا أبو إسحاق سمعت البراء يحدث قال: جعل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين عبد الله بن جبير، وقال: إذا رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم قال: فهزمهم. فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل قد بدت خلاخيلهن وسوقهن رافعات ثيابهن. فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم، فما تنتظرون فقال عبد الله لهم: أنسيتم ما قال لكم رسول الله (صلي الله عليه وسلم)؟ فقالوا: لنأتين الناس فلنصيبين من الغنيمة فأتوهم فصرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين. فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخراهم. فلم يبق مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلا اثنا عشر رجلاً، فأصابوا منا سبعين.

فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد أفي القوم محمد؟ ثلاث مرات. فنهاهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن يجيبوه. ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فأي القوم ابن أبي قحافة، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاثا، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا. فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوؤك. فقال: يوم بيوم بدر والحرب سجال إنكم ستجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: أعل هبل أعل هبل.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): ألا تجيبوه؟ قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجل، ثم قال: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم). ألا تجيبوه؟ قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. أخرجه البخاري.

عن محمود بن عمرو بن يزيد بن السكن، أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال يوم أحد حين غشيه القوم: من رجل يشري منا نفسه فقام زياد بن السكن في خمسة من الأنصار، وبعض الناس يقول: هو عمارة بن زياد بن السكن فقاتلوا دون رسول الله (صلي الله عليه وسلم) رجل، ثم رجل يقتلون دونه حتى كان آخرهم زيادًا أو عمارة فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت من المسلمين فئة فأجهضوهم عنه فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): أدنوه مني. فأدنوه منه فوسده قدمه فمات وخده على قدم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وترس دون رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحني على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى كثرت فيه النبل.

وعن أنس أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه قال: من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، وتقدم آخر حتى قتل. فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال لصاحبيه: ما أنصفنا أصحابنا. رواه مسلم.

وعن أبي عثمان قال: لم يبقى مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن غير طلحة بن عبيد الله وسعد؛ عن حديثهما. متفق عليه.

وقال قيس بن أبي حازم: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي (صلي الله عليه وسلم) يعني: ويوم أحد. أخرجه البخاري.

عن جابر قال: انهزم الناس عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يوم أحد فبقي معه أحد عشر رجلاً وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل فلحقهم المشركون. فقال ألا أحد لهؤلاء فقال طلحة: أنا يا رسول الله، قال: كما أنت يا طلحة. فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل عنه وصعد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ومن معه، ثم قتل الأنصاري فلحقوه فقال: ألا أحد لهؤلاء؟ فقال طلحة: مثل قوله وقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : مثل قوله فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فأذن له فقاتل ورسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه يصعدون، ثم قتل فلحقوه، فلم يزل رسول الله

(صلي الله عليه وسلم) يقول مثل قوله ويقول طلحة: أنا فيحبسه. ويستأذنه رجل من الأنصار فيأذن له حتى لم يبق معه إلا طلحة فغشوهما فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): من لهؤلاء؟ فقال طلحة: أنا. فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله فقال: حس. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): لو قلت: بسم الله أو ذكرت اسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو السماء، ثم صعد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى أصحابه وهم مجتمعون.

وقال عبد الوارث: ثنا عبد العزيز عن أنس قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأبو طلحة بين يدي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يجوب عنه بحجفة معه. وكان أبو طلحة رجلاً راميًّا شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمر بالجعبة فيها النبل فينثرها لأبي طلحة، ويشرف نبي الله (صلي الله عليه وسلم) فينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم وإنهما مشمرتان أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم ولقد وقع السيف من يدي طلحة من النعاس إما مرتين أو ثلاثًا، متفق عليه.

وقال ابن إسحاق. وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله حتى قتل قتله ابن قميئة الليثي وهو يظنه رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمدًا ولما قتل مصعب أعطى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) اللواء علي بن أبي طالب ورجالاً من المسلمين.

وقال موسى بن عقبة: واستجلبت قريش من شاءوا من مشركي العرب وسار أبو سفيان في جمع قريش، ثم ذكر نحو ما تقدم وفيه: فأصابوا وجهه - يعني: النبي (صلي الله عليه وسلم) - وقصموا رباعيته وخرقوا شفته، وكان حامل لواء المشركين طلحة بن عثمان أخو شيبة العبدري، وحامل لواء المسلمين رجل من المهاجرين فقال: أنا عاصم إن شاء الله لما معي فقال له طلحة بن عثمان: هل لك في المبارزة؟ قال: نعم فبدره ذلك الرجل فضرب

بالسيف على رأسه حتى وقع السيف في لحيته.

فلما صرع انتشر النبي (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه وصاروا كتائب متفرقة فحاسوا العدو ضربا حتى أجهضوهم عن أثقالهم، وحملت خيل المشركين على المسلمون فنهكوهم قتلا فلما أبصر الرماة الخمسون أن الله قد فتح قالوا: والله ما نجلس هاهنا لشيء. فتركوا منازلهم التي عهد إليهم النبي (صلي الله عليه وسلم) أن لا يتركوها وتنازعوا وفشلوا وعصوا الرسول فأوجفت الخيل فيهم قتلاً وكان عامتهم في العسكر، فلما أبصر ذلك المسلمون اجتمعوا وصرخ صارخ: أخراكم أخراكم قتل رسول الله (صلي الله عليه وسلم). فسقط في أيديهم فقتل منهم من قتل وأكرمهم الله بالشهادة.

وأصعد الناس في الشعب لا يلوون على أحد وثبت الله نبيه وأقبل يدعو أصحابه مصعدًا في الشعب والمشركون على طريقه ومعه عصابة منهم طلحة بن عبيد الله والزبير، وجعلوا يسترونه حتى قتلوا إلا ستة أو سبعة.

ويقال: كان كعب بن مالك أول من عرف عيني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حين فقد من وراء المغفر. فنادى بصوته الأعلى: الله أكبر هذا رسول الله فأشار إليه - زعموا - رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن اسكت، وجرح رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في وجهه وكسرت رباعيته.

وكان أبي بن خلف قال حين افتدي: والله إن عندي لفرسا أعلفها كل يوم فرق ذرة ولأقتلن عليها محمدًا. فبلغ قوله رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: بل أنا أقتله إن شاء الله. فأقبل أبي مقنعًا في الحديد على فرسه تلك يقول: لا نجوت إن نجا محمد. فحمل على رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

قال موسى: قال سعيد بن المسيب: فاعترض له رجال فأمرهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فخلوا طريقه واستقبله مصعب بن عمير يقي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقتل مصعب، وأبصر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ترقوة أبي من فرجة بين سابغة البيضة والدرع فطعنه فيها بحربته فوقع أبي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم.

قال سعيد: فكسر ضلع من أضلاعه ففي ذلك نزلت:{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ} [الأنفال: ١٧]. فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا: ما جزعك إنما هو خدش؟ فذكر لهم قول رسول الله (صلي الله عليه وسلم): بل أنا أقتل أبيًّا، ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل المجاز لماتوا أجمعون، فمات قبل أن يقدم مكة.

وقال ابن إسحاق: حدثني حيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده أن الزبير قال: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم سوق هند وصواحباتها مشمرات هوارب ما دون إحداهن قليل ولا كثير إذا مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب وخلوا ظهورنا للخيل فأتينا من أدبارنا وصرخ صارخ: ألا إن محمدًا قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب لوائهم حتى ما يدنو منه أحد من القوم.

قال ابن إسحاق: لم يزل لواؤهم صريعًا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاذوا به.

وعن سعد بن أبي وقاص قال: كان حمزة يقاتل يوم أحد بين يدي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بسيفين ويقول: أنا أسد الله.

فعثر فصرع مستلقيا وانكشفت الدرع عن بطنه فزرقه العبد الحبشي فبقره.

عن جعفر بن أمية الضمري قال: خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار إلى الشام. فلما قدمنا حمص قال عبيد الله: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم. وكان وحشي يسكن حمص فسألنا عنه فقيل لنا: هو ذاك في ظل قصره كأنه حميت. فجئنا حتى وقفنا عليه يسيرًا فسلمنا فرد علينا السلام. وكان عبيد الله معتجرًا بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه. فقال عبيد الله: يا وحشي، تعرفني فنظر إليه فقال: لا والله إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها: أم قتال بنت أبي العيص فولدت غلامًا بمكة فاسترضعته فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه لكأني نظرت إلى قدميك. قال: فكشف عبيد الله عن وجهه، ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم. إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر. فقال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر. فلما خرج الناس عن عينين - وعينين جبل تحت أحد

بينه وبين أحد وادٍ - خرجت مع الناس إلى القتال، فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع: فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة فقال: يا سباع، يا بن مقطعة البظور، تحاد الله ورسوله، ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب. قال: فمكنت لحمزة تحت صخرة حتى مر علي فرميته بحربتي فأضعها في ثنته حتى خرجت من وركه فكان ذاك العهد به. فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف. قال: وأرسلوا إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) رسلاً وقيل: إنه لا تهيج الرسل فخرجت معهم. فلما رآني قال: أنت وحشي قلت: نعم. قال: الذي قتل حمزة قلت: نعم قد كان الأمر الذي بلغك. قال: ما تستطيع أن تغيب عني وجهك؟ قال: فرجعت. فلما توفي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وخرج مسيلمة قلت: لأخرجن إليه لعلي أقتله فأكافئ به حمزة. فخرجت مع الناس وكان من أمرهم ما كان، فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر رأسه. قال: فأرميه بحربتي فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته. أخرجه البخاري.

قال ابن إسحاق: ذكر الزهري قال: كان أول من عرف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بعد الهزيمة وقول الناس: قتل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كعب بن مالك. قال: عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت: يا معشر المسلمين، أبشروا هذا رسول الله (صلي الله عليه وسلم). فأشار إلي أن أنصت ومعه جماعة. فلما أسند في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول: يا محمد، لا نجوت إن نجوت. الحديث.

وقال هاشم بن هاشم الزهري: سمعت سعيد بن المسيب سمع سعدا يقول: نثل لي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كنانته يوم أحد وقال: إرم فداك أبي وأمي أخرجه البخاري.

وقال ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، عن الزبير قال: فرأيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قد ظاهر بين درعين يومئذ فلم يستطع أن ينهض إليها يعني: إلى صخرة في الجبل فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى استوى عليها. فقال

رسول الله (صلي الله عليه وسلم): أوجب طلحة.

وقال حميد عن أنس قال: غاب أنس بن النضر عم أنس بن مالك، عن قتال بدر فقال: غبت عن أول قتال قاتله رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لئن الله أشهدني قتالاً ليرين الله ما أصنع.

فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، يعني المشركين واعتذر معاذ فقال: أي سعد، والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد واها لريح الجنة! قال سعد: فما استطعت يا رسول الله، ما صنع؟ قال أنس: وجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم قد مثلوا به فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه. قال أنس: فكنا نقول: أنزل فيه هذه الآية:{رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ} [الأحزاب: ٢٣]، أنها فيه وفي أصحابه. متفق عليه.

عن أبي قتادة قال: أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ وكان أعرج - فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**نعم**). فقتل يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم فمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال:(**كأني أراك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة**). وأمر بهما وبمولاهما فجعلا في قبر واحد.

عن عبد الله بن جحش أن سيفه انقطع فأعطاه النبي (صلي الله عليه وسلم) عرجونا فصار في يده سيفا. فكان يسمى العرجون، ولم يزل يتناول حتى بيع من بغا التركي بمائتي دينار وكان عبد الله من السابقين أسلم قبل دار الأرقم وهاجر إلى الحبشة هو وإخوته وشهد بدرًا.

عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه قال: بعثني النبي (صلي الله عليه وسلم) يوم أحد لطلب سعد بن الربيع وقال لي: إن رأيته فاقره مني السلام وقل له: يقول لك رسول الله كيف تجدك؟ فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة فقلت: إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقرأ عليك السلام ويقول لك: خبرني كيف تجدك؟ قال: على رسول الله السلام

وعليك قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) شفر يطرف. قال: وفاضت نفسه. أخرجه البيهقي.

وقال موسى بن عقبة: ثم انكفأ المشركون إلى أثقالهم لا يدري المسلمون ما يريدون. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): إن رأيتموهم ركبوا وجعلوا الأثقال تتبع آثار الخيل فهم يريدون أن يدنوا من البيوت والآطام التي فيها الذراري، وأقسم بالله لئن فعلوا لأوقعنهم في جوفها، وإن كانوا ركبوا الأثقال وجنبوا الخيل فهم يريدون الفرار. فلما أدبروا بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) سعد بن أبي وقاص في آثارهم. فلما رجع قال: رأيتهم سائرين على أثقالهم والخيل مجنوبة. قال: فطابت أنفس القوم وانتشروا يبتغون قتلاهم. فلم يجدوا قتيلاً إلا مثلوا به إلا حنظلة بن أبي عامر، وكان أبوه مع المشركين فترك لأجله. وزعموا أن أباه وقف عليه قتيلاً فدفع صدره برجله ثم قال: ذنبان أصبتهما قد تقدمت إليك في مصرعك هذا يا دبيس، ولعمر الله إن كنت لواصلاً للرحم برًا بالوالد.

ووجدوا حمزة بن عبد المطلب قد بقر بطنه وحملت كبده احتملها وحشي وقد قتله فذهب بكبده إلى هند بنت عتبة في نذر نذرته حين قتل أباها يوم بدر. فدفن في نمرة كانت عليه إذا رفعت إلى رأسه بدت قدماه فغطوا قدميه بشيء من الشجر.

وقال الزهري: فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): زملوهم بدمائهم، فإنه ليس أحد يكلم في الله إلا وهو يأتي يوم القيامة وجرحه يدمي لونه لون الدم وريحه ريح المسك وقال: إن المشركين لن يصيبوا منا مثلها. وقد كان أبو سفيان ناداهم حين ارتحل المشركون: إن موعدكم الموسم موسم بدر. وهي سوق كانت تقوم ببدر كل عام. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): قولوا له: نعم قال: ودخل النبي (صلي الله عليه وسلم) وإذا النوح في الدور. قال: ما هذا؟ قالوا: نساء الأنصار يبكين قتلاهم. وأقبلت امرأة تحمل ابنها وزوجها على بعير قد ربطتهما بحبل، ثم ركبت بينهما وحمل قيل: فدفنوا في مقابر المدينة فنهاهم عن ذلك وقال: واروهم حيث أصيبوا وقال لما سمع البكاء: لكن

حمزة لا بواكي له. واستغفر له فسمع ذلك سعد بن معاذ وابن رواحة وغيرهما فجمعوا كل نائحة وباكية بالمدينة فقالوا: والله لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عم رسول الله. فلما سمع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالبكاء قال: ما هذا؟ قال: فأخبر فاستغفر لهم وقال لهم خيرًا وقال: ما هذا أردت؟ وما أحب البكاء ونهى عنه.

عن ابن إسحاق قال: انتهى أنس بن النضر إلى عمر وطلحة ورجال قد ألقوا بأيديهم فقال: ما يجلسكم؟ فقالوا: قتل رسول الله (صلي الله عليه وسلم). قال: فما تصنعون بالحياة بعده، فقوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل.

قال ابن إسحاق: وقد كان حنظلة بن أبي عامر التقي هو وأبو سفيان بن حرب فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود. فضرب حنظلة بالسيف فقتله.

وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:(**إن صاحبكم لتغسله الملائكة**) يعني: حنظلة فسألوا أهله ما شأنه، فسئلت صاحبته قالت: خرج وهو جنب حين سمع الهيعة. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): لذلك غسلته الملائكة.

وقال البكائي قال ابن إسحاق: وخلص العدو إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فدث بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفته، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص. فحدثني حميد الطويل عن أنس قال: كسرت رباعية النبي (صلي الله عليه وسلم) يوم أحد وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فنزلت:{ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ (١٢٨)} [آل عمران: ١٢٨].

عن سهل بن سعد قال: جرح رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه فكانت فاطمة بنت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) تغسل الدم وعلي يسكب الماء عليه بالمجن. فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة حصير أحرقته حتى إذا صار رمادًا

ألصقته بالجرح فاستمسك الدم.

وعن أبي هريرة قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله، وهو يشير إلى رباعيته اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله. متفق عليه.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد بكى، ثم قال: ذاك يوم كان كله يوم طلحة. ثم أنشأ يحدث قال: كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) دونه. وأراده قال: يحميه فقلت: كان طلحة؛ حيث فاتني ما فاتني قلت: يكون رجلاً من قومي أحب إلي. وبيني وبين المشركين رجلا لا أعرفه وأنا أقرب إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) منه وهو يخطف المشي خطفًا لا أخطفه.

فإذا هو أبو عبيدة، فانتهينا إلى رسول لله (صلي الله عليه وسلم) وقد كسرت رباعيته وشج في وجهه وقد دخل في وجهه حلقتان من حلق المغفر. قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): عليكما صاحبكما - يريد طلحة - وقد نزف. فلم نلتفت إلى قوله وذهبت لأنزع ذلك من وجهه. فقال أبو عبيدة: أقسمت عليك بحقي لما تركتني فتركته، فكره أن يتناولها بيده فيؤذي النبي فأزم عليهما بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين، ووقعت ثنيته مع الحلقة، وذهبت لأصنع ما صنع فقال: أقسمت عليك بحقي لما تركتني؟ ففعل ما فعل في المرة الأولى فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة، فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتما فأصلحنا من شأن النبي (صلي الله عليه وسلم)، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار فإذا بضع وسبعون أقل أو أكثر من بين طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت إصبعه. فأصلحنا من شأنه.

قال موسى: وجميع من استشهد من المسلمين تسعة وأربعون رجلاً.

وقتل من المشركين ستة عشر رجلاً.

عن عاصم بن عمر والزهري وجماعة قالوا: كان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص اختبر الله به المؤمنين ومحق به المنافقين ممن كان يظهر إسلامه

بلسانه، ويوم أكرم الله فيه بالشهادة غير واحد، وكان مما نزل من القرآن في يوم أحد ستون آية من آل عمران.

* * *

عدد الشهداء

عن ابن عباس في قوله تعالى:{قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا } [آل عمران: ١٦٥]، قال: قتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين، وقتل المشركون يوم أحد من المسلمين سبعين.

وأما ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة فقال: جميع من قتل مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يوم أحد من قريش والأنصار: أربعة وأربعون أو قال: سبعة وأربعون رجلاً.

وجميع من قتل يوم أحد يعني: من المشركين تسعة عشر رجلاً.

وقال موسى بن عقبة: جميع من استشهد من المسلمين من قريش والأنصار تسعة أو سبعة وأربعون رجلاً.

قلت: قول من قال سبعين أصح. ويحمل قول أصحاب المغازي هذا عدد من عرف اسمه من الشهداء، فإنهم عدوا أسماء الشهداء وأنسابهم.

* * *

غزوة حمراء الأسد

قال ابن إسحاق: فلما كان الغد من يوم أحد - يعني: صبيحة - وقعة أحد أذن مؤذن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في الناس لطلب العدو وأذن مؤذنه: لا يخرج معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس، وإنما خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مرهبا للعدو ليبلغهم أنه قد خرج في أثرهم وليظنوا به قوة.

وعن عروة قال: قدم رجل فاستخبره النبي (صلي الله عليه وسلم) عن أبي سفيان. فقال: نازلتهم فسمعتهم يتلاومون يقول بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئًا

أصبتم شوكة القوم وحدهم، ثم تركتموهم ولم تبيدوهم وقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم، فأمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أصحابه - وبهم أشد القرح - بطلب العدو وليسمعوا بذلك. قال: لا ينطلقن معي إلا من شهد القتال. فقال عبد الله بن أبي: أركب معك قال: لا. فاستجابوا لله والرسول على ما بهم من البلاء، فانطلقوا فطلبهم النبي (صلي الله عليه وسلم) حتى بلغ حمراء الأسد.

وعن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلاً من أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من بني عبد الأشهل قال: شهدت أحدًا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أنا وأخ لي فرجعنا جريحين فلما أذن مؤذن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي: تفوتنا غزوة مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ووالله ما لنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح فخرجنا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، وكنت أيسر جراحة منه فكان إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون. فخرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى انتهى إلى حمراء الأسد؛ وهي من المدينة على ثمانية أميال فأقام بها ثلاثا، ثم رجع.

وقال هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: يا ابن أختي كان أبوك - تعني: الزبير وأبا بكر - من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح. قال: لما انصرف المشركون من أحد وأصاب النبي (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه ما أصابهم خاف أن يرجعوا فقال: من ينتدب لهؤلاء في آثارهم حتى يعلموا أن بنا قوة؟ قال: فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين خرجوا في آثار القوم فسمعوا بهم. وانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء. قال: لم يلقوا عدوا. أخرجاه.

وقال ابن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم أن معبدًا الخزاعي مر برسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو بحمراء الأسد، وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله بمكة صغوهم معه لا يخفون عليه شيئًا كان بها، ومعبد يومئذ مشرك. فقال: يا محمد، والله لقد عز علينا ما أصابك

في أصحابك ولوددنا أن الله عافاك فيهم، ثم خرج حتى لقي أبا محمد وقادتهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم! لنكون على بقيتهم فلنفرغن منهم، فلما رأى أبو سفيان معبدا قال: ما وراءك؟ قال: محمد قد خرج في طلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقًا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط. قال: ويلك! ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل. قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم. قال: فإني أنهاك عن ذلك والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتا.

قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه. ومر ركب من عبد القيس فقال أبو سفيان: أين تريدون؟ قالوا: المدينة لنمتار. فقال: أما أنتم مبلغون عني محمدا رسالة وأحملكم على إبلكم هذه زبيبًا بعكاظ غدا إذا وافيتموه قالوا: نعم. قال: إذا جئتم محمدا فأخبروه أنا قد أجمعنا الرجعة إلى أصحابه لنستأصلهم. فلما مر الركب برسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو بحمراء الأسد أخبروه. فقال هو والمسلمون: حسبنا الله ونعم الوكيل. فأنزلت:{ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ} [آل عمران: ١٧٣]، الآيات.

وقال البكائي: قال ابن إسحاق: وكان عبد الله بن أبي بن سلول كما حدثني الزهري له مقام يقومه كل جمعة لا يتركه شرف له في نفسه وفي وقومه. فكان إذا جلس رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يوم الجمعة يخطب قام فقال: أيها الناس، هذا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به. فعزروه وانصروه واسمعوا له وأطيعوه. ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع قام يفعل كفعله فأخذ المسلمون ثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس أي عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقب الناس ويقول: والله لكأني قلت: بجرا أن قمت أشد أمره: فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد فقال: مالك ويلك! قال: قمت أشد أمره فوثب علي رجال من أصحابه يجبذونني ويعنفونني لكأنما قلت: بجرا. قال: ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله (صلي الله عليه وسلم). قال: والله ما أبغي أن يستغفر لي.

قالوا: كان سويد بن الصامت قد قتل زيادًا. فقتله المجذر بن زياد فهيج بقتله

وقعة بعاث. فلما قدم النبي (صلي الله عليه وسلم) المدينة أسلم المجذر والحارث بن سويد بن الصامت فشهدا بدرًا. فجعل الحارث يطب مجذرا ليقتله بأبيه. فلما كان يوم أحد أتاه من خلفه فقتله.

فلما رجع النبي (صلي الله عليه وسلم) من حمراء الأسد أتاه جبريل - عليه السلام - فأخبره بأنه قتل مجذرًا. فركب النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى قباء فأتاه الحارث بن سويد في ملحفة مورسة. فلما رآه دعا عويم بن ساعدة وقال: اضرب عنق الحارث بمجذر ابن ذياد. فقال: والله ما قتلته رجوعًا عن الإسلام ولكن حمية، وإني أتوب إلى الله وأخرج ديته وأصوم وأعتق. وجعل يتمسك بركاب النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى أن فرغ من كلامه. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): قدمه يا عويم فاضرب عنقه. فضرب عنقه على باب المسجد.

* * *

السنة الرابعة سرية أبي سلمة إلى قطن

عن سملة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد وغيره قالوا: شهد أبو سلمة أحدًا وكان نازلاً في بني أمية بن زيد بالعالية حتى تحول من قباء فجرح بأحد وأقام شهر يداوي جرحه. فلما كان هلال المحرم دعاه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وقال: اخرج في هذه السرية فقد استعملتك عليها: وعقد له لواء وقال: سر حتى تأتي أرض بني أسد فأغر عليهم. وكان معه خمسون ومائة فساروا حتى انتهوا إلى أدنى قطن - ماء من مياههم - فيجدون سرحًا لبني أسد فأغاروا عليه وأخذوا مماليك ثلاثة وأفلت سائرهم، ثم رجع إلى المدينة فغاب بضع عشرة ليلة.

قال عمرو بن عثمان: فحدثني عبد الملك بن عمير قال: لما دخل أبو سلمة المدينة انتقض جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الآخرة.

* * *

غزوة الرجيع

وهي في صفر من السنة الرابعة وهي على سبعة أميال من عسفان.

فحدثني موسى بن يعقوب عن أبي الأسود قال: بعث رسول الله (صلي الله

عليه وسلم) أصحاب الرجيع عيونًا إلى مكة ليخبروه.

عن ابن شهاب أخبرني ابن أسيد بن جارية الثقفي أن أبا هريرة قال: بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عشرة رهط عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهداة بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام. فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر فقالوا نوى يثرب فاتبعوا آثارهم، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد فأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا.

قال عاصم: أما أنا فوالله لا أنزل في ذمة مشرك اللهم أخبر عنا نبيك، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما في سبعة من أصحابه ونزل إليهم ثلاثة على العهد والميثاق: خبيب وزيد بن الدثنة وآخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها.

فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء أسوة، يريد القتلى، فجروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبًا، وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر، فلبث عندهم أسيرًا حتى أجمعوا على قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها للقتل فأعارته، فدرج بني لها وهي غافلة حتى أتاه فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده ففزعت فزعة عرفها خبيب فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك فقالت: والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب والله لقد وجدته يكل قطفًا من عنب وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا.

فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم: دعوني أركع ركعتين. فتركوه فركع ركعتين ثم قال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع من القتل لزدت اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددًا ولا تبق منهم أحدًا وقال:

فلست أبالي حين أقتل مسلما ::: على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ::: يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب هو سن لكل مسلم قتل صبرًا، الصلاة واستجاب الله لعاصم يوم أصيب، فأخبر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أصحابه يوم أصيبوا خبرهم، وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت ليأتوا منه بشيء يعرف وكان قتل رجلاً من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله على عاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا على أن يقطعوا منه شيئًا. أخرجه البخاري.

غزوة بئر معونة

عن المغيرة بن عبد الرحمن قال: قدم أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) المدينة فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام.

وقال: يا محمد، لو بعثت معي رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك. قال: أخشى عليهم أهل نجد. قال أبو البراء: أنا لهم جار. فبعث المنذر بن عمرو في أربعين رجلاً فيهم الحارث بن الصمة وحرام ابن ملحان، أخو بني عدي بن النجار وعروة بن أسماء بن الصلت السلميي، ونافع بن ورقاء الخزاعي، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر في خيار المسلمين فساروا حتى بلغوا بئر معونة بين أرض بني عامر وحرة بين سليم، ثم بعثوا حرام بن ملحان بكتاب إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى عامر بن الطفيل فلم ينظر في الكتاب حتى قتل الرجل، ثم استصرخ بني سليم فأجابوه وأحاطوا القوم فقاتلوهم حتى استشهدوا كلهم إلا كعب بن زيد من بني النجار تركوه وبه رمق فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن أمية ورجل من الأنصار، فلم يخبرهما بمصاب القوم إلا الطير تحوم على العسكر فقالا: والله إن لهذه الطير لشأنا فأقبلا لينظرا، فإذا القوم في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة.

فقال الأنصاري لعمرو: ماذا ترى قال: أرى أن نلحق برسول الله (صلي الله عليه وسلم) فنخبره الخبر، فقال الأنصاري: لكني لم أكن لأرغب بنفسي عن مواطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لأخبر عنه الرجال، وقاتل حتى قتل وأسروا عمرا فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز

ناصيته وأعتقه، فلما كان بالقرقرة أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا في ظل هو فيه وكان معهما عهد من رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وجوار لم يعلم به عمرو. حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما. فلما قدم على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أخبره فقال: قد قتلت قتيلين لادينهما. ثم قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارها متخوفًا. فبلغ ذلك أبا البراء فشق عليه إخفار عامر إياه فحمل ربيعة ولد أبي براء على عامر بن الطفيل فطعنه في فخذه فأشواه فوقع من فرسه وقال: هذا عمل أبي براء، إن مت فدمي لعمي فلا يتبعن به، وإن أعش فسأرى رأيي.

وقال موسى بن عقبة: أرتث في القتلى كعب بن زيد فقتل يوم الخندق.

وقال حماد بن سلمة: أنا ثابت عن أنس أن ناسًا جاءوا إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) فقالوا: ابعث معنا رجالاً يعلموننا القرآن والسنة. فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم: القراء وفيهم خالي حرام بن ملحان يقرءون القرآن ويتدارسون بالليل ويتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويتحطبون فيبيعون ويشترون به الطعام لأهل الصفة، فبعثهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إليهم فتعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان.

قالوا: اللهم بلغ عنا نبيك أن قد لقيناك فرضيت عنا ورضينا عنك.

قال: وأتى رجل خالي من خلفه فطعنه بالرمح حتى أنفذه فقال حرام: فزت ورب الكعبة، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لأصحابه: إن إخوانكم قد قتلوا وقالوا: اللهم أبلغ عنا نبيك أن قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا. رواه مسلم.

* * *

الخلاف في غزوة بني النضير

وقد تقدمت في سنة ثلاث ذهب الزهري إلى أنها كانت قبل أحد. وقال غير واحد: كانت بعد أحد وبعد بئر معونة.

وحدث إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: لما خرجت بنو النضير أقبل عمرو بن سعدى فأطاف بمنازلهم فرأى خرابها وفكر، ثم رجع إلى قريظة فيجدهم في

الكنيسة فينفخ في بوقهم فاجتمعوا. فقال الزبير بن باطا: يا أبا سعيد، أين كنت منذ اليوم؟ وكان لا يفارق الكنيسة وكن يتأله في اليهودية قال: رأيت اليوم عبرًا قد عبرنا بها رأيت منازل إخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل، ولا والتوارة ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة.

فقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذي عزهم بيته في بيته آمنا وأوقع بابن سنية سيدهم وأوقع ببني قينقاع فأجلاهم وهم جد يهود، وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة وحصرهم فلم يخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم وكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب يا قوم، قد رأيتم ما رأيت فأطيعوني وتعالوا نتبع محمدًا فوالله إنكم لتعلمون أنه نبي وقد بشرنا به وبأمره ابن التيهان وابن الحواس وهما أعلم يهود جاءانا من بيت المقدس يتوكفان قدومه أمرانا باتباعه وأمرانا أن نقرئه منهما السلام، ثم ماتا على دينهما فأسكت القوم فأعاد هذا القول ونحوه وتخوفهم بالحرب والسباء والجلاء.

فقال ابن باطا: والله لقد قرأت في التوراة صفته التي أنزلت على موسى ليس في المثاني التي أحدثنا. فقال له كعب بن أسد: ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن، من إتباعه؟ قال: أنت قال كعب: ولم التوراة ما حالت بينك وبينه قط، قال الزبير: أنت صاحب عهدنا وعقدنا فإن اتبعته اتبعناه، وإن أبيت أبينا. فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فذكر ما تقاولا في ذلك إلى أن قال كعب: ما عندي في أمره إلا ما قلت ما تطيب نفسي أن أصير تابعًا.

وقال ابن إسحاق: كانت غزوة بني النضير في ربيع الأول سنة أربع. وحاصرهم النبي (صلي الله عليه وسلم) ست ليال قال: ونزل تحريم الخمر.

* * *

غزوة بني لحيان

قال ابن إسحاق: خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من صلح بني قريظة إلى بني لحيان بطلب

بأصحاب الرجيع: خبيب وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة.

وقال يونس: لما أصيب خبيب وأصحابه خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) طلبا لدمائهم ليصيب من بني لحيان غرة فسلك طريق الشام وروى على الناس أنه لا يريد بني لحيان حتى نزل أرضهم - وهم من هذيل - فوجدهم قد حذروا فتمنعوا في رؤوس الجبال.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): لو أنا هبطنا عسفان لرأت قريش أنا قد جئنا مكة، فخرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في مائتي راكب حتى نزل عسفان، ثم بعث فارسين حتى نزلا كراع الغميم، ثم انصرفا إليه.

فذكر أبو عياش الزرقي أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) صلى بعسفان صلاة الخوف.

* * *

غزوة ذات الرقاع

قال ابن إسحاق: إنها في جمادى الأولى سنة أربع وهي غزوة خصفة من بني ثعلبة من غطفان.

وقال محمد بن إسماعيل - رحمه الله: كانت بعد خيبر؛ لأن أبا موسى جاء بعد خيبر يعني: وشهدها. قال: وإنما جاء أبو هريرة فأسلم أيام خيبر.

وقال ابن إسحاق: في هذه الغزوة سار رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى نزل نخلاً فلقي بها جمعا من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب.

وقد خاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بأصحابه صلاة الخوف، ثم انصرف بالناس.

وقال الواقدي: إنما سميت ذات الرقاع؛ لأنها قبل جبل كان فيه بقع حمرة وسواد وبياض فسمي: ذات الرقاع.

وعن جابر قال: قاتل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) محارب خصفة بنخل فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل منهم يقال له: غورث بن الحارث

حتى قام على رأس رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ قال: الله. فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: من يمنعك مني؟ قال: كن خير آخذ. قال: تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قال: لا ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلى سبيله، فأتى أصحابه وقال: جئتكم من عند خير الناس.

ثم ذكر صلاة الخوف وأنه صلى بكل طائفة ركعتين. وهذا حديث صحيح إن شاء الله.

غزوة بدر الموعد

عن عروة: أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) استنفر المسلمين لموعد أبي سفيان بدرا. وكان (صلي الله عليه وسلم) أهلاً للصدق والوفاء فاحتمل الشيطان أولياء من الناس فمشوا في الناس يخوفونهم وقالوا: أخبرنا أن قد جمعوا لكم مثل الليل من الناس يرجون أن يوافقوكم فينتهوا بكم فالحذر لا تغدوا، فعصم الله المسلمين من تخويف الشيطان فاستجابوا لله ولرسوله وخرجوا ببضائع لهم وقالوا: إن لقينا أبا سفيان فهو الذي خرجنا له وإن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا. وكان بدر متجرًا يوافي كل عام. فانطلقوا حتى أتوا موسم بدر فقضوا منه حاجتهم وأخلف أبو سفيان الموعد، فلم يخرج هو ولا أصحابه وأقبل رجل من بني ضمرة بينه وبين المسلمين حلف فقال: والله إن كنا قد أخبرنا أنه لم يبق منكم أحد فما أعملكم إلى أهل هذا الموسم فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو يريد أن يبلغ ذلك عدوه من قريش إعمالنا إليه موعد أبي سفيان وأصحابه وقتالهم، وإن شئت مع ذلك نبذنا إليك والى قومك حلفهم ثم جالدناكم. فقال الضمري: معاذ الله! قال: وذكروا أن ابن الحمام قدم على قريش فقال: هذا محمد وأصحابه ينتظرونكم لموعدكم، فقال أبو سفيان: قد والله صدق. فنفروا وجمعوا الأموال فمن نشط منهم قوره ولم يقبل من أحد منهم دون أوقية، ثم سار حتى أقام بمجنة من عسفان - ما شاء الله - أن يقيم، ثم ائتمر هو وأصحابه فقال أبو سفيان: ما يصلحكم إلا خصب ترعون فيه السمر وتشربون من اللبن، ثم رجع إلى مكة وانصرف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى المدينة بنعمة من الله وفضل وكانت تلك غزوة جيش السويق. وكانت في شعبان

سنة أربع.

* * *

السنة الخامسة غزوة ذات الرقاع

خرج لها رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لعشر خلون من المحرم. قاله الواقدي كما تقدم. وقال ابن إسحاق: إنها في جمادى الأولى سنة أربع.

* * *

غزوة دومة الجندل

قيل: سميت بدومى بن إسماعيل - عليه السلام - لكونها كانت منزله ودومة بالفتح موضع آخر. وهذه الغزوة كانت في ربيع الأول.

ورجع النبي (صلي الله عليه وسلم) قبل أن يصل إليها ولم يلق كيدًا.

وقال المدائني: خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في المحرم يريد أكيدر دومة فهرب أكيدر وانصرف النبي (صلي الله عليه وسلم).

عن عبد الله بن أبي بكر قال: أراد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن يقرب إلى أدنى الشام ليرهب قيصر وذكر له أن بدومة الجندل جمعا عظيمًا يظلمون من مر بهم. وكان بها سوق وتجار فخرج رسول الله بألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويكمن النهار ودليله مذكور العذري فنكب عن طريقهم فلما كان بينه وبين دومة يوم قوي قال له: يا رسول الله، إن سوائمهم ترعى عندك فأقم حتى أنظر، وسار مذكور حتى وجد آثار النعم فرجع وقد عرف مواضعهم، فهجم النبي (صلي الله عليه وسلم) على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وجاء الخبر إلى دومة فتفرقوا ورجع النبي (صلي الله عليه وسلم).

* * *

غزوة المريسيع

قال ابن إسحاق: خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وبلغه أن بني

المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية أم المؤمنين فسار النبي (صلي الله عليه وسلم) حتى نزل بالمريسيع ماء من مياههم، فأعدوا لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) فتزاحف الناس فاقتتلوا؛ فهزم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونفل نساءهم وأبناءهم وأموالهم، وأقاموا عليهم من ناحية قديد والساحل.

وقال الواقدي عن معمر وغيره: أن بني المصطلق من خزاعة كانوا ينزلون ناحية الفرع وهم حلفاء بني مدلج، وكان رأسهم الحارث بن أبي ضرار،

وكان قد سار في قومه ومن قدر عليه وابتاعوا خيلاً وسلاحًا وتهيأ للمسير إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

وحدث سعيد بن عبد الله بن أبي الأبيض عن أبيه عن جدته، وهي مولاة جويرية قالت: سمعت جويرية تقول: أتانا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ونحن على المريسيع فأسمع أبي يقول: أتانا ما لا قبل لنا به قالت: وكنت أرى من الناس والخيل والعدد ما لا أوصف من الكثرة، فلما أن أسلمت وتزوجني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ورجعنا جعلت أنظر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى فعرفت أنه رعب من الله. وكان رجل منهم قد أسلم يقول: لقد كنا نرى رجالاً بيضًا على خيل بلق ما كنا نراهم قبل ولا بعد.

قال الواقدي: ونزر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الماء وضربت له قبة من أدم ومعه عائشة، وأم سلمة وصف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أصحابه ثم أمر عمر فنادى فيهم: قولوا: لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم ففعل عمر فأبوا، فكان أول من رمى رجل منهم بسهم فرمى المسلمون ساعة بالنبل، ثم إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أمر أصحابه أن يحملوا فحملوا فما أفلت منهم إنسان وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم، وقتل من المسلمين رجل واحد.

وقال ابن عون: كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال فكتب إنما كان ذلك في أول الإسلام قد أغار رسول الله (صلي الله عليه وسلم) على بني

المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلهم وسبى سبيهم فأصاب يومئذ أحسبه قال: جويرية. وحدثني ابن عمر بذلك وكان في ذلك الجيش. متفق عليه.

* * *

تزويجه جويرية رضي الله عنها

عن عائشة قالت: لما قسم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) سبايا بني المصطلق وقعت جويرية في السهم لثابت بن قيس بن شماس، أو لابن عم له فكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) تستعينه في كتابتها فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهتها وقلت: سيرى منها مثل ما رأيت. فلما دخلت على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قالت: أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك وقد كاتبت فأعني. فقال: أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك. فقالت: نعم. ففعل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فبلغ الناس أنه قد تزوجها فقالوا: أصهار رسول الله (صلي الله عليه وسلم). فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق فلقد أعتق بها أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها، وكان اسمها برة فسماها رسول الله (صلي الله عليه وسلم) جويرية.

وعن ابن إسحاق حدثني محمد بن يحيى بن حبان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة في قصة بني المصطلق: فبينا النبي (صلي الله عليه وسلم) مقيم هناك إذ اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري أجير عمر وسنان بن وبر. قال: فحدثني محمد بن يحيى أنهما ازدحما على الماء فاقتتلا فقال سنان: يا معشر الأنصار. وقال جهجاه: يا معشر المهاجرين، وكان زيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي يعني: ابن سلول فلما سمعها قال: قد ثاورونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلاليب قريش هذه إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من عنده من قومه فقال: هذا ما صنعتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم؟ أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم.

فسمعها زيد فذهب بها إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو غليم وعنده عمر فأخبره الخبر، فقال عمر: يا رسول الله، مر عباد بن بشر فليضرب عنقه. فقال: فكيف إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه لا ولكن ناد يا عمر في الرحيل، فلما بلغ ذلك ابن أبي أتى النبي (صلي الله عليه وسلم) يعتذر وحلف له بالله ما قال ذلك، وكان عند قومه بمكان، فقالوا: يا رسول الله، عسى أن يكون هذا الغلام أوهم، وراح رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مهجرا في ساعة كان لا يروح فيها. فلقيه أسيد بن حضير فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال: والله لقد رحت في ساعة منكرة. فقال: أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبي فقال: يا رسول الله، فأنت والله العزيز وهو الذليل، ثم قال: يا رسول الله، أرفق به فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرز لنتوجه، فإنه ليرى أن قد استبلته ملكًا.

فسار رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالناس بقية يومه وليلته حتى أصبحوا وحتى اشتد الضحى، ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث فلم يلبث الناس أن وجدوا مس الأرض فناموا. ونزلت سورة المنافقين.

وقال عمرو بن دينار: سمعت جابرًا يقول: كنا مع النبي (صلي الله عليه وسلم) في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): ما بال دعوى الجاهلية دعوها، فإنها منتنة. فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أو قد فعلوها؟ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال: وكانت الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم النبي (صلي الله عليه وسلم) ثم كثر المهاجرون بعد ذلك. فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): دعه لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه. متفق عليه.

وحدث عاصم بن عمر بن قتادة قال: لما قَدِمَ النبي (صلي الله عليه وسلم) من بني المصطلق أتاه عبد الله بن عبد الله بن أبي فقال: يا رسول الله، بلغني أنك تريد قتل أبي فإن كنت فاعلا فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده مني ولكني أخشى أن تأمر به رجلاً مسلمًا فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله يمشي في الأرض حيًّا

حتى أقتله فأقتل مؤمنًا بكافر، فأدخل النار. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): بل تحسن صحبته وتترفق به ما صحبنا.

* * *

الإفك

عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي (صلي الله عليه وسلم) كان إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه. قالت: فأقرع بيننا في غزاة المريسيع فخرج سهمي. فهلك في من هلك.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لقد تحدث بأمري في الإفك واستفيض فيه وما أشعر، وجاء رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ومعه أناس من أصحابه فسألوا جارية لي سوداء كانت تخدمني فقالوا: أخبرينا ما علمك بعائشة، فقالت: والله ما أعلم منها شيئًا أعيب من أنها ترقد ضحى حتى إن الداجن داجن أهل البيت تأكل خميرها. فأداروها وسألوها حتى فطنت فقالت: سبحان الله! والذي نفسي بيده ما أعلم على عائشة إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر. قالت: فكان هذا وما شعرت.

ثم قام رسول الله (صلي الله عليه وسلم) خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد فأشيروا علي في أناس أبنوا أهلي وأيم الله إن علمت على أهلي من سوء قط وأبنوهم بمن، والله إن علمت عليه سوءا قط ولا دخل على أهلي إلا وأنا شاهد ولا غبت في سفر إلا غاب معي. فقال سعد ابن معاذ - رضي الله عنه -: أرى يا رسول الله أن تضرب أعناقهم. فقال رجل من الخزرج - وكانت أم حسان من رهطه وكان حسان من رهطه: والله ما صدقت ولو كان من الأوس ما أشرت بهذا، فكاد يكون بين الأوس والخزرج شر في المسجد ولا علمت بشيء منه ولا ذكره لي ذاكر. حتى أمسي من ذلك اليوم فخرجت في نسوة لحاجتنا وخرجت معنا أم مسطح - بنت خالة أبي بكر رضي الله عنه - فإنا لنمشي ونحن عامدون لحاجتنا عثرت أم مسطح فقالت: تعس مسطح، فقلت: أي أم أتسبين ابنك فلم تراجعني. فعادت فعثرت قالت: تعس مسطح، فقلت: أي أم أتسبين ابنك صاحب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فلم

تراجعني، ثم عثرت ثالثة فقالت: تعس مسطح، فقلت: أي أم أتسبين ابنك صاحب رسول الله فقالت: والله ما أسبه إلا من أجلك وفيك، فقلت: وفي أي شأني؟ قالت: وما علمت بما كان! فقلت: لا وما الذي كان قالت: أشهد أنك مبرأة مما قيل فيك. فقلت: وفي أي شأني؟ قالت: وما علمت بما كان فقلت: لا وما الذي كان قالت: أشهد أنك مبرأة مما قيل فيك، ثم بقرت لي الحديث فأكر راجعة إلى البيت ما أجد مما خرجت له قليلاً ولا كثيرًا. وركبتني الحمى فحممت. فدخل علي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فسألني عن شأني فقلت: أجدني موعوكة إئذن لي أذهب إلى أبوي.

فأذن لي وأرسل معي الغلام فقال: إمش معها. فجئت فوجدت أمي في البيت الأسفل ووجدت أبي يصلي في العلو فقلت لها: أي أمه ما الذي سمعت، فإذا هي لم ينزل بها من حيث نزل مني فقالت: أي بنية وما عليك فما من امرأة لها ضرائر تكون جميلة يحبها زوجها إلا وهي يقال لها بعض ذلك. فقلت: وقد سمعه أبي فقالت: نعم. فقلت: وسمعه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقالت: ورسول الله (صلي الله عليه وسلم) فبكيت فسمع أبي البكاء فقال: ما شأنها؟ قالت: سمعت الذي تحدث به. ففاضت عيناه يبكي فقال: أي بنية ارجعي إلى بيتك فرجعت وأصبح أبواي عندي حتى إذا صليت العصر دخل رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، وأنا بين أبوي أحدهما عن يميني والآخر عن شمالي فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد يا عائشة إن كنت ظلمت أو أخطأت أو أسأت فتوبي وراجعي أمر الله واستغفري فوعظني، وبالباب امرأة من الأنصار قد سلمت فهي جالسة بباب البيت في الحجرة وأنا أقول: ألا تستحي أن تذكر هذا؟ والمرأة تسمع حتى إذا قضى كلامه قلت لأبي وغمزته: ألا تكلمه؟ فقال: وما أقول له؟ والتفت إلى أمي فقلت: ألا تكلمينه؟ فقالت: وماذا أقول له؟ فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله، ثم قلت: أما بعد فوالله لئن قلت لكم أن قد فعلت والله يشهد أني لبريئة ما فعلت لتقولن قد باءت به على نفسها واعترفت به، ولئن قلت: لم أفعل والله يعلم أني لصادقة ما أنتم بمصدقي.

لقد دخل هذا في أنفسكم واستفاض فيكم وما أجد لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسف العبد الصالح وما أعرف يومئذ اسمه:{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا

تَصِفُونَ} [يوسف: ١٨]، ونزل الوحي ساعة قضيت كلامي فعرفت والله البشر في وجه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قبل أن يتكلم. فمسح جبهته وجبينه، ثم قال: أبشري يا عائشة فقد أنزل الله عذرك. وتلا القرآن. فكنت أشد ما كنت غضبا فقال لي أبواي: قومي إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم). فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا إياكما، ولكني أحمد الله الذي برأني. لقد سمعتم فما أنكرتم ولا جادلتم ولا خاصمتم.

فقال الرجل الذي قيل له ما قيل حين بلغه نزول العذر: سبحان الله! فوالذي نفسي بيده ما كشفت قط كنف أنثى.

وكان مسطح يتيمًا في حجر أبي بكر ينفق عليه فحلف لا ينفع مسطحًا بنافعة أبدا. فأنزل الله:{ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ} [النور: ٢٢]، إلى قوله:{أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ} [النور: ٢٢].

فقال أبو بكر: بلى والله يا رب إني أحب أن تغفر لي وفاضت عيناه فبكى - رضي الله عنه.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لقد سئل عن ابن المعطل، فوجدوه حصورا ما يأتي النساء، ثم قتل بعد ذلك شهيدًا.

* * *

غزوة الخندق

وكان من حديثها أن سلام بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع، وهوذة في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قدموا مكة فدعوا قريشًا إلى القتال وقالوا: إنا نكون معكم حتى نستأصل محمدًا. فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل كتاب وعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد. أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق وفيهم نزل:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١)} [النساء: ٥١]، الآيات فلما قالوا ذلك لقريش: سرهم ونشطوا إلى الحرب واستعدوا له، ثم خرج أولئك النفر اليهود حتى جاءوا غطفان فدعوهم فوافقوهم.

فخرجت قريش وخرجت غطفان وقائدهم عيينة في بني فزارة والحارث بن عوف المري في قومه ومسعود بن رخيلة فيمن تابعه من قومه أشجع. فلما سمع بهم النبي (صلي الله عليه وسلم) حفر الخندق على المدينة وعمل فيه بيده وأبطأ عن المسلمين في عمله رجال منافقون وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه، وكان في حفره أحاديث بلغتني منها: بلغني أن جابرًا كان يحدث أنهم اشتدت عليهم كدية فشكوها إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فدعا بإناء من ماء فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله، ثم نضح الماء على الكدية حتى عادت كثيبًا.

وعن جابر بن عبد الله قال: عملنا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في الخندق فكانت عندي شويهة فقلت: والله لو صنعناها لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأمرت امرأتي فطحنت لنا شيئًا من شعير فصنعت لنا منه خبزًا وذبحت تلك الشاة فشويناها فلما أمسينا وأراد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الإنصراف وكنا نعمل في الخندق نهارًا، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا فقلت: يا رسول الله، إني قد صنعت كذا وكذا وأحب أن تنصرف معي، وإنما أريد أن ينصرف معي وحده. فلما قلت له ذلك قال: نعم، ثم أمر صارخًا فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى بيت جابر.

فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون فأقبل وأقبل الناس معه فجلس وأخرجناها إليه فبرك وسمى، ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمر وعثمان وما بعده: افتحوا ما بدا لكم والذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة لا وقد أعطى الله محمدًا مفاتيحها قبل ذلك.

وعن سلمان الفارسي قال: ضربت في ناحية من الخندق فغلظت علي ورسول الله (صلي الله عليه وسلم) قريب مني فلما رآني أضرب نزل وأخذ المعول فضرب به ضربة فلمعت تحت المعول برقة، ثم ضرب أخرى فلمعت تحته أخرى، ثم ضرب الثالثة فلمعت أخرى. قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما هذا؟ قال: أو قد رأيت؟ قلت: نعم. قال: أما الأولى فإن الله فتح علي بها اليمن، وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق.

قال ابن إسحاق: ولما فرغ النبي (صلي الله عليه وسلم) من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول من رومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة وغطفان فنزلت غطفان، ومن تبعهم من أهل نجد بذنب نقمي إلى جانب أحد. وخرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف فعسكروا هنالك والخندق بينه وبين القوم. فذهب حيي بن أخطب إلى كعب بن أسد القرظي صاحب عهد بني قريظة وعقدهم، وقد كان وادع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) على قومه فلما سمع كعب بحيي أغلق دونه الحصن فأبى أن يفتح له فناداه: يا كعب، افتح لي. قال: إنك امرؤ مشئوم وإني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقًا. قال: ويلك افتح لي أكلمك. قال: ما أنا بفاعل. قال: والله إن أغلقت دوني إلا عن جشيشتك أن آكل معك منها. فأحفظه ففتح له فقال: ويحك يا كعب! جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع

الأسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها فأنزلتهم بذنب نقمي إلى جانب أحد قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدًا ومن معه.

قال: له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه برعد وبرق ليس فيه شيء يا حيي فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقًا ووفاء. فلم يزل حيي بكعب حتى سمح له بأن أعطاه عهدًا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدًا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك.

فنقض كعب عهده وبريء مما كان بينه وبين النبي (صلي الله عليه وسلم).

ولما انتهى الخبر إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) بعث سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة سيد الأنصار، ومعهما عبد الله بن رواحة، وخوات بن جبير - رضي الله عنهم - فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء، فإن كان حقًا فالحنوالي لحنا أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس. فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه، وكان فيه جدة فقال له ابن عبادة: دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، ثم رجعوا إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) فسلموا عليه وقالوا: عضل والقارة أي: كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): الله أكبر! أبشروا يا معشر المسلمين. فعظم عند ذلك الخوف قال الله تعالى:{ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾} [الأحزاب: ١٠ - ١١]، الآيات وتكلم المنافقون حتى قال معتب بن قشير أحد بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط. فأقام رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأقام عليه المشركون بضعًا وعشرين ليلة لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار.

ثم إن النبي (صلي الله عليه وسلم) بعث إلى عيينة بن حصن وإلى الحارث بن عوف فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا

المراوضة في ذلك فلما أن أراد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن يفعل بعث إلى السعدين فاستشارهما فقالا: يا رسول الله، أمرًا تحبه فنصنعه أم شيئا أمرك الله به لا بد لنا منه أن شيئًا تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم. فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك ولا يطعمون أن يأكلوا منا تمرة إلا قرى أو بيعًا أفحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. قال: فأنت وذاك. فأخذ سعد الصحيفة فمحاها، ثم قال: ليجهدوا علينا.

وأقام رسول الله (صلي الله عليه وسلم) والأحزاب فلم يكن بينهم قتال إلا فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، وضرار بن الخطاب تلبسوا للقتال، ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيئوا للقتال يا بني كنانة فستعلمون من الفرسان اليوم، ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كنت العرب تكيدها. فتيمموا مكانا من الخندق ضيقًا فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع.

وخرج علي - رضي الله عنه - في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة فأقبلت الفرسان تعنق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلمًا ليرى مكانه فلما وقف وهو وخيله قال: من يبارزني فبرز له علي - رضي الله عنه - فقال له علي: يا عمرو، إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه. قال له: أجل. قال له: فإني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام. قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإني أدعوك إلى النزال. قال له: لم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك. قال علي - رضي الله عنه - لكني والله أحب أن أقتلك. فحمي عمرو واقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي. وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق. وألقى عكرمة يومئذ رمحه وانهزم.

وحدث أبو ليلى عبد الله بن سهل أن عائشة - رضي الله عنها - كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن فمر سعد وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة يرفل بها ويقول:

لبث قليلا يشهد الهيجا حمل ::: لا بأس بالموت إذا حان الأجل

فقالت له أمه: إلحق أي بني فقد أخرت. قالت عائشة: فقلت لها يا أم سعد، لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي. فرمي سعد بسهم قطع منه الأكحل رماه ابن العرقة فلما أصابه قال: خذها مني وأنا ابن العرقة. فقال له سعد: عرق الله وجهك في النار اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم فيك من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة.

وكانت صفية بنت عبد المطلب في فارع - حصن حسان بن ثابت - وكان معها فيه مع النساء والولدان. قالت: فمر بنا يهودي فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة ونقضت وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا والنبي (صلي الله عليه وسلم) والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا. فقلت: يا حسان، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه فأنزل إليه فاقتله. قال: يغفر لك الله يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئًا احتجزت، ثم أخذت عمودًا ونزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته. فلما فرغت رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان، إنزل إليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل. قال: مالي بسلبه من حاجة.

وأقام رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

ثم إن نعيم بن مسعود الغطفاني أتى رسول الله فأسلم.

وقال: إن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت يا رسول الله، قال: إنما أنت فينا رجل واحد فاخذل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة.

فأتى قريظة - وكان نديما لهم في الجاهلية - فقال لهم: قد عرفتم ودي إياكم. قالوا: صدقت. قال: إن قريشًا وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشًا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم فلا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدًا حتى تناجزوه فقالوا: لقد أشرت بالرأي.

ثم خرج حتى أتى قريشًا فقال لأبي سفيان ومن معه: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدًا، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقًا أن أبلغكموه نصحًا لكم فاكتموه علي. قالوا: نفعل. قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد: وأرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين قريش وغطفان رجلاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم؟ فأرسل إليهم: نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رهنًا منكم من رجالكم فلا تفعلوا، ثم خرج فأتى غطفان فقال: يا معشر، غطفان أنتم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهموني. قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال: فاكتموا عني. قالوا: نفعل. ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم.

فلما كانت ليلة السبت من شوال وكان من صنع الله لرسوله أنه أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا: إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدًا. فأرسلوا إليهم أن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا وقد كان بعضنا أحدث فيه حدثًا فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدًا حتى تعطونا رهنًا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدًا فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا

والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك.

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة: قالت قريش وغطفان: والله لقد حدثكم نعيم بن مسعود بحق. فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله ما ندفع إليكم رجلاً من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا.

فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها. وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا. فأبوا عليهم. وخذل الله بينهم.

فلما أنهى ذلك إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) دعا حذيفة بن اليمان فبعثه ليلاً لينظر ما فعل القوم.

قال: فحدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة: يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وصحبتموه قال: نعم يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا. فقال: يا ابن أخي، والله لقد رأيتنا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالخندق وصلى هويًّا من الليل، ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم، ثم يرجع - يشرط له رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الرجعة - أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة. فما قام أحد من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد. فلما لم يقم أحد دعاني، فلم يكن لي من القيام بد حين دعاني فقال: يا حذيف اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يفعلون؟ ولا تحدثني شيئًا حتى تأتينا. فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا يقر لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناء. فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم.

ولولا عهد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) " أن لا تحدث شيئًا حتى تأتيني، ثم شئت لقتلته بسهم ".

قال: فرجعت إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مراجل - وهو ضرب " من وشي اليمن " فسره ابن هشام - فلما رآني أدخلني إلى رجليه وطرح علي طرف المرط، ثم ركع وسجد وإني لفيه فلما سلم أخبرته الخبر.

وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم.

قال الله تعالى:{وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾} [الأحزاب: ٢٥].

* * *

غزوة بني قريظة

وكانوا قد ظاهروا قريشًا وأعانوهم على حرب رسول الله (صلي الله عليه وسلم). وفيهم نزلت:{ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ } [الأحزاب: ٢٦]، الآيتين.

قال عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: إن عمه عبيد الله بن كعب أخبره أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللأمة واغتسل واستجمر فتبدى له جبريل - عليه السلام - فقال: عذيرك من محارب ألا أراك قد وضعت اللأمة وما وضعناها بعد.

فوثب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فزعا فعزم على الناس أن لا يصلوا العصر حتى يأتوا بني قريظة، فلبسوا السلاح فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس: فاختصم الناس عند غروبها فقال بعضهم: إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عزم علينا أن لا نصلي حتى نأتي بني قريظة، فإنما نحن في عزيمة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فليس علينا إثم وصلى طائفة من الناس احتسابا وتركت طائفة حتى غربت الشمس فصلوا حين جاءوا بني قريظة، فلم يعنف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) واحدًا من الفريقين.

وعن عائشة قالت: فجاءه جبريل وعلى ثناياها النقع فقال: أوضعت السلاح والله ما وضعت الملائكة أخرج إلى بني قريظة، فلبس رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لأمته وأذن بالرحيل، ثم مر على بني غنم فقال: من مر بكم قالوا: دحية. وكان دحية تشبه لحيته ووجهه جبريل. فأتاهم فحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة، ثم نزلوا على حكم سعد وذكر الحديث بطوله في مسند أحمد.

وقال موسى بن عقبة. وخرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في أثر جبريل فمر على مجلس بني غنم وهم ينتظرون رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فسألهم: مر عليكم فارس آنفًا فقالوا: مر علينا دحية على فرس أبيض تحته نمط أو قطيفة من ديباج عليه اللأمة. قال: ذاك جبريل.

وكان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يشبه دحية بجبريل. قال: ولما رأى علي بن أبي طالب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مقبلاً تلقاه. وقال: ارجع يا رسول الله، فإن الله كافيك اليهود، وكان علي سمع منهم قولا سيبيي لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأزواجه فكره علي أن يسمع ذلك فقال: لم تأمرني بالرجوع فكتمه ما سمع منهم. فقال: أظنك سمعت لي منهم أذى فامض، فإن أعداء الله لو قد رأوني لم يقولوا شيئًا مما سمعت.

فلما نزل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بحصنهم وكانوا في أعلاه نادى بأعلى صوته نفرًا من أشرافهم حتى أسمعهم فقال: أجيبونا يا معشر يهود، يا أخوة القردة لقد نزل بكم خزي الله فحاصرهم (صلي الله عليه وسلم) بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ورد الله حيي بن أخطب حتى دخل حصنهم وقذف الله في قلوبهم الرعب واشتد عليهم الحصار فصرخوا بأبي لبابة بن عبد المنذر وكانوا حلفاء الأنصار.

فقال: لا آتيهم حتى يأذن لي رسول الله (صلي الله عليه وسلم). فقال: قد أذنت لك. فأتاهم فبكوا وقالوا: يا أبا لبابة، ماذا ترى؟ فأشار بيده إلى حلقه يريهم إنما يراد بكم القتل، فلما انصرف سقط في يده ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة فقال: والله لا أنظر في وجه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى أحدث لله توبة نصوحًا يعلمها الله من نفسي، فرجع إلى المدينة فربط يديه إلى جذع من جذوع المسجد. فزعموا أنه ارتبط قريبًا من عشرين ليلة.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كما ذكر حين راث عليه أبو لبابة: أما فرغ أبو لبابة من حلفائه قالوا: يا رسول الله، قد والله انصرف من عند الحصن وما ندري أين سلك؟ فقال: قد حدث له أمر فأقبل رجل فقال: يا رسول الله، رأيت أبا لبابة ارتبط بحبل إلى جذع من جذوع المسجد، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): لقد أصابته بعدي فتنة ولو جاءني لاستغفرت له، فإذا فعل هذا فلن أحركه من مكانه حتى يقضي الله فيه ما شاء.

وعن ابن إسحاق قال: حاصرهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) خمسًا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب، وكان حيي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه فلما أيقنوا بأن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثًا فخذوا أيها شئتم. قالوا: وما هي؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تعين لكم أنه لنبي مرسل وأنه للذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم. قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدًا ولا نستبدل به غيره. قال: فإذا أبيتم على هذه. فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وإن نظهر فلعمري لنتخذن النساء والأبناء. قالوا: نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال: فإن أبيتم هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة. قالوا: نفسد سبتنا وتحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازمًا.

وعن ابن إسحاق: أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو في بيت أم سلمة فقالت أم سلمة: فسمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من السحر وهو يضحك قالت: فقلت: مم تضحك؟ قال: تيب على أبي لبابة.

قالت: قلت: أفلا أبشره؟ قال: إن شئت. قال: فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك. قالت: فثار إليه الناس ليطلقوه. قال: لا والله حتى يكون رسول الله (صلي الله عليه وسلم) هو الذي يطلقني بيده. فلما مر عليه خارجًا إلى صلاة الصبح أطلقه.

وقال شعبة: أخبرني سعد بن إبراهيم سمعت أبا أمامة بن سهل يحدث عن أبي سعد قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ فأرسل إليه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأتاه على حمار. فلما دنا قريبًا من المسجد قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): قوموا إلى سيدكم أو إلى خيركم فقال: إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك فقال: نقتل مقاتلتهم ونسبي ذراريهم.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): لقد حكمت عليهم بحكم الله. وربما قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): لقد حكمت عليهم بحكم الله. وربما قال: بحكم الملك. متفق عليه.

قال موسى بن عقبة: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حين سألوه أن يحكم فيهم رجلاً: اختاروا من شئتم من أصحابي فاختاروا سعد بن معاذ فرضي بذلك رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فنزلوا على حكمه.

فأمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بسلاحهم فجعل في قبته وأمر بهم فكتفوا وأوثقوا وجعلوا في دار أسامة وبعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى سعد فأقبل على حمار أعرابي يزعمون أن وطاء برذعته من ليف واتبعه رجل من بني عبد الأشهل فجعل يمشي معه ويعظم حق بني قريظة ويذكر حلفهم والذي أبلوه يوم بعاث ويقول: أختاروك على من سواك رجاء رحمتك وتحننك عليهم فاستبقهم، فإنهم لك جمال وعدد.

فأكثر ذلك الرجل وسعد لا يرجع إليه شيئًا حتى دنوا فقال الرجل: ألا ترجع إلي فيما أكلمك فيه؟ فقال سعد: قد آن لي أن لا تأخذني في الله لومة لائم. ففارقه الرجل فأتاني قومه فقالوا: ما وراءك؟ فأخبرهم أنه غير مستقيم وأن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قتل مقاتلتهم، وكانوا فيما زعموا ستمائة مقاتل قتلوا عند

دار أبي جهم بالبلاط فزعموا أن دماءهم بلغت أحجار الزيت التي كانت بالسوق وسبى نساءهم وذراريهم وقسم أموالهم بين من حضر من المسلمين، وكانت خيل المسلمين ستًا وثلاثين فرسًا. وأخرج حيي بن أخطب فقال له رسول الله (صلي الله عليه وسلم): هل أخزاك الله؟ قال له: ظهرت علي وما ألوم إلا نفسي في جهادك والشدة عليك. فأمر به فضربت عنقه. كل ذلك بعين سعد.

وكان عمرو بن سعد اليهودي في الأسرى فلما قدموه ليقتلوه ففقدوه فقيل: أين عمرو؟ قالوا: والله ما نراه وإن هذه لرمته التي كان فيها، فما ندري كيف انفلت؟ فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): أفلت بما علم الله في نفسه. وأقبل ثابت بن قيس بن شماس إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: هب لي الزبير؛ يعني: ابن باطا وامرأته. فوهبهما له فرجع ثابت إلى الزبير. فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني - وكان الزبير يومئذ كبيرًا أعمى - قال: هل ينكر الرجل أخاه؟ قال ثابت: أردت أن أجزيك اليوم بيدك. قال: أفعل فإن الكريم يجزي الكريم فأطلقه. فقال: ليس لي قائد وقد أخذتم امرأتي وبني. فرجع ثابت إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فسأله ذرية الزبير وامرأته فوهبهم له فرجع إليه فقال: قد رد إليك رسول الله (صلي الله عليه وسلم) امرأتك وبنيك. قال الزبير: فحائط لي فيه أعذق ليس لي ولأهلي عيش إلا به. فوهب له رسول الله (صلي الله عليه وسلم). فقال له ثابت: أسلم قال: ما فعل المجلسان فذكر رجالاً من قومه بأسمائهم. فقال ثابت: قد قتلوا وفرغ منهم ولعل الله أن يهديك. فقال الزبير. أسألك بالله وبيدي عندك إلا ما ألحقتني بهم. فما في العيش خير بعدهم. فذكر ذلك ثابت لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأمر بالزبير فقتل.

قال الله تعالى في بني قريظة في سياق أمر الأحزاب:{ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم } [الأحزاب: ٢٦]، يعين الذين ظاهروا قريشا:{مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا } [الأحزاب: ٢٦].

وقال عروة في قوله:{وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَا} [الأحزاب: ٢٧]، هي خيبر.

وعن ابن إسحاق: فحبسهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في دار بنت الحارث النجارية وخرج إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم

فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، وفيهم حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة. وقد قالوا لكعب وهو يذهب بهم إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أرسالاً: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون. أما ترون الداعي لا ينزع وأنه من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل، وأتى حيي بن أخطب وعليه حلة فقاحية قد شقها من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما نظر إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه.

* * *

وفاة سعد بن معاذ

قال هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له: حبان بن العرقة رماه في الأكحل. فضرب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) خيمة في المسجد ليعوده من قريب. فلما رجع من الخندق؛ وذكر الحديث وفيه قالت عائشة: ثم إن كلمه تحجر للبرء فقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي أن أجاهد فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه اللهم، فإني أظن أنك وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني لهم حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها واجعل موتي فيها. قال: فانفجرت لبته فلم يرعهم - ومعهم أهل خيمة من بني غفار - إلا والدم يسيل إليهم فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد جرحه يغذ دما فمات منها. متفق عليه.

وعن ابن عمر قال: رسول الله (صلي الله عليه وسلم): إن هذا الذي تحرك له العرش - يعني: سعد بن معاذ - وشيع جنازته سبعون ألف ملك لقد ضم ضمة ثم فرج عنه.

وعن الحسن: اهتز عرش الرحمن فرحًا بروحه.

وقال الواقدي: كان سعد بن معاذ رجلا أبيض طوالاً جميلاً حسن الوجه أعين حسن اللحية. فرمي يوم الخندق سنة خمس فمات منها وهو ابن سبع وثلاثين سنة. ودفن بالبقيع.

وعن جابر قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): اهتز عرش الله لموت سعد بن معاذ.

* * *

السنة السادسة

عن ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهري ربيع وخرج في جمادى الأولى إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع: خبيب بن عدي وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوة غرة فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤس الجبال. فقال: لو أن هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة. فهبط في مائتي راكب من أصحابه حتى نزلوا عسفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم، ثم كرا. وراح قافلاً.

* * *

غزوة الغابة

أو غزوة ذي قرد ثم قدم فأقام بها ليالي فأغار عيينة بن حصن في خيل من غطفان على لقاح النبي (صلي الله عليه وسلم) بالغابة وفيها رجل من بني غفار وامرأة فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح.

وكان أول من نذر بهم سلمة بن الأكوع غدا يريد الغابة ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرسه حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم فأشرف في ناحية من سلع ثم صرخ: واصباحاه! ثم خرج يشتد في آثار القوم وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم. وجعل يردهم بنبله فإذا وجهت الخيل نحوه هرب، ثم عارضهم فإذا أمكنه الرمي رمى، وبلغ رسول لله (صلي الله عليه وسلم) ذلك فصرخ بالمدينة: الفزع الفزع.

فنزلت الخيول إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وكان أول من انتهى إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من الفرسان المقداد وعباد بن بشر، وأسيد بن ظهير، وعكاشة بن محصن وغيرهم.

فأمر عليهم سعد بن زيد ثم قال: أخرج في طلب القوم حتى ألحقك بالناس، وقد قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) - فيما بلغني - لأبي عياش: لو أعطيت فرسك رجلاً منك فقلت: يا رسول الله، أنا أفرس الناس وضربت الفرس فوالله ما مشى بي إلا خمسين ذراعًا حتى طرحني فعجبت أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: لو أعطيته أفرس منك وجوابي له ولم يكن سلمة بن الأكوع يومئذ فارسًا وكان أول من لحق القوم على رجليه وتلاحق الفرسان في طلب القوم، فأول من أدركهم محرز بن نضلة الأسدي، فأدركهم ووقف بين أيديهم ثم قال: قفوا يا معشر بني اللكيعة، حتى يلحق بكم من وراءكم من المسلمين، فحمل عليه رجل منهم فقتله، ولم يقتل من المسلمين سواه.

قال عبد الملك بن هشام: وقتل من المسلمين وقاص بن مجزز المدلجي. وقال البكائي عن ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن مجززًا إنما كان على فرس عكاشة يقال له: الجناح فقتل مجزز واستلب الجناح. ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة بن ربعي حبيب بن عيينة بن حصن وغشاه ببرده، ثم لحق بالناس، وأقبل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالمسلمين فاسترجعوا وقالوا: قتل أبو قتادة فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): ليس بأبي قتادة ولكنه قتيل لأبي قتادة وضع عليه برده ليعرفوا به صاحبه.

وأدرك عكاشة بن محصن أوبارًا وابنه عمرو بن أوبار كلاهما على بعير فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعًا واستنقذوا بعض اللقاح.

وسار رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى نزل بالجبل من ذي قرد وتلاحق الناس به فنزل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) به وأقام عليه يوما وليلة، وقال سلمة: يا رسول الله، لو سرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقية

السرح وأخذت بأعناق القوم. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فيما بلغني: إنهم الآن ليغبقون في غطفان. فقسم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في أصحابه في كل مائة رجل جزورا. وأقاموا عليها، ثم رجعوا إلى المدينة.

قال: وانفلتت امرأة الغفاري على ناقة من إبل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى قدمت عليه وقالت: إني نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها، قال: فتبسم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وقال: بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ونجاك بها، ثم تنحرينها إنه لا نذر فيما لا يملك ابن آدم إنما هي ناقة من إبلي ارجعي على بركة الله.

قلت: هذه الغزوة تسمى غزوة الغابة وتسمى: غزوة ذي قرد.

* * *

مقتل ابن أبي الحقيق

وهو سلام بن أبي الحقيق، وقيل: عبد الله بن أبي الحقيق اليهودي - لعنه الله.

وعن ابن إسحاق: ولما انقضى شأن الخندق وأمر بني قريظة وكان سلام بن أبي الحقيق أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، وكانت الأوس قبل أحد قتلت كعب بن الأشرف، فاستأذنت الخزرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في قتل ابن أبي الحقيق وهو بخيبر فأذن لهم.

وعن عبد الله بن كعب بن مالك قال: كان مما صنع الله لرسوله (صلي الله عليه وسلم)، أن هذين الحيين من الأنصار كانا يتصاولان مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) تصاول الفحلين لا تصنع الأوس شيئًا فيه غناء عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلا قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وفي الإسلام. فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها. وإذا فعلت الخزرج شيئًا قالت الأوس مثل ذلك.

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلاً علينا. فتذاكروا من رجل لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) كابن الأشرف فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر، فاستأذنوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأذن لهم، فخرج إليه

من الخزرج خمسة من بني سلمة: عبد الله ابن عتيك، ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة بن ربعي، وآخر هو أسود بن خزاعي حليف لهم. فأمر عليهم ابن عتيك فخرجوا حتى قدموا خيبر فأتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً فلم يدعوا بيتًا في الدار إلا أغلوه على أهله، ثم قاموا على بابه فاستأذنوا فخرجت إليهم امرأته فقالت: من أنتم؟ قالوا: نلتمس الميرة. قالت: ذاك صاحبكم فادخلوا عليه قال: فلما دخلنا عليه أغلقنا علينا وعليها الحجرة تخوفًا أن يكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه. قال: فصاحت امرأته فنوهت بنا وابتدرناه وهو على فراشه والله ما يدلنا عليه في سواد البيت إلا بياضه كأنه قبطية ملقاة. فلما صاحت علينا جعل الرجل منا يرفع سيفه عليها، ثم يذكر نهي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عن قتل النساء فكيف يده؟ فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس في بطنه حتى أنفذه وهو يقول: قطني قطني أي: حسبي. قال: وخرجنا وكان ابن عتيك سيئ البصر فوقع من الدرجة فوثئت يده وثئا شديدًا وحملناه حتى نأتي منهرًا من عيونهم فندخل فيه. فأوقدوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبوننا حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه. فقلنا: كيف لنا بأن نعلم أنه هلك؟ فقال رجل منا: أنا أذهب فأنظر لكم. فانطلق حتى دخل في الناس. قال: فوجدتها وفي يدها المصباح وحوله رجال وهي تنظر في وجهه وتحدثهم وتقول: أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك، ثم أكذبت نفسي فقلت: أني ابن عتيك بهذه البلاد، ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت: فاظ وإله يهود. فما سمعت من كلمة كانت ألذ إلي منها. قال: ثم جاء فأخبرنا بالخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأخبرناه واختلفنا في قتله فكلنا يدعيه. فقال: هاتوا أسيافكم، فجئناه بها فقال لسيف عبد الله بن أنيس: هذا قتله أرى فيه أثر الطعام والشراب.

* * *

قتل ابن نبيح الهذلي

قال ابن لهيعة: ثنا أبو الأسود عن عروة قال: بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عبد الله بن أنيس السلمي إلى خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي، ثم اللحياني ليقتله وهو بعرنة وادي مكة.

عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس، عن أبيه قال: دعاني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: إنه بلغني أن ابن نبيح الهذلي يجمع الناس ليغزوني وهو بنخلة أو بعرنة فأته فاقتله. قلت: يا رسول الله، انعته لي حتى أعرفه. قال: آيه ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت قشعريرة. فخرجت متوشحًا بسيفي حتى دفعت إليه في ظعن يرتاد بهن منزلاً وقت العصر. فلما رأيته وجدت له ما وصف لي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من القشعريرة. فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة فصليت وأنا أمشي نحوه أوميء برأسي إيماء، فلما انتهيت إليه قال: من الرجل قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاء لذلك. قال: أجل نحن في ذلك. فمشيت معه حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف فقتلته، ثم خرجت وتركت ظعائنة مكبات عليه.

فلما قدمت على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: أفلح الوجه. قلت: قد قتلته يا رسول الله، قال: صدقت. ثم قام بي فدخل بيته فأعطاني عصا فقال: امسك هذه عندك. فخرجت بها على الناس. فقالوا: ما هذه العصا؟ فقلت: أعطانيها رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأمرني أن أمسكها عندي. قالوا: أفلا ترجع فتسأله فرجعت فسألته: لم أعطيتنيها يا رسول الله، قال: آية بيني وبينك يوم القيامة إن أقل الناس المتخصرون يومئذ. قال: فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضمت معه في كفنه فدفنا جميعًا.

* * *

غزوة بني المصطلق وهي المريسع

وقال الواقدي فقال: خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يوم الإثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس وقدم المدينة لهلال رمضان.

قلت: وفيها حديث الإفك وقد تقدم ذلك في سنة خمس. وهو الصحيح.

* * *

سيرة نجد

قيل: إنها كانت في المحرم سنة ست قال الليث بن سعد: حدثني سعيد

المقبري أنه سمع أبا هريرة يقول: بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: ما عندك؟ قال: عندي يا محمد، خير إن تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت. فتركه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى كان من الغد فقال: ما عندك؟ يا ثمامة قال: عندي ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.

فقال: أطلقوه. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. يا محمد، والله ما كان على وجه الأرض أبغض إلي من وجهك وقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي. والله ما كان دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إلي. والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأمره أن يعتمر. فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت يا ثمامة، قال: لا ولكني أسلمت فوالله لا يأتيكم من اليمامة حبة حتى يأذن فيها رسول الله (صلي الله عليه وسلم). متفق عليه.

* * *

سرية عكاشة إلى الغمر

قال: بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في ربيع الأول أو الآخر عكاشة بن محصن في أربعين رجلاً إلى الغمر. وفيهم ثابت بن أقرم وشجاع بن وهب، فأسرعوا ونذر بهم القوم وهربوا، فنزل عكاشة على مياههم وبعث الطلائع فأصابوا من دلهم على بعض ماشيتهم فوجدوا مائتي بعير فساقوها إلى المدينة.

* * *

سرية أبي عبيدة إلى ذي القصة

قال: وفيها بعث سرية أبي عبيدة إلى ذي القصة في أربعين رجلاً فساروا

ليلهم مشاة ووافوا ذا القصة مع عماية الصبح، فأغار عليهم وأعجزهم هربًا في الجبال. وأصابوا رجلاً فأسلم.

* * *

سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة

وبعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) محمد بن مسلمة في عشرة، فكمن القوم لهم حتى نام هو وأصحابه فما شعروا إلا بالقوم، فقتل أصحاب محمد وأفلت هو جريحًا.

* * *

سرية زيد بن حارثة إلى الجموم

قال: وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم، فأصاب امرأة من مزينة يقال لها: حليمة فدلتهم على مكان فأصابوا مواشي وأسراء منهم زوجها. فوهبها النبي (صلي الله عليه وسلم) نفسها وزوجها.

* * *

سرية زيد بن حارثة إلى الطرف

وفيها سرية زيد بن حارثة إلى الطرف؛ إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً. فهربت الأعراب وخافوا فأصاب من نعمهم عشرين بعيرًا. وغاب أربع ليال.

* * *

سرية زيد بن حارثة إلى العيص

وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى العيص؛ في جمادى الأول، وأخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص، فاستجار بزينب بنت رسول الله (صلي الله عليه وسلم)؛ فأجارته.

* * *

سرية زيد بن حارثة إلى حسمي

وحدثني موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال: أقبل دحية الكلبي من عند قيصر قد أجازه بمال. فأقبل حتى كان بحسمي فلقيه ناس من جذام فقطعوا

عليه الطريق وسلبوه. فجاء رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قبل أن يدخل بيته فأخبره. فبعث زيد بن حارثة إلى حسمي؛ وهي وراء وادي القرى وكانت في جمادى الآخرة.

* * *

سرية زيد إلى وادي القرى

ثم سرية زيد إلى وادي القرى في رجب.

* * *

سرية علي بن أبي طالب إلى فدك

علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفدك ثم قال: وحدثني عبد الله بن جعفر عن يعقوب بن عتبة قال: خرج علي - رضي الله عنه - في مائة إلى فدك إلى حي من بني سعد بن بكر. ذلك أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بلغه عنهم أن لهم جمعًا يريدون أن يمدوا يهود خيبر. فسار إليهم الليل وكمن النهار وأصاب عينا فأقر له أنه بعث إلى خيبر يعرض عليهم نصرهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر.

* * *

سرية عبد الرحمن الي دومة الجندل

قال الواقدي: وفيها سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل في شعبان. فقال له رسول الله (صلي الله عليه وسلم): إن أطاعوا فتزوج ابنة ملكهم، فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبغ؛ والدة أبي سلمة وكان أبوها ملكهم.

* * *

سرية كرز إلى العرنيين

وقال ابن أبي عروبة عن قتادة عن أنس: أن رهطًا من عكل وعرينة أتوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقالوا: إنا أناس من أهل ضرع ولم نكن أهل ريف فاستوخمنا المدينة، فأمر لهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بذود

وراع وأمرهم أن يخرجوا فيها فيشربوا من أبوالها وألبانها. فانطلقوا حتى إذا كانوا في ناحية الحرة قتلوا راعي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) واستاقوا الذود وكفروا بعد إسلامهم، فبعث النبي (صلي الله عليه وسلم) في طلبهم فأمر فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم وتركهم في ناحية الحرة حتى ماتوا وهم كذلك.

قال قتادة: فذكر لنا أن هذه الآية نزلت فيهم:{إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ} [المائدة: ٣٣]، الآية. قال قتادة: بلغنا أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كان يحث في خطبته بعد ذلك على الصدقة، وينهى عن المثلة. متفق عليه.

وفي بعض طرقه: من عكل أو عرينة.

* * *

سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن زارم في شوال

قيل: إن سلام بن أبي الحقيق لما قتل أمرت يهود عليهم أسير بن رازم فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فوجه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ابن رواحة في ثلاثة سرًا فسأل عن خبره وغرته فأخبر بذلك، فقدم على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأخبره. فندب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ثلاثين رجلاً فبعث عليهم ابن رواحة فقدموا على أسير فقالوا: نحن آمنون نعرض عليك ما جئنا له قال: نعم ولي منكم مثل ذلك. فقالوا: نعم. فقالوا: إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على خيبر ويحسن إليك. فطمع في ذلك فخرج وخرج معه ثلاثون من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين. حتى إذا كانوا بقرقرة ثبار ندم أسير فقال عبد الله ابن أنيس - وكان في السرية: وأهوى بيده إلى سيفي ففطنت له ودفعت بعير وقلت: غدرًا أي عدو الله. فعل ذلك مرتين. فنزلت فسقت بالقوم حتى انفردت إلى أسير فضربته بالسيف، فأندرت عامة فخذه فسقط وبيده مخرش فضربني فشجني مأمومة وملنا على أصحابه فقتلناهم وهرب منهم رجل، فقدمنا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: لقد

نجاكم الله من القوم الظالمين.

* * *

قصة غزوة الحديبية

عن المسور ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا: خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه. حتى إذا كانوا بذي الحليفة قلد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الهدي وأشعره وأحرم بالعمرة، وبعث بين يديه عينا له من خزاعة يخبره عن قريش، وسار حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريبًا من عسفان أتاه عينه الخزاعي فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد جمعوا لك جموعًا وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): أشيروا علي. أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم، فإن قعدوا قعدوا موتورين، وإن لجوا تكن عنقا قطعها الله. أم ترون أن نؤم البيت فيمن صدنا عنه قاتلناه قال أبو بكر: الله ورسوله أعلم إنما جئنا معتمرين ولم نجيء لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه. قال: فروحوا إذا.

قال الزهري في الحديث: فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي (صلي الله عليه وسلم): إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين. فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرًا لقريش. وسار النبي (صلي الله عليه وسلم) حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس: حل حل فألحت فقالوا: خلأت القصواء خلأت القصواء. قال: فروحوا إذا.

قال المسور ومروان في حديثهما: فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي (صلي الله عليه وسلم): إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقري - رجع الحديث إلى موضعه - قال النبي (صلي الله عليه وسلم):**(ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل)**. ثم قال:**(والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها)**. ثم زجرها فوثبت به.

قال: فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء نما يتبرضه الناس تبرضًا فلم يلبثه الناس أن نزحوه فشكوا إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) العطش. فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله مازال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه.

فبينما هم كذلك؛ إذ جاءه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة، وكانوا عيبة نصح لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) من أهل تهامة. فقال: إني تركت كعب ابن لؤي وعامر ابن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): إنا لم نجيء لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وإن قريشًا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل في الناس فعلوا ولا فقد جموا وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره.

فقال بديل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشًا فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا، فإن شئتم نعرضهم عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا في أن تحدثنا عنه بشيء. وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته. قال: سمعته يقول كذا وكذا. فحدثهم بما قال النبي (صلي الله عليه وسلم).

فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال: أي قوم ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى. قال: ألست بالولد؟ قالوا: بلى. قال: هل تتهموني؟ قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته. قالوا: ائته. فأتاه فجعل يكلم النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال نحوا من قوله لبديل. فقال: أي محمد، أرأيت إن استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك وإن تكن الأخرى؟ فوالله إني لأرى وجوها وأرى أوباشًا من الناس خلقا أن يفروا ويدعوك. فقال له أبو بكر - رضي الله عنه: أمصص بظر اللات. أنحن نفر عنه وندعه قال: من ذا قال أبو بكر. قال: والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك. قال: وجعل يكلم النبي (صلي الله عليه وسلم) كلما

كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة إلى لحية النبي (صلي الله عليه وسلم) ضرب يده بنعل السيف وقال: أخر يدك. فرفع رأسه فقال: من هذا قالوا: المغيرة بن شعبة. فقال: أي غدر أو لست أسعى في غدرتك قال: وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء.

ثم إن عروة جعل يرمق صحابة النبي (صلي الله عليه وسلم)؛ فوالله ما تنخم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم يدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم بأمر ابتدروه وإذا توضأ ثاروا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يجدون إليه النظر تعظيمًا له. فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك؛ وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ولا يجدون إليه النظر تعظيمًا له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من بني كنانة: دعوني أته. فقالوا: ائته. فلما أشرف على النبي (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له. فبعثت له. واستقبله القوم يلبون. فلما رأى ذلك قال: سبحان الله! ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت. فقام رجل منهم يقال له: مكرز بن حفص فقال: دعوني آته. فقالوا: ائته. فلما أشرف عليهم قال النبي (صلي الله عليه وسلم): هذا مكرز وهو رجل فاجر. فجعل يكلم النبي (صلي الله عليه وسلم). فبينا هو يكلمه؛ إذ جاء سهيل بن عمرو.

قال معمر: وأخبرني أيوب عن عكرمة أنه قال: لما جاء سهيل قال النبي (صلي الله عليه وسلم): سهل لكم من أمركم.

قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينك

كتابًا. فدعا الكاتب فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**اكتب بسم الله الرحمن الرحيم**). فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم):(**اكتب باسمك اللهم**) ثم قال:(**هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**). فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن أكتب محمد بن عبد الله. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): إني لرسول الله وإن كذبتموني أكتب محمد بن عبد الله.

قال الزهري: وذلك لقوله لا يسألون خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها.

فقال له النبي (صلي الله عليه وسلم):(**على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف**). فقال: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل. فكتب. فقال سهيل: على أنه لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. فقال المسلمون: سبحان الله! كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلمًا؟! فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين. فقال سهيل: وهذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): إنا لم نقض الكتاب بعد. قال: فوالله إذا لا نصالحك على شيء أبدًا. قال النبي (صلي الله عليه وسلم): فأجره لي. قال: ما أنا بمجيره لك. قال: بل فافعل قال: ما أنا بفاعل. قال مكرز: بلى قد أجرناه. قال أبو جندل: يا معاشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلمًا ألا ترون ما قد لقيت، وكان قد عذب عذابًا شديدًا في الله.

فقال عمر: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ فأتيت النبي (صلي الله عليه وسلم) فقلت: يا رسول الله، ألست نبي الله؟ قال: " بلى " قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: " بلى " قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا قال: " إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري ". قلت: أوَلستَ كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف حقًا؟! قال: " بلى أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟ " قلت: لا. قال: " فإنك آتيه ومطوف به ". قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله

حقًا؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟! قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا قال: أيها الرجل إنه رسول الله، وليس يعصي الله وهو ناصره فاستمسك بغرزه حتى تموت.

فوالله إنه لعلى الحق. قلت: أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟! قال: بلى فأخبرك أنك تأتيه العام قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به.

قال: الزهري. قال عمر: فعلمت لذلك أعمالاً.

فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ثلاث مرات. فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت: يا نبي الله، أتحب ذلك أخرج ثم لا تكلم أحدًا كلمة حتى تنحر بدنك، ثم تدعو بحالقك فيحلقك. فقام فخرج فلم يكلم أحدًا حتى فعل ذلك. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا، ثم جاء نسوة مؤمنات وأنزل الله:{إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ} [الممتحنة: ١٠]، حتى بلغ: {وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ} [الممتحنة: ١٠]. فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له من الشرك فتزوج إحداهما معاوية والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا. فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا به ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم. فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا جيدًا جدًّا فاستله الأخر فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت. فقال أبو بصير: أرني إليه. فأمكنه منه فضربه حتى برد. وفر الآخر حتى بلغ المدينة فدخل المسجد يعدو فقال للنبي (صلي الله عليه وسلم): قتل والله صاحبي وإني لمقتول. قال: فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد أوفى الله ذمتك والله قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله بسيفهم. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم):**(ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد)**. فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم. فخرج حتى أتى سيف البحر. وينفلت منه أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير فلا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير

حتى اجتمعت منهم عصابة.

قال: فوالله لا يسمعون بعير لقريش خرجت إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه منهم فهو آمن. فأرسل النبي (صلي الله عليه وسلم) إليهم فأنزل:{وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم} [الفتح: ٢٤]، حتى بلغ:{حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ} [الفتح: ٢٦]. وكانت حميتهم أنهم لم يقروا بنبي الله ولم يقروا ببسم الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين الموت. أخرجه البخاري عن المسندي عن عبد الرزاق عن معمر بطوله.

وعن نبيح العنزي قال: قال جابر بن عبد الله: غزونا أو سافرنا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ونحن يومئذ أربع عشرة مائة فحضرت الصلاة فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**هل في القوم من طهور؟**) فجاء رجل يسعى بإداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره فصبه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في قدح، ثم توضأ ثم انصرف وترك القدح. قال: فركب الناس ذلك القدح وقالوا: تمسحوا تمسحوا. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**على رسلكم**) حين سمعهم يقولون ذلك. قال: فوضع كفه في الماء والقدح وقال:(**سبحان الله**). ثم قال:(**أسبغو الوضوء**). فوالذي ابتلاني ببصري لقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ولم يرفعها حتى توضأوا أجمعون. رواه مسدد عنه.

عن أنس قال: لما أمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ببيعة الرضوان كان عثمان قد بعثه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى مكة. فبايع الناس فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): إن عثمان في حاجة الله ورسوله. فضرب بإحدى يديه على الأخرى فكانت يد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم.

وعن الشعبي قال: لما دعا النبي (صلي الله عليه وسلم) الناس إلى البيعة كان أول من انتهى إليه أبو سنان الأسدي فقال: أبسط يدك أبايعك. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): علام تبايعني؟ قال: على ما في نفسك.

* * *

السنة السابعة غزوة خيبر

عن أنس أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حين خرج إلى خيبر أتاها ليلاً. وكان إذا أتى قوما بليل لم يغر حتى يصبح، فلما أصبح خرجت يهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا: محمد والله محمد والخميس، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**الله أكبر خربت خيبر**). إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين " أخرجه البخاري.

وعن أبي حازم أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال يوم خيبر: لأعطين الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: أين علي بن أبي طالب؟ قيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال:(**فأرسلوا إليه**). فأتي به فبصق رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في عينيه ودعا له فبرأ حتى لم يكن به وجع. فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، قال:(**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**).

وعن أبي هريرة قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه**). فقال عمر: فما أحببت الإمارة قط حتى يومئذ. فدعا علينا فبعثه ثم قال:(**اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت**) قال علي: علام أقاتل الناس؟ قال:(**قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك؛ فقد منعوا منك دماءهم، وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**). أخرجه مسلم وقال عكرمة بن عمار: حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع حدثني أبي أن عمه عامرًا حدا بهم فقال له النبي (صلي الله عليه وسلم):(**غفر لك ربك**) قال: وما خص بها أحد إلا استشهد. فقال عمر: هلا متعتنا بعامر فقدمنا خيبر فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول:

علمت خيبر أني مرحب ::: شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحرب أقبلت تلهب.

فبرز له عامر وهو يقول:

قد علمت خيبر أني عامر ::: شاكي السلاح بطل مغامر

قال: فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر فذهب عامر يسفل له فرجع بسيفه على نفسه فقطع أكحله وكانت فيها نفسه، قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي (صلي الله عليه وسلم) يقولون: بطل عمل عامر قتل نفسه. فأتيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأنا أبكي قال:**(مالك)** فقلت: قالوا إن عامرًا بطل عمله. قال:**(ومن قال ذلك)** قلت: نفر من أصحابك. فقال:**(كذب أولئك بل له من الأجر مرتين)** قال: فأرسل إلى علي يدعوه وهو أرمد فقال: لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فجئت به أقوده. قال: فبصق رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في عينيه فبرأ فأعطاه الراية. قال: فبرز مرحب وهو يقول.

قد علمت خيبر أني مرحب ::: شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب.

قال: فبرز له علي - رضي الله عنه - وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدره ::: كليث غابات كريه المنظر

أوفيهم بالصاع كيل السندره.

فضرب مرحبًا ففلق رأسه فقتله وكان الفتح أخرجه مسلم.

عن أبي الهيثم بن نصر الأسلمي أن أباه حدثه أنه سمع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول: - في مسيره لخيبر - لعامر بن الأكوع خذ لنا من هناتك فنزل يرتجز فقال:

والله لولا الله ما اهتدينا ::: ولا تصدقنا ولا صلينا

إنا إذا قوم بغوا علينا ::: وإن أرادوا فتنة أبينا

فأنزلن سكينة علينا ::: وثبت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): يرحمك الله! فقال عمر: وجب والله يا رسول الله لو أمتعتنا به. فقتل يوم خيبر شهيدًا.

عن المسيب بن مسلم الأزدي قال: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ربما أخذته الشقيقة فيلبث اليوم واليومين لا يخرج ولما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، ثم نهض فقاتل قتالاً شديدًا ثم رجع. فأخذها عمر فقاتل قتالاً هو أشد قتالاً من القتال الأول، ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال:(**لأعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة وليس ثم علي**). فتطاولت لها قريش ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك. فأصبح وجاء علي على بعير حتى أناخ قريبا وهو أرمد قد عصب عينه بشق برد قطري. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**مالك**) قال: رمدت بعدك قال:(**أدن مني**) فتفل في عينه فما وجعها حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه جبة أرجوان حمراء قد أخرج خملها فأتى مدينة خيبر وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر مظهر يماني وحجر قد ثقبه مثل البيض على رأسه وهو يرتجز فارتجز علي واختلفا ضربتين فبدره علي بضربة، فقد الحجر والمغفرر ورأسه ووقع في الأضراس وأخذ المدينة.

وجاء عبد حبشي من أهل خيبر كان في غنم لسيده فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم ما يريدون؟ قالوا: نقاتل هذا الذي يزعم أنه نبي. فوقع في نفسه ذكر النبي فأقبل بغنمه حتى عمد لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأسلم وقال: ماذا لي؟ قال: " الجنة " فقال: يا رسول الله، إن هذه الغنم عندي أمانة. قال له رسول الله (صلي الله عليه وسلم): " أخرجها من عسكرنا وارمها بالحصباء، فإن الله سيؤدي عنك أمانتك ". ففعل؛ فرجعت الغنم إلى سيدها. ووعظ النبي (صلي الله عليه وسلم) الناس. إلى أن قال: وقتل من المسلمين العبد الأسود فاحتملوه فأدخل في فسطاط. وزعموا أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) اطلع في الفسطاط، ثم أقبل على أصحابه فقال: لقد أكرم الله هذا العبد وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين.

* * *

ذكر صفية

حدث ابن لمحمد بن مسلمة الأنصاري عمن أدرك من أهله وحدثنيه مكنف قالا: حاصر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أهل خيبر في حصنهم الوطيح والسلالم حتى إذا أيقنوا بتلهلكة سألوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن يسيرهم ويحقن دماءهم ففعل، وكان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قد حاز الأموال كلها: الشق والنطاة والكتيبة وجميع حصونهم إلا ما كان في ذينك الحصين.

فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يسألونه أن يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلون بينه وبين الأموال ففعل، فكان ممن مشى بين يدي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود، فلما نزلوا على ذلك سألوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن يعاملهم في الأموال على النصف وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأعمر لها.

فصالحهم على النصف على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم، وصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت أموال خيبر فيئا بين المسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله (صلي الله عليه وسلم)؛ لأن المسلمين لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

عن أنس أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لما ظهر على أهل خيبر قتل المقاتلة وسبى الذراري، فصارت صفية لدحية الكلبي، ثم صارت لرسول الله (صلي الله عليه وسلم)، ثم تزوجها وجعل صداقها عتقها. متفق عليه.

ورأى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بعين صفية خضرة فقال: ما هذه قالت: كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة فرأيت كأن قمرًا وقع في حجري، فأخبرته بذلك فلطمني وقال: تمنين ملك يثرب قالت: وكان رسول لله (صلي الله عليه وسلم) من أبغض الناس إلي قتل أبي وزوجي. فما زال يعتذر إلي ويقول: إن أباك ألب العرب علي وفعل وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي.

* * *

قدوم جعفر بـن أبـي طالب ومن معه

عن أبي موسى الأشعري قال: بلغنا مخرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لـي أنـا أصـغرهم أحدهما أبـو رهم والآخر أبو بردة إما قال: بضع وإما قال: في ثلاثة أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي. فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة. فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده. فقال جعفر. إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بعثنا وأمرنا - يعني: بالإقامة - فأقيموا معنا فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا فوافقنا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حين فتح خيبر. فأسهم لنا وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر شيئًا إلا لمن شهد معه إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم.

قال: فكان أناس من الناس يقولون لنا: سبقناكم بالهجرة.

قال: ودخلت أسماء بنت عميس - وهي ممن قدم معنا - على حفصة زوج النبي (صلي الله عليه وسلم) زائرة وقد كانت هاجرت إلى النجائشي، فدخل عمر على حفصة، وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس. قال عمر: الحبشية هذه البحرية هذه فقالت أسماء: نعم. فقال عمر: سبقناكم بالهجرة نحن أحق برسول الله (صلي الله عليه وسلم) فغضبت فقالت كلمة: كذبت يا عمر!

كلا والله كنتم مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار - أو أرض - البعداء أو البغضاء بالحبشة، وذلك في الله تعالى وفي رسوله، وأيم الله لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أذكر ما قلت لرسول الله (صلي الله عليه وسلم)، ونحن كنا نؤذى ونخاف وسأذكر له ذلك وأسأله.

فلما جاء قالت: يا نبي الله، إن عمر قال كذا وكذا. قال:(**ليس بأحق بي منكم له ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم – أهل السفينة – هجرتان**). قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالا يسألوني عن هذا الحديث. ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله (صلي الله

عليه وسلم). قال أبو بردة: قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني. وقال:(**لكم الهجرة مرتين هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إليّ**).

وعن الشعبي قال: لما قدم جعفر من الحبشة تلقاه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقبل جبهته، ثم قال: " والله ما أرى بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر.

شأن الشاة المسمومة

وعن أبي هريرة قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) شاة فيها سم. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**اجمعوا من كان هاهنا من اليهود**). فجمعوا له فقال لهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟**) قالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**من أبوكم؟**) قالوا: أبونا فلان. قال:(**كذبتم بل أبوكم فلان**) قالوا: صدقت وبررت. قال لهم:(**هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟**) قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في آبائنا، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**من أهل النار؟**) فقالوا: نكون فيها يسيرًا ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**اخسأوا فيها فوالله لا نخلفنكم فيها أبدا**) ثم قال:(**هل أنتم صادقي في شيء إن سألتكم عنه؟**) قالوا: نعم. قال:(**أجعلتم في هذه الشاة سما**) قالوا: نعم قال:(**فما حملكم على ذلك؟**) قالوا: أردنا إن كنت كاذبًا أن نستريح منك وإن كنت نبيًا لم يضرك.

وعن أنس أن يهودية أتت النبي (صلي الله عليه وسلم) بشاة مسمومة، فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فسألها عن ذلك قالت: أردت لأقتلك. فقال:(**ما كان الله ليسلطك على ذلك**). أو قال: " علي " قالوا: ألا نقتلها؟ قال: " لا ". فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله (صلي الله عليه وسلم). متفق عليه من حديث خالد.

فمات بشر بن البراء بن معرور، وأمر بها النبي (صلي الله عليه وسلم) فقتلت ويحتمل أنه لم يقتلها أولاً ثم لما مات بشر قتلها.

* * *

غزوة وادي القرى

عن أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من خيبر إلى وادي القرى. وكان رفاعة بن زيد الجذامي قد وهب لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) عبدا يقال له: مدعم. فلما نزلنا بوادي القرى انتهينا إلى يهود وقد ثوى إليها ناس من العرب. فبينما مدعم يحط رحل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وقد استقبلنا يهود بالرمي حيث نزلنا، ولم نكن على تعبئة وهم يصيحون في طلبهم فيقبل سهم عائر فأصاب مدعما فقتله.

فقال الناس: هنيئا له الجنة. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم):**(كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا)**. فلما سمع بذلك الناس جاء رجل إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بشراك أو بشراكين فقال: " شراك أو شراكان من نار ". فعبأ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة، ودفع راية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سهل بن حنيف وراية إلى عباد بن بشر، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم فبرز رجل فبرز إليه الزبير فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه علي فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه أبو دجانة فقتله حتى قتل منهم أحد عشر رجلاً، ثم أعطوا من الغد بأيديهم. وفتحها الله عنوة.

وأقام رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بوادي القرى أربعة أيام. فلما بلغ ذلك أهل تيماء صالحوا على الجزية. فلما كان عمر أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى؛ لأنهما داخلتان في أرض الشام، ويرى أن مادون وادي القرى إلى المدينة حجاز وما وراء ذلك من الشام.

وقال ابن وهب: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حين قفل من غزوة خيبر فسار ليله حتى إذا أدركنا الكرى عرس رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وقال لبلال:**(أكلأ لنا الليل)** فغلبت بلالاً عيناه فلم يستيقظ النبي (صلي الله عليه وسلم) ولا بلال إلا بحر الشمس، الحديث أخرجه مسلم.

* * *

سرية أبي بكر إلى نجد وكانت بعد خيبر سنة سبع

حدث إياس بن سلمة بن الأكوع قال: بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أبا بكر - رضي الله عنه - إلى بني فزارة وخرجت معه حتى إذا دنونا من الماء عرس بنا أبو بكر حتى إذا ما صلينا الصبح أمرنا فشننا الغارة فوردنا الماء. فقتل أبو بكر من قتل ونحن معه فرأيت عنقا من الناس فيهم الذراري. فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فأدركتهم فرميت بسهمي، فلما رأوه قاموا فإذا امرأة عليها قشع من أدم معها ابنتها من أحسن العرب فجئت أسوقهم إلى أبي بكر فنفلني أبو بكر ابنتها فلم أكشف لها ثوبًا حتى قدمت المدينة، ثم باتت عندي فلم أكشف لها ثوبا حتى لقيني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في السوق فقال: " يا سلمة هب لي المرأة " قلت: يا نبي الله، والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا. فسكت حتى كان من الغد فقال: " يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك ". قلت: هي لك يا رسول الله، فبعث بها رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى أهل مكة ففدى بها أسرى من المسلمين، أخرجه مسلم، وقيل: كان ذلك في شعبان.

* * *

سرية عمر إلى عجز هوازن

وعن أبي بكر بن عمر بن عبد الرحمن قال: بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عمر إلى تربة عجز هوازن في ثلاثين راكبًا فخرج ومعه دليل. فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار. فأتى الخبر هوازن فهربوا، وجاء عمر محالهم فلم يلق منهم أحدا فانصرف إلى المدينة حتى سلك النجدية، فلما كانوا بالجدر قال الدليل لعمر: هل لك في جمع آخر تركته من خثعم جاءوا سائرين قد أجدبت بلادهم؟ فقال عمر: ما أمرني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بهم. ورجع إلى المدينة. وذلك في شعبان.

* * *

سرية بشير بن سعد

حدث عبد الله بن الحارث بن الفضل قال: بعث النبي (صلي الله عليه وسلم) بشير بن سعد في ثلاثين رجلاً إلى بني مرة بفدك. فخرج فلقي رعاء الشاء فاستاق الشاء والنعم منحدرا إلى المدينة، فأدركه الطلب عند الليل فباتوا يرامونهم بالنبل حتى فني نبل أصحاب بشير فأصابوا أصحابه وولى منهم من ولي وقاتل بشير قتالاً شديدًا حتى ضرب كعباه، وقيل: قد مات ورجعوا بنعمهم وشائهم وتحامل بشير حتى انتهى إلى فدك فأقام عند يهودي حتى ارتفع من الجراح، ثم رجع إلى المدينة.

* * *

سرية غالب بن عبد الله الليثي

عن محمد بن إسحاق قال: بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) غالب بن عبد الله الكلبي كلب ليث إلى أرض بني مرة فأصاب بها مرداس بن نهيك حليف لهم من الحرقة فقتله أسامة.

عن أسامة بن زيد قال: أدركته يعني: مرداسًا أنا ورجل من الأنصار فلما شهرنا عليه السيف قال: أشهد أن لا إله إلا الله فلم ننزع عنه حتى قتلناه، فلما قدمنا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أخبرناه خبره فقال: " يا أسامة من لك بلا إله إلا الله " فقلت: يا رسول الله، إنما قالها تعوذا من القتل. قال: " فمن لك بلا إله إلا الله ". فوالذي بعثه بالحق ما زال يرددها علي حتى لوددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن. وأني أسلمت يومئذ ولم أقتله.

عن جندب بن مكيث الجهني قال: بعث رسول لله (صلي الله عليه وسلم) غالب بن عبد الله إلى بني الملوح بالكديد وأمره أن يغير عليهم وكنت في سريته، فمضينا حتى إذا كنا بقديد لقينا به الحارث بن مالك بن البرصاء الليثي فأخذناه فقال: إني إنما جئت لأسلم فقال له غالب: إن كنت إنما جئت لتسلم فلا يضرك رباط يوم وليلة، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك قال: فأوثقه رباطًا وخلف عليه رويجلاً أسود قال: امكث عليه حتى نمر عليك، فإن نازعك فاحتز رأسه وأتينا بطن الكديد فنزلنا بعد العصر. فبعثني أصحابي إليه فعمدت إلى تل يطلعني على الحاضر فانبطحت عليه وذلك قبل الغروب. فخرج رجل

فنظر فرآني منبطحًا على التل، فقال لامرأته: إني لأرى سوادا على هذا التل ما رأيته في أول النهار فانظري لا تكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك. فنظرت فقالت: والله ما أفقد شيئًا. قال: فناوليني قوسي وسهمين من نبلي. فناولته فرماني بسهم فوضعه في جبيني أو قال: في جنبي فنزعته فوضعته ولم أتحرك، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبي فنزعته فوضعته ولم أتحرك. فقال لامرأته: أما والله لقد خالطه سهماي ولو كان زائلاً لتحرك فإذا أصبحت فابتغي سهمي فخذيهما لا تمضغهما علي الكلاب قال: ومهلنا حتى راحت روائحهم وحتى إذا احتلبوا وعطفوا وذهب عتمة من الليل شننا عليهم الغارة فقتلنا من قتلنا واستقنا النعم فوجهنا قافلين به وخرج صريخ القوم إلى قومهم. قال: وخرجنا سراعًا حتى نمر بالحارث ابن مالك بن البرصاء وصاحبه فانطلقا به معنا. وأتانا صريخ الناس فجاءنا ما لا قبل لنا به، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادي من قديد بعث الله من حيث شاء ماء ما رأينا قبل ذلك مطرًا ولا سحابًا فجاء بما لا يقدر أحد يقدم عليه لقد رأيتهم وقوفا ينظرون إلينا ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه ونحن نحدوها، فذهبنا سراعا حتى أسندنا بها في المشلل، ثم حدرنا عنه وأعجزناهم.

* * *

سرية الجناب

عن بشير بن محمد بن عبد الله بن زيد قال: قدم رجل من أشجع يقال له: حسيل بن نويره وكان دليل النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى خيبر فقال له: من أين يا حسيل؟ قال: من يمن وجبار وما وراءك؟ قال: تركت جمعًا من يمن وغطفان وجبار وقد بعث إليهم عيينة إما أن تسيروا إلينا، وإما أن نسير إليكم فأرسلوا إليه أن سر إلينا، وهم يريدونك أو بعض أطرافك.

فدعا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أبا بكر وعمر فذكر لهما ذلك فقالا جميعًا: ابعث إليهم بشير بن سعد فعقد له لواء وبعث معه ثلاثمائة رجل وأمرهم أن يسروا الليل ويكمنوا النهار ففعلوا حتى أتوا أسفل خيبر، فأغاروا وقتلوا عينًا لعيينة، ثم لقوا جمع عيينة فناوشوهم، ثم انكشف جميع عيينة وأسر منهم رجلان

وقدموا بهما على النبي (صلي الله عليه وسلم) فأسلما.

* * *

سرية أبي حدرد إلى الغابة

عن أبي حدرد قال: تزوجت امرأة من قومي فأصدقتها مائتي درهم. فأتيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أستعينه على نكاحي فقال: كم أصدقت؟ قلت: مائتا درهم فقال: سبحان الله!! والله لو كنتم تأخذونها من بطن واد ما زدتم لا والله ما عندي ما أعينك به فلبث أياما، ثم أقبل رجل من جشم بن معاوية يقال له: رفاعة ابن قيس أو قيس بن رفاعة في بطن عظيم من جشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيسًا على حرب رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، وكان ذا شرف فدعاني النبي (صلي الله عليه وسلم) ورجلين من المسلمين فقال: " اخرجوا إليه حتى تأتوا منه بخبر وعلم " وقدم لنا شارفا عجفاء فحمل عليها أحدنا فوالله ما قامت به ضعفًا حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت. وقال: تبلغوا على هذه فخرجنا حتى إذا جئنا قريبًا من الحاضر مع غروب الشمس وكمنت في ناحية وأمرت صاحبي فكمنا في ناحية وقلت: إذا سمعتماني قد كبرت وشددت في العسكر فكبروا وشدوا معي فوالله إنا لكذلك ننتظر أن نرى غرة وقد ذهبت فحمة العشاء، وقد كان لهم راع قد سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم فقام زعيمهم رفاعة فأخذ سيفه وقال: لأتبعن أثر راعينا فقالوا: نحن نكفيك قال: لا ووالله لا يتبعني أحد منكم وخرج حتى مر بي فلما أمكنني نفحته بسهم فوضعته في فؤاده فوالله ما نطق فوثبت إليه فاحتززت رأسه، ثم شددت في ناحية العسكر وكبرت وكبر صاحباي فوالله ما كان إلا النجاء ممن كان فيه عندك بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خف معهم واستقنا إبلاً عظيمة وغنما كثرة فجئنا بها إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وجئت برأسه أحمله معي فأعطاني من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيرًا في صداقي فجمعته إلى أهلي.

* * *

سرية ملحم بن جثامة

عن ابن عبد الله بن أبي حدرد قال: بعثنا النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى إضم في نفر من المسلمين منهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة بن قيس. حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له معه متيع ل ووطب من لبن فسلم علينا بتحية الإسلام، فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم فقتله لشيء كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومتاعه فلما قدمنا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أخبرناه الخبر. فنزل فينا القرآن: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا } [النساء: ٩٤]، إلى آخر الآية.

حدث محمد بن جعفر بن الزبير سمع زياد بن ضميرة بن سعد الضمري يحدث عن أبيه وجده وقد شهدا حنينًا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فصلى الظهر وجلس في ظل شجرة فقام إليه عيينة بن بدر يطلب بدم عامر بن الأضبط سيد قيس، وجاء الأقرع بان حابس يرد على محلم بن جثامة، وهو سيد خندف فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لقوم عامر: " هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بعيرًا وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة " فقال عيينة بن بدر: والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحر مثل ما أذاق نسائي. فقال رجل من بني ليث يقال له: مكيتل وهو قصير من الرجال فقال: يا رسول الله، ما أجد لهذا القتيل مثلاً في غرة الإسلام إلا كغنم وردت فرميت أولاها فنفرت أخرها أسنن اليوم غير غدا فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيرًا الآن وخمسين إذا رجعنا فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية. قال قوم محلم: ائتوا به حتى يستغفر له رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: فجاء رجل طوال ضرب اللحم في حلة قد تهيأ فيها للقتل فقام بين يدي النبي (صلي الله عليه وسلم). فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):**(اللهم لا تغفر لمحلم)** قالها ثلاثًا، فقام وإنه ليتلقى دموعه بطرف ثوبه.

قال ابن إسحاق: زعم قومه أنه استغفر له بعد.

* * *

سرية عبد الله بن حذافة

عن علي بن أبي طالب: استعمل النبي (صلي الله عليه وسلم) رجلاً من الأنصار على سرية ومرهم أن يطيعوه. فأغضبوه في شيء فقال: اجمعوا لي حطبا فجمعوا. وأمرهم فأوقدوه. ثم قال: ألم يأمركم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن تسمعوا لي وتطيعوا قالوا: بلى. قال: فادخلوها. فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من النار. فسكن غضبه وطفئت النار. فلما قدموا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ذكروا له ذلك. فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف. أخرجاه.

وفيها كانت غزوة ذات الرقاع. وقد تقدمت سنة أربع وأوردنا الخلاف فيها.

* * *

عمرة القضاء

روى نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، عن نافع مولى ابن عمر قال: كانت عمرة القضية في ذي القعدة سنة سبع.

وقال معتمر بن سلميان عن أبيه قال: لما رجع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من خيبر بعث سرايا وقام بالمدينة حتى استهل ذو القعدة، ثم نادى في الناس أن تجهزوا العمرة فتجهزوا وخرجوا معه إلى مكة.

وقال ابن شهاب: ثم خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في ذي القعدة حتى بلغ يأجج وضع الأداة كلها: الحجف والمجان والرماح والنبل، ودخلوا بسلاح الراكب: السيوف. وبعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) جعفرا بين يديه إلى ميمونة بنت الحراث بن حزن العامرية فخطبها عليه فجعلت أمرها إلى العباس، وكانت أختها تحته - وهي أم الفضل فزوجها العباس رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

فلما قدم أمر أصحابه فقال اكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف ليرى المشركون جلدهم وقوتهم وكان يكايدهم بكل ما استطاع، فاستكف أهل مكة - الرجال والنساء والصبيان - ينظرون إلى رسول الله (صلي الله عليه

وسلم) وأصحابه وهم يطوفون بالبيت، وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) متوشحا بالسيف يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله ::: أنا الشهيد أنه رسوله
قد أنزل الرحمن في تنزيله ::: في صحف تتلى على رسوله
فاليوم نضربكم على تأويله ::: كما ضربناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ::: ويذهل الخيل عن خليله

وتغيب رجال من أشرافهم أن ينظروا إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) غيظًا وحنقًا ونفاسة وحسدًا خرجوا إلى الخندمة، فقام رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بمكة وأقام ثلاث ليال وكان ذلك آخر الشرط، فلما أصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وغيره فصاح حويطب بن عبد العزى: نناشدك الله والعقد لما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث. فقال سعد بن عبادة: كذبت لا أم لك ليس بأرضك ولا بأرض آبائك والله لا نخرج، ثم نادى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) سهيلاً وحويطبًا فقال:**(إني قد نكحت فيكم امرأة فما يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ونصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا)**. قالوا: نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا. فأمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أبا رافع فأذن بالرحيل، وركب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى نزل بطن سرف وأقام المسلمون وخلف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أبا رافع ليحمل ميمونة إليه حين يمسي، فأقام بسرف حتى قدمت عليه وقد لقيت عناء وأذى من سفهاء قريش فبنى بها، ثم أدلج فسار حتى قدم المدينة. وقدر الله أن يكون موت ميمونة بسرف بعد حين.

* * *

السنة الثامنة

عن ابن شهاب قال: سار ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين رجلاً إلى بني سليم وكان عين لبني سليم معه، فلما فصل من المدينة خرج العين إلى قومه فحذرهم. فجمعوا جمعا كثيرًا، وجاءهم ابن أبي العوجاء وهم معدون، فلما رآهم أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ورأوا جمعهم دعوهم إلى الإسلام،

فرشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم فرموهم ساعة وجعلت الأمداد تأتي وأحدقوا بهم، فقاتلوا حتى قتل عامتهم وأصيب ابن أبي العوجاء جريحًا في القتلى، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقدم المدينة في أول صفر.

* * *

ابن العاص وخالد بن الوليد

وفيها: أسلم عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد.

قال عمرو بن العاص: كنت للإسلام مجانبًا معاندًا، حضرت بدرًا مع المشركين فنجوت، ثم حضرت أحدًا والخندق فنجوت، فقلت في نفسي: كم أوضع والله ليظهرن محمد على قريش. فلحقت بمالي بالوهط، فلما كان الصلح بالحديبية جعلت أقول يدخل محمد قابلاً مكة بأصحابه ما مكة بمنزل ولا الطائف وما شيء خير من الخروج، فقدمت مكة فجمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت: تعلموا والله إني لأرى أمر محمد يعلو علوًا منكرًا وإني قد رأيت رأيًا. قالوا: وما هو؟ قلت: نلحق بالنجاشي فنكون معه، فإن يظهر محمد كنا عند النجاشي فنكون تحت يد النجاشي أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد. وإن تظهر قريش فنحن من عرفوا. قالوا: هذا الرأي. قلت: فاجمعوا ما تهدونه له. وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم فجمعنا له أدمًا كثيرًا، ثم خرجنا حتى أتيناه فإنا لعنده؛ إذا جاء عمرو ابن أمية الضمري بكتاب النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى النجاشي ليزوجه بأم حبيبة بنت أبي سفيان فدخل عليه، ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي: لو دخلت على النجاشي وسألته هذا فأعطانيه لقتلته لأسر بذلك قريشًا. فدخلت عليه فسجدت له فقال: مرحبًا بصديقي أهديت لي من بلادك شيئًا؟ قلت: نعم أيها الملك أهديت لك أدمًا. وقربته إليه فأعجبه ففرق منه أشياء بين بطارقته. ثم قلت: إني رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول عدو لنا قد وترنا وقتل أشرافنا فأعطنيه فأقتله، فغضب ورفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه كسره فابتدر منخراي فجعلت أتلقى الدم بثيابي، فأصابني من الذل ما لو انشقت لي الأرض دخلت فيها

فرقًا منه.

ثم قلت: أيها الملك: لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتكه. قال: فاستحى وقال: يا عمرو، تسألني أن أعطيك رسول من يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وعيسى - عليهما السلام - لتقتله قال عمرو: وغير الله قلبي عما كنت عليه وقلت في نفسي: عرف هذا الحق العرب والعجم وتخالف أنت قلت: أتشهد أيها الملك؟ بهذا قال: نعم أشهد به عند الله يا عمرو، فأطعني واتبعه فوالله إنه لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون. قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم فبسط يده فبايعني على الإسلام، ثم جعل بطست فغسل عني الدم وكساني ثيابًا وكانت ثيابي قد امتلأت بالدم فألقيتها.

وخرجت على أصحابي فلما رأوا كسوة النجاشي سروا بذلك وقالوا: هل أدركت من صاحبك ما أردت؟ فقلت: كرهت أن أكلمه في أول مرة وقلت أعود إليه ففارقتهم وكأني أعمد لحاجة فعمدت إلى موضع السفن فأجد سفينة قد شحنت تدفع، فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا إلى الشعيبة، وخرجت من الشعيبة ومعي نفقة فابتعت بعيرًا وخرجت أريد المدينة حتى خرجت على مر الظهران، ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدة فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلاً وأحدهما داخل في خيمة والآخر قائم يمسك الراحلتين، فنظرت فإذا خالد بن الوليد.

فقلت: أبا سليمان قال: نعم. أين تريد؟ قال: محمدًا دخل الناس في الإسلام فلم يبق أحد به طمع والله لو أقمت لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع في مغارتها. قلت: وأنا والله قد أردت محمدا وأردت الإسلام، فخرج عثمان بن طلحة فرحب بي فنزلنا جميعًا ثم ترافقنا إلى المدينة فما أنس قول رجل لقينا ببئر أبي عنبة يصيح: يا رباح يا رباح، فتفاءلنا بقوله وسرنا ثم نظر إلينا فاسمعه يقول: قد أعطت مكة المقادة بعد هذين. فظننت أنه يعنيني وخالد بن الوليد، ثم ولى مدبرًا إلى المسجد سريعًا فظننت أنه بشر النبي (صلي الله عليه وسلم) بقدومنا فكان كما ظننت. وأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ونودي بالعصر فانطلقنا حتى اطلعنا عليه وإن لوجهه تهللاً والمسلمون حوله قد سروا بإسلامنا، وتقدم خالد فبايع ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفي إليه حياء منه فبايعته على

أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم يحضرني ما تأخر. فقال:(**إن الإسلام يجب ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها**). فوالله ما عدل بي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وبخالد أحدًا في أمر حزبه منذ أسلمنا. ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة. ولقد كنت عند عمر بتلك الحال وكان عمر على خالد كالعاتب.

* * *

سرية شجاع بن وهب الأسدي

عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن عمر بن الحكم قال: قال: بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جميع من هوازن، وأمره أن يغير عليهم، فخرج يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم غارين فأصابوا نعمًا وشاء فاستاقوا ذلك إلى المدينة، فكانت سهمانهم خمسة عشر بعيرًا لكل رجل منهم، وعدلوا البعير بعشرة من الغنم، وغابت السرية خمس عشرة ليلة.

* * *

سرية نجد

عن ابن عمر أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بعث سرية قبل نجد وأنا فيهم. فغنموا إبلاً كثيرة، فبلغت سهمانهم لكل واحد اثني عشر بعيرًا ثم نفلوا بعيرًا بعيرًا فلم يغير رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، متفق عليه.

* * *

سرية كعب بن عمير

عن الزهري قال: بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من الشام. فوجدوا جمعًا من جمعهم كثيرًا فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل فلما رأى ذلك المسلمون قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا فأفلت منهم رجل جريح في القتلى، فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى النبي (صلي الله عليه وسلم)

فهم بالبعث إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر فتركهم.

* * *

غزوة مؤتة

عن عمر بن الحكم قال: بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتابه. فلما نزل مؤتة عرض للحارث شرحبيل ابن عمرو الغساني فقال: أين تريد؟ قال: الشام. قال: لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم فأمر به فضربت عنقه. ولم يقتل لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) رسول غيره وبلغ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الخبر فاشتد عليه وندب الناس فأسرعوا، وكان ذلك سبب خروجهم إلى غزوة مؤتة.

عن عروة قال: قدم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من عمرة القضاء في ذي الحجة فأقام بالمدينة حتى بعث إلى مؤتة في جمادى من سنة ثمان وأمر على الناس زيد بن حارثة. وقال: إن أصيب فجعفر فإن أصيب جعفر فعبد الله ابن رواحة، فإن أصيب فليرتض المسلمون رجلاً، فتهيئوا للخروج وودع الناس أمراء رسول الله (صلي الله عليه وسلم). فبكى ابن رواحة فقالوا: ما يبكيك؟ فقال: أما والله ما بي حب للدنيا ولا صبابة إليها ولكني سمعت الله يقول:(**وإن منكم إلا واردها**) فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود، فقال المسلمون: صحبكم الله وردكم إلينا صالحين ودفع عنكم. فقال ابن رواحة.

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ::: وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهزة ::: بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ::: يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

ثم إنه ودع النبي (صلي الله عليه وسلم) وقال:

فثبت الله ما آتاك من حسن ::: تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

إني تفرست فيك الخير نافلة ::: والله يعلم أن ثابت البصر

أنت الرسول فمن يحرم نوافله ::: والوجه منه فقد أزرى به القدر

ثم خرج القوم حتى نزلوا معان فبلغهم أن هرقل قد نزل مآب في مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة فأقاموا بمعان يومين وقالوا: نبعث إلى

رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بخبره، فشجع الناس عبد الله بن رواحة فقال: يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم لها تطلبون الشهادة. ولا نقاتل الناس بعدد ولا كثرة وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فإن يظهرنا الله به فربما فعل، وإن تكن الأخرى فهي الشهادة وليست بشر المنزلتين. فقال الناس: والله لقد صدق فانشمر الناس وهم ثلاثة آلاف حتى لقوا جموع الروم بقرية من قرى البلقاء يقال لها: مشارف، ثم انحاز المسلمون إلى مؤتة قرية فوق الحساء. وكانوا ثلاثة آلاف.

وقال الواقدي: حدثني ربيعة بن عثمان، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: شهدت مؤتة فلما رأينا المشركين رأينا ما لا قبل لأحد به من العدة والسلاح والكراع والديباج والذهب. فبرق بصري فقال لي ثابت بن أقرم: مالك يا أبا هريرة، كأنك ترى جموعًا كثيرة قلت: نعم. قال: لم تشهد معنا بدرًا إنا لم ننصر بالكثرة.

عن نافع عن ابن عمر قال: أمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فإن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة. قال ابن عمر: كنت معهم ففتشناه يعني: ابن رواحة فوجدنا فيما أقبل من جسده بضعًا وسبعين وبين طعنة ورمية.

عن عمر بن الحكم عن أبيه قال: جاء النعمان بن فنحص اليهودي فوقف مع الناس. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم):(**زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فإن قتل عبد الله فليرتض المسلمون رجلاً فليجعلوه عليهم**). فقال النعمان: أبا القاسم إن كنت نبيًّا فسميت من سميت قليلاً أو كثيرًا أصيبوا جمعًا. إن الأنبياء في بني إسرائيل كانوا إذا استعملوا الرجل على القوم فقالوا: إن أصيب فلان ففلان فلو سموا مائة أصيبوا جميعًا. ثم جعل اليهودي يقول لزيد: أعهد فلا ترجع إن كان محمد نبيًّا. قال زيد: أشهد أنه نبي بار صادق.

وقال يونس عن ابن إسحاق: كان على ميمنة المسلمين قطبة ابن قتادة العذري، وعلى الميسرة عباية بن مالك الأنصاري، والتقى الناس. فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه حدثني أبي من الرضاعة، وكان أحد

بني مرة بن عوف قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثم تقدم فقاتل حتى قتل. قال ابن إسحاق: فهو أول من عقر في الإسلام. وقال:

يا حبذا الجنة واقترابها ::: طيبة وباردة شرابها

والروم قد دنا عذابها ::: علي إن لا قيتها ضرابها

فلما قتل أخذ الراية عبد الله.

عن عروة قال: أخذها عبد الله بن رواحة فالتوى بها بعض الالتواء، ثم تقدم على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد.

حدثني عبد الله بن أبي بكر أن ابن رواحة قال عند ذلك:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ::: طائعة أو لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنة ::: مالي أراك تكرهين الجنة

قد طالما قد كنت مطمئنة ::: هل أنت إلا نطفة في شنة

ثم نزل فقاتل حتى قتل.

قال ابن إسحاق: وقال أيضًا:

يا نفس إن لا تقتلي تموتي ::: هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت ::: إن تفعلي فعلهما هديت

وإن تأخرت فقد شقيت.

فلما نزل أتى ابن عم له بعرق لحم فقال: أقم بها صلبك فنهش منها نهشة، ثم سمع الحطمة في ناحية فقال: وأنت في الدنيا فألقاه من يده، ثم قاتل حتى قتل.

عن عروة قال: ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم فقال: اصطلحوا يا معشر المسلمين، على رجل. قالوا: أنت لها. فقال: لا. فاصطلحوا على خالد بن الوليد، فجاش بالناس فدافع وانحاز وتحيز عنه، ثم انصرف بالناس.

عن خالد بن سمير قال: قَدِمَ علينا عبد الله بن رباح الأنصاري وكانت الأنصار تفقهه فغشيه الناس فغشيته فيمن غشيته من الناس، فقال: ثنا أبو قتادة فارس رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: بعث رسول الله (صلي الله عليه

وسلم) جيش الأمراء وقال:(**عليكم زيد ابن حارثة، فإن أصيب فجعفر، فإن إصيب جعفر فعبد الله بن رواحة**) فوثب جعفر فقال: يا رسول الله، ما كنت أذهب أن تستعمل زيدًا علي. قال: فامض. فإنك لا تدري أي ذلك خير، فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله.

فصعد رسول الله المنبر وأمر فنودي: الصلاة جامعة. فاجتمع الناس إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال:(**أخبركم عن جيشكم هذا؟ إنهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا**) فاستغفر له. ثم قال:(**أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدًا شهد له بالشهادة**) واستغفر له:(**ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى قتل شهيدًا**) فاستغفر له:(**ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء وهو أمر نفسه**) ثم قال:(**اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت تنصره**). فمن يومئذ سمي خالد " سيف الله ".

حدث العطاف بن خالد قال: لما قتل ابن رواحة مساء بات خالد فلما أصبح غدا وقد جعل مقدمته ساقة وساقته مقدمة وميمنته ميسرة وميسرته ميمنة. فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا: قد جاءهم مدد فرعبوا فانكشفوا منهزمين فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم.

عن قيس سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد اندق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فمن بقي في يدي إلا صفيحة يمانية. أخرجه البخاري.

* * *

رسله (صلي الله عليه وسلم)

وفي هذه السنة كتب النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى ملوك النواحي يدعوهم إلى الله تعالى.

عن أنس أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كتب قبل موته: إلى كسرى وإلى قيصر، وكتب إلى النجاشي يعني: الذي ملك الحبشة بعد النجاشي المسلم، وإلى جبار يدعوهم إلى الله. رواه مسلم.

وليس في هذا الحديث أن النبي (صلي الله عليه وسلم) كتب إلى النجاشي الثاني يدعوه إلى الله في هذه، بل ذلك مسكوت عنه وإنما كان ذلك بعد موت

النجاشي الأول المسلم. وموته - كما سيأتي في سنة تسع. والله أعلم.

عن ابن عباس أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي وأمره رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر وكان قيصر لما كشف الله عنه جنود فارس مشى من حمص إلى إيلياء شكرًا لما أبلاه الله، فلما أن جاء قيصر كتاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال حين قرأه: التمسوا لي هاهنا أحدًا من قومه.

قال ابن عباس: فأخبرني أبو سفيان أنه كان بالشام في رجال من قريش قدموا للتجارة في المدة التي كانت بين رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وبين كفار قريش.

قال أبو سفيان: فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام فانطلق بنا حتى قدمنا إيليا فأدخلنا عليه فإذا هو جالس في مجلسه وعليه التاج وحوله عظماء الروم فقال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسبًا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي قلت: أنا أقربهم إليه نسبا. قال: ما قرابة ما بينك وبينه؟ قلت: هو ابن عمي. وليس في الركب يومئذ أحد من بني عبد مناف غيري قال: أدنوه. ثم أمر بأصحابي فجعلهم خلف ظهري عند كتفي، ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه إني سائله عن هذا الذي يزعم أنه نبي فإن كذب فكذبوه.

قال أبو سفيان: والله لولا الحياء يومئذ أن يأثر عني أصحابي الكذب لكذبته عنه، ثم قال لترجمانه: قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب: قال: فهل قال هذا القول أحد منكم قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال: قلت: لا. قال: فهل من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم قلت ضعفائهم. قال: فيزيدون أو ينقصون قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا قال: فهل يغدر؟ قلت: لا ونحن الآن منه في مدة - يشير إلى المدة التي قاضاهم النبي (صلي الله عليه وسلم) عليها يوم الحديبية وآخرها يوم الفتح - ونحن نخاف منه أن يغدر؛ ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئا أنتقصه بها لا أخاف أن تؤثر عني غيرها. قال: فهل قاتلتموه وقاتلكم؟ قلت: نعم. قال: فكيف حربكم

وحربه؟ قلت: كانت دولاً وسجالاً يدال علينا المرة ويدال عليه الأخرى قال: فماذا يأمركم به؟ قلت: يأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئًا وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدق، والعفاف، والوفاء بالعهد وأداء الأمانة.

قال: فقال لترجمانه قل له: إني سألتك عن نسبه فيكم فزعمت أنه ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك: هل قال هذا القول أحد قبله؟ فزعمت أن لا فقلت: لو كان أحد منكم قال هذا القول قبله لقلت: رجل يأتم بقول قد قيل قبله. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فزعمت أن لا فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت رجل يطلب ملك آبائه. وسألتك أشراف الناس يتبعونه أو ضعفاؤهم فزعمت أن ضعفاءهم ابتعوه وهم أبتاع الرسل.

وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم. وسألتك: هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فزعمت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد. وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أن لا وكذلك الرسل لا يغدرون. وسألتك: هل قاتلتموه وقتلكم؟ فزعمت أن قد فعل وأن حربكم وحربه يكون دولاً وكذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة. وسألتك: ماذا يأمركم به؟ فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم ويأمركم بالصلاة، والصدق، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة.

وهذه صفة نبي قد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أظن أنه منكم؛ وإن يكن ما قتل حقًا فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقيه ولو كنت عند لغسلت قدميه. قال: ثم دعا بكتاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأمر فقرئ فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فعليك إثم الأريسيين، و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا

يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾}
[آل عمران: ٦٤].

قال أبو سفيان: فلما أن قضى مقالته علت أصوات الذين حوله من عظماء الروم وكثر لغطهم فلا أدري ما قالوا وأمر بنا فأخرجنا، فلما أن خرجت مع أصحابي وخلوت بهم قلت لهم: لقد أمر ابن أبي كبشة؛ هذا ملك بني الأصفر يخافه.

قال أبو سفيان: والله ما زلت ذليلاً مستيقنا بأن أمره سيظهر حتى أدخل الله قلبي الإسلام وأنا كاره. أخرجاه من حديث إبراهيم.

عن ابن شهاب أخبرني عبد الرحمن بن عبد القاري أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قام ذات يوم على المنبر خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال:**(أما بعد فإني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم فلا تختلفوا علي كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى)**. فقال المهاجرون: والله لا نختلف عليك في شيء فمرنا وابعثنا. فبعث شجاع ابن وهب إلى كسرى. فخرج حتى قدم على كسرى وهو بالمدائن واستأذن عليه، فأمر كسرى بإيوانه أن يزين، ثم أذن لعظماء فارس، ثم أذن لشجاع بن وهب. فلما دخل عليه أمر بكتاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن يقبض منه. قال شجاع: لا حتى أدفعه أنا كما أمرني رسول الله (صلي الله عليه وسلم). فقال كسرى: أدنه فدنا فناوله الكتاب ثم دعا كاتبا له من أهل الحيرة فقرأه فإذا فيه: " محمد عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس ".

فأغضبه حين بدأ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بنفسه وصاح وغضب ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه وأمر بشجاع فأخرج فركب راحلته وذهب فلما سكن غضب كسرى طلب شجاعا فلم يجده. وأتى شجاع النبي (صلي الله عليه وسلم) فأخبره فقال:**(اللهم مزق ملكه)**.

عن جابر بن سمرة قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):**(لتفتحن عصابة من المسلمين كنوز كسرى التي في القصر الأبيض)**.

ويروى أن كسرى كتب إلى باذام عامله باليمن يتوعده ويقول: ألا تكفيني

رجلاً خرج بأرضك يدعوني إلى دينه لتكفنيه أو لأفعلن بك. فبعث العامل إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) رسلاً وكتابًا فتركهم النبي (صلي الله عليه وسلم) خمس عشرة ليلة ثم قال: " اذهبوا إلى صاحبكم فقولوا:(**إن ربي قد قتل ربكم الليلة**).

وعن عبد الرحمن بن عبد القاري أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية فمضى بكتاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقبل الكتاب وأكرم حاطبًا وأحسن نزله وأهدى معه إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) بغلة وكسوة وجاريتين، إحداهما أم إبراهيم والأخرى وهبها النبي (صلي الله عليه وسلم) لجهم بن قثم العبدي، فهي أم زكريا ابن جهم خليفة عمرو بن العاص على مصر.

* * *

غزوة ذات السلاسل

بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عمرو بن العاص في بلي وهم أخوال العاص بن وائل وبعثه فيمن يليهم من قضاعة وأمره عليهم.

قال ابن عقبة: فخاف عمرو من جانبه الذي هو به فبعث إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يستمده. فندب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) المهاجرين فانتدب فيهم أبو بكر وعمر وجماعة أمر عليهم أبا عبيدة، فأمد بهم عمرًا. فلما قدموا عليه قال: أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أستمده بكم. فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين. قال: إنما أنتم مدد أمددته. فلما رأى ذلك أبو عبيدة وكان رجلاً حسن الخلق لين الشيمة سعى لأمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وعهده قال: تعلم يا عمرو، أن آخر ما عهد إلي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن قال: إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا، وإنك إن عصيتني لأطيعنك. فسلم أبو عبيدة الإمارة لعمرو.

عن أبي عثمان النهدي سمعت عمرو بن العاص يقول: بعثني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) على جيش ذي السلاسل وفي القوم أبو بكر وعمر،

فحدثت نفسي أنه لم يبعثني عليها إلا لمنزلة لي عنده فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت: يا رسول الله، من أحب الناس إليك؟ قال:(**عائشة**) قلت: إني لم أسألك عن أهلك. قال:(**فأبوها**) قلت: ثم من؟ قال:(**عمر**) قلت: ثم من؟ حتى عد رهطًا قال: قلت في نفسي لا أعود أسأل عن هذا.

عن يزيد بن رومان: أن أبا عبيدة لما أتى عمرًا صاروا خمسمائة وسار الليل والنهار حتى وطئ بلاد بلي ودوخها وكلما انتهى إلى موضع بلغه أنه كان بذلك الموضع جمع فلما سمعوا به تفرقوا حتى انتهى إلى أقصى بلاد بلي وعذرة وبلقين. ولقي في آخر ذلك جمعًا فاقتتلوا ساعة وتراموا بالنبل، ورمي يومئذ عامر بن ربيعة فأصيب ذراعه، وحمل المسلمون عليهم فهربوا وأعجزوا هربا في البلاد، ودوخ عمرو ما هناك، وأقام أيامًا بغير أصحابه على المواشي.

* * *

غزوة سيف البحر

عن جابر قال: بعثنا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) نتلقى عيرًا لقريش وزودنا جرابًا من تمر. فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة. وكنا نضرب بعصينا الخبط، ثم نبله بالماء فنأكله. فانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا كهيئة الكثيب فأتيناه، فإذا دابة تدعى العنبر. فقال أبو عبيدة: ميتة ثم قال: لا بل نحن رسل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا. فأقمنا عليها شهرًا ونحن ثلاثمائة حتى سمنا، ولقد كنا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن ونقتطع من الفدر كالثور، ولقد أخذ أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في عينه وأخذ ضلعًا من أضلاعه فأقامها، ثم رحل أعظم بعير منها فمر تحتها، وتزودنا من لحمه وشائق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فذكرنا ذلك له فقال:(**هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا**) قال: فأرسلنا إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) منه فأكل. أخرجه مسلم.

* * *

سرية أبي قتادة إلى خضرة

قال الواقدي في مغازيه: قالوا بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أبا قتادة بن ربعي الأنصاري إلى غطفان في خمسة عشر رجلاً وأمره أن يشن عليهم الغارة، فسار وهجم على حاضر منهم عظيم فأحاط به، فصرخ رجل منهم: يا خضرة، وقاتل منهم رجال فقتلوا من أشرف لهم. واستاقوا النعم فكانت مائتي بعير وألفي شاة. وسبوا سبيًّا كثيرًا. وغابوا خمس عشرة ليلة، وذلك في شعبان من السنة.

ثم كنت سريته إلى إضم على أثر ذلك في رمضان.

* * *

وفاة زينب بنت النبي (صلي الله عليه وسلم) وكانت أكبر بناته

توفيت في هذه السنة وغسلتها أم عطية الأنصارية وغيرها. وأعطاهن النبي (صلي الله عليه وسلم) حقوة فقال:(**أشعرنها إياه**).

وبنتها أمامة بنت أبي العاص هي التي كان النبي (صلي الله عليه وسلم) يحملها في الصلاة.

* * *

فتح مكة زادها الله شرفا

عن ابن إسحاق: ثم إن بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة وهم على ماء بأسفل مكة يقال له: الوتير. وكان الذي هاج ما بين بكر وخزاعة رجلاً من بني الحضرمي خرج تاجرًا فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه فعدت خزاعة قبيل الإسلام على سلمى، وكلثوم، وذؤيب بني الأسود بن رزن الديلي، وهم منخر بني كنانة وأشرافهم فقتلوهم بعرفة.

فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام وتشاغل الناس به. فلما كان صلح الحديبية بين رسول لله (صلي الله عليه وسلم) وبين قريش كان فيما

شرطوا لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) وشرط لهم أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله وعهده، فليدخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عقد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مؤمنها وكافرها.

فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل، أحد بني بكر من خزاعة، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأرا بأولئك الإخوة، فخرج نوفل بن معاوية الديلي في قومه حتى بيت خزاعة على الوتير فاقتتلوا، وردفت قريش بني الديل بالسلاح وقوم من قريش أعانت خزاعة بأنفسهم مستخفين بذلك حتى حازوا خزاعة إلى الحرم، فقال قوم نوفل: اتق إلهك ولا تستحل الحرم، فقال: لا إله لي اليوم والله يا بني كنانة، إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون فيه ثأركم فقتلوا رجلاً من خزاعة؟ ولجأت خزاعة إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي ودار رافع مولى خزاعة.

فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة كان ذلك نقضا للهدنة التي بينهم وبين رسول الله (صلي الله عليه وسلم). وخرج عمرو بن سالم الخزاعي فقدم على النبي (صلي الله عليه وسلم) في طائفة مستغيثين به فوقف عمرو عليه وهو جالس في المسجد بين ظهري الناس فقال:

يا رب إني ناشد محمدا ::: حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا ::: ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا ::: وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ::: إن سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا ::: إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا ::: وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا ::: وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا ::: وقتلونا ركعا وسجدا

فانصر هداك الله نصرا أيدا.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(نصرت يا عمرو بن سالم).

ثم عرض لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) عنان من السماء فقال: إن

هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب؛ يعني: خزاعة، ثم قدم بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة على النبي (صلي الله عليه وسلم) فأخبروه.

وقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد في المدة. ومضى بديل وأصحابه فلقوا أبا سفيان ابن حرب بعسفان قد جاء ليشد العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا**) فلما لقى بديل بن ورقاء قال: من أين أقبلت يا بديل؟ وظن أنه أتى النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال: سرت في خزاعة على الساحل. قال: أو ما جئت محمدًا قال: لا. فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان: لئن كان جاء إلى المدينة لقد علف بها النوى. فأتى مبرك راحلته ففته فرأى فيه النوى فقال: أحلف بالله لقد أتى محمدًا.

ثم قدم أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة أم المؤمنين. فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله (صلي الله عليه وسلم) طوته عنه فقال: ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأنت رجل مشرك نجس. قال: والله قد أصابك يا بنية بعدي شر، ثم خرج حتى أتى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فلم يرد عليه شيئًا. فذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: ما أنا بفاعل. ثم أتى إلى عمر فكلمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم)!.

فوالله لو لم أجد إلا الذر لجالدتكم عليه، ثم خرج حتى أتى عليًّا وعنده فاطمة وابنها الحسن وهو غلام يدب فقال: يا علي، إنك أمس القوم بي رحما وإني قد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبًا فاشفع لي إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: ويحك يا أبا سفيان، لقد عزم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه. فالتفت إلى فاطمة فقال: يا ابنة محمد، هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر، قالت: والله ما بلغ بني ذلك وما يجير أحد على رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

قال: يا أبا حسن، إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني. قال: والله ما أعلم شيئًا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق

بأرضك. قال: أو ترى ذلك مغنيًا عني؟ قال: لا والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس، إني قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره وانطلق. فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ فقص شأنه وأنه أجار بين الناس.

قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: والله إن زاد الرجل على أن لعب بك، ثم أمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه، ثم أعلم الناس بأنه يريد مكة وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتهم في بلادهم.

فعن عروة وغيره قالوا: لما أجمع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) السير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش بذلك مع امرأة فجعلته في رأسها، ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، وأتى النبي (صلي الله عليه وسلم) الوحي بفعله، فأرسل في طلبها عليًّا والزبير.

عن حسن بن محمد أخبرني عبيد الله بن أبي رافع - وهو كاتب علي - قال: سمعت عليًّا يقول: بعثني النبي (صلي الله عليه وسلم) أنا والزبير والمقداد قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادي بنا خليلنا حتى انتهينا إلى الروضة.

قلنا: أخرجي الكتاب؟ قالت: ما معي كتاب قلنا: لتخرجن الكتاب أو لنقلعن الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي (صلي الله عليه وسلم) فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين يخبرهم ببعض أمر النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال النبي (صلي الله عليه وسلم):**(يا حاطب ما هذا)** قال: يا رسول الله لا تعجل إني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من كان من المهاجرين معك لهم قرابات يحمون بها أهليهم بمكة ولم يكن لي قرابة فأحببت أن أتخذ فيهم يدًا - إذا فاتني ذلك - يحمون بها قرابتي وما فعلته كفرًا ولا ارتدادًا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):**(إنه قد صدقكم)**. فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. قال:**(إنه قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)** أخرجه البخاري.

وعن ابن إسحاق نحوه وزاد: فنزلت:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ } [الممتحنة: ١].

وعن ابن عباس قال: ثم مضى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لسفره واستعمل على المدينة أبا رهم الغفاري، وخرج لعشر مضين من رمضان، فصام وصام الناس معه حتى إذا كان بالكديد بين عسفان وأمج أفطر، اسم أبي رهم: كلثوم بن حصين.

فأقبل أبو سفيان فقال: يا محمد، جدد العهد وزدنا في المدة. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**أو لذلك قدمت هل كان من حدث قبلكم؟**) قال: معاذ الله. قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**فنحن على عهدنا وصلحنا**). ثم ذكر ذهابه إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وأنه قال له: أنت أكبر قريش فأجر بينها. قال: صدقت إني كذلك فصاح: ألا إني قد أجرت بين الناس وما أظن أن يرد جواري ولا يحقر بي. قال: أنت تقول ذاك يا أبا حنظلة، ثم خرج.

فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) حين أدبر:(**اللهم سد على أبصارهم، وأسماعهم فلا يروني إلا بغتة**). فانطلق أبو سفيان حتى قدم مكة فحدث قومه فقالوا: أرضيت بالباطل وجئتنا بما لا يغني: عنا شيئًا وإنما لعب بك علي وأغبر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في الجهاز مخيفًا لذلك. فدخل أبو بكر على ابنته فرأى شيئًا من جهاز رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأنكر وقال: أين يريد رسول الله (صلي الله عليه وسلم)؟ فقالت عائشة: تجهز فإن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) غاز قومك قد غضب لبني كعب. فدخل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأشفقت عائشة أن يسقط أبوها بما أخبرته قبل أن يذكره رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأشارت إلى أبيها بعينها فسكت. فمكث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ساعة يتحدث مع أبي بكر ثم قال:(**هل تجهزت يا أبا بكر؟**) قال: لماذا يا رسول الله؟ قال:(**لغزو قريش فإنهم قد غدروا ونقضوا العهد وإنا غازون إن شاء الله**) وأذن في الناس بالغزو فكتب حاطب إلى قريش فذكر حديثه. وقال: ثم خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في اثني عشر ألفًا من المهاجرين والأنصار وأسلم، وغفار ومزينة، وجهينة، وبني سليم.

وقادوا الخيول حتى نزلوا بمر الظهران ولم تعلم بهم قريش، قال: فبعثوا حكيم بن حزام وأبا سفيان وقالوا: خذوا لنا جوارا أو آذنوا بالحرب، فخرجا فلقيا بديل بن ورقاء فاستصحباه فخرج معهما حتى إذا كانوا بالأراك بمكة وذلك عشاء رأوا الفساطيط والعسكر وسمعوا صهيل الخيل ففزعوا. فقال: هؤلاء بنو كعب جاءت بهم الحرب. قال بديل: هؤلاء أكثر من بني كعب ما بلغ تأليبها هذا وكان النبي (صلي الله عليه وسلم) قد بعث بين يديه خيلاً لا يتركون أحدًا يمضي. فلما دخل أبو سفيان وأصحابه عسكر المسلمين أخذتهم الخيل تحت الليل وأتوا بهم. فقام عمر إلى أبي سفيان فوجأ عنقه والتزمه القوم وخرجوا به ليدخلوا على النبي (صلي الله عليه وسلم) به فحبسه الحرس أن يخلص إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وخاف القتل وكان العباس بن عبد المطلب خالصة له في الجاهلية فنادى بأعلى صوته: ألا تأمر بي عباس فأتاه فدفع عنه وسأل النبي (صلي الله عليه وسلم) أن يقبضه إليه، فركب به تحت الليل فسار به في عسكر القوم حتى أبصره أجمع، وكان عمر قال له حين وجأه: لا تدن من رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى تموت.

فاستغاث بالعباس وقال: إني مقتول، فمنعه من الناس، فلما رأى كثرة الجيش قال: لم أر كالليلة جمعًا لقوم، فخلصه عباس من أيديهم وقال: إنك مقتول إن لم تسلم وتشهد أن محمدًا رسول الله، فجعل يريد أن يقول الذي يأمره عباس ولا ينطلق به لسانه وبات معه.

وأما حكيم وبديل فدخلا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأسلما، وجعل يستخبرهما عن أهل مكة.

فلما نودي بالفجر تجسس القوم ففزع أبو سفيان وقال:(**يا عباس، ما يريدون؟**) قال: سمعوا النداء بالصلاة فتبشروا بحضور النبي (صلي الله عليه وسلم) فلما أبصرهم أبو سفيان يمرون إلى الصلاة وأبصرهم يركعون ويسجدون إذا سجد النبي (صلي الله عليه وسلم) قال: (**يا عباس، ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه؟**) فقال: هل عنده من عفو عنهم؟ فانطلق عباس بأبي سفيان حتى أدخله على النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان. فقال أبو سفيان: يا محمد، قد استنصرت بإلهي واستنصرت بإلهك فوالله ما

لقيتك من مر إلا ظهرت علي فلو كان إليهم محقًا وإلهك باطلاً ظهرت عليك فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وقال عباس: يا رسول الله، إني أحب أن تأذن لي إلى قومك فأنذرهم ما نزل بهم وأدعوهم إلى الله ورسوله. فأذن له. قال: كيف أقول لهم قال:(**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له وشهد أن محمدا عبده ورسوله وكف يده فهو آمن، ومن جلس عند الكعبة ووضع سلاحه فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن**). قال: يا رسول الله أبو سفيان ابن عمنا فأحب أن يرجع معي وقد خصصته بمعروف. فقال:(**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فجعل أبو سفيان يستفهمه**)، ودار أبي سفيان بأعلى مكة. وقال: من دخل دارك يا حكيم فهو آمن، ودار حكيم في أسفل مكة.

وحمل النبي (صلي الله عليه وسلم) العباس على بغلته البيضاء التي أهداها إليه دحية الكلبي فانطلق العباس وأبو سفيان قد أردفه، ثم بعث النبي (صلي الله عليه وسلم) في أثره فقال: أدركوا العباس فردوه علي، وحدثهم بالذي خاف عليه، فأدركه الرسول فكره عباس الرجوع وقال: أترهب يا رسول الله، أن يرجع أبو سفيان راغبًا في قلة الناس فيكفر بعد إسلامه؟ فقال:(**احبسه فحبسه**). فقال أبو سفيان: غدرًا يا بني هاشم، فقال عباس: إنا لسنا نغدر ولكن بي إليك بعض الحاجة. فقال: وما هي فأقضيها لك؟ قال: إنما نفاذها حين يقدم عليك خالد بن الوليد، والزبير بن العوام، فوقف عباس بالمضيق دون الأراك وقد وعى منه أبو سفيان حديثه.

ثم بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الخيل بعضها على أثر بعض وقسم الخيل شطرين فبعث الزبير في خيل عظيمة، فلما مروا بأبي سفيان قال للعباس: من هذا؟ قال: الزبير، وردفه خالد بن الوليد بالجيش من أسلم وغفار وقضاعة فقال أبو سفيان: إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) هذا يا عباس قال: لا ولكن هذا خالد بن الوليد. وبعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) سعد بن عبادة بين يديه في كتيبة الأنصار فقال: اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، ثم دخل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في كتيبة الإيمان من المهاجرين والأنصار فلما رأى أبو سفيان وجوها كثيرة لا يعرفها قال: يا رسول الله، اخترت هذه الوجوه على قومك قال:(**أنت فعلت ذلك وقومك، إن**

هؤلاء صدقوني إذ كذبتموني ونصروني؛ إذ أخرجتموني) ومع النبي (صلي الله عليه وسلم) يومئذ الأقرع بن حابس، وعباس بن مرادس السلمي، وعيينة بن بدر فلما أبصرهم حول النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:(من هؤلاء يا عباس؟) قال: هذه كتيبة النبي (صلي الله عليه وسلم) ومع هذه الموت الأحمر هؤلاء المهاجرون والأنصار. قال:(امض يا عباس، فلم أر كاليوم جنودًا قط ولا جماعة) وسار الزبير بالناس حتى إذا وقف بالحجون واندفع خالد حتى دخل من أسفل مكة. فلقيته بنو بكر فقاتلهم فهزمهم وقتل منهم قريبًا من عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة وهزموا وقتلوا بالحزورة حتى دخلوا الدور وارتفعت طائفة منه على الجبل على الخندمة، واتبعهم المسلمون بالسيوف.

ودخل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في أخريات الناس وندى مناد: من أغلق عليه داره وكف يده فهو آمن. وكان النبي (صلي الله عليه وسلم) نازلا بذي طوى فقال: " كيف قال حسان؟ " فقال رجل من أصحابه: قال:

عدمت بنيتي إن لم تروها ::: تثير النقع من كتفي كداء

فأمرهم فأدخلوا الخيل من، حيث قال حسان: فأدخلت من ذي طوى من أسفل مكة واستحر القتل ببني بكر فأحل الله له مكة ساعة من نهار وذلك قوله تعالى:{لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾} [البلد: ١ - ٢]، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): ما أحلت الحرمة لأحد قبلي ولا بعدي ولا أحلت لي إلا ساعة من نهار.

ونادى أبو سفيان بمكة: أسلموا تسلموا، وكفهم الله عن عباس.

فأقبلت هند فأخذت بلحية أبي سفيان ثم نادت: يا آل غالب، اقتلوا الشيخ الأحمق. قال: أرسلي لحيتي فأقسم لئن أنت لم تسلمي ليضربن عنقك ويلك جاءنا بالحق ادخلي بيتك واسكني.

ودخل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فطاف سبعًا على راحلته.

وفر صفوان بن أمية عامدا للبحر وفر عكرمة عامدًا لليمن، وأقبل عمير بن وهب إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: يا نبي الله، أمن صفوان فقد هرب وقد خشيت أن تهلك نفسه فأرسلني إليه بأمان قد أمنت الأحمر والأسود

فقال: أدركه فهو آمن. فطلبه عمير فأدركه ودعاه فقال: قد أمنك رسول الله (صلي الله عليه وسلم). فقال صفوان: والله لا أوقن لك حتى أرى علامة بأماني أعرفها، فرجع فأعطاه النبي (صلي الله عليه وسلم) برد حبرة كان معتجرا به حين دخل مكة فأقبل عمير فقال صفوان: يا رسول الله، أعطيتني ما يقول هذا من الأمان قال: نعم. قال: أجعل لي شهرًا قال: لك شهران لعل الله أن يهديك واستأذنت أم حكيم بنت الحارث بن هشام وهي يومئذ مسلمة وهي تحت عكرمة بن أبي جهل، فاستأذنت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في طلب زوجها فأذن لها وأمنه فخرجت بعبد لها رومي فأرادها عن نفسها فلم تزل تمنيه وتقرب له حتى قدمت على ناس من عك فاستغاثتهم عليه فأوثقوه فأدركت زوجها ببعض تهامة وقد ركب في السفينة فلما جلس فيها نادى باللات والعزى، فقال أصحاب السفينة: لا يجوز هاهنا من دعاء بشيء إلا الله وحده مخلصًا فقال عكرمة: والله لئن كان في البحر إنه لفي البر وحده وأقسم بالله لأرجعن إلى محمد فرجع عكرمة مع امرأته فدخل على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فبايعه وقبل منه.

وأقام النبي (صلي الله عليه وسلم) بمكة بضع عشرة ليلة.

وقال ابن إسحاق: مضى النبي (صلي الله عليه وسلم) حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف، فسبعت سليم وبعضهم يقول: ألفت سليم وألفت مزينة، ولم يتخلف أحد من المهاجرين والأنصار.

وقال ابن إسحاق: وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله ابن أبي أمية بن المغيرة؛ قد لقيا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بنبق العقاب - فيما بين مكة والمدينة - فالتمسا الدخول عليه فكلمته أم سلمة فيهما فقالت: يا رسول الله، ابن عمك وابن عمتك وصهرك. قال: لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال. فلما بلغهما قوله قال أبو سفيان: والله لتأذنن لي أو لأخذن بيد بني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشًا وجوعًا. فلما بلغ ذلك رسول الله (صلي الله عليه وسلم) رق لهما وأذن لهما فدخلاً وأسلمًا وقال أبو سفيان:

لعمــــرك إني يــــوم أحمــــل رايــــة ::: لتغلب خيل الــلات خيــل محمــد
لكالمـــدلج الحـــيران أظلـــم ليلـــه ::: فهذا أواني حين أهــدي وأهتــدي
هداني هـــاد غـــير نفســـي ونـــالني ::: إلى الله من طــردت كــل مطــرد
أصد وأنأى جاهــدا عــن محمــد ::: وأدعى وإن لم أنتسب مــن محمــد

فذكروا أنه حين أنشد النبي (صلي الله عليه وسلم) هذه ضرب في صدره وقال: أنت طردتني كل مطرد.

ودخل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فبدأ بالحجر فاستلمه، ثم طاف سبعًا وصلى خلف المقام ركعتين، ثم جاء ومعه القوس وهو آخذ بسيتها فجعل يطعن بها في عين صنم من أصنامهم وهو يقول:(**جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**).

ثم انطلق حتى أتى الصفا فعلا منه حتى يرى البيت وجعل يحمد الله ويدعوه والأنصار عنده يقولون: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته، وجاء الوحي وكان الوحي إذا جاء لم يخف علينا، فلما أن رفع الوحي قال:(**يا معشر الأنصار، قلتم كذا وكذا كلا فما اسمي إذا كلا إني عبد الله ورسوله، المحيا محياكم والممات مماتكم**). فأقبلوا يبكون وقالوا: يا رسول الله، ما قلنا إلا الضن بالله وبرسوله. فقال:(**إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم**) أخرجه مسلم.

قال عبد الله بن أبي بكر: لما نزل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بذي طوى ورأى ما أكرمه الله به من الفتح جعل يتواضع لله حتى إنك لتقول قد كاد عثنونه أن يصيب واسطة الرحل.

عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الناس إلا أربعة نفر وامرأتين وقال: اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة: عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح.

فأما ابن خطل فأدرك وهو متعلق بالأستار فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار ابن ياسر فسبق سعيد عمارًا فقتله، وأما مقيس فقتلوه في السوق، وأما

عكرمة فركب البحر وذكر قصته ثم أسلم، وأما ابن أبي سرح فاختبأ عند عثمان فلما دعا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الناس إلى البيعة جاء به عثمان حتى أوقفه على النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله، بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثًا كل ذلك يأبى فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: " أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا رآني كففت فيقتله؟ " قالوا: ما يدرينا يا رسول الله، ما في نفسك هلا أومأت إلينا بعينك قال:(**إنه لا ينبغي أن يكون لنبي خائنة الأعين**).

وقال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر قال: قدم مقيس بن صبابة على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) المدينة وقد أظهر الإسلام يطلب بدم أخيه هشام، وكان قتله رجل من المسلمين يوم بني المصطلق ولا يحسبه إلا مشركًا. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): إنما قتل أخوك خطأ، وأمر له بديته فأخذها فمكث مع المسلمين شيئا ثم عدًا على قاتل أخيه فقتله ولحق بمكة كافرا. فأمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) - عام الفتح - بقتله فقتله رجل من قومه يقال له: نميلة بن عبد الله؛ بين الصفا والمروة.

وحدثني عبد الله بن أبي بكر وأبو عبيدة بن محمد بن عمار: أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إنما أمر بقتل ابن أبي سرح؛ لأنه كان قد أسلم وكتب لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) الوحي. فرجع مشركًا ولحق بمكة.

قال ابن إسحاق: وإنما أمر بقتل عبد الله بن خطل، أحد بني تيم بن غالب؛ لأنه كان مسلمًا فبعثه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مصدقًا وبعث معه رجلاً من الأنصار وكان معه مولى يخدمه وكان مسلمًا، فنزل منزلاً فأمر المولى أن يذبح تيسًا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئًا فقتله وارتد، وكان له قينة وصاحبتها تغنيان بهجاء رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأمر بقتلهما معه، وكان ممن يؤذي رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

حدث بعض آل جبير بن مطعم أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لما دخل مكة أمر بلالاً فعلاً على ظهر الكعبة فأذن عليها، فقال بعض بني سعيد بن العاص: لقد أكرم الله سعيدا إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة.

* * *

غزوة بني حذيمة

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) السرايا فيما حول مكة يدعون إلى الله تعالى ولم يأمرهم بقتال. فكان ممن بعث خالد بن الوليد وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعيًّا ولم يبعثه مقاتلاً، فوطئ بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة فأصاب منهم.

وقال معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: بعث النبي (صلي الله عليه وسلم) خالد بن الوليد إلى رجل - أحسبه قال - بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا. وجعل خالد يأمر بهم قتلاً وأسرا ودلع إلى كل رجل منا أسيرًا، حتى إذا أصبح يوما أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره. فقال ابن عمر: فقلت والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره. قال: فقدموا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فذكر له صنيع خالد. فقال؛ ورفع يديه (صلي الله عليه وسلم):(**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**) مرتين، أخرجه البخاري.

* * *

غزوة حنين

عن عبد الله بن جابر بن عبد الله أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لما فرغ من فتح مكة جمع عوف بن مالك النصري بني نصر وبني جشم وبني سعد بن بكر وأوزاعًا من بني هلال، وهم قليل، وناسًا من بني عمرو بن عامر وعوف بن عامر، وأوعبت معه ثقيف الأحلاف وبنو مالك.

ثم سار بهم إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وساق معه الأموال والنساء والأبناء، فلما سمع بهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بعث عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي فقال:(**اذهب فادخل في القوم حتى تعلم لنا من علمهم**). فدخل فيهم فمكث فيهم يومًا أو اثنين، ثم أتى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأخبره خبرهم. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لعمر بن الخطاب: " ألا

تسمع ما يقول ابن أبي حدرد؟ فقال عمر: كذب. فقال ابن أبـي حـدرد: والله لئن كذبتني يا عمر، لربما كذبت بالحق. فقال عمر: ألا تسمع يا رسول الله ما يقول ابن أبي حدرد؟ فقال: " قد كنت يا عمر ضـالاً فهداك الله " ثم بعث رسـول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى صفوان بن أمية، فسأله أدراعا عنده؛ مائة درع وما يصلحها من عدتها.

فقال: أغصبا يا محمد، قال: بل عارية مضمونة. ثم خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) سائرًا.

وقال الواقدي: سار رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من مكة لست خلـون من شوال في اثني عشر ألفًا. فقال أبو بكر: لا نغلب اليوم من قلـة، فـانتهوا إلـى حنـين لعشـر خلـون مـن شـوال، وأمـر النبـي (صـلي الله عليـه وسـلم) أصـحابه بالتعبئة ووضع الألوية والرايات في أهلها، وركب بغلته ولبس درعين والمغفر والبيضـة. فاستقبلهم من هوازن شيء لم يروا مثله من السواد والكثرة وذلك فـي غبش الصبح، وخرجت الكتائب من مضيق الوادي وشعبة، فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم موليه وتبعهم أهل مكة وتبعهم النـاس فجعل رسـول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:(**يا أنصار الله، وأنصار رسوله أنا عبـد الله ورسـوله**). وثبت معه يومئذ: عمه العباس؛ وابنه الفضل وعلي بن أبـي طـالب وأبـو سفيان بن الحـارث بـن عبـد المطلـب، وأخـوه ربيعـة وأبـو بكـر وعمـر وأسـامة بـن زيـد وجماعة.

حدث السلولي أنه حدثه سهل بن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله (صلي الله عليـه وسـلم) يـوم حنـين فـأطنبوا السـير حتـى كـان عشـية فحضـرت صـلاة الظهر عند رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فجاء فارس فقال: يـا رسـول الله، إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا؛ فـإذ أنـا بهـوازن علـى بكـرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشـائهم اجتمعوا إلـى حنـين. فتبسم رسـول الله (صـلي الله عليه وسلم) وقـال:(**تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله**) ثم قـال: من يحـرسنا الليلـة قال أنس بن أبي مرثد الغنوي: أنـا يـا رسـول الله، قـال: فـركب. فـركب فرسـا لـه وجاء إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال لـه:(**استقبل هذا الشعب حتـى تكون في أعلاه ولا تغرن من قبلك الليلة**).

فلما أصبحنا خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى مصلاه فركع ركعتين، ثم قال: أحسستم فارسكم قالوا: يا رسول الله، لا. فثوب بالصلاة فجعل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يصلي ويلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته وسلم قال:(**أبشروا فقد جاء فارسكم**). فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: إني كنت انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب، حيث أمرني رسول الله (صلي الله عليه وسلم). هل نزلت الليلة؟ قال: لا إلا مصليًّا أو قاضي حاجة. فقال له رسول الله (صلي الله عليه وسلم): " قد أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها ". أخرجه أبو داود.

عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه قال: خرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين فسبق رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إليها فأعدوا وتهيأوا في مضايق الوادي وأحنائه. وأقبل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه فانحط بهم في الوادي في عماية الصبح. فلما انحط الناس ثارت في وجوههم الخيل فشدت عليهم وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد على أحد. وانحاز رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ذات اليمين يقول:(**أيها الناس هلموا إني أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله**). فلا ينثني أحد. وركبت الإبل بعضها بعضا. فلما رأى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أمر الناس ومعه رهط من أهل بيته ورهط من المهاجرين والعباس آخذ بحكمة بغلته البيضاء وثبت معه علي وأبو سفيان وربيعة؛ ابنا الحارث والفضل بن عباس، وأيمن بن أم أيمن وأسامة ومن المهاجرين أبو بكر، وعمر. قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء أمام هوازن إذا أدرك الناس طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فيتبعوه. فلما انهزم من كان مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من جفاة أهل مكة تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضعن. فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحور. وإن الأزلام لمعه في كنانته.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر قال: سار أبو سفيان إلى حنين وإنه ليظهر الإسلام، وإن الأزلام التي يستقسم بها في كنانته.

قال شيبة بن عثمان العبدري: اليوم أدرك ثأري - وكان أبوه قتل يوم أحد -

اليوم أقتل محمدًا قال: فأدرت برسول الله لأقتله فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق فعرفت أنه ممنوع.

وعن عبد الرحمن عن أبيه: أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حين رأى من الناس ما رأى قال:(**يا عباس اصرخ: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة**) فأجابوه: لبيك لبيك.

فجعل الرجل منهم يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه من عنقه ويوم الصوت حتى اجتمع إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) منهم مائة.

فاستعرضوا الناس فاقتتلوا، وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار، ثم جعلت آخرا بالخزرج وكانوا صبرًا عند الرحب وأشرف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في ركائبه؛ فنظر إلى مجتلد القوم فقال: " الآن حمي الوطيس ". قال: فوالله ما رجعت راجعة الناس إلا والأسارى عند رسول الله (صلي الله عليه وسلم). فقتل الله من قتل منهم وانهزم من انهزم منهم وأفاء الله على رسوله أموالهم ونسائهم وأبناءهم.

وقال موسى بن عقبة: إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) خرج إلى حنين فخرج معه أهل مكة لم يتغادر منهم أحد ركبانا ومشاة، حتى خرج النساء مشاة ينظرون ويرجون الغنائم ولا يكرهون الصدمة برسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه.

* * *

غزوة أوطاس

عن أبي موسى قال: لما فرغ النبي (صلي الله عليه وسلم) من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقي دريد ابن الصمة فقتل دريد وهزم الله أصحابه ورمي أبو عامر في ركبته رماه رجل من بني جشم فأثبته في ركبته فانتهيت إليه فقلت: يا عم، من رماك؟ فأشار إلي أن ذاك قاتلي تراه. فقصدت له فاعتمدته فلحقته. فلما رآني ولى عني ذاهبًا فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحي ألست عربيا ألا تثبت فكف فالتقينا فاختلفنا ضربتين أنا وهو فقتلته؟! ثم رجعت

إلى أبي عامر فقلت: قد قتل الله صاحبك. قال: فانتزع هذا السهم. فنزعته فنزا منه الماء. فقال: يا بن أخي، انطلق إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأقره مني السلام، ثم قل له يستغفر لي. قال: واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيرا ومات، وذكر الحديث متفق عليه.

وقال ابن إسحاق: وقتل يوم حنين من ثقيف سبعون رجلاً تحت رايتهم. وانهزم المشركون فأتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة، وتبعت خيل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) القوم فأدرك ربيعة بن رفيع؛ ويقال: ابن الدغنة دريد بن الصمة، فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة فإذا شيخ كبير ولم يعرفه الغلام. فقال له دريد: ماذا تريد بي؟ قال: أقتلك. قال: ومن أنت؟ قال: ربيعة بن رفيع السلمي، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئًا، فقال: بئس ما سلحتك أمك، خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل، ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أضرب الرجال، ثم إذا أتبعت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم والله قد منعت فيه نساءك. فقتله. فقيل: لما ضربه ووقع تكشف فإذا عجانه وبطون فخذيه أبيض كالقرطاس من ركوب الخيل أعراء. فلما رجع إلى أمه أخبرها بقتله فقالت: أما والله لقد أعتق أمهات لك.

وبعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في آثار من توجه إلى أوطاس أبا عامر الأشعري فرمي بسهم فقتل، فأخذ الراية أبو موسى فهزمهم. وزعموا أن سلمة بن دريد هو الذي رمى أبا عامر بسهم.

* * *

غزوة الطائف

فسار رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من حنين يريد الطائف في شوال، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته، وقد كانت ثقيف رموا حصنهم وأدخلوا فيه ما يكفيهم سنة فلما انهزموا من أوطاس دخلوا الحصن وتهيأوا للقتال.

قال محمد بن شعيب، عن عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ثم سار رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى

بلغ الطائف فحاصرهم ونادى مناديه: من خرج منهم من عبيدهم فهو حر. فاقتحم إليه من حصنهم نفر منهم أبو بكرة ابن مسروح أخو زياد من أبيه فأعتقهم، ودفع كل رجل منهم إلى رجل من أصحابه ليحمله. فرجع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى أتى على الجعرانة. فقال:(**إني معتمر**).

عن موسى قال: ثم سار رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى الطائف وترك السبي بالجعرانة وملئت عرش مكة منهم. ونزل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالأكمة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلة يقاتلهم، وثقيف ترمي بالنبل وكثرت الجراح وقطعوا طائفة من أعنابهم ليغيظوهم بها، فقالت ثقيف: لا تفسدوا الأموال فإنها لنا أو لكم. واستأذنه المسلمون في مناهضة الحصن فقال: ما أرى أن نفتحه وما أذن لنا فيه.

وزاد عروة قال: أمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) المسلمين أن يقطع كل رجل من المسلمين خمس نخلات أو حبلات من كرومهم. فأتاه عمر فقال: يا رسول الله؟ إنها عفاء لم تؤكل ثمارها. فأمرهم أن يقطعوا ما أكلت ثمرته الأول فالأول، وبعث مناديًّا ينادي: من خرج إلينا فهو حر.

وقال ابن إسحاق: لم يشهد حنينا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق.

ثم سار رسول الله (صلي الله عليه وسلم) على نخلة إلى الطائف وابتنى بها مسجدًا وصلى فيه. وقتل ناس من أصحابه بالنبل، ولم يقدر المسلمون أن يدخلوا حائطهم أغلقوه دونهم. وحاصرهم النبي (صلي الله عليه وسلم) بضعًا وعشرين ليلة ومعه امرأتان من نسائه؛ إحداهما أم سلمة بنت أبي أمية، فلما أسلمت ثقيف بني على مصلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أبو أمية بن عمرو بن وهب مسجدا. وكان في ذلك المسجد سارية لا تطلع عليها الشمس يومًا من الدهر، فيما يذكرون إلا سمع لها نقيض.

عن عبد الله بن عمر قال: حاصر النبي (صلي الله عليه وسلم) أهل الطائف فلم ينل منهم شيئًا، قال: إنا قافلون غدا إن شاء الله.

فقال المسلمون: أنرجع ولم نفتحه فقال لهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم

): " اغدوا على القتال غدا ". فأصابهم جراح. فقال لهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم): " إنا قافلون غدا إن شاء الله ". فأعجبهم ذلك فضحك النبي (صلي الله عليه وسلم).

* * *

قسم غنائم حنين وغير ذلك

قال ابن إسحاق ثم خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) على رحيل حتى نزل بالناس بالجعرانة. وكان معه من سبي هوازن ستة آلاف من الذرية ومن الإبل والشاء ما لا يدرى عدته.

عن أنس قال: افتتحنا مكة ثم إنا غزونا حنينًا فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت. قال: فصف الخيل، ثم صفت المقاتلة، ثم صف النساء من وراء ذلك، ثم صف الغنم، ثم صف النعم. قال: ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف؛ أظنه يريد الأنصار. قال: وعلى مجنبة خيلنا خالد بن الوليد. فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا.

فلم نلبث أن انكشفت خيلنا وفرت الأعراب. فنادى رسول الله (صلي الله عليه وسلم): **(يا للمهاجرين يا للمهاجرين يا للأنصار يا للأنصار)**. قال أنس: هذا حديث عمية قلنا: لبيك يا رسول الله، فتقدم فأيم الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله. قال فقبضنا ذلك المال ثم انطلقنا إلى الطائف. قال: فحاصرناهم أربعين ليلة، ثم رجعنا إلى مكة ونزلنا. فجعل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يعطي الرجل أربعين ليلة، ثم رجعنا إلى مكة ونزلنا. فجعل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يعطي الرجل المائة ويعطي الرجل المائة، فتحدثت الأنصار بينهم: أما من قاتله فيعطيه وأما من لم يقاتله فلا يعطيه. قال: ثم أمر بسراة المهاجرين والأنصار - لما بلغه الحديث - أن يدخلوا عليه. فدخلنا القبة حتى ملأناها. فقال:**(يا معشر الأنصار)** - ثلاث مرات أو كما قال - ما حديث أتاني " قالوا: ما أتاك يا رسول الله؟. قال:**(أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبوا برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم)** قالوا: رضينا، فقال:**(لو أخذ الناس شعبًا وأخذت الأنصار**

شعبًا أخذت شعب الأنصار) قالوا: رضينا يا رسول الله، قال:**(فارضوا)** أخرجه مسلم.

حدث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كنا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بحنين فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسباياهم أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا. فقالوا: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك، وقام خطيبهم زهير بن صرد. فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك فلو أنا ملحنا للحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر، ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما وأنت خير المكفولين، ثم أنشده أبياتا قالها:

أمنن علينا رسول الله في كرم ::: فإنك المرء نرجوه وندخر

امنن على بيضة اعتاقها حزن ::: ممزق شملها في دهرها غير

أبقت لها الحرب هتافا على حزن ::: على قلوبهم الغماء والغمر

إن لم تداركهم نعماء تنشرها ::: يا أرجح الناس حلما حين يختبر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها ::: وإذ يزينك ما تأتي وما تذر

لا تجعلنا كمن شالت نعامته ::: واستبق منا فإنا معشر زهر

إنا لنشكر آلاء وإن كفرت ::: وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):**(نساؤكم أحب إليكم أم أموالكم)** فقالوا: خيرتنا بني أحسابنا وأموالنا أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا. فقال:**(أما ما كان لي ولبني عبد المطلب، فهو لكم وإذا أنا صليت بالناس فقوموا وقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا سأعينكم عند ذلك وأسأل لكم)**. فلما صلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به فقال: " أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ". فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله. قالت الأنصار كذلك. فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، فقال العابس بن مرداس السلمي: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بل ما كان لنا فهو لرسول الله (صلي الله عليه وسلم). وقال عيينة بن بدر: أما أنا وبنو فزارة فلا فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم

): " من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ست فرائض من أول فيء نصيبه ".
فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم.

ثم ركب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) واتبعه الناس يقولون: يا رسول الله، اقسم علينا فيئنا حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعت عنه رداءه فقال: " ردوا علي ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما لقيتموني بخيلاً ولا جبانا ولا كذابا ". ثم قام إلى جنب بعير وأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين إصبعيه وقال: " أيها الناس، والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم. فأدوا الخياط والمخيط فإن الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة ". فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال: أخذت هذه لأخيط بها برذعة بعير لي دبر. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):**(أما حقي منها فلك)** فقال الرجل: أما إذا بلغ الأمر هذا فلا حاجة لي بها. فرمى بها.

* * *

عمرة الجعرانة

قال همام عن قتادة عن أنس: أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) اعتمر أربع عمر كلهن في ذي القعدة إلا التي مع حجته: عمرة زمن الحديبية - أو من الحديبية - في ذي القعدة وعمرة، أظنه قال العام المقبل وعمرة من الجعرانة؛ حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة وعمرة مع حجته. متفق عليه.

* * *

السنة التاسعة سرية الضحاك إلي القرطاء

قيل: في ربيع الأول بعث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) جيشًا إلى القرطاء عليهم الضحاك بن سفيان الكلابي، ومعه الأصيد بن سلمة بن قرط. فلقوهم بالزج زج لاوة. فدعوهم إلى الإسلام فأبوا. فقاتلوهم فهزموهم. فلحق الأصيد أباه سلمة فدعاه إلى الإسلام وأعطاه الأمان فسبه وسب دينه. فعرقب الأصيد عرقوبي فرسه، ثم جاء رجل من المسلمين فقتل سلمة. ولم يقتله ابنه.

* * *

سرية علقمة بن مجزز المدلجي

وفي ربيع الآخر قيل: إن رسول الله بلغه أن ناسًا من الحبشة تراءاهم أهل جدة. فبعث النبي (صلي الله عليه وسلم) علقمة بن مجزز المدلجي في ثلاثمائة، فانتهى إلى جزيرة في البحر فهربوا منه.

* * *

سرية علي بن أبي طالب إلى الفلس

وفي ربيع الآخر سرية على بن أبي طالب إلى الفلس - صنم طيء - ليهدمه. في خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرسًا ومعه راية سوداء ولواء أبيض. فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر فهدموا الفلس وخربوه وملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء. وفي السبي أخت عدي بن حاتم. وهرب عدي إلى الشام.

* * *

سرية عكاشة إلى أرض عذرة

وفي هذه الأيام كانت سرية عكاشة بن محصن إلى أرض عذرة.

وفي رجب: صلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قبل مسيره إلى تبوك على أصحمة النجاشي رضي الله عنه صاحب الحبشة. وأصحمة بالعربي: عطية. وكان قد آمن بالله ورسوله. قول النبي (صلي الله عليه وسلم):(**قد مات أخ لكم بالحبشة**) فخرج بهم إلى المصلى وصفهم وصلى عليه.

قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت: لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور.

* * *

غزوة تبوك

عن عاصم بن عمر وعبد الله بن أبي بكر بن حزم: أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قلما كان يخرج في غزوة إلا أظهر أنه يريد غيرها إلا غزوة

تبوك فإنه قال: أيها الناس، إني أريد الروم، فأعلمهم وذلك في شدة الحر وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم.

فبينا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ذات يوم في جهازه؛ إذ قال للجد بن قيس:(**يا جد هل لك في بنات بني الأصفر**) فقال: يا رسول الله، لقد علم قومي أنه ليس أحد أشد عجبًا بالنساء مني. وإني أخاف إن رأيت نساء بني الأصفر أن يفتني فائذن لي يا رسول الله، فأعرض عنه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وقال:(**قد أذنت لك**). فنزلت: {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا} [التوبة: ٤٩]، قال: وقال رجل من المنافقين:{لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ} [التوبة: ٨١]. فنزلت:{قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا} [التوبة: ٨١].

ولم ينفق أحد أعظم من نفقة عثمان وحمل على مائة بعير.

عن ابن عباس في غزوة تبوك قال: أمر النبي المسلمين بالصدقة والنفقة في سبيل الله فأنفقوا احتسابًا، وأنفق رجال غير محتسبين، وحمل رجال من فقراء المسلمين وبقي أناس، وأفضل ما تصدق به يومئذ أحد عبد الرحمن بن عوف؛ تصدق بمائتي أوقية وتصدق عمر بمائة أوقية وتصدق عاصم الأنصاري بتسعين وسقا من تمر. وقال النبي (صلي الله عليه وسلم) لعبد الرحمن:(**هل تركت لأهلك شيئا؟**) قال: نعم أكثر مما أنفقت وأطيب. قال: كم قال: ما ود الله ورسوله من الرزق والخير.

عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة عن مولاه قال: جاء عثمان إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) بألف دينار حين جهز جيش العسرة ففرغها في حجر النبي (صلي الله عليه وسلم) فجعل يقبلها ويقول:(**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**) قالها مرارًا.

وقال ابن إسحاق: ثم إن رجالاً أتوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهم البكاءون وهم سبعة من الأنصار: سالم بن عمير، وعلبة بن زيد، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، وعمرو بن الحمام بن الجموح، وعبد الله بن المغفل؛ وبعضهم يقول: عبد الله بن عمرو المزني؛ وهرم بن عبد الله والعرباض ابن سارية الفزاري. استحملوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وكانوا أهل حاجة

فقال: " لا أجد ما أحملكم عليه، تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ".

فبلغني أن يامين بن عمرو لقي أبا ليلى وعبد الله بن مغفل وهم يبكيان فقال: ما يبكيكما فقالا: جئنا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج. فأعطاهما ناضحا له فارتحلاه وزودهما شيئًا من لبن.

وأما علبة بن زيد فخرج من الليل فصلى من ليلته - ما شاء الله - ثم بكى وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في مال أو جسد أو عرض، ثم أصبح مع الناس فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):**(أين المتصدق هذه الليلة؟)** فلم يقم أحد. ثم قال:**(أين المتصدق فليقم؟)**. فقام إليه فأخبره. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):**(أبشر فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة)**.

{وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ} [التوبة: ٩٠]، فاعتذروا فلم يعذرهم الله. فذكر أنهم نفر من بني غفار.

قال: وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى تخلفوا عن غير شك ولا ارتياب منهم كعب بن مالك أخو بني سلمة، ومرارة بن الربيع أحد بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية أخو بني واقف، وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف. وكانوا رهط صدق.

ثم خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يوم الخميس واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري. فلما خرج ضرب عسكره على ثنية الوداع ومعه زياد على ثلاثين ألفًا من الناس. وضرب عبد الله بن أبي ابن سلول عسكره على ذي حدة أسفل منه وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين فلما سار رسول الله (صلي الله عليه وسلم) تخلف عنه ابن سلول فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب. وخلف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) علي بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم فارجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا

استثقالا له وتخففا منه. فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو نازل بالجرف فقال: يا رسول الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني تستثقلني وتخفف مني. قال:(**كذبوا ولكن خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**) فرجع إلى المدينة.

عن عبد الله بن مسعود قال: لما سار رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى تبوك جعل لا يزال يتخلف الرجل فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان. فيقول:(**دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه**) حتى قيل: يا رسول الله، تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره فقال:(**دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه**). فتلوم أبو ذر بغيره فلما بطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره، ثم خرج يتبع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ماشيًا. ونزل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في بعض منازله ونظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**كن أبا ذر**) فلما تأمله القوم قالوا: هو والله أبو ذر. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**يرحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده**) فضرب الدهر من ضربه وسير أبو ذر إلى الربذة فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه: إذا مات فاغسلاني وكفناني وضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر. فلما مات فعلوا به ذلك. فاطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركائبهم توطأ سريره، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة. فقال: ما هذا؟ فقيل: جنازة أبي ذر. فاستهل ابن مسعود يبكي فقال: صدق رسول الله (صلي الله عليه وسلم): يرحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده، فنزل فوليه بنفسه حتى أجنه.

وقال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر أن أبا خيثمة أحد بني سالم رجع - بعد مسير رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أياما - إلى أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في حائط قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء وهيأت له فيه طعامًا. فلما دخل قام على باب العريشين فقال: رسول

الله، في الضح والريح والحر وأنا في ظل بارد وماء بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء في مال مقيم ما هذا بالنصف. ثم قال: لا والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله (صلي الله عليه وسلم) فهيئا لي زادًا. ففعلتا. ثم قدم ناضحه فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى أدركه بتبوك حين نزلها، وقد كان أدركه عمير بن وهب في الطريق فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير: إن لي ذنبا تخلف عني حتى آتي رسول الله، ففعل، فسار حتى دنا من رسول الله، فقال رسول الله:**(كن أبا خيثمة)** فقالوا: هو والله أبا خيثمة فأقبل وسلم فقال له:**(أولى لك أبا خيثمة)** ثم أخبر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الخبر فقال له خيرًا.

عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد - شك الأعمش - قال: لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاع فقالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فننحر نواضحنا فأكلنا وادهنا. فقال: " أفعل ". فجاء عمر فقال: يا رسول الله، إن فعلت قل الظهر ولكن ادع بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة. فقال: نعم. فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوداهم. فجعل الرجل يأتي بكف ذرة ويجيء الآخر بكف تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير.

فدعا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالبركة ثم قال لهم: خذوا في أوعيتكم. فأخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):**(أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؛ لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة)** أخرجه مسلم.

وعن أبي الطفيل أن معاذ بن جبل أخبره أنهم خرجوا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عام تبوك، فكان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء. قال: فأخر الصلاة يومًا، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعًا. ثم قال: إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئًا حتى آتي. قال: فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء. فسألهما رسول الله (صلي الله

عليه وسلم): " هل مسستما من مائها شيئًا " قالا: نعم. فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول. ثم عرفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شن ثم غسل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فيه وجهه، ثم أعاده فيها. فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس. ثم قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):**(يوشك يا معاذ، أن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد مليء جنانا)** أخرجه مسلم.

وعن عباس بن سهل عن أبي حميد قال: خرجنا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في غزوة تبوك فأتينا وادي القرى على حديقة لامرأة. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): اخرصوها. فخرصناها وخرصها رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عشرة أوسق. وقال: أحصيها حتى نرجع إليك إن شاء الله. فانطلقنا حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):**(ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم فيها أحد منكم فمن كان له بعير فليشد عقاله)**. فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيء. وجاء ابن العلماء صاحب أيلة إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بكتاب وأهدى له بغلة بيضاء. فكتب إليه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأهدى له بردًا، ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى فسأل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) المرأة عن حديقتها كم بلغ ثمرها فقال: بلغ عشرة أوسق. فقال: " إني مسرع فمن شاء منكم فليسرع ". فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة. فقال: " هذه طابة وهذا أحد وهو جبل يحبنا ونحبه ".

قال ابن إسحاق: وقد كان رهط منهم وديعة بن ثابت ومخشن بن حمير؛ يشيرون إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضًا والله لكأنا بكم غدًا مقرنين في الحبال؛ إرجافًا وترهيبًا للمؤمنين. فقال مخشن بن حمير: والله لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل منا مائة جلدة وأنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه وقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فيما بلغني لعمار بن ياسر: أدرك القوم فإنهم قد اخترقوا فسلهم عما قالوا فإن أنكروا فقل: بلى قلتم كذا وكذا.

فما نطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم. فأتوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم)

يعتذرون. فقال وديعة بن ثابت: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. فنزلت:{ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾} [التوبة: ٦٥]. فقال مخشن بن حمير: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي.

فكان الذي عفي عنه في هذه الآية مخشن؛ يعني:{إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ} [التوبة: ٦٦]. فتسمى عبد الرحمن فسأل الله أن يقتله شهيدًا لا يعلم بمكانه. فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أثر.

ولما انتهى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى تبوك أتاه يحنة بن روبة صاحب أيلة فصالح رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأعطاه الجزية وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية. وكتب لهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كتابا فهو عندهم.

* * *

بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة

عن ابن إسحاق: أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك؛ رجل من كندة وكان ملكًا على دومة وكان نصرانيًّا. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لخالد: إنك ستجده يصيد البقر، فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه منظر العين في ليلة مقمرة صافية وهو على سطح ومعه امرأته فأتت البقر تحك بقرونها باب القصر.

فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله. قالت: فمن يترك مثل هذا؟ قال: لا أحد. فنزل فأمر بفرسه فأسرج وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخوه حسان. فتلقتهم خيل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأخذته وقتلوا أخاه. وقدموا به على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فحقن دمه وصالحه على الجزية وأطلقه.

عن عمار بن ياسر أن حذيفة حدثه عن النبي (صلي الله عليه وسلم) أنه قال:(في أصحابي اثنا عشر منافقًا فمنهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط). أخرجه مسلم.

عن ابن عباس:{وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا} [التوبة: ١٠٧]، قال: أناس بنوا مسجدًا فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدكم واستمدوا ما استطعتم من قوة ومن سلاح، فإني ذاهب إلى قيصر فآت بجند من الروم فأخرج محمدًا وأصحابه. فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي (صلي الله عليه وسلم) فقالوا: نحب أن تصلي فيه. فنزلت:{لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗا} [التوبة: ١٠٨]. الآيات.

وعن أنس: أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لما رجع من غزوة تبوك ودنا من المدينة قال:(**إن بالمدينة لأقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد إلا كانوا معكم فيه**). قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة قال:(**نعم حبسهم العذر**) أخرجه البخاري.

* * *

أمر الذين خلفوا

عن ابن عباس: " وآخرون اعترفوا بذنوبهم " قال: كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبي (صلي الله عليه وسلم) في غزوة تبوك. فلما حضر رجوع رسول لله (صلي الله عليه وسلم) أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد وكان ممر النبي (صلي الله عليه وسلم) عليهم. فلما رآهم قال: من هؤلاء؟ قالوا: هذا أبو لبابة، وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله، حتى تطلقهم وتعذرهم. قال:(**وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو لذي يطلقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين**). فلما بلغهم ذلك قالوا: ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذي يطلقنا. فأنزلت " وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا عسى الله أن يتوب عليهم " عسى من الله واجب.

فلما نزلت أرسل إليهم فأطلقهم وعذرهم. ونزلت؛ إذ بذلوا أموالهم:{خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا} [التوبة: ١٠٣].

قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في غزوة

غزاها قط إلا في غزوة تبوك. غير أني تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب الله أحدا تخلف عنها إنما خرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد. ولقد شهدت مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ليلة العقبة وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر، يعني: أذكر في الناس منها.

كان من خبري حين تخلفت عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة، غزاها في حر شديد واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا وعدوًا كثيرًا: فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم وأخبرهم بوجهه الذي كان يريد، والمسلمون مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كثير لا يجمعهم كتاب حافظ؛ يريد الديوان.

قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ما لم ينزل فيه وحيز وغزا رسول لله (صلي الله عليه وسلم) تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا إليها أصعر، فتجهز والمسلمون معه وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم ولم أقض شيئا. وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردته. فلم يزل يتمادى بي الأمر حتى استمر بالناس الجد. فأصبح رسول الله (صلي الله عليه وسلم) والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئًا. فقلت: أتجهز بعده يومًا أو يومين، ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئًا ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئًا.

فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس أحزنني أني لا أرى رجلاً مغموصًا من النفاق؛ أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، فلم يذكرني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى بلغ تبوك قال وهو جالس في القوم:(**ما فعل كعب بن مالك**) فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه. فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا فلما بلغني أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قد

توجه قافلاً من تبوك حضرني همي فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدا وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي؟. فلما قيل: إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قد أظل قادمًا زاح عني الباطل وعرفت أني لا أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب فأجمعت صدقه. وأصبح قادمًا وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله، فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال:(**تعال**) فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال:(**ما خلفك ألم تكن ابتعت ظهرك؟**) فقلت: بلى يا رسول الله، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلاً، ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كاذبا ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخط علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو عفو الله. والله ما كان لي من عذر ووالله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**أما هذا فقد صدق قم حتى يقضي الله فيك**) فقمت وثار رجال من بني سلمة فقالوا: لا والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبًا قبل هذا أعجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بما اعتذر إليه المخلفون قد كان كافيك لذنبك استغفار رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لك. فوالله ما زالوا يونبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي. ثم قلت: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم رجلان قلا مثل ما قلت. وقيل لهما مثل ما قيل لك. فقلت: من هما؟ فقالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي. فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، واجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيتهما. وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق فلا يكلمني أحد. وآتي رسول الله

(صلي الله عليه وسلم) وهو في مجلسه بعد الصلاة فأسلم عليه فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي فإذا التفت نحوه أعرض عني.

حتى إذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين تسورت جدار حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي وأحب الناس إليَّ - فسلمت عليه فوالله ما رد، فقلت: يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلم أني أحب الله ورسول؟ قال: فسكت فعدت له فسكت فناشدته الثالثة فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار.

قال: فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إلي. حتى إذا جاءني دفع إلي كتابًا من ملك غسان - وكنت كاتبًا - فإذا فيه: أما بعد فقد بلغني أن صاحبك قد جفاك. ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة. فالحق بنا نواسك. فقلت: وهذا أيضًا من البلاء. فتيممت به التنور فسجرته به. حتى إذا مضى لنا أربعون ليلة من الخميس إذا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: إن رسول يأمرك أن تعتزل امرأتك. فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل بها؟ فقال: لا بل اعتزلها فلا تقربنها. وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك. فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله هذا الأمر قال كعب: فجاءت امرأة هلال رسول الله فقال: إن هلالاً شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ فقال: لا ولكن لا يقربنك. قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومي هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله في امرأتك فقلت: لا والله وما يدريني ما يقول لي رسول الله (صلي الله عليه وسلم)؟ إن استأذنته فيها وأنا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة. فلما أن صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله منا؛ قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع: يا كعب بن مالك، أبشر. فخررت ساجدًا وعرفت أن قد جاء الفرج وآذن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بتوبة الله عليه حين صلى صلاة الفجر. فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون. وركض رجل إلي فرسا وسعى ساع من

أسلم فأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع إلي من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت ثوبي وكسوتهما إياه ببشراه والله ما أملك غيرهما يومئذ. واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم). فتلقاني الناس فوجا فوجًا يهنئوني بالتوبة؛ يقولون: ليهنك توبة الله عليك. حتى دخلت المسجد فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة. وقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو يبرق وجهه بالسرور:(**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**). قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله، قال:(**لا بل من عند الله**) وكان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إذا بشر ببشارة يبرق وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى الرسول. قال:(**أمسك بعض مالك فهو خير لك**) فقت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. وقلت: يا رسول الله إن الله، إنما نجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت. فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين ابتلاه الله تعلى في صدق الحديث أحسن مما ابتلاني ما تعمدت مذ ذكرت ذلك لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) كذبًا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي. وأنزل الله تعالى على رسوله:{ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ } [التوبة: ١١٧]، إلى قوله:{ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ } [التوبة: ١١٩]، فوالله ما أنعم الله علي من نعمة بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يومئذ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه فإن الله تعالى قال للذين كذبوه حين نزل الوحي شر ما قال لأحد فقال:{ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾} [التوبة: ٩٥ - ٩٦].

قال كعب: وكنا خلفنا - أيها الثلاثة - عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حين خلفوا له وأرجأ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال تعالى:{وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ} [التوبة: ١١٨]، وليس الذي ذكر الله

تخلفنا عن الغزو وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن تخلف واعتذر فقبل منه رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، متفق عليه.

* * *

ذكر قدوم وفود العرب ، وفد ثقيف

عن علقمة بن سفيان بن عبد الله الثقفي، عن أبيه قال: كنا في الوفد الذين وفدوا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: فضرب لنا قبتين عند دار المغيرة ابن شعبة. قال: وكان بلال يأتينا بفطرنا فنقول: أفطر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فيقول: نعم ما جئتكم حتى أفطر فيضع يده فيأكل ونأكل.

عن عثمان بن أبي العاص الثقفي: أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أنزلهم في قبة في المسجد ليكون أرق لقلوبهم. واشترطوا عليه حين أسلموا أن لا يحشروا، ولا يعشروا، ولا يجبوا. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):**(لا خير في دين ليس فيه ركوع، ولكم أن لا تحشروا ولا تعشروا)**.

وعن عروة قال: فأسلم عروة بن مسعود واستأذن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ليرجع إلى قومه. فقال: إني أخاف أن يقتلوك قال: لو وجدني نائما ما أيقظوني. فأذن له رسول الله (صلي الله عليه وسلم). فرجع إلى الطائف وقدم الطائف عشيا فجاءته ثقيف فحيوه ودعاهم إلى الإسلام. ونصح لهم فاتهموه وعصوه وأسمعوه من الأذى ما لم يكن يخشاهم عليه. فخرجوا من عنده حتى إذا أسحر وطلع الفجر قال على غرفة له في داره فأذن بالصلاة وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله.

فزعموا أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال حين بلغه قتله:**(مثل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الله فقتلوه)**.

وأقبل - بعد قتله - من وفد ثقيف بضعة عشر رجلاً هم أشراف ثقيف فيهم كنانة بن عبد ياليل، وهو رأسهم يومئذ وفيهم عثمان بن أبي العاص بن بشر، وهو أصغرهم. حتى قدموا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) المدينة يريدون الصلح حين رأوا أن قد فتحت مكة وأسلمت عامة العرب.

فقال المغيرة بن شعبة: يا رسول الله، أنزل على قومي فأكرمهم فإني حديث

الجرم فيهم. فقال: لا أمنعك أن تكرم قومك ولكن منزلك حيث يسمعون القرآن. وكان من جرم المغيرة في قومه أنه كان أجيرًا لثقيف وأنهم أقبلوا من مصر حتى إذا كانوا ببصاق عدا عليهم وهم نيام فقتلهم، ثم أقبل بأموالهم حتى أتى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله خمس مالي هذا؟ فقال:(**وما نبأه**) فأخبره فقال:(**إنا لسنا نغدر**) وأبى أن يخمسه.

وأنزل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وفد ثقيف في المسجد وبنى لهم خيامًا لكي يسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا. وكان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إذا خطب لم يذكر نفسه. فلما سمعه وفد ثقيف قالوا: يأمرنا أن نشهد أنه رسول الله ولا يشهد به في خطبته. فلما بلغه ذلك قال: فإني أول من شهد أني رسول الله.

وكانوا يغدون على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كل يوم ويخلفون عثمان بن أبي العاص على رحالهم. فكان عثمان كلما رجعوا وقالوا بالهاجرة عمد إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فسأله عن الدين واستقرأه القرآن حتى فقه في الدين وعلم. وكان إذا وجد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) نائمًا عمد إلى أبي بكر. وكان يكتم ذلك من أصحابه. فأعجب ذلك رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وعجب منه وأحبه.

فمكث الوفد يختلفون إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهو يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا. فقال كنانة بن عبد ياليل: هل أنت مقاضينا حتى نرجع إلى قومنا؟ فقال: " نعم إن أنتم أقررتم بالإسلام قاضيتكم وإلا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم ". قالوا: فالربا قال: " لكم رؤوس أموالكم ". قالوا: فالخمر قال: " حرام ". وتلا عليهم الآيات في تحريم هذه الأشياء. فارتفع القوم وخلا بعضهم ببعض فقالوا: ويحكم إنا نخاف - إن خالفناه - يوما كيوم مكة. انطلقوا نكاتبه على ما سألنا. فأتوه فقالوا: نعم كل ما سألت. أرأيت الربة ماذا نصنع فيها؟ قال:(**اهدموها**) قالوا: هيهات لو تعلم الربة أنك تريد هدمها قتلت أهلها. فقال عمر: ويحك يا بن عبد ياليل! ما أحمقك إنما الربة حجر. قالوا: إنا لم نأتك يا بن الخطاب. وقالوا: يا رسول الله، تول أنت هدمها فأما نحن فإنا لن نهدمها أبدا. قال:(**فسأبعث إليكم من يهدمها**) فكاتبوه وقالوا: يا رسول الله، أمر علينا رجلاً

يؤمنا. فأمر عليهم عثمان لما رأى من حرصه على الإسلام. وكان قد تعلم سورا من القرآن.

وقال ابن عبد ياليل: أنا أعلم الناس بثقيف. فاكتموهم الإسلام وخوفوهم الحرب وأخبروا أن محمدا سألنا أمورًا أبيناها.

قال: فخرجت ثقيف يتلقون الوفد. فلما رأوهم قد ساروا العنق وقطروا الإبل وتغشوا ثيابهم كهيئة القوم قد حزنوا وكربوا ولم يرجعوا بخير. فلما رأت ثقيف ما في وجوههم قالوا: ما وفدكم بخير ولا رجعوا به. فدخل الوفد فعمدوا اللات فنزلوا عندها. واللات بيت بين ظهري الطائف يستر ويهدى له الهدي كما يهدى للكعبة فقال ناس من ثقيف حين نزل الوفد إليها: إنه لا عهد لهم برؤيتها، ثم رجع كل واحد إلى أهله وجاء كل رجل منهم خاصته فسألوهم فقالوا: أتينا رجلاً فظًا غليظًا يأخذ من أمره ما يشاء قد ظهر بالسيف وأداخ العرب ودانت له الناس. فعرض علينا أمورا شدادا: هدم اللات وترك الأموال في الربا إلا في رؤوس أموالكم وحرم الخمر والزنا فقالت ثقيف: والله لا نقبل هذا أبدًا. فقال الوفد: أصحلوا السلام وتهيأوا للقتال ورموا حصنكم. فمكثت ثقيف بذلك يومين أو ثلاثة يريدون القتال، ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب فقالوا: والله ما لنا به طاقة وقد أداخ العرب كلها فارجعوا إليه فأعطه ما سأل. فلما رأى ذلك الوفد أنهم قد رعبوا قالوا: فإنا قد قاضيناه وفعلنا ووجدناه أتقى الناس وأرحمهم وأصدقهم. قالوا: لم كتمتمونا وغممتمونا أشد الغم قالوا: أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان. فأسلموا مكانهم.

ثم قدم عليهم رسل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قد أمر عليهم خالد بن الوليد وفيهم المغيرة. فلما قدموا عمدوا اللات ليهدموها واستكفت ثقيف كلها حتى خرج العواتق لا ترى عامة ثقيف أنها مهدومة. فقام المغيرة فأخذ الكرزين وقال لأصحابه:(**والله لأضحكنكم منهم**) فضرب بالكرزين ثم سقط يركض. فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة وقالوا: أبعد الله المغيرة قد قتلته الربة. وفرحوا وقالوا: من شاء منكم فليقترب وليجتهد على هدمها فوالله لا يستطاع أبدًا، فوثب المغيرة ابن شعبة فقال: قبحكم الله؛ إنما هي لكاع حجارة ومدر فأقبلوا عافية الله واعبدوه، ثم ضرب الباب فكسره، ثم علا على سورها وعلا

الرجال معه فهدموها.

وجعل صاحب المفتح يقول: ليغضبن الأساس فليخسفن بهم. فقال المغيرة لخالد: دعني أحفر أساسها فحفره حتى أخرجوا ترابها وانتزعوا حليتها وأخذوا ثيابها. فبهتت ثقيف فقالت عجوز منهم: أسلمها الرضاع وتركوا المصاع.

وأقبل الوفد حتى أتوا النبي (صلي الله عليه وسلم) بحليتها وكسوتها فقسمه.

وقال ابن إسحاق: أقامت ثقيف بعد قتل عروة بن مسعود أشهرًا.

ثم ذكر قدومهم على النبي (صلي الله عليه وسلم) وإسلامهم. وذكر أن النبي (صلي الله عليه وسلم) بعث أبا سفيان ابن حرب والمغيرة يهدمان الطاغية.

* * *

السنة العاشرة

ثم قال ابن إسحاق: ولما فتح الله على نبيه مكة وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف ضربت إليه وفود العرب من كل وجه، وإنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش وأمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وذلك أن قريشًا كانوا إمام الناس.

* * *

وفد بني تميم

قال: فقدم عطارد بن حاجب في وفد عظيم من بني تميم منهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر ومعهم عيينة بن حصن. فلما دخلوا المسجد. نادوا رسول الله من وراء حجراته: اخرج إلينا يا محمد، جئناك نفاخرك فائذن لشاعرنا وخطيبنا. قال: فقد أذنت لخطيبكم فليقم. فقام عطار فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن وهو أهله الذي جعلنا ملوكًا، ووهب لنا أموالاً عظامًا نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وأيسره عدة. فمن مثلنا في الناس ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما

عددنا وإنا لو نشأ لأكثرنا الكلام ولكن نستحي من الإكثار.

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لثابت بن قيس بن الشماس الخزرجي: قم فأجبه. فقام فقال: الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط إلا من فضله، ثم كان من فضله أن جعلنا ملوكًا واصطفى من خير خلقه رسولا؛ أكرمه نسبًا وأصدقه حديثا وأفضله حسبًا فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان فآمن به المهاجرون من قومه وذوي رحمه أكرم الناس أحسابًا وأحسن الناس وجوها وخير الناس فعالاً، ثم كان أول الخلق إستجابة؛ إذ دعاه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) نحن فنحن الأنصار أنصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله، فمن آمن منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه في الله أبدًا وكان قتله علينا يسيرًا. أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم.

فقام الزبرقان بن بدر فقال:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ::: من الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم ::: عند النهاب وفضل العز يتبع
ونحن نطعم عند القحط مطعمنا ::: من الشواء إذا لم يؤنس القزع
بما ترى الناس تأتينا سراقم ::: من كل أرض هويا ثم نصطنع

في أبيات.

فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): قم يا حسان فأجبه. فقال حسان:

إن الذوائب من فهر وإخواقم ::: قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته ::: تقوى الإله وكل الخير يصطنع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ::: أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة ::: إن الخلائق فاعلم شرها البدع

في أبيات.

فقال الأقرع بن حابس: وأبي إن هذا الرجل لموتى له، وإن خطيبه أفصح

من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا.

قال: فلما فرغ القوم أسلموا وأحسن النبي (صلي الله عليه وسلم) جوائزهم. وفيهم نزلت:(**إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون**).

عن محمد بن الزبير الحنظلي قال: قدم على النبي (صلي الله عليه وسلم) الزبرقان بن بدر وقيس ابن عاصم وعمرو بن الأهتم. فقال لعمرو بن الأهتم: أخبرني عن هذا الزبرقان فأما هذا فلست أسألك عنه. قال: وأراه قال قد عرف قيسًا، فقال: مطاع في أدنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره. فقال الزبرقان: قد قال ما قال وهو يعلم أني أفضل مما قال. فقال عمرو: ما علمتك إلا زمر المروءة ضيق العطن أحمق الأب لئيم الخال.

ثم قال: يا رسول الله، قد صدقت فيهما جميعا، أرضاني فقلت بأحسن ما أعلم وأسخطني فقلت بأسوأ ما فيه.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**إن من البيان سحرا**).

* * *

وفد بني عامر

عن يزيد بن عبد الله بن الشخير، قال: وفد أبي في وفد بني عامر إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال: أنت سيدنا وذو الطول علينا. فقال:(**مه مه قولوا بقولكم ولا يستجرئنكم الشيطان السيد الله السيد الله**).

عن مؤملة بن جميل قال: أتى عامر بن الطفيل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: يا عامر أسلم، قال: أسلم على أن الوبر لي والمدر لك. قال: يا عامر أسلم، فأعاد قوله. قال: لا. فولى وهو يقول: يا محمد لأملأنها عليك خيلاً جردًا ورجالاً مردًا ولأربطن بكل نخلة فرسًا. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم):(**اللهم اكفني عامرا واهد قومه**). فخرج حتى إذا كان بظهر المدينة صادف امرأة يقال لها: سلولية فنزل عن فرسه ونام في بيتها فأخذته غدة في حلقه فوثب على فرسه وأخذ رمحه وأقبل يجول ويقول: غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية. فلم تزل تلك حاله حتى سقط ميتًا.

قدم على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وفد بني عامر فيهم: عامر بن

الطفيل. وأربد ابن قيس، وخالد بن جعفر، وحيان بن سلم وكانوا رؤساء القوم وشياطينهم. فقدم عامر عدو الله على رسول الله وهو يريد أن يغدر به. فقال له قومه: إن الناس قد أسلموا. فقال: قد كنت آليت أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ثم قال لأربد: إذا قدمنا عليه فإني شاغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف.

فلما قدموا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال عامر: يا محمد خالني، فقال: لا والله حتى تؤمن بالله وحده فقال: والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً. فلما ولى قال:(**اللهم اكفني عامرا**). ثم قال لأربد: أين ما أمرتك به؟ قال: لا أبا لك والله ما هممت بالذي أمرتني به من مرة إلا دخلت بيني وبينه أفأضربك بالسيف؟ فبعث الله ببعض الطريق على عامر الطاعون في عنقه فقتله الله في بيت امرأة من سلول، وأما الآخر فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة أحرقتهما.

* * *

وافد بني سعد

عن ابن عباس: بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدًا إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وكان جلدًا أشعر ذا غديرتين فأقبل حتى وقف فقال: أيكم ابن عبد المطلب فقال: أنا. فقال: أنت محمد؟ قال:(**نعم**). قال: إني سائلك ومغلظ عليك في المسألة فلا تجدن في نفسك. أنشدك الله إلهك، وإله من قبلك، وإله من هو كائن بعدك الله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا شريك به شيئًا وأن نخلع هذه الأنداد؟ قال:(**اللهم نعم**). قال: فأنشدك الله إلهك، وإله من قبلك، وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال:(**نعم**). ثم جعل يذكر فرائض الإسلام وينشده عن كل فريضة ثم قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ثم لا أزيد ولا أنقص.

ثم انصرف إلى بعيره راجعًا فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة**). فقدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم

به أن قال: باست اللات والعزى. قالوا: مه يا ضمام اتق البرص اتق الجنون. قال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان. إن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتابًا استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه قال: فوالله ما أمسى ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلمًا.

قال: يقول ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام.

وقال إسحاق بن أبي إسرائيل المروزي: حدثني حمزة بن الحارث، عن عمير ثنا أبي، عن عبيد الله بن عمر، عن سعيد، عن أبي هريرة قال: جاء رجل من أهل البادية إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال: أنشدك برب من قبلك ورب من بعدك الله أرسلك وذكر الحديث وفيه: فإني قد آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة. فلما ولى قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**فقه الرجل**). قال: فكان عمر يقول: ما رأيت أحدًا أحسن مسألة ولا أوجز من ضمام بن ثعلبة. الحارث بن عمير ضعيف.

* * *

وفد بني حنيفة

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة بن حبيب الكذاب. فكان منزلهم في دار بنت الحارث الأنصارية. فحدثني بعض علمائنا أن بني حنيفة أتت به رسول الله (صلي الله عليه وسلم) تستره بالثياب ورسول الله (صلي الله عليه وسلم) جالس مع أصحابه معه عسيب نخل في رأسه خوصات. فلما كلم النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:(**لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه**).

قال ابن إسحاق: وحدثني شيخ من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا، زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وخلفوا مسلمة في رحالهم فلما أسلموا ذكروا له مكانه فأمر له رسول الله بمثل ما أمر به لهم وقال:(**أما إنه ليس بأشركم مكانا**)؛ يعني: حفظه ضيعة أصحابه، ثم انصرفوا وجاؤوه بالذي أعطاه.

فلما قدموا اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وقال: إني أشركت في الأمر مع محمد ألم يقل لكم حين ذكرتموني له أما إنه ليس بأشركم مكانًا وما ذلك إلا لما يعلم أني قد أشركت معه؟. ثم جعل يسجع السجعات فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن: لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى، ووضع عنهم الصلاة وأحل لهم الزنا والخمر، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) أنه نبي. فأصفقت معه بنو حنيفة على ذلك.

عن ابن عباس قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) المدينة فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعد اتبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه. فأقبل النبي (صلي الله عليه وسلم) ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال:(**إن سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها. ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني أراك الذي أريت فيه ما رأيت وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني**) ثم انصرف.

قال ابن عباس: فسألت عن قول النبي (صلي الله عليه وسلم):(**إنك الذي أريت فيه ما رأيت**) فأخبرني أبو هريرة أن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال: " بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحي إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي ". قال:(**فهذا أحدهما العنسي صاحب صنعاء، والآخر مسيلمة صاحب اليمامة**) أخرجاه.

عن أبي هريرة قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**بينا أنا نائم إذ أتيت بخزائن الأرض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا علي وأهماني فأوحي إلي أن أنفخهما فنفختهما فذهب فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما؛ صاحب صنعاء وصاحب اليمامة**) متفق عليه.

* * *

وفد طيء

ثم قدم وفد طيء على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وفيهم زيد الخيل سيدهم، فأسلموا وسماه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) زيد الخير وقطع له

فيد وأرضين وخرج راجعًا إلى قومه.

* * *

قدوم عدي بن حاتم

عن عدي بن حاتم قال: جاءت خيل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأنا بعقرب فأخذوا عمتي وناسا. فلما أتوا بهم رسول الله قالت: يا رسول الله، غاب الوافد وانقطع الوالد وأنا عجوز كبيرة فمن علي من الله عليك. قال:(من وافدك؟) قالت: عدي بن حاتم. قال:(الذي فر من الله ورسوله) قالت: فمن علي، ورجل إلى جنبه تراه عليًا فقال:(سليه حملانًا) فسألته فأمر لها به.

قال عدي: فأتتني فقالت: لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها، إيته راغبًا أو راهبًا فقد أتاه فلان فأصاب منه وأتاه فلان فأصاب منه.

قال عدي: فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان؛ أو صبي فذكر قربهم من النبي (صلي الله عليه وسلم). قال: فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر فأسلمت، فرأيت وجهه وقد استبشر وقال:(إن المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى).

* * *

قدوم فروة بن مسيك المرادي

وقال ابن إسحاق: قدم على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فروة بن مسيك المرادي مفارقًا لملوك كندة. فاستعمله النبي (صلي الله عليه وسلم) على مراد وزبيد ومذحج كلها. وبعث معه على الصدقة خالد بن سعيد بن العاص فكان معه حتى توفي رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

* * *

وفد كندة

قال: وقدم على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وفد كندة ثمانون راكبًا فيهم الأشعث بن قيس، فلما دخلوا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: ألم تسلموا قالوا: بلى. قال:(فما بال هذا الحرير في أعناقكم) قال: فشقوه وألقوه.

* * *

وفد الأزد

قال: وقدم على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) صرد بن عبد الله الأزدي فأسلم في وفد من الأزد، فأمره على من أسلم من قومه ليجاهد من يليه.

* * *

كتاب ملوك حمير

قال: وقدم على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كتاب ملوك حمير - مقدمه من تبوك ورسولهم إليه بإسلامهم - الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل: ذي رعين ومعافر وهمدان، وبعث إليه ذو يزن مالك بن مرة الرهاوي بإسلامهم، فكتب إليهم النبي (صلي الله عليه وسلم) كتابًا يذكر فيه فريضة الصدقة. وأرسل إليهم معاذ بن جبل في جماعة وقال لهم:**(وإني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم وآمركم بهم خيرًا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)**.

* * *

بعث خالد ثم علي إلى اليمن

عن البراء أن النبي (صلي الله عليه وسلم) بعث خالد بن الوليد إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد فأقمنا سنة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، ثم إن النبي (صلي الله عليه وسلم) بعث عليًّا - رضي الله عنه - فأمره أن يقفل خالد إلا رجل كان يمم مع خالد أحب أن يعقب مع علي فليعقب معه، فكنت فيمن عقب مع علي. فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا فصلى بنا علي ثم صفنا صفًا واحدًا، ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأسلمت همدان جميعًا. فكتب علي إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فلما قرأ الكتاب خر ساجدًا ثم رفع رأسه فقال: " السلام على همدان السلام على همدان ".

عن علي: بعثني النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى اليمن. فقلت: يا رسول

الله، تبعثني وأنا شاب أقضي بينهم ولا علم لي بالقضاء. فضرب بيده في صدري وقال:(**اللهم اهد قلبه وثبت لسانه**) فما شككت في قضاء بين اثنين.

* * *

بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن

عن أبي موسى؛ أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بعثه ومعاذ بن جبل إلى اليمن فقال:(**يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا وتطاوى**).

عن أبي موسى قال: بعثني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى أرض قومي. قال: فجئته وهو منيخ بالأبطح. قال: فسلمت عليه. فقال:(**أحججت يا عبد الله بن قيس**) قلت: نعم. قال: " كيف؟ " قلت: لبيك إهلالاً كإهلالك. فقال: " أسقت هديا " قلت: لم أسق هديا. قال: " فطف بالبيت واسع ثم حل ". ففعلت. أما معاذ فالأشبه أنه لم يرجع من اليمن حتى توفي رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

* * *

وفد نجران

وقال ابن إسحاق: لما قدم وفد نجران على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) دخلوا عليه مسجده بعد العصر فحانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجده فأراد الناس منعهم. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم):(**دعوهم**) فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم.

عن كرز بن علقمة قل: قدم على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وفد نصارى نجران ستون راكبًا منهم أربعة وعشرون من أشرافهم منهم: العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيه وأمره، واسمه عبد المسيح. والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم.

وأبو حارثة بن علقمة أحد بكر بن وائل، وأسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم، وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وبنوا

له الكنائس. فلما توجهوا إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له موجها إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وإلى جنبه أخ له، يقال له: كرز بن علقمة يسايره؛ إذ عثرت بغلة أبي حارثة فقال له كرز: تعس الأبعد يريد رسول الله (صلي الله عليه وسلم). فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست. فقال له: لم يا أخي؟ فقال: والله إنه للنبي الذي كنا ننتظره. قال له كرز: فما يمنعك وأنت تعلم هذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم؟ شرفونا ومولونا وقد أبوا إلا خلافه ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى.

فأضمر عليها أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك.

* * *

حجة الوداع

عن جابر قال: أذن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في الناس بالحج فاجتمع في المدينة بشر كثير فخرج رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لخمس بقين من ذي القعدة، أو لأربع فلما كان بذي الحليفة ولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر الصديق فأرسلت إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم): كيف أصنع؟ فقال:(**اغتسلي واستنفري بثوب**). وصلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في المسجد وركب القصواء حتى استوت به على البيداء فنظرت إلى مد بصري بين يدي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك.

فأهل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالتوحيد وأهل الناس بهذا الذي يهلون به فلم يرد عليهم شيئًا منه ولزم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) تلبيته ولسنا ننوي إلا الحج لسنا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ:(**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**) فجعل المقام بينه وبين البيت.

قال جعفر: فكان أبي يقول: لا أعلمه ذكره إلا عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) - كان يقرأ في الركعتين:{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١} [الإخلاص: ١]، و:{قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١} [الكافرون: ١]، ثم رجع إلى البيت فاستلم الركن ثم

خرج من الباب إلى الصفا حتى إذا دنا من الصفا قرأ:{إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ} [البقرة: ١٥٨]، أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى إذا رأى البيت فكبر وهلل وقال:**(لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير)**، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده.

ثم دعا بين ذلك فقال مثل ذلك ثلاث مرات. ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه رمل في بطن الوادي حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة فعلا عليها وفعل كما فعل على الصفا. فلما كان آخر الطواف على المروة قال:**(إني لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحلل وليجعلها عمرة)**،

فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي (صلي الله عليه وسلم) ومن كان معه الهدي.

فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله، ألعامنا هذا أم للأبد؟ قال فشبك أصابعه وقال:**(دخلت العمرة مع الحج هكذا مرتين لا؛ بل لأبد الأبد)**.

وقدم علي - رضي الله عنه - من اليمن ببدن إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) فوجد فاطمة ممن حل ولبست ثيابًا صبيغًا واكتحلت فأنكر عليها. فقالت: أبي أمرني بهذا. فكان علي يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) محرشًا بالذي صنعته مستفتيًا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال:**(صدقت صدقت، ماذا قلت حين فرضت الحج؟)** قال: قلت: اللهم إني أهل بما أهل به رسولك. قال:**(فإن معي الهدي فلا تحلل)** قال: فكان الهدي الذي جاء معه والهدي الذي أتى به النبي (صلي الله عليه وسلم) من المدينة مائة.

ثم حل الناس وقصروا إلا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ومن معه هدي.

فلما كان يوم التروية وجهوا إلى منى أهلوا بالحج وركب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فصلى بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس وأمر بقبة من شعر فضربت له بنمرة فسار

رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية فأجازه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فركب حتى أتى بطن الوادي فخطب الناس فقال: (**إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا وإن كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي ودماء الجاهلية موضوعة، وأول دم أضعه من دمائنا دم ربيعة بن الحارث؛ كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل. وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا؛ ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله. واتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة لله وإن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به؛ كتاب الله تعالى. وأنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون**) قالوا: نشهد أن قد بلغت وأديت ونصحت. فقال: بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ويكبها إلى الناس: اللهم اشهد؛ ثلاث مرات، ثم أذن بلال ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئًا، ثم ركب حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته إلى الصخرات وجعل جبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفًا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا حين غاب القرص وأردف أسامة بن زيد خلفه فدفع وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده: أيها الناس، السكينة السكينة كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد. حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين ولم يصل بنيهما شيئًا. ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فرقي عليه فحمد الله وكبره وهلله، فلم يزل واقفًا حتى أسفر جدًّا ثم دفع قبل أن تطلع الشمس وأردف الفضل بن عباس وكان رجلاً حسن الشعر وسيما. فلما دفع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مر الظعن يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن فوضع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يده على وجه الفضل فصرف الفضل وجهه من الشق الآخر فحول رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وجه

الفضل. حتى إذا أتى محسرًا حرك قليلاً، ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرجك على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التي عند المسجد فرمى سبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصي الخذف رمى من بطن الوادي، ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثًا وستين بدنة وأعطى عليًّا - رضي الله عنه - فنحر ما غبر وأشركه في هديه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر وطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها.

ثم أفاض رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى على بني عبد المطلب يسقون من بئر زمزم فقال:**(انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن تغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم)** فناولوه دلوا فشرب منه.

عن أنس أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) رمى الجمرة، ثم رجع إلى منزله بمنى فذبح، ثم دعا بالحلاق فأخذ بشق رأسه الأيمن فحلقه فجعل يقسمه الشعرة والشعرتين، ثم أخذ بشق رأسه الآخر فحلقه ثم قال:**(هاهنا أبو طلحة فدفعه إلى أبي طلحة)**.

وعن ابن عباس أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) خطب الناس في حجة الوداع فقال:**(إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروه. أيها الناس: إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه. إن كل مسلم أخو المسلم المسلمون إخوة ولا يحل لامريء من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، ولا تظلموا، ولا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)**.

* * *

سنة إحدى عشر / سرية أسامة

في يوم الاثنين لأربع بقين من صفر ذكر الواقدي أنهم قالوا: أمر النبي (صلي الله عليه وسلم) بالتهيؤ لغزو الروم، ودعا أسامة بن زيد فقال:**(سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش، فأغر صباحًا على أهل أبنى وأسرع السير تسبق الأخبار. فإن ظفرت فأقلل اللبث فيهم وقدم العيون والطلائع أمامك)**.

فلما كان يوم الأربعاء بديء برسول الله (صلي الله عليه وسلم) وجعه فحم وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده فخرج بلوائه معقودا؛ يعني: أسامة. فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة؛ فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على هؤلاء فقال: ابن عيينة وغيره عن عبد الله بن دينار سمع ابن عمر يقول: أمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أسامة فطعن الناس في إمارته. فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**إن يطعنوا في إمارته فقد طعنوا في إمارة أبيه، وأيم الله إن كان لخليقا للإمارة وإن كان من أحب الناس إلي. وإن ابنه هذا لمن أحب الناس إلي بعده**) متفق على صحته.قال شيبان عن قتادة: جميع غزوات النبي (صلي الله عليه وسلم) وسراياه: ثلاث وأربعون.

خلافة أبي بكر رضي الله عنه

قال هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة أن النبي (صلي الله عليه وسلم) توفي وأبو بكر بالسنح فقال عمر: والله ما مات رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثه الله فيقطع أيدي رجال وأرجلهم فجاء أبو بكر الصديق فكشف عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقبله وقال: بأبي أنت وأمي طبت حيًّا وميتًّا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله موتتين أبدًا ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: من كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال:(**إنك ميت وإنهم ميتون**). وقال:(**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**) الآية فنشج الناس يبكون واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير فذهب إليهم أبو بكر وعمر، وأبو عبيدة فذهب عمر يتكلم فسكته أبو بكر فكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني هيأت كلامًا قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر فتكلم فأبلغ فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء فقال الحباب بن المنذر: لا والله لا نفعل أبدًا منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء قريش أوسط العرب دارا وأعزهم

أحسابًا فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبو عبيدة فقال عمر: بل نبايعك أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس. فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة فقال عمر: قتله الله.

عن ابن سيرين قال أبو بكر لعمر: ابسط يدك نبايع لك فقال عمر: أنت أفضل مني، فقال أبو بكر: أنت أقوى مني، قال: إن قوتي لك مع فضلك.

* * *

قصة الأسود العنبسي

عن الضحاك بن فيروز الديلميي قال: أول ردة كانت في الإسلام على عهد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) على يد عبهلة بن كعب وهو الأسود في عامة مذحج: خرج بعد حجة الوداع وكان شعبادًا يريهم الأعاجيب ويسبي قلوب من يستمع منطقه فوثب هو ومذحج بنجران إلى أن صار إلى صنعاء، فأخذها ولحق بفروة من تم على إسلامه لم يكاتب الأسود رسول الله (صلي الله عليه وسلم)؛ لأنه لم يكن معه أحد يشاغبه وصفا له ملك اليمن.

عن عبيد بن صخر قال: بينما نحن بالجند قد أقمناهم على ما ينبغي وكتبنا بيننا وبينهم الكتب، إذ جاءنا كتاب من الأسود أن أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ووفروا ما جمعتم فنحن أولى به وأنتم على ما أنتم عليه، فبينا نحن ننظر في أمرنا إذ قيل: هذا الأسود بشعوب وقد خرج إليه شهر بن باذام، ثم أتانا الخبر أنه قتل شهرًا وهزم الأبناء وغلب على صنعاء بعد نيف وعشرين ليلة وخرج معاذ هاربا حتى مر بأبي موسى الأشعري بمأرب فاقتحمنا حضرموت.

وغلب الأسود على ما بين أعمال الطائف إلى البحرين وغير ذلك وجعل يستطير استطارة الحريق وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شهرًا وكان قواده: قيس ابن عبد يغوث ويزيد بن مخزوم وفلان وفلان واستغلظ أمره وغلب على أكثر اليمن وارتد معه خلق وعامله المسلمون بالتقية، وكان خليفته في مذحج عمرو بن معد يكرب وأسند أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث وأمر الانباء إلى فيروز الديلمي وداذويه فلما أثخن في الأرض استخف بهؤلاء وتزوج امرأة شهر وهي بنت عم فيروز قال: فبينا نحن كذلك بحضرموت ولا نأمن أن يسير

إلينا الأسود وقد تزوج معاذ في السكون؛ إذ جاءتنا كتب النبي (صلي الله عليه وسلم) يأمرنا فيها أن نبعث الرجال لمجاولته ومصاولته، فقام معاذ في ذلك فعرفنا القوة ووثقنا بالنصر.

وعن جشنس ابن الديلمي قال: قدم علينا وبر بن يحنس بكتاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأمرنا فيه بالنهوض في أمر الأسود فرأينا أمرًا كثيفًا ورأينا الأسود قد تغير لقيس بن عبد يغوث فأخبرنا قيسًا وأبلغناه عن النبي (صلي الله عليه وسلم) فكأنما وقعنا عليه من السماء فأجابنا وجاء وبر وكاتبنا الناس ودعوناهم فأخبر الأسود شيطانه فأرسل إلى قيس فقال: ما يقول الملك يقول: عمدت إلى قيس فأكرمته حتى إذا دخل منك كل مدخل مال ميل عدوك فحلف له وتنصل فقال: أتكذب الملك قد صدق وعرفت أنك تائب قال: فأتانا قيس وأخبرنا فقلنا: كمن على حذر وأرسل إلينا الأسود: ألم أشرفكم على قومكم ألم يبلغني عنكم؟ فقلنا: أقلنا مرتنا هذه فقال: فلا يبلغني عنكم فأقتلكم فنجونا ولم نكد وهو في ارتياب من أمرنا قال: فكاتبنا عامر بن شهر وذو الكلاع وذو ظليم فأمرناهم أن لا يتحركوا بشيء قال: فدخلت على امرأته آذاد فقلت: يا ابنة عم، قد عرفت بلاء هذا الرجل وقتل زوجك وقومك وفضح النساء فهل من ممالأة عليه قالت: ما خلق الله أبغض إلي من منه ما يقوم على حق ولا ينتهي عن حرمة فخرجت، فإذا فيروز وداذويه ينتظراني وجاء قيس ونحن نريد أن نناهضه فقال له رجل قبل أن يجلس: الملك يدعوك فدخل في عشرة فلم يقدر على قتله وقال: يا عبهلة أمني تتحصن بالرجال ألم أخبرك الحق وتخبرني الكذب ترد قتلي؟!.

فقال: كيف وأنت رسول الله؟ فمرني بما أحببت فأما الخوف والفزع فأنا فيهما فاقتلني وارحمني فرق له وأخرجه فخرج علينا وقال: اعملوا عملكم وخرج علينا الأسود في جمع فقمنا له وبالباب مائة بقرة وبعير فنحرها ثم قال: أحق ما بلغني عنك يا فيروز؟ لقد هممت بقتلك فقال: اخترتنا لصهرك وفضلتنا على الأبناء وقد جمع لنا أمر آخرة ودنيا فلا تقبلن علينا أمثال ما يبلغك. فقال: اقسم هذه فجعلت آمر للرهط بالجزور، ثم اجتمع بالمرأة فقالت: هو متحرز والحرس محيطون بالقصر سوى هذا الباب فانقبوا عليه وهيأت لنا سراجًا

وخرجت فتلقاني الأسود خارجًا من القصر فقال: ما أدخلك؟ ووجأ رأسي فسقطت فصاحت المرأة وقالت: ابن عمي زارني فقال: اسكتي لا أبالك فقد وهبته لك فأتيت أصحابي وقلت: النجاء وأخبرتهم الخبر فأنا على ذلك؛ إذ جاءني رسولها: لا تدعن ما فارقتك عليه. فقلنا لفيروز: ائتها وأتقن أمرنا وجئنا بالليل ودخلنا، فإذا السراج تحت جفنة فاتقيا بفيروز وكان أنجدنا فلما دنا من البيت سمع غطيطًا شديدًا وإذا المرأة جالسة.

فلما قام فيروز على الباب أجلس الأسود شيطانه وكلمه فقال أيضًا: فما لي ولك يا فيروز، فخشي إن رجع أن يهلك هو والمرأة فعالجه وخالطه وهو مثل الجمل فأخذ برأسه فدق عنقه وقتله، ثم قام ليخرج فأخذت المرأة بثوبه تناشده فقال: أخبر أصحابي بقتله فأتانا فقمنا معه فأردنا حز رأسه فحركه الشيطان واضطرب فلم يضبطه فقال: اجلسوا على صدره فجلس اثنان وأخذت المرأة بشعره وسمعنا بربرة فألجمته بملاءة وأمر الشفرة على حلقه فخار كأشد خوار ثور فابتدر الحرس الباب: ما هذا ما هذا؟ قالت: النبي يوحي إليه قال: وسمرنا ليلتنا كيف نخبر أشياعنا فأجمعنا على النداء بشعارنا، ثم بالأذان فلما طلع الفجر نادى داذويه بالشعار ففزع المسلمون والكافرون واجتمع الحرس فأحاطوا بنا، ثم ناديت بالآذان وتوافت خيولهم إلى الحرس فناديتهم: أشهد أن محمدًا رسول الله وأن عبهلة كذاب وألقينا إليهم الرأس وأقام وبر الصلاة وشنها القوم غارة ونادينا: يا أهل صنعاء، من دخل عليه داخل فتعلقوا به فكثر النهب والسبي وخلصت صنعاء والجند وأعز الله الإسلام وتنافسنا الإمارة وتراجع أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فاصطلحنا على معاذ بن جبل فكان يصلي بنا وكتبنا إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) الخبر فقدمت رسلنا وقد قبض النبي (صلي الله عليه وسلم) صبيحتئذ فأجابنا أبو بكر عنه.

وروى الواقدي عن رجاله قال: بعث أبو بكر قيس بن مكشوح إلى اليمن فقتل الأسود العنسي هو وفيروز الديلمي. ولقيس هذا أخبار وقد ارتد ثم أسره المسلمون فعفا عنه أبو بكر وقتل مع علي بصفين.

* * *

جيش أسامة بن يزيد

قال هشام بن عروة عن أبيه قال: جعل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول في مرضه:(**أنفذوا جيش أسامة**) فسار حتى بلغ الجرف فأرسلت إليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول: لا تعجل فإن رسول الله ثقيل فلما يبرح حتى قبض رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فلما قبض رجع إلى أبي بكر فقال: إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بعثني وأنا على غير حالكم هذه وأنا أتخوف أن تكفر العرب، وإن كفرت كانوا أول من يقاتل وإن لم تكفر مضيت، فإن معي سروات الناس وخيارهم قال: فخطب أبو بكر الناس ثم قال: والله لأن تختطفني الطير أحب إلي من أن أبدأ بشيء قبل أمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: فبعثه أبو بكر واستأذن لعمر أن يتركه عنده وأمر أن لا يجزر في القوم أن يقطع الأيدي والأرجل والأوساط في القتال قال: فمضى حتى أغار ثم رجعوا وقد غنموا وسلموا.

فكان عمر يقول: ما كنت لأحيي أحدا بالإمارة غير أسامة؛ لأن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قبض وهو أمير قال: فسار فلما دنوا من الشام أصابتهم ضبابة شديدة فسترتهم حتى أغاروا وأصابوا حاجتهم قال: فقدم بنعي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) على هرقل وإغارة أسامة في ناحية أرضه خبرًا واحدًا فقالت الروم: ما بال هؤلاء يموت صاحبها، ثم أغاروا على أرضنا.

خبر الردة

لما اشتهرت وفاة النبي (صلي الله عليه وسلم) بالنواحي ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ومنعوا الزكاة فنهض أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - لقتالهم فأشار عليه عمر وغيره أن يفتر عن قتالهم. فقال: والله لو منعوني عقالاً أو عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لقاتلتهم على منعها فقال عمر: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله**) فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال وقد قال:(**إلا بحقها**) فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق فعن عروة وغيره قال: فخرج أبو بكر في المهاجرين والأنصار حتى بلغ

نقعا حذاء نجد وهربت الأعراب بذراريهم فكلم الناس أبا بكر وقالوا: ارجع إلى المدينة وإلى الذرية والنساء وأمر رجلاً على الجيش ولم يزالوا به حتى رجع وأمر خالد بن الوليد وقال له: إذا أسلموا وأعطوا الصدقة فمن شاء منكم فليرجع ورجع أبو بكر إلى المدينة.

وعن يزيد بن رومان أن الناس قالوا له: إنك لا تصنع بالمسير بنفسك شيئًا ولا تدري لمن تقصد فأمر من تثق به وارجع إلى المدينة، فإنك تركت بها النفاق يغلي فعقد لخالد على الناس وأمر على الأنصار خاصة ثابت بن قيس بن شماس وأمر خالدًا أن يصمد لطليحة الأسدي.

وعن الزهري قال: سار خالد بن الوليد من ذي القصة في ألفين وسبعمائة إلى ثلاثة آلاف يريد طليحة ووجه عكاشة بن محصن الأسدي حليف بني شمس، وثابت بن أقرم الأنصاري - رضي الله عنهما - فانتهوا إلى قطن فصادفوا فيها حبالاً متوجها إلى طليحة بثقله فقتلوه، وأخذوا ما معه فسار وراءهم طليحة وأخوه سلمة فقتلا عكاشة وثابتًا.

وعن الزهري قال: فسار خالد لقتال طليحة الكذاب فهزمه الله، وكان قد بايع عيينة بن حصن فلما رأى طليحة كثرة انهزام أصحابه قال: ما يهزمكم؟ فقال رجل: أنا أحدثك ليس منا رجل إلا وهو يحب أن يموت صاحبه قبله، وإنا نلقى قوما كلهم يحب أن يموت قبل صاحبه وكان طليحة رجلاً شديد البأس في القتال فقتل طليحة يومئذ عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم وقال طليحة:

عشية غادرت ابن أقرم ثاويا ::: وعكاشة الغنمي تحت مجالي
أقمت لهم صدر الحمالة إنها ::: معاودة قبل الكماة نزالي
فيوما تراها في الجلال مصونة ::: ويوما تراها في ظلال عوال
فما ظنكم بالقوم إذ تقتلونهم ::: أليسوا وإن لم يسلموا برجال
فإن تك أذواد أصبن ونسوة ::: فلم ترهبوا فرغا بقتل حبال

فلما غلب الحق طليحة ترجل، ثم أسلم وأهل بعمرة فركب يسير في الناس آمنا حتى مر بأبي بكر بالمدينة، ثم سار إلى مكة فقضى عمرته، ثم حسن إسلامه.

وفي غير هذه الرواية أن خالدًا لقي طليحة ببزاخة ومع طليحة عيينة بن حصن وقرة بن هبيرة القشيري فاقتتلوا قتالاً شديدًا، ثم هرب طليحة وأسر عيينة وقرة وبعث هما إلى أبي بكر فحقن دماءهما.

وذكر أن قيس بن مكشوح أحد من قتل الأسود العنسي أرتد. وتابعه جماعة من أصحاب الأسود وخافه أهل صنعاء وأتى قيس إلى فيروز الديلمي وداذويه يستشيرهما في شأن أصحاب الأسود خديعة منه فاطمأنا إليه وصنع لهما من الغد طعاما فأتاه داذويه فقتله، ثم أتاه فيروز ففطن بالأمر فهرب ولقيه جشيش بن شهر ومضى معه إلى جبال خولان، وملك قيس صنعاء فكتب فيروز إلى أبي بكر يستمده فأمده فلقوا قيسا فهزموه، ثم أسروه وحملوه إلى أبي بكر فوبخه: فأنكر الردة: فعفا عنه أبو بكر.

وعن عروة قال: فسار خالد - وكان سيفًا من سيوف الله تعالى - فأسرع السير حتى نزل ببزاخة وبعثت إليه طيء: إن شئت أن تقدم علينا فإنا سامعون مطيعون وإن شئت نسير إليك قال خالد: بل أنا ظاعن إليكم إن شاء الله فلم يزل ببزاخة وجمع له هناك العدو بنو أسد وغطفان فاقتتلوا حتى قتل من العدو خلق وأسر منهم أسارى فأمر خالد بالحظر أن تبنى، ثم أوقد فيها النيران وألقى الأسارى فيها، ثم ظعن يريد طيئًا فأقبلت بنو عامر وغطفان والناس مسلمين مقرين بأداء الحق فقبل منهم خالد.

وقتل في ذلك الوجه مالك بن نويرة التميمي في رجال معه من تميم فقالت الأنصار: نحن راجعون قد أقرت العرب بالذي كان عليها، فقال خالد ومن معه من المهاجرين: قد لعمري آذن لكم وقد أجمع أميركم بالمسير إلى مسيلمة بن ثمامة الكذاب، ولا نرى أن تفرقوا على هذه الحال فإن ذلك غير حسن وإنه لا حجة لأحد منكم فارق أميره وهو أشد ما كان إليه حاجة فأبت الأنصار إلا الرجوع وعزم خالد ومن معه وتخلطت الأنصار يومًا أو يومين ينظرون في أمرهم وندموا وقالوا: ما لكم والله عذر عند الله، ولا عند أبي بكر إن أصيب هذا الطرف وقد خذلناهم فأسرعوا نحو خالد ولحقوا به فسار إلى اليمامة، وكان مجاعة بن مرارة سيد بني حنيفة خرج في ثلاثة وعشرين فارسًا يطلب دماء في

بني عامر فأحاط هم المسلمون فقتل أصحاب مجاعة وأوثقه.

مقتل مالك بن نويرة

التميم الحنظلي اليربوعي قال ابن إسحاق: أتى خالد بن الوليد بمالك بن نويرة في رهط من قومه بني حنظلة فضرب أعناقهم وسار في أرض تميم فلما غشوا قوما منهم أخذوا السلاح وقالوا: نحن مسلمون فقيل لهم: ضعوا السلاح فوضعوه، ثم صلى المسلمون وصلوا.

فروى سالم بن عبد الله عن أبيه قال: قدم أبو قتادة الأنصاري على أبي بكر - رضي الله عنه - فأخبره بقتل مالك بن نويرة وأصحابه فجزع لذلك، ثم ودى مالكًا ورد السبي والمال.

وروي أن مالكا كان فارسًا شجاعًا مطاعًا في قومه وفيه خيلاء كان يقال له: الجفول قدم على النبي (صلي الله عليه وسلم) وأسلم فولاه صدقة قومه، ثم ارتد فلما نازله خالد قال: أنا آتي بالصلاة دون الزكاة فقال: أما علمت أن الصلاة والزكاة معًا لا تقبل واحدة دون الأخرى! فقال: قد كان صاحبك يقول ذلك قال خالد: وما تراه لك صاحبًا! والله لقد هممت أن أضرب عنقك، ثم تحاورًا طويلاً فصمم على قتله: فكلمه أبو قتادة الأنصاري وابن عمر فكره كلامهما، وقال لضرار بن الأزور: إضرب عنقه فالتفت مالك إلى زوجته وقال: هذه التي قتلتني وكانت في غاية الجمال قال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام فقال: أنا على الإسلام، فقال: إضرب عنقه فضرب عنقه وجعل رأسه أحد أثافي قدر طبخ فيها طعام، ثم تزوج خالد بالمرأة.

قتال مسيلمة الكذاب

عن عروة قال: سار بنا خالد إلى اليمامة إلى مسيلمة، وخرج مسيلمة بمجموعة فنزلوا بعقرباء فحل بها خالد عليهم، وهي طرف اليمامة وجعلوا الأموال خلفها كلها وريف اليمامة وراء ظهورهم.

وقال شرحبيل بن مسيلمة: يا بني حنيفة، اليوم يوم الغيرة اليوم إن هزمتم ستردف النساء سبيات وينكحن غير حظيات فقاتلوا عن أحسابكم فاقتتلوا بعقرباء قتالاً شديدًا فجال المسلمون جولة ودخل ناس من بني خليفة فسطاط

خالد وفيه مجاعة أسير وأم تميم امرأة خالد فأرادوا أن يقتلوها فقال مجاعة: أنها لها جار ودفع عنها، وقال ثابت بن قيس حين رأى المسلمين مدبرين: أف لكم ولما تعلمون وكر المسلمون فهزم الله العدو ودخل نفر من المسلمين فسطاط خالد فأرادوا قتل مجاعة فقالت أم تميم: والله لا يقتل وأجارته، وانهزم أعداء الله حتى إذا كانوا عند حديقة الموت اقتتلوا عندها أشد القتال، وقال محكم بن الطفيل: يا بني حنيفة، ادخلوا الحديقة فإني سأمنع أدباركم فقاتل دونهم ساعة وقتل وقال مسيلمة: يا قوم قاتلوا عن أحسابكم فاقتتلوا قتالاً شديدًا حتى قتل مسيلمة.عن موسى بن أنس، عن أبيه قال: لما كان يوم اليمامة دخل ثابت بن قيس فتحنط، ثم قام فأتى الصف والناس منهزمون فقال: هكذا عن وجوهنا فضارب القوم ثم قال: بئسما عودتم أقرانكم ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فاستشهد - رضي الله عنه.

سنة اثنتي عشرة ،وقعة اليمامة

في أوائلها - على الأشهر - وقعة اليمامة وأمير المسلمين خالد بن الوليد ورأس الكفر مسيلمة الكذاب فقتله الله. واستشهد خلق من الصحابة.

وفيها: بعد فراغ قتال أهل الردة بعث أبو بكر الصديق خالد بن الوليد إلى البصرة، وكانت تسمى أرض الهند فسار خالد بمن معه من اليمامة إلى أرض البصرة فغزا الأبلة فافتتحها ودخل ميسان فغنم وسبى من القرى، ثم سار نحو السواد فأخذ على أرض كسكر وزندورد بعد أن استخلف على البصرة قطبة بن قتادة السدوسي وصالح خالد أهل أليس على ألف دينار في شهر رجب من السنة، ثم افتتح نهر الملك وصالحه ابن بقلية صاحب الحيرة على تسعين ألفًا، ثم سار نحو أهل الأنبار فصالحوه.

جمع زيد بن ثابت للمصحف

وفيها لما استحر القتل بقراء القرآن يوم اليمامة أمر أبو بكر بكتابة القرآن زيد ابن ثابت، فأخذ يتتبعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى جمعه زيد في صحف.

قال محمد بن جرير الطبري: ولما فرغ خالد من فتوح مدائن كسرى التي

بالعراق صلحًا وحربًا خرج لخمس بقين من ذي القعدة فكتما بحجته ومعه جماعة تعتسف البلاد حتى أتى مكة فتأتي له من ذلك ما لم يتأت لدليل فسار طريقًا من طرق الحيرة لم ير قط أعجب منه ولا أصعب فكانت غيبته عن الجند يسيرة، فلم يعلم بحجه أحد إلا من أفضى إليه بذلك، فلما علم أبو بكر بحجة عتبة وعنفه وعاقبه بأن صرفه إلى الشام فلما وافاه كتاب أبي بكر عند منصرفه من حجه بالحيرة يأمره بانصرافه إلى الشام حتى يأتي من بها من جموع المسلمين باليرموك ويقول له: إياك أن تعود لمثلها.

قلت: وإنما جاء الكتاب بأن يسير إلى الشام في أوائل.

قلت: سار خالد بجيشه من العراق إلى الشام في البرية وكادوا يهلكون عطشًا.

قال موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي: أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر أن اكتب إلى خالد بن الوليد يسير بمن معه إلى عمرو بن العاص مددًا له، فلما أتى كتاب أبي بكر خالدًا قال: هذا من عمر حسدني على فتح العراق، وأن يكون على يدي فأحب أن يجعلني مددا لعمرو، فإن كان فتح كان ذكره له دوني.

سنة ثلاث عشرة

قال إسحاق: لما قفل أبو بكر عن الحج بعث عمرو بن العاص قبل فلسطين ويزيد بن أبي سفيان، وأبا عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة، وأمرهم أن يسلكوا على البلقاء.

وروى جرير قال: قالوا لما وجه أبو بكر الجنود إلى الشام أول سنة ثلاث عشرة فأول لواء عقده لواء خالد بن سعيد بن العاص، ثم عزله قبل أن يسير خالد وقيل: بل عزله بعد أشهر من مسيره وكتب إلى خالد فسار إلى الشام فأغار على غسان بمرج راهط، ثم سار فنزل على قناة بصرى وقدم أبو عبيدة وصاحباه فصالحوا أهل بصرى فكانت أول ما فتح من مدائن الشام، وصالح خالد في وجهه ذلك أهل تدمر.

قال ابن إسحاق: ثم ساروا جميعًا قبل فلسطين فالتقوا بأجنادين بين الرملة

وبين جبرين والأمراء كل على جنده وقيل: إن عمرًا كان عليهم جميعًا وعلى الروم القبقلار فقتل وانهزم المشركون يوم السبت لثلاث من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة.

وقال الواقدي: الثبت عندنا أن أجنادين كانت في جمادى الأولى وبشر بها أبو بكر وهو بآخر رمق.

وقعة مرج الصفر

قال خليفة: كانت لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى، والأمير خالد بن سعيد وعلى المشركين يومئذ قلقط وقتل من المشركين مقتلة عظيمة وانهزموا.

وقعة فحل

عن عروة قال: كانت وقعة فحل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة.

وعن عبد الله بن عمرو قال: شهدنا أجنادين ونحن يومئذ عشرون ألفًا وعلينا عمرو بن العاص فهزمهم الله ففاءت فئة إلى فحل في خلافة عمر فسار إليهم عمرو في الجيش فنفاهم عن فحل.

وفاة أبي بكر رضي الله عنه

وفيها توفي خليفة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أبو بكر الصديق لثمان بقين من جمادى الآخرة وعهد بالأمر بعده إلى عمر وكتب له بذلك كتابًا.

فأول ما فعل عمر عزل خالد بن الوليد عن أمراء الشام وأمر عليهم أبا عبيدة ابن الجراح، وكتب إليه بعهده ثم بعث جيشا من المدينة إلى العراق أمر عليهم أبا عبيد بن مسعود الثقفي والد المختار الكذاب، وكان أبو عبيدة من فضلاء الصحابة فالتقى مع أهل العراق.

سنة أربع عشرة / خلافة عمر رضي الله عنه

فتحت دمشق فتح حمص وبعلبك فتحت البصرة والأبلة ووقعة جسر أبي عبيد بأرض نجران ووقعة فحل بالشام في قول ابن الكلبي.

فأما دمشق فقال الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال: كان خالد على الناس فصالح أهل دمشق، فلم يفرغ من الصلح حتى عزل وولي أبو عبيدة فأمضى صلح خالد ولم يغير الكتاب، وهذا غلط؛ لأن عمر عزل خالدًا حين ولي. قال خليفة بن خياط صالحهم أبو عبيدة على أنصاف كنائسهم ومنازلهم وعلى رؤوسهم وأن لا يمنعوا من أعيادهم.

وقال ابن الكلبي: كان الصلح يوم الأحد للنصف من رجب سنة أربع عشرة.

وقال ابن إسحاق: صالحهم أبو عبيدة في رجب.

وقال ابن جرير: سار أبو عبيدة إلى دمشق وخالد على مقدمة الناس وقد اجتمعت الروم على رجل يقال له: باهان بدمشق، وكان عمر عزل خالدًا واستعمل أبا عبيدة على الجميع والتقى المسلمون والروم فيما حول دمشق فاقتتلوًا قتالا شديدًا، ثم هزم الله الروم ودخلوا دمشق وغلقوا أبوابها ونازلها المسلمون حتى فتحت وأعطوا الجزية وكان قدم الكتاب على أبي عبيدة بإمارته وعزل خالد فاستحيا أبو عبيدة أن يقرئ خالدا الكتاب حتى فتحت دمشق وجرى الصلح على يدي خالد وكتب الكتاب باسمه، فلما صالحت دمشق لحق باهان صاحب الروم بهرقل.

وقال محمد بن إسحاق: إن عمر كان واجدًا على خالد بن الوليد لقتله ابن نويرة فكتب إلى أبي عبيدة أن أنزع عمامته وقاسمه ماله فلما أخبره قال: ما أنا بالذي أعصي أمير المؤمنين فاصنع ما بدا لك فقاسمه حتى أخذ نعله الواحدة.

وقال ابن جرير: كان أول محصور بالشام أهل فحل، ثم أهل دمشق وبعث أبو عبيدة ذا الكلاع حتى كان بين دمشق وحمص ردءًا وحصروا دمشق فكان أبو عبيدة على ناحية، ويزيد بن أبي سفيان على ناحية، وعمرو بن العاص على ناحية، وهرقل يومئذ على حمص فحاصروا أهل دمشق نحوًا من سبعين ليلة حصارًا شديدًا بالمجانيق وجاءت جنود هرقل نجدة لدمشق فشغلتها الجنود التي مع ذي الكلاع فلما أيقن أهل دمشق أن الأمداد لا تصل إليهم فشلوا ووهنوا.

وكان صاحب دمشق قد جاءه مولود فصنع طعامًا واشتغل يومئذ وخالد بن الوليد الذي لا ينام ولا ينيم قد هيأ حبالا كهيئة السلالم فلما أمسى هيأ أصحابه وتقدم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور بن عدي وأمثالهم وقالوا: إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا إلينا وانهدوا الباب. قال: فلما انتهى خالد ورفقاؤه إلى الخندق رموا بالحبال إلى الشرف وعلى ظهورهم القرب التي سبحوا بها في الخندق وتسلق القعقاع ومذعور فلم يدعا أحبولة حتى أثبتاها في الشرف وكان ذلك المكان أحصن مكان بدمشق فاستوى على السور خلق من أصحابه، ثم كبروا وانحدر خالد إلى الباب فقتل البوابين وثار أهل البلد إلى مواقفهم لا يدرون ما الشأن؟ فتشاغل أهل كل جهة بما يليهم وفتح خالد الباب ودخل أصحابه عنوة وقد كان المسلمون دعوهم إلى الصلح والمشاطرة فأبوا فلما رأوا البلاء بذلوا الصلح فأجابهم من يليهم وقبلوا فقالوا: ادخلوا وامنعونا من أهل ذاك الباب فدخل أهل كل باب بصلح مما يليهم فالتقى خالد والأمراء في وسط البلد هذا استعراضا ونهبا وهؤلاء صلحًا فأجروا ناحية خالد على الصلح بالمقاسمة. وكتب إلى عمر بالفتح.

وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يجهز جيشًا إلى العراق نجدة لسعد بن أبي وقاص فجهز له عشرة آلاف عليهم هاشم بن عتبة وبقي بدمشق يزيد بن أبي سفيان في طائفة من أمداد اليمن فبعث يزيد دحية بن خليفة الكلبي في خيل إلى تدمر، وأبا الأزهر إلى البثنية وحوران فصالحهم وسار طائفة إلى بيسان فصالحوا.

وفيها كان سعد بن أبي وقاص فيما ورد إلينا على صدقات هوازن فكتب إليه عمر بانتخاب ذي الرأي والنجدة ممن له سلاح أو فرس فجاءه كتاب سعد: إني قد انتخبت لك ألف فارس، ثم قدم به عليه فأمره على حرب العراق وجهزه في أربعة آلاف مقاتل فأبى عليه بعضهم إلا المسير إلى الشام فجهزهم عمر إلى الشام.

ثم إن عمر أمد سعدًا بعد مسيره بألفي نجدي وألفي يماني فشتا سعد بزرود وكان المثنى بن حارثة على المسلمين بما فتح الله من العراق فمات من جراحته التي جرحها يوم جسر أبي عبيد فاستخلف المثنى على الناس بشير بن

الخصاصية، وسعد يومئذ بزرود ومع بشير وفود أهل العراق، ثم سار سعد إلى العراق وقدم عليه الأشعث بن قيس في ألف وسبعمائة من اليمانيين.

وقعة الجسر

كان عمر قد بعث في سنة ثلاث عشرة جيشًا عليهم أبو عبيد الثقفي فلقي جابان في سنة ثلاث عشرة - وقيل: سنة أربع عشرة - بين الحيرة والقادسية. فهزم الله المجوس وأسر جابان وقتل مردانشاه، ثم إن جابان فدى نفسه بغلامين وهو لا يعرف أنه المقدم، ثم سار أبو عبيد إلى كسكر فالتقى هو ونرسي فهزمه، ثم لقي جالينوس فهزمه.

ثم إن كسرى بعث ذا الحاجب وعقد له على اثني عشر ألفًا ودفع إليه سلاحًا عظيما والفيل الأبيض فبلغ أبا عبيد مسيرهم فعبر الفرات إليهم وقطع الجسر فنزل ذو الحاجب قس الناطف وبينه وبين أبي عبيد الفرات فأرسل إلى أبي عبيد: إما أن تعبر إلينا وإما أن نعبر إليك. فقال أبو عبيد: نعبر إليكم فعقد له ابن صلوبًا الجسر وعبر فالتقوا في مضيق في شوال. وقدم ذو الحاجب جالينوس معه الفيل. فاقتتلوا أشد قتال وضرب أبو عبيد مشفر الفيل وضرب أبو محجن عرقوبه.

وقال: إن قتلت فعليكم ابني جبر، فإن قتل فعليكم حبيب بن ربيعة أخو أبي محجن فإن قتل فعليكم أخي عبد الله، فقتل جميع الأمراء واستحر القتل في المسلمين فطلبوا الجسر وأخذ الراية المثنى بن حارثة فحماهم في جماعة ثبتوا معه. وسبقهم إلى الجسر عبد الله بن يزيد فقطعه وقال: قاتلوا عن دينكم فاقتحم الناس الفرات فغرق ناس كثير ثم عقد المثنى الجسر وعبره الناس.

واستشهد يومئذ فيما قال خليفة ألف وثمانمائة وقال سيف: أربعة آلاف ما بين قتيل وغريق.

* * *

فتح حمص

وقال أبو مسهر: سار أبو عبيدة إلى حمص في اثني عشر ألفًا منهم من

السكون ستة آلاف فافتتحها.

وعن عثمان الصنعاني قال: لما فتحنا دمشق خرجنا مع أبي الدرداء في مسلحة برزة، ثم تقدمنا مع أبي عبيدة ففتح الله بنا حمص وورد أن حمص وبعلبك فتحتا صلحا في أواخر سنة أربع عشرة وهرب هرقل عظيم الروم من أنطاكية إلى قسطنطينية وقيل: إن حمص فتحت سنة خمس عشرة.

* * *

سنة خمس عشرة

في أولها افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة إلا طبرية فإنهم صالحوه وذلك بأمر أبي عبيد.

* * *

يوم اليرموك

كانت وقعة مشهورة نزلت الروم اليرموك في رجب سنة خمس عشرة - وقيل سنة ثلاث عشرة وأراه وهما - فكانوا في أكثر من مائة ألف وكان المسلمون ثلاثين ألفا وأمراء الإسلام أبو عبيدة ومعه أمراء الأجناد وكانت الروم قد سلسلوا أنفسهم الخمسة والستة في السلسلة لئلا يفروا فلما هزمهم الله جعل الواحد يقع في نهر اليرموك فيجذب من معه في السلسلة حتى ردموا في الوادي واستووا فيما قيل بحافتيه فداستهم الخيل وهلك خلق لا يحصون، واستشهد يومئذ جماعة من أمراء المسلمين.

* * *

وقعة القادسية

كانت وقعة القادسية بالعراق في آخر السنة فيما بلغنا وكان على الناس سعد ابن أبي وقاص وعلى المشركين رستم ومعه الجالينوس وذو الحاجب.

قال أبو وائل: كان المسلمون ما بين السبعة إلى الثمانية آلافًا. ورستم في

ستين ألفًا وقيل: كانوا أربعين ألفًا وكان معهم سبعون فيلاً.

وذكر المدائني أنهم اقتتلوا قتالاً شديدًا ثلاثة أيام في آخر شوال وقيل: في رمضان فقتل رستم وانهزموا وقيل: إن رستم مات عطشًا وتبعهم المسلمون فقتل جالينوس وذو الحاجب وقتلوهم ما بين الخرارة إلى السيلحين إلى النجف حتى ألجأوهم إلى المدائن فحصروهم بها حتى أكلوا الكلاب، ثم خرجوا على حامية بعيالهم فساروا حتى نزلوا جلولاء.

ولما فتح الله على المسلمين غنائم رستم وقدمت على عمر الفتوح من الشام والعراق جمع المسلمين فقال: ما يحل للوالي من هذا؟ المال قالوا: أما لخاصته فقوته وقوت عياله لا وكس ولا شطط وكسوته وكسوتهم ودابتان لجهاده وحوائجه وحمالته إلى حجه وعمرته والقسم بالسوية أن يعطي أهل البلاء على قدر بلائهم ويرم أمور المسلمين ويعاهدهم.

وفي القوم علي - رضي الله عنه - ساكت فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال: ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف.

* * *

سنة ست عشرة

قيل: كانت وقعة القادسية في أولها، واستشهد يومئذ مائتان وقيل: عشرون ومائة رجلاً.

فيها فتحت الأهواز، ثم كفروا فحدثني الوليد بن هشام، عن أبيه، عن جده قال: سار المغيرة بن شعبة إلى الأهواز فصالحه الفيرزان علة ألفي ألف درهم، ثم غزاهم الأشعري بعده.

وقال الطبري: فيها دخل المسلمون مدينة بهرسير وافتتحوا المدائن فهرب منها يزدجرد بن شهريار.

فلما نزل سعد بن أبي وقاص بهرسير - وهي المدينة التي فيها منزل كسرى - طلب السفن ليعبر بالناس إلى المدينة القصوى فلم يقدر على شيء منها وجدهم قد ضموا السفن فبقي أياما حتى أتاه أعلاج فدلوه على مخاضة فأبى، ثم إنه عزم له أن يقتحم دجلة فاقتحمها المسلمون وهي زائدة ترمي بالزبد

ففجئ أهل فارس أمر لم يكن لهم في حساب فقاتلوا ساعة، ثم انهزموا وتركوا جمهور أموالهم واستولى المسلمون على ذلك كله، ثم أتوا إلى القصر الأبيض وبه قوم قد تحصنوا، ثم صالحوا وقيل إن الفرس لما رأوا اقتحام المسلمين الماء تحيروا وقالوا: والله ما نقاتل الإنس ولا نقاتل الجن فانهزموا ونزل سعد القصر الأبيض واتخذ الإيوان مصلى وإن فيه لتماثيل جص فما حركها.ولما انتهى إلى مكان كسرى أخذ يقرأ:{ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ } [الدخان: ٢٥ - ٢٦]، الآية.قالوا: وأتم سعد الصلاة يوم دخلها وذلك أنه أراد المقام بها وكانت أول جمعة جمعت بالعراق وذلك في صفر سنة ست عشرة.

قال الطبري: قسم سعد الفيء بعد ما خمسه فأصاب الفارس اثنا عشر ألفًا وكل الجيش كانوا فرسانًا. وقسم سعد دور المدائن بين الناس وأوطنوها وجمع سعد الخمس وأدخل فيه كل شيء من ثياب كسرى وحليه وسيفه. وقال للمسلمين: هل لكم أن تطيب أنفسكم عن أربعة أخماس هذا القطف فنبعث به إلى عمر فيضعه حيث يرى ويقع من أهل المدينة موقعًا قالوا: نعم فبعثه على هيئته. وكان ستين ذراعًا في ستين ذراعا بساطًا واحدًا مقدار جريب. فيه طرق كالصور. وفصوص كالأنهار وخلال ذلك كالدر وفي حافاته كالأرض المزروعة والأرض كالمبقلة بالنبات في الربيع من الحرير على قصبات الذهب ونواره بالذهب والفضة ونحوه، فقطعه عمر وقسمه بين الناس، فأصاب عليًّا قطعة منه فباعها بعشرين ألفا.واستولى المسلمون في ثلاثة أعوام على كرسي مملكة كسرى وعلى كرسي مملكة قيصر وعلى أمي بلادهما، وغنم المسلمون غنائم لم يسمع بمثلها قط من الذهب والجوهر والحرير والرقيق والمدائن والقصور، فسبحان الله العظيم الفتاح.

* * *

سنة سبع عشرة

يقال كانت فيها وقعة جلولاء المذكورة.

وفيها خرج عمر إلى سرغ واستخلف على المدينة زيد بن ثابت فوجد الطاعون بالشام، فرجع لما حدثه عبد الرحمن بن عوف عن النبي (صلي الله

عليه وسلم) في أمر الطاعون.

* * *

عام الرمادة

وفيها كان القحط بالحجاز وسمي عام الرمادة واستسقى عمر للناس بالعباس عم النبي (صلي الله عليه وسلم).

وفيها كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري بإمرة البصرة، وبأن يسير إلى كور الأهواز صلحًا وعنوة فوظف عمر عليها عشرة آلاف ألف درهم وأربعمائة ألف وجهد زياد في إمرته أن يخلص العنوة من الصلح فما قدر.

قال خليفة: وفيها شهد أبو بكرة ونافع ابنا الحارث، وشبل بن معبد وزياد على المغيرة بالزنى، ثم نكل بعضهم فعزله عمر عن البصرة وولاها أبا موسى الأشعري.

* * *

سنة ثماني عشرة

فيها استسقى عمر للناس وخرج ومعه العباس فقال: " اللهم إنا نستسقيك بعم نبيك ".

وفيها نزل الناس الكوفة وبناها سعد باللبن وكانوا بنوها بالقصب فوقع بها حريق هائل.

وفيها كان طاعون عمواس بناحية الأردن فاستشهد فيه خلق من المسلمين. ويقال: إنه لم يقع بمكة ولا بالمدينة طاعون.

بقية حوادث سنة ثماني عشرة

وفي أوائلها وجه أبو عبيدة بن الجراح عياض بن غنم الفهري إلى الجزيرة فوافق أبا موسى قد قدم من البصرة فمضيا فافتتحا حران ونصيبين، وطائفة من الجزيرة عنوة وقيل: صلحا وفيها سار عياض بن غنم إلى الموصل فافتتحها ونواحيها عنوة وفيها بنى سعد جامع الكوفة.

* * *

سنة تسع عشرة ، فتح قيسارية

قال خليفة: فيها فتحت قيسارية وأمير العسكر معاوية بن أبي سفيان وسعد بن عامر بن حذيم كل أمير على جنده فهزم الله المشركين وقتل منهم مقتلة عظيمة ورخها ابن الكلبي.

وفيها كانت وقعة صهاب - بأرض فارس - في ذي الحجة. وعلى المسلمين الحكم بن أبي العاص فقتل شهرك مقدم المشركين.

قال خليفة: وفيها أسرت الروم عبد الله بن حذافة السهمي.

* * *

سنة عشرين

فيها فتحت مصر. روى خليفة - عن غير واحد - وغيره أن فيها كتب عمر إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر فسار، وبعث عمر الزبير بن العوام مددا له ومعه بسر بن أرطأة وعمير بن وهب الجمحي وخارجة بن حذافة العدوي حتى أتى باب أليون فتحصنوا فافتتحها عنوة وصالحه أهل الحصن، وكان الزبير أول من ارتقى سور المدينة، ثم تبعه الناس فكلم الزبير عمرا أن يقسمها بين من افتتحها فكتب عمرو إلى عمر فكتب عمر: أكلة وأكلات خير من أكلة أقروها.

* * *

سنة إحدى وعشرين ، فتح الإسكندرية

فيها فتح عمرو بن العاص الإسكندرية، وقد مرت وفيها شكا أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص، وتعنتوه فصرفه عمر وولى عمار بن ياسر على الصلاة وابن مسعود على بيت المال، وعثمان بن حنيف على مساحة أرض السواد.

وفيها سار عثمان بن أبي العاص فنزل توج ومصرها.

وبعث سوار بن المثنى العبدي إلى سابور فاستشهد، فأغار عثمان بن أبي العاص على سيف البحر والسواحل وبعث الجارود بن المعلى فقتل الجارود أيضًا.

* * *

نهاوند

عن السائب ابن الأقرع قال: زحف للمسلمين زحف لم ير مثله قط رجف له أهل ماه وأهل أصبهان وأهل خمذان والري وقومس ونهاوند وأذربيجان قال فبلغ ذلك عمر فشاور المسلمين فقال علي - رضي الله عنه - أنت أفضلنا وأعلمنا بأهلك. فقال: لأستعملن على الناس رجلاً يكون لأول أسنة يلقاها يا سائب، اذهب بكتابي هذا إلى النعمان بن مقرن فليسر بثلثي أهل الكوفة وليبعث إلى أهل البصرة وأنت على ما أصابوا من غنيمة، فإن قتل النعمان فحذيفة الأمير، فإن قتل حذيفة فجرير بن عبد الله، فإن قتل ذلك الجيش فلا أراك.

وعن معقل بن يسار أن عمر شاور الهرمزان في أصبهان وفارس وأذربيجان بأتيهن يبدأ فقال: يا أمير المؤمنين، أصبهان الرأس وفارس وأذربيجان الجناحان، فإن قطعت الرأس وقع الجناحان فدخل عمر المسجد فوجد النعمان بن مقرن يصلي فسرحه وسرح معه الزبير بن العوام وحذيفة بن اليمان والمغيرة بن شعبة وعمرو بن معد يكرب والأشعث بن قيس وعبد الله بن عمر فسار حتى أتى نهاوند فذكر الحديث إلى أن قال النعمان لما التقى الجمعان: إن قتلت فلا يلوي علي أحد، وإني داع بدعوة فأمنوا، ثم دعا: اللهم ارزقني الشهادة بنصر المسلمين والفتح عليهم فأمن القوم وحملوا فكان النعمان أول صريع.

والتقوا بنهاوند يوم الأربعاء فانكشفت مجنبة المسلمين شيئًا، ثم التقوا يوم الخميس فثبتت الميمنة وانكشف أهل الميسرة، ثم التقوا يوم الجمعة فأقبل النعمان يخطبهم ويحضهم على الحملة ففتح الله عليهم.

وقال ابن جرير في وقعة نهاوند: لما انتهى النعمان إلى نهاوند في جيشه طرحوا له حسك الحديد فبعث عيونا فساروا لا يعلمون بالحسك فزجر بعضهم فرسه وقد دخل في حافره حسكة فلم يبرح فنزل، فإذا الحسك فأقبل بها وأخبر النعمان فقال النعمان: ما ترون؟ فقالوا: تقهقر حتى يروا أنك هارب فيخرجوا في طلبك فتأخر النعمان وكنست الأعاجم الحسك وخرجوا في طلبه فعطف

عليهم النعمان وعبأ كتائبه وخطب الناس وقال: إن أصبت فعليكم حذيفة، فإن أصيب فعليكم جرير البجلي، وإن أصيب فعليكم قيس بن مكشوح فوجد المغيرة في نفسه؛ إذ لم يستخلفه قال: وخرجت الأعاجم وقد شدوا أنفسهم في السلاسل لئلا يفروا وحمل عليهم المسلمون فرمى النعمان بسهم فقتل ولفه أخوه سويد بن مقرن في ثوبه وكتم قتله حتى فتح الله تعالى عليهم ودفع الراية إلى حذيفة وقتل الله ذا الحاجب يعني: مقدمهم وافتتحت نهاوند ولم يكن للأعاجم بعد ذلك جماعة.

وبعث عمر السائب بن الأقرع مولى ثقيف - وكان كاتبا حاسبًا - فقال: إن فتح الله على الناس فاقسم عليم فيئهم واعزل الخمس. قال السائب: فإني لأقسم بين الناس إذ جائني أعجمي فقال: أتؤمنني على نفسي وأهلي على أن أدلك على كنز يزدجرد يكون لك ولصاحبك قلت: نعم وبعثت معه رجلاً فأتى بسفطين عظيمين ليس فيهما إلا الدر والزبرجد واليواقيت قال: فاحتملتهما معي وقدمت على عمر بهما فقال: أدخلهما بيت المال ففعلت ورجعت إلى الكوفة سريعًا فما أدركني رسول عمر إلا بالكوفة أناخ بعيره على عرقوبي بعيري فقال: الحق بأمير المؤمنين فرجعت حتى أتيته فقال: مالي ولابن أم السائب ومالي قلت: وما ذاك؟ قال: والله ما هو إلا نمت فباتت ملائكة تسحبني إلى ذينك السفطين يشتعلان نارًا يقولون: " لنكوينك بهما " فأقول: " إني سأقسمهما بين المسلمين " فخذهما عني لا أبا لك فالحق بهما فبعهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم قال: فخرجت بهما حتى وضعتهما في مسجد الكوفة وغشيني التجار فابتاعهما مني عمرو بن حريث بألفي ألف درهم ثم خرج بهما إلى أرض العجم فباعهما بأربعة آلاف ألف فما زال أكثر أهل الكوفة مالاً.

وفيها سار عمرو بن العاص إلى برقة فافتتحها وصالهم على ثلاثة عشر ألف دينار.

سنة اثنتين وعشرين

فتح أذربيجان على يد المغيرة بن شعبة

بقية حوادث السنة

ثم إن عمر أقر على با الفرج عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي، وأمره بغزو

الترك فسار بالناس حتى قطع الباب فقال له شهريران: ما ترد أن تصنع؟ قال: أناجزهم في ديارهم وبالله إن معي لأقوامًا لو يأذن لنا أميرنا في الإمعان لبلغت بهم السند ولما دخل عبد الرحمن على الترك حال الله بينهم وبين الخروج عليه وقالوا: ما اجترأ على هذا الأمر إلا ومعهم الملائكة تمنعهم من الموت، ثم هربوا وتحصنوا فرجع بالظفر والغنيمة، ثم إنه غزاهم مرتين في خلافة عثمان فيسلم ويغنم، ثم قاتلهم فاستشهد - أعني: عبد الرحمن بن ربيعة - فأخذ أخوه سلمان بن ربيعة الراية وتحيز بالناس قال: فهم - يعني: الترك - يستسقوه بجسد عبد الرحمن حتى الآن.

* * *

سنة ثلاث وعشرين

فيها: بينما عمر - رضي الله عنه - يخطب، إذ قال: يا سارية الجبل، وكان عمر قد بعث سارية بن زنيم الدئلي إلى فسا ودارا بجرد فحاصرهم، ثم أنهم تداعوا وجاؤوه من كل ناحية والتقوا بمكان وكان إلى جهة المسلمين جبل لو استندوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد فلجئوا إلى الجبل، ثم قاتلوهم فهزموهم، وأصاب سارية الغنائم فكان منها فسط جوهر فبعث به إلى عمر فرده وأمره أن يقسمه بين المسلمين وسأل النجاب أهل المدينة عن الفتح وهل سمعوا شيئًا فقال: نعم " يا سارية الجبل الجبل " وقد كدنا نهلك فلجأنا إلى الجبل فكان النصر. ويروى أن عمر سئل فيما بعد عن كلامه " يا سارية الجبل " فلم يذكره.

وفيما كان فتح كرمان وكان أميرها سهيل بن عدي. وفيها فتحت سجستان وأميرها عاصم بن عمرو. وفيها فتحت مكران وأميرها الحكم بن عثمان وهي من بلاد الجبل.

* * *

سنة أربع وعشرين

خلافة عثمان رضي الله عنه

قصة الشورى

دفن عمر - رضي الله عنه - في أول المحرم، ثم جلسوا للشورى: فروي عن عبد الله بن أبي ربيعة أن رجلاً قال قبل الشورى: إن بايعتم لعثمان أطعنا، وإن بايعتم لعلي سمعنا وعصينا.

وقال المسور بن مخرمة: جاءني عبد الرحمن بن عوف بعد هجع من الليل فقال: ما ذاقت عيناي كثير نوم ثلاث ليال فادع لي عثمان وعليًّا والزبير وسعدا فدعوتهم فجعل يخلو بهم واحدًا واحدًا يأخذ عليه فلما أصبح صلى صهيب بالناس، ثم جلس عبد الرحمن فحمد الله وأثنى عليه وقال في كلامه: إني رأيت الناس يأبون إلا عثمان.

وقال حميد بن عبد الرحمن بن عوف: أخبرني المسور إن النفر الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا فقال عبد الرحمن: لست بالذي أنافسكم هذا الأمر، ولكن إن شئتم اخترت لكم منكم فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن قال: فوالله ما رأيت رجلاً بذ قوما أشد ما بذهم حين ولوه أمرهم حتى ما من رجل من على عبد الرحمن يشاورونه ويناجونه تلك الليالي لا يخلو به رجل ذو رأي فيعدل بعثمان أحدًا وذكر الحديث إلى أن قال: فتشهد وقال: أما بعد يا علي، فإني قد نظرت في الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلاً، ثم أخذ بيد عثمان فقال: نبايعك على سنة الله وسنة رسوله وسنة الخليفتين بعده. فبايعه عبد الرحمن بن عوف وبايعه المهاجرون والأنصار.

وعن أنس قال: أرسل عمر إلى أبي طلحة الأنصاري فقال: كن في خمسين من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى، فإنهم فيما فيما فيما أحسب سيجتمعون في بيت فقم على ذلك الباب بأصحابك فلا تترك أحدا يدخل عليهم ولا تترك يمضي اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهم اللهم أنت خليفتي عليهم.

قال: ما ذنبي قد بدأت بعلي فقلت: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر فقال: فيما استطعت، ثم عرضت ذلك على عثمان فقال: نعم.

وقال الواقدي: اجتمعوا على عثمان لليلة بقيت من ذي الحجة.

ويروى أن عبد الرحمن قال لعثمان خلوة: إن لم أبايعك فمن تشير علي فقال: علي وقال لعلي خلوة: إن لم أبايعك فمن تشير علي قال: عثمان، ثم دعا الزبير فقال: إن لم أبايعك فمن تشير علي قال علي أو عثمان ثم دعا سعدًا فقال: من تشير علي فأما أنا وأنت فلا نريدها فقال: عثمان ثم استشار عبد الرحمن الأعيان فرأى هوى أكثرهم في عثمان.

ثم نودي: الصلاة جامعة وخرج عبد الرحمن عليه عمامته التي عممه بها رسول الله (صلي الله عليه وسلم) متقلدًا سيفه فصعد المنبر ووقف طويلاً يدعو سرًا ثم تكلم فقال: أيها الناس، إني سألتكم سرًا وجهرًا على أمانتكم فلم أجدكم تعدلون عن أحد هذين الرجلين: إما علي وإما عثمان قم إلي يا علي، فقام فوقف بجنب المنبر فأخذ بيده وقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي فقال: قم يا عثمان، فأخذ بيده في موقف علي فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم قال فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يده ثم قال: اللهم اشهد اللهم إني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان فازدحم الناس يبايعون حتى غشوه عند المنبر وأقعدوه على الدرجة الثانية وقعد عبد الرحمن مقعد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من المنبر. قال: وتلكأ علي فقال عبد الرحمن:{فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } [الفتح: ١٠]. فرجع علي يشق الناس حتى بايع عثمان وهو يقول: خدعة وأيما خدعة، ثم جلس عثمان في جانب المسجد ودعا بعبيد الله بن عمر بن الخطاب وكان محبوسًا في دار سعد وسعد الذي نزع السيف من يد عبيد الله بعد أن قتل جفينة والهرمزان وبنت أبي لؤلؤة وجعل عبيد الله يقول: والله لأقتلن رجالاً من شارك في دم أبي يعرض بالمهاجرين والأنصار فقام إليه سعد فنزع السيف من يده وجبذه بشعره حتى أضجعه وحبسه فقال عثمان لجماعة من المهاجرين أشيروا علي في هذا الذي فتق في الإسلام ما فتق فقال علي: أرى أن تقتله فقال بعضهم: قتل أبوه بالأمس ويقتل هو اليوم فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث ولك على المسلمين سلطان إنما تم هذا ولا سلطان لك قال عثمان:

أنا وليهم وقد جعلتها دية واحتملتها من مالي قلت: والهرمزان هو ملك تستر وقد تقدم إسلامه قتله عبيد الله بن عمر لما أصيب عمر فجاء عمار بن ياسر فدخل على عمر فقال: حدث اليوم حدث في الإسلام قال: وما ذاك؟ قال: قتل عبيد الله الهرمزان قال: " إنا لله وإنا إليه راجعون " علي به وسجنه.

قال سعيد بن المسيب: اجتمع أبو لؤلؤة، وجفنية رجل من الحيرة والهرمزان معهم خنجر له طرفان مملكه في وسطه فجلسوا مجلسًا فأثارهم دابة فوقع الخنجر فأبصرهم عبد الرحمن بن أبي بكر فلما طعن عمر حكى عبد الرحمن شأن الخنجر واجتماعهم وكيفية الخنجر فنظروا فوجدوا الأمر كذلك فوثب عبيد الله فقتل الهرمزان وجفنية ولؤلؤة بنت أبي لؤلؤة فلما استخلف عثمان قال له علي: أقد عبيد الله من الهرمزان فقال عثمان: ماله ولي غيري وإني قد عفوت ولكن أدية.

ويروى أن الهرمزان لما عضه السيف قال: لا إله إلا الله. وأما جفنية فكان نصرانيًّا وكان ظئرًا لسعد بن أبي وقاص أقدمه للمدينة للصلح الذي بينه وبينهم وليعلم الناس الكتابة.

* * *

فتح الري

وفيها افتتح أبو موسى الأشعري الري، وكانت قد فتحت على يد حذيفة، وسويد بن مقرن فانتقضوا.

وفيها غزا الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية لمنع أهلها ما كانوا صالحوا عليه فسبى وغنم ورجع.

وفيها جاشت الروم حتى استمد أمراء الشام من عثمان مددا فأمدهم بثمانية آلاف من العراق فمضوا حتى دخلوا إلى أرض الروم مع أهل الشام.

* * *

سنة خمس وعشرين

فيها عزل عثمان سعدًا عن الكوفة واستعمل عليها: الوليد بن عقبة بن أبي

معيط بن أبي عمرو بن أمية الأموي أخو عثمان لأمه كنيته أبو وهب. قال طارق بن شهاب: لما قدم الوليد أميرًا أتاه سعد فقال: أكست بعدي أو استحمقت ببعدك؟ قال: ما كسنا ولا حمقت، ولكن القوم استأثروا عليك بسلطانهم. وهذا مما نقموا على عثمان كونه عزل سعدًا وولى الوليد بن عقبة فذكر حصين بن المنذر أن الوليد صلى بهم الفجر أربعًا وهو سكران ثم التفت وقال: أزيدكم!

* * *

غزو افريقية

واستأذن ابن أبي سرح عثمان في غزو أفريقية فأذن له. ويقال: فيها ولد يزيد بن معاوية.

* * *

سنة ست وعشرين

توسعةالمسجد الحرام

فيها زاد عثمان في المسجد الحرام ووسعه واشترى الزيادة من قوم وأبى آخرون فهدم عليهم ووضع الأثمان في بيت المال، فصاحوا بعثمان فأمر بهم إلى الحبس وقال: ما جرأكم علي إلا حلمي وقد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا عليه، ثم كلموه فيهم فأطلقهم.

* * *

سنة سبع وعشرين

غزا معاوية قبرص فركب البحر بالجيوش، وكان معه عبادة بن الصامت، وزوجة عبادة أم حرام بنت ملحان الأنصارية خالة أنس فصرعت عن بغلتها فماتت شهيدة، وكان النبي (صلي الله عليه وسلم) يغشاها ويقيل عندها وبشرها بالشهادة فقبرها بقبرس يقولون: هذا قبر المرأة الصالحة.

ولما نزع عثمان عمرًا عن مصر غضب وحقد على عثمان فوجه عبد الرحمن بن سعد فأمره أن يمضي إلى أفريقية وندب الناس معه إلى أفريقية فخرج إليها في عشرة آلاف وصالح ابن سعد أهل أفريقية على ألفي ألف دينار وخمسمائة دينار. وبعث ملك الروم من قسطنطينية أن يؤخذ من أهل إفريقية ثلاثمائة قنطار ذهبًا كما أخذ منهم عبد الله بن سعد فقالوا: ما عندنا مال نعطيه وما كان بأيدينا فقد افتدينا به فأما الملك، فإنه سيدنا فليأخذ ما كان له عندنا من جائزة كما كنا نعطيه كل عام فلما رأى ذلك منهم الرسول أمر بحبسهم فبعثوا إلى قوم من أصحابهم فقدموا عليهم فكسروا السجن وخرجوا.

وعن يزيد بن أبي حبيب قال: كتب عبد الله بن سعد إلى عثمان يقول: إن عمرو بن العاص كسر الخوارج وكتب عمرو: إن عبد الله بن سعد أفسد على مكيدة الحرب. فكتب عثمان إلى عمرو: انصرف وولى عبد الله الخراج والجند فقدم عمرو مغضبًا فدخل على عثمان وعليه جبة له يمانية محشوة قطنًا فقال له عثمان: ما حشو جبتك قال: عمرو قال: قد علمت أن حشوها عمرو ولم أرد هذا إنما سألتك أقطن هو أم غيره وبعث عبد الله بن سعد إلى عثمان مالاً من مصر وحشد فيه فدخل عمرو فقال عثمان: هل تعلم أن تلك اللقاح درت بعدك؟ قال عمرو: إن فصالها هلكت.

* * *

سنة ثمان وعشرين

قالوا: ألح معاوية في إمارة عمر عليه في غزو البحر وقرب الروم من حمص فقال عمر: إن قرية من قرى حمص يسمع أهلها نباح كلابهم وصياح ديوكهم قالوا: كتب عمر إلى معاوية: إنا سمعنا أن بحر الشام يشرف على أطول شيء على الأرض يستأذن الله في كل يوم وليلة في أن يقبض على الأرض فيغرقها فكيف أحمل الجنود في هذا البحر الكافر المستعصب، وتالله لمسلم أحب إلي من كل ما في البحر فلم يزل بعمر حتى كاد أن يأخذ بقلبه، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص أن صف لي البحر وراكبه فكتب إليه: إني رأيت خلقًا كبيرًا

يركبه خلق صغير إن ركد حرق القلوب وإن تحرك أزاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة وهم فيه كدود على عود إن مال غرق وإن نجا برق. فلما قرأ عمر الكتاب كتب إلى معاوية: والله لا أحمل فيه مسلمًا أبدًا.

* * *

سنة تسع وعشرين

فتح اصطخر

وفيها افتتح عبد الله بن عامر إصطخر عنوة فقتل وسبى، وكان على مقدمة عبيد الله بن معمر، وكان من كبار الأمراء افتتح سابور عنوة وقلعة شيراز وقتل وهو شاب فأقسم ابن عامر لئن ظفر بالبلد ليقتلن حتى يسيل الدم من باب المدينة، وكان بها يزدجرد بن شهريار بن كسرى فخرج منها في مائة ألف وسار فنزل مرو وخلف على إصطخر أميرًا من أمرائه في جيش يحفظونها.

فنقب المسلمون المدينة فما دروا إلا والمسلمون معهم في المدينة فأسرف ابن عامر في قتلهم وجعل الدم لا يجري من الباب فقيل له: أفنيت الخلق فأمر بالماء فصب على الدم حتى خرج من الباب ورجع إلى حلوان فافتتحها ثانيًا فأكثر فيه القتل لكونهم نقضوا الصلح.

سنة ثلاثين

فيها عزل الوليد بن عقبة عن الكوفة بسعيد بن العاص فغزا سعيد طبرستان فحاصرهم فسألوه الأمان على أن لا يقتل منهم رجلاً واحدًا فقتلهم كلهم إلا رجلاً واحدًا يعني: نفسه بذلك.

وفيها فتحت جور من أرض فارس على يد ابن عامر فغنم شيئًا كثيرًا. وافتتح ابن عامر في هذا القرب بلادًا كثيرة من أرض خراسان.

* * *

سنة إحدى وثلاثين

أجمع مشايخنا على أن نيسابور فتحت صلحًا وكان فتحها في سنة إحدى وثلاثين، ثم روى بإسناده إلى مصعب بن أبي الزهراء أن كنارى صاحب نيسابور كتب إلى سعيد بن العاص والي الكوفة، وإلى عبد الله بن عامر والي البصرة يدعوهما إلى خراسان ويخبرهما أن مرو قد قتل أهلها يزدجرد فندب سعيد بن العاص الحسن بن علي،

وعبد الله بن الزبير لها فأتى ابن عامر دهقان فقال: ما تجعل لي إن سبقت بك؟ قال: لك خراجك وخراج أهل بيتك إلى يوم القيامة فأخذ به على قومس وأسرع إلى أن نزل على نيسابور فقاتل أهلها سبعة أشهر، ثم فتحها فاستعمله عثمان عليها أيضًا وكان ابن خالة عثمان.

* * *

سنة اثنتين وثلاثين

فيها كانت وقعة المضيق بالقرب من قسطنطينية وأميرها معاوية.

* * *

سنة ثلاث وثلاثين

فيها كانت غزوة قبرس، قال: ابن إسحاق وغيره.

وغزوة أفريقية وأمير الناس عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

وفها قال خليفة: جمع قارن جمعًا عظيمًا بباذغيس وهراة وأقبل في أربعين ألفًا فتررك قيس بن الهيثم لابلاد وهرب، فقام بأمر المسلمين عبد الله بن خازم السلمي وجمع أربعة آلاف مقاتل والتقى هو وقارن ونصره الله وقتل وسبى وكتب إلى ابن عامر بالفتح فاستعمله ابن عامر على خراسان، ثم وجه أن عامرر عبد الرحمن بن سمرة على سجستان فصالحه صاحب زرنج وبقي بها حتى حوصر عثمان.

قال خليفة: وفيها غزا معاوية ملطية وحصن المرة من أرض الروم.

قال: وفيها غزا عبد الله بن أبي سرح الحبشة، فأصيبت فيها عين معاوية بن خديج.

* * *

سنة أربع وثلاثين

فيها وثب أهل الكوفة على أميرهم سعيد بن العاص، فأخرجوه ورضوا بأبي موسى الأشعري وكتبوا فيه إلى عثمان فولاه عليهم، ثم إنه بعد قليل رد إليهم الإمرة سعيد بن العاص فخرجوا ومنعوه.

وفيها كانت غزوة ذات الصواري في البحر من ناحية الإسكندرية وأميرها ابن أبي سرح.

* * *

سنة خمس وثلاثين

فيها غزوة ذي خشب وأمير المسلمين عليها معاوية، وفيها حج بالناس وأقام الموسم عبد الله بن عباس.

* * *

مقتل عثمان رضي الله عنه

وفيها مقتل عثمان - رضي الله عنه - خرج المصريون وغيرهم على عثمان وصاروا إليه ليخلعوه من الخلافة.

قال إسماعيل بن أبي خالد: لما نزل أهل مصر الجحفة وأتوا يعاتبون عثمان صعد عثمان المنبر فقال: جزاكم الله يا أصحاب محمد عني شرا أذعتم السيئة وكتمتم الحسنة وأغريتم بي سفهاء الناس أيكم يذهب إلى هؤلاء القوم فيسألهم ما

نقموا وما يريدون قال ذلك: ثلاثًا ولا يجيبه أحد.

فقام علي فقال: أنا فقال عثمان: أنت أقربهم رحمًا فأتاهم فرحبوا به فقال: ما الذي نقمتم عليه قالوا: نقمنا أنه محا كتاب الله - يعني: كونه جمع الأمة على مصحف - وحمى الحمى واستعمل أقرباءه وأعطى مروان مائة ألف وتناول أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: فرد عليهم عثمان: أما القرآن فمن عند الله إنما نهيتكم عن الاختلاف فاقرءوا علي أي حرف شئتم، وأما الحمى فوالله ما حميته لإبلي ولا لغنمي وإنما حميته لإبل الصدقة، وأما قولكم: إني أعطيت مروان مائة ألف.

فهذا بيت مالهم فليستعملوا عليه من أحبوا وأما قولكم: تناول أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فإنما أنا بشر أغضب وأرضى فمن ادعى قبلي حقًا أو مظلمة فهأنذا فإن شاء قودا وإن شاء عفوا. فرضي الناس واصطلحوا ودخلوا المدينة.

وقال محمد بن سعد: قالوا رحل من الكوفة إلى المدينة: الأشتر النخعي - واسمه مالك بن الحارث - ويزيد بن مكفف وثابت بن قيس وكميل بن زياد وزيد وصعصعة ابنا صوحان، والحارث الأعور، وجندب بن زهير، وأصفر بن قيس يسألون عثمان عزل سعيد بن العاص عنهم، فرحل سعد أيضًا إلى عثمان فوافقهم عنده فأبى عثمان أن يعزله فخرج الأشتر من ليلته في نفر فسار عشرًا إلى الكوفة واستولى عليها وصعد المنبر عليها فقال: هذا سعيد بن العاص قد أتاكم يزعم أن السواد بستان لأغيلمة من قريش والسواد مساقط رؤوسكم، ومراكز رماحكم فمن كان يرى الله عليه نزل العذيب فجهز الأشتر إليه ألف فارس مع يزيد بن قيس الأرحبي وعبد الله بن كنانة العبدي فقال: سيروا وأزعجاه وألحقاه بصاحبه، فإن أبى فاضربا عنقه فأتياه فلما رأى منهما الجد رجع.

وصعد الأشتر منبر الكوفة وقال: يا أهل الكوفة، ما غضبت إلا لله ولكم وقد وليت أبا موسى الأشعري صلاتكم وحذيفة بن اليمان فيئكم، ثم نزل وقال: يا أبا موسى، اصعد فقال: ما كنت لأفعل ولكن هلموا فبايعوا لأمير المؤمنين وجددوا البيعة في رقابكم فأجابه الناس، وكتب إلى عثمان بما صنع فأعجب عثمان فقال

عتبة بن الوعل شاعر الكوفة:

تصدق علينا يا ابن عفان واحتسب ::: وأمر علينا الأشعري لياليا

فقال عثمان: نعم وشهورا وسنين إن عشت وكان الذي صنع أهل الكوفة بسعيد أول وهن دخل على عثمان حين اجتريء عليه.

وعن الزهري قال: ولي عثمان فعمل ست سنين لا ينقم عليه الناس شيئًا وإنه لأحب إليهم من عمر؛ لأن عمر كان شديدًا عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم، ثم إنه توانى في أمرهم واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر وكتب لمروان بخمس مصر، أو بخمس إفريقية وآثر أقرباءه بالمال وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها، واتخذ الأموال واستسلف من بيت المال وقال: إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما، وإني أخذته فقسمته في أقربائي فأنكر الناس عليه ذلك.

قلت: ومما نقموا عليه أنه عزل عمير بن سعد عن حمص وكان صالحًا زاهدًا وجمع الشام لمعاوية ونزع عمرو بن العاص عن مصر وأمر ابن أبي سرح عليها، ونزع أبا موسى الأشعري عن البصرة، وأمر عليها عبد الله بن عامر ونزع المغيرة بن شعبة عن الكوفة، وأمر عليها سعيد بن العاص.

وعن سالم بن أبي الجعد قال: دعا عثمان ناسًا من الصحابة فيهم عمار فقال: إني سألتكم وأحب أن تصدقوني: نشدتكم الله أتعلمون أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كان يؤثر قريشًا على سائر الناس ويؤصر بني هاشم على سائر قريش فسكتوا فقال: لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوها.

وعن أبي وائل أن عبد الرحمن بن عوف كان بينه، وبين عثمان كلام فأرسل إليه: لم فررت يوم أحد وتخلفت عن بدر وخالفت سنة عمر فأرسل إليه: تخلفت عن بدر؛ لأن بنت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) شغلتني بمرضها، وأما يوم أحد فقد عفا الله عني، وأما سنة عمر فوالله ما استطعتها أنا ولا أنت. وقد كان بين علي وعثمان شيء فمشى بينهما العباس فقال علي: والله لو أمرني أن أخرج من داري لفعلت فأما أداهن أن لا يقام بكتاب الله فلم أكن لأفعل.

عن يزيد الفقعسي قال: لما خرج ابن السوداء إلى مصر نزل على كنانة بن بشر مرة، وعلى كنانة بن حمران مرة وانقطع إلى الغافقي فشجه الغافقي فكلمه وأطاف به خالد بن ملجم يجيبون إلى الوصية فقال: عليكم بناب العرب وحجرهم ولسنا من رجاله فأروه أنكم تزرعون ولا تزرعوا العام شيئًا حتى تنكسر مصر فتشكوه إلى عثمان فيعزله عنكم ونسأل من هو أضعف منه ونخلو بما نريد ونظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان أسرعهم إلى ذلك محمد بن أبي حذيفة وهو ابن خال معاوية وكان يتيمًا في حجر عثمان، فكبر وسأل عثمان الهجرة إلى بعض الأمصار فخرج إلى مصر وكان الذي دعاه إلى ذلك أنه سأل عثمان العمل فقال: لست هناك.

قال: ففعلوا ما أمرهم به ابن السوداء، ثم إنهم خرجوا ومن شاء الله منهم وشكوًا عمرًا واستعفوا منه وكلما نهنه عثمان عن عمرو قوما وسكتهم انبعث آخرون بشيء آخر، وكلهم يطلب عبد الله بن سعد بن أبي سرح فقال لهم عثمان: أما عمرو فسننزعه عنكم ونقره على الحرب، ثم ولى ابن أبي سرح خراجهم وترك عمرا على الصلاة فمشى في ذلك سودان وكنانة بن بشر وخارجة فيما بين عبد الله ابن سعد وعمرو بن العاص، وأغروا بينهما حتى تكاتبًا على قدر ما أبلغوا كل واحد. وكتبًا إلى عثمان فكتب ابن أبي سرح: إن خراجي لا يستقيم ما دام عمرو على الصلاة. وخرجوا فصدقوه واستعفوا من عمرو وسألوا ابن أبي سرح فكتب عثمان إلى عمرو: إنه لا خير لك في صحبة من يكرهك فأقبل، ثم جمع مصر لابن أبي سرح.

وقد روي أنه كان بين عمار بن ياسر، وبين عباس بن عتبة بن أبي لهب كلام فضربهما عثمان.

وقال سيف عن مبشر وسهل بن يوسف، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: قدم عمار بن ياسر من مصر، وأبى شاك فبلغه فبعثني إليه أدعوه فقام معي وعليه عمامة وسخة وجبة فراء. فلما دخل على سعد قال له: ويحك يا أبا اليقظان، إن كنت فينا لمن أهل الخير فما الذي بلغني عنك من سعيك في فساد بين المسلمين والتأليب على أمير المؤمنين أمعك عقلك أم لا: فأهوى عمار على عمامته وغضب فنزعها وقال: خلعت عثمان كما خلعت عمامتي هذه فقال

سعد " إنا لله وإنا إليه راجعون " ويحك حين كبرت سنك ورق عظمك ونفد عمرك خلعت ربقة الإسلام من عنقك وخرجت من الدين عريانًا فقام عمار مغضبًا موليًّا وهو يقول: أعوذ بربي من فتنة سعد فقال سعد: ألا في الفتنة سقطوا اللهم زد عثمان بعفوه وحلمه عندك درجات حتى خرج عمار من الباب فأقبل على سعد يبكي حتى اخضل لحيته وقال: من يأمن الفتنة يا بني لا يخرجن منك ما سمعت منه فإنه من الأمانة، وإني أكره أن يتعلق به الناس عليه يتناولونه وقد قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**ألحق مع عمار ما لم تغلب عليه دلهة الكبر**) فقد دله وخرف.

وممن قام على عثمان محمد بن أبي بكر الصديق فسئل سالم بن عبد الله فيما قيل عن سبب خروج محمد قال: الغضب والطمع وكان من الإسلام بمكان وغره أقوام فطمع وكانت له دالة ولزمه حق فأخذه عثمان من ظهره.

وحج معاوية فقيل: إنه لما رأى لين عثمان واضطرب أمره قال: انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به، فإن أهل الشام على الطاعة فقال: أنا لا أبيع جوار رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بشيء، وإن كان فيه قطع خيط عنقي قال: فأبعث إليك جندًا قال: أنا أقتر على جيران رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الأرزاق بجند تساكنهم!.

قال: يا أمير المؤمنين، والله لتغتالن ولتغزين قال: " حسبي الله ونعم الوكيل ".

وقد كان أهل مصر بايعوا أشياعهم من أهل الكوفة والبصرة وجميع من أجابهم واتعدوا يومًا على شخص أمراؤهم فلم يستقم لهم ذلك لكن أهل الكوفة ثار فيهم يزيد بن قيس الأرحبي واجتمع عليه ناس، وعلى الحرب يومئذ القعقاع بن عمرو فأتاه وأحاط الناس بهم فناشدوهم، وقال يزيد للقعقاع: ما سبيلك علي وعلى هؤلاء فوالله إني لسامع مطيع، وإني لازم لجماعتي إلا أني أستعفي من إمارة سعيد ولم يظهروا سوى ذلك واستقبلوا سعيدًا فردوه من الجرعة واجتمع الناس على أبي موسى فأقره عثمان.

ولما رجع الأمراء لم يكن للسبائية سبيل إلى الخروج من الأمصار فكاتبوا أشياعهم أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون وأظهروا أنهم يأمرون بالمعروف وأنهم يسألون عثمان عن أشياء لتطير في الناس ولتحقق عليه فتوافوا بالمدينة، فأرسل عثمان رجلين من بني مخزوم ةمن بني زهرة فقال: انظرا ما يريدون؟ وكانا ممن ناله من عثمان أدب فاصطبرا للحق ولم يضطغنا فلما رأوهما أتوهما وأخبروهما فقالا: من معكم على هذا من أهل المدينة قالوا: ثلاثة قالا: فكيف تصنعون؟ قالوا: نريد أن نذكر له أشاء قد زرعناها في قلوب الناس، ثم نرجع إليهم ونزعم لهم أنا قررناه بها فلم يخرج منها ولم يتب، ثم نخرج كأننا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه فإن أبى قتلناه.

فرجعا إلى عثمان بالخبر فضحك وقال: اللهم سلم هؤلاء، فإنك إن لم تسلمهم شوا. فأما عمار فحمل علي عباس بن أبي لهب وعركه وأما محمد بن أبي بكر فإنه أعجب حتى رأى أن الحقوق لاتلزمه وأما ابن سارة، فإنه يتعرض للبلاء.

وأرسل إلى المصرين والكوفيين ونادى: الصلاة جامعة - وهم عنه في أصل المنبر - فأقبل أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فحمد الله وأثنى عليه وأخبرهم بالأمر وقام الرجلان فقال الناس: اقتل هؤلاء فإن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:**(من دعا إلى نفسه أو إلى أحد وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله فاقتلوه)**.

وقال عثمان: بل نعفو ونقبل ونبصرهم بجهدنا إن هؤلاء قالوا: أتم الصلاة في السفر وكانت لا تتم إلا وإني قدمت بلدا فيه أهلي فأتتمت لهذا.

قالوا: وحميت الحمى وإني والله ما حميت إلا حمى قبلي، وإني قد وليت وإني لأكثر العرب بعيرًا وشاء فمالي اليوم غير بعيرين لحجتي أكذلك قالوا: نعم.

قال: وقالوا: كان القرآن كتبًا فتركها إلا واحدًا ألا وإن القرآن واحد جاء من عند واحد وإنما أنا في ذلك تابع هؤلاء أكذلك قالوا: نعم.

وقالوا: إني رددت الحكم وقد سيره رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى

الطائف، ثم رده فرسول الله (صلي الله عليه وسلم) سيره وهو رده أفكذاك قالوا: نعم.

وقالوا: استعملت الأحداث. ولم أستعمل إلا مجتمعًا مرضيًّا وهؤلاء أهل عملي فسلوهم وقد ولى من قبلي أحدث منه وقيل: في ذلك لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) أشد مما قيل لي في استعماله: أسامة أكذلك؟ قالوا: نعم.

وقالوا: إني أعطيت ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه، وإني إنما نفلته خمس الخمس فكان مائة ألف وقد نفل مثل ذلك أبو بكر وعمر وزعم الجند أنهم يكرهون ذلك فرددته عليهم وليس ذلك لهم أكذلك قالوا: نعم.

وقالوا: إني أحب أهلي وأعطيهم فأما حبهم فلم يوجب جورا وأما إعطاؤهم فإنما أعطيهم من مالي. ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي ولا لأحد. وكان قد قسم ماله وأرضه في بني أمية وجعل ولده كبعض من يعطى.

قال: ورجع أولئك إلى بلادهم وعفا عنهم قال: فتكاتبوا وتواعدوا إلى شوال فلما كان شوال خرجوا كالحجاج حتى نزلوا بقرب المدينة فخرج أهل مصر في أربعمائة وأمراؤهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر الليثي وسودان ابن حمران السكوني وقتيرة السكوني ومقدمهم الغافقي بن حرب العكي ومعهم ابن السوداء.

وخرج أهل الكوفة في نحو عدد أهل مصر فيهم زيد بن صوجان العبدي والأشتر النخعي وزياد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم ومقدمهم عمرو بن الأصم.

وخرج أهل البصرة وفيهم حكيم بن جبلة، وذريح بن عباد العبديان، وبشر بن شريح القيسي، وأن محرش الحنفي وعليهم حرقوص بن زهير السعدي.

فأما أهل مصر فكانوا يشتهون عليًّا، وأما أهل البصرة فكانوا يشتهون الزبير وأما أهل الكوفة فكانوا يشتهون طلحة وخرجوا ولا تشك كل فرقة أن أمرها سيتم دون الأخرى حتى كانوا من المدينة على ثلاث فتقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خشب، وتقدم ناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص وجاءهم

أناس من أهل مصر ونزل عامتهم بذي المروة ومشى فيما بين أهل البصرة وأهل مصر زياد بن النضر، وعبد الله بن الأصم ليكشفوا خبر المدينة فدخلا فلقيا أزواج النبي (صلي الله عليه وسلم) وطلحة والزبير وعليا فقالا: إنما نؤم هذا البيت ونستعفي من بعض عمالنا واستأذنوهم للناس بالدخول فكلهم أبى ونهى. فرجعا فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا عليًّا ومن أهل البصرة نفر فأتوا الزبير ومن أهل الكوفة نفر فأتوا طلحة، وقال كل فريق منهم: إن باعنا صاحبنا وإلا كدناهم وفرقنا جماعتهم، ثم كررنا حتى نبغتهم.

فأتى المصريون عليًّا وهو في عسكر عند أحجار الزيت وقد سرح ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه فسلم على علي المصريون وعرضوا له فصاح بهم وطردهم وقال: لقد علم الصالحون أنكم ملعونون فارجعوا لا صحبكم الله فانصرفوا وفعل طلحة والزبير نحو ذلك.

فذهب القوم وأظهروا أنهم راجعون إلى بلادهم فذهب أهل المدينة إلى منازلهم فلما ذهب القوم إلى عساكرهم كروا بهم وبغتوا أهل المدينة ودخلوها وضجوا بالتكبير ونزلوا في مواضع عساكرهم وأحاطوا بعثمان وقالوا: من كف يده فهو آمن.

ولزم الناس بيوتهم فأتى علي - رضي الله عنه - فقال: ما ردكم بعد ذهابكم؟ قالوا: وجدنا مع بريد كتابًا بقتلنا وقال الكوفيون والبصريون: نحن نمنع إخواننا وننصرهم. فعلم الناس أن ذلك مكر منهم.

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم فسارو إليه على الصعب والذلول فبعث معاوية إلي حبيب بن مسلمة، وبعث ابن أبي سرح معاوية بن حديج وسار إليه من الكوفة القعقاع بن عمرو.

فلما كان يوم الجمعة صلى عثمان بالناس وخطب فقال: يا هؤلاء، الغزاة الله الله فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد (صلي الله عليه وسلم) فامحوا الخطأ بالصواب، فإن الله لا يمحو السيء إلا بالحسن فقام محمد بن مسلمة فقال: أنا أشهد بذلك فأقعده حكيم بن جبلة فقام زيد بن ثابت فقال: ابغني الكتاب فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي قتيرة فأقعده وتكلم

فأفظع وثار القوم بأجمعهم. فحصبوا الناس حتى أخرجوهم وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشيًّا عليه فاحتمل وأدخل الدار.

وكان المصريون لا يطمعون في أحد من أهل المدينة أن ينصرهم إلا ثلاثة، فإنهم كانوا يراسلونهم وهم: محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن جعفر، وعمار بن ياسر.

قال واستقل أناس: منهم زيد بن ثابت وأبو هريرة، وسعد بن مالك، والحسن بن علي ونهضوا لنصرة عثمان فبعث إليهم يعزم عليهم لما انصرفوا فانصرفوا وأقبل علي حتى دخل على عثمان هو وطلحة، والزبير يعودونه من صرعته ثم رجعوا منازلهم.

وقال ثمامة بن حزن القشيري: شهدت الدار وأشرف عليهم عثمان فقال: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم فدعيا له كأنهما جملان أو حماران فقال: أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قدم المدينة وليس فيها ماء عذب إلا بئر رومة فقال:(**من يشتريها فيكون دلوه كدلاء المسلمين وله في الجنة خير منها**) فاشتريتها وأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها حتى أشرب من الماء المالح قالوا: اللهم نعم قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**من يشتري بقعة بخير له منها في الجنة**) فاشتريتها وزدتها في المسجد وأنتم تمنعوني اليوم أن أصلي فيها قالوا: اللهم نعم قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كان على ثبير مكة فتحرك وعليه أبو بكر وعمر وأنا فقال:(**أسكن فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان؟**) قالوا: اللهم نعم فقال: الله أكبر شهدوا ورب الكعبة أني شهيد.

ورواه أبو سلمة بن عبد الرحمن بنحوه وزاد فيه أنه جهز جيش العسرة.

ثم قال: ولكن طال عليكم أمري فاستعجلتم وأردتم خلع سربال سربلنيه الله وإني لا أخلعه حتى أموت أو أقتل.

وعن ابن عمر قال: فأشرف عليهم وقال: علام تقتلونني فإن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:(**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد**

إسلام، أو رجل زنى بعد إحصان، أو رجل قتل نفسا) فوالله ما زنيت في جاهلية ولا في إسلام ولا قتلت رجلا ولا كفرت.

وحدث محمد بن عبد الملك بن مروان أن المغيرة ابن شعبة دخل على عثمان وهو محصور فقال: إنك إمام العامة وقد نزل بك ما نرى، وإني أعرض عليك خصالاً: إما أن تخرج تقاتلهم فإن معك عددا وقوة، وإما أن تخرق لك بابا سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتحلق بمكة، فإنهم لن يستحلوك وأنت بها وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية. فقال: إني لن أفارق دار هجرتي ولن أكون أول من خلف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في أمته بسفك الدماء.

وقال نافع عن ابن عمر: أصبح عثمان يحدث الناس قال: رأيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الليلة في المنام فقال:**(أفطر عندنا غدا)** فأصبح صائمًا وقتل من يومه.

وقال محمد بن سيرين: ما أعلم أحدا يتهم عليًّا في قتل عثمان وقتل وإن الدار غاصة فيهم ابن عمر والحسن بن علي، ولكن عثمان عزم عليهم أن لا يقاتلوا.

ومن وجه آخر. عن ابن سيرين قال: انطلق الحسن والحسين وابن عمر ومروان، وابن الزبير كلهم شاك السلاح حتى دخلوا على عثمان فقال: أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم، فقال ابن الزبير ومروان: نحن نعزم على أنفسنا أن لا نبرح وخرج الآخرون.

وقال ابن سيرين: كان مع عثمان يومئذ في الدار سبعمائة لو يدعهم لضربوهم حتى يخرجوهم من أقطارها.

وقال عبد الله بن الزبير: قلت لعثمان: قاتلهم فوالله لقد أحل الله لك قتالهم فقال: لا أقاتلهم أبدًا فدخلوا عليه وهو صائم. وقد كان عثمان أمر ابن الزبير على الدار وقال: أطيعوا عبد الله بن الزبير.

وقال ابن سيرين: جاء زيد بن ثابت في ثلاثمائة من الأنصار فدخل على عثمان فقال: هذه الأنصار بالباب. فقال: أما القتال فلا.

وقال أبو صالح عن أبي هريرة قال: دخلت على عثمان يوم الدار فقلت: طاب الضرب فقال: أيسرك أن يقتل الناس جميعا وأنا معهم قلت: لا قال فإنك إن قتلت رجلا واحدًا، فكأنما قتلت الناس جميعًا فانصرفت ولم أقاتل.

وعن أبي عون مولى المسور قال: ما زال المصريون كافيين عن القتال حتى قدمت أمداد العراق من عند ابن عامر، وأمداد ابن أبي سرح من مصر فقالوا: نعاجله قبل أن تقدم الأمداد.

وعن مسلم أبي سعيد قال: أعتق عثمان عشرين مملوكا، ثم دعا بسراويل فشدها عليه.

ولم يلبسها في جاهلية ولا في إسلام وقال إني رأيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) البارحة وأبا بكر وعمر فقال:**(اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة)** ثم نشر المصحف بين يديه فقتل وهو بين يديه.

وقال ابن عون عن الحسن: أنبأني وثاب مولى عثمان قال: جاء رويجل كأنه ذئب فاطلع من باب، ثم رجع فجاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلاً فدخل حتى انتهى إلى عثمان، فأخذ بلحيته فقال بها حتى سمعت وقع أضراسه فقال: ما أغنى عنك معاوية ما أغنى عنك ابن عامر ما أغنت عنك كتبك؟ فقال: أرسل لحيتي يا ابن أخي قال: فأنا رأيته استعدى رجلاً من القوم عليه يعينه، فقام إلى عثمان بمشقص حتى وجأ به في رأسه، ثم تعاوروا عليه حتى قتلوه.

وعن ريطة مولاة أسامة قالت: كنت في الدار إذ دخلوا فجاء محمد فأخذ بلحية عثمان فهزها فقال: يا بن أخي، دع لحيتي لتجذب ما يعز على أبيك أن يؤذيها. فرأيته كأنه استحى فقام فجعل بطرف ثوبه هكذا: إلا ارجعوا. قالت: وجاء رجل من خلف عثمان بسعفة رطبة فضرب بها جبهته فرأيت الدم يسيل وهو يمسحه ويقول: " اللهم لا يطلب بدمي غيرك " وجاء آخر فضربه بالسيف على صدره فأقعصه وتعاوروه بأسيافهم فرأيتهم ينتهبون بيته.

وقال مجالد عن الشعبي قال: جاء رجل من تجيب من المصريين والناس حول عثمان فاستل سيفه، ثم قال: افرجوا ففرجوا له فوضع ذباب سيفه في بطن

عثمان فأمسكت نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان بالسيف لتمنع عنه فحز السيف أصابعها وقيل: الذي قتله رجل يقال له: حمار.

وقال الواقدي: تسور محمد بن أبي بكر من دار عمرو بن حزم على عثمان، ومعه كنانة بن بشر وسودان، وعمرو بن الحمق فوجدوه عند نائلة يقرأ في المصحف فتقدمهم محمد فأخذ بلحيته وقال: يا نعثل، قد أخزاك الله فقال: لست بنعثل ولكنني عبد الله وأمير المؤمنين فقال محمد: ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان قال: يا بن أخي، دع لحيتي فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت فقال: ما يراد بك أشد من قبضتي وطعن جنبه بمشقص ورفع كنانة مشاقص فوجأ بها في أذن عثمان فمضت حتى دخلت في حلقه، ثم علاه بالسيف قال عبد الرحمن بن عبد العزيز: فسمعت ابن أبي عون يقول: ضرب كنانة بن بشر جبينه بعمود حديد وضربه سودان المرادي فقتله ووثب عليه عمرو بن الحمق وبه رمق وطعنه تسع طعنات وقال: ثلاث لله وست لما في نفسي عليه.

وعن المغيرة قال: حصروه اثنين وعشرين يومًا، ثم أحرقوا الباب فخرج من في الدار.

وقال أبو نضرة عن أبي سعيد قال: ضربوه فجرى الدم على المصحف على:{فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ} [البقرة: ١٣٧].

وبلغ عليًّا وطلحة والزبير الخبر فخرجوا - وقد ذهبت عقولهم - ودخلوا فرأوه مذبوحًا وقال علي: كيف قتل وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن، وضرب صدر الحسين، وشتم ابن الزبير، وابن طلحة، وخرج غضبان إلى منزله فجاء الناس يهرعون إليه ليبايعوه قال: ليس ذاك إليكم إنما ذاك إلى أهل بدر فمن رضوه فهو خليفة، فلم يبق أحد من البدريين إلا أتى عليًّا فكان أول من بايعه طلحة بلسانه وسعد بيده، ثم خرج إلى المسجد فصعد المنبر فكان أول من صعد طلحة فبايعه بيده، ثم بايعه الزبير وسعد والصحابة جميعًا، ثم نزل فدعا الناس وطلب مروان فهرب منه هو وأقاربه.

وخرجت عائشة باكية تقول: قتل عثمان وجاء علي إلى امرأة عثمان فقال: من قتله قالت: لا أدري وأخبرته بما صنع محمد بن أبي بكر. فسأله علي فقال:

تكذب وقد والله دخلت دخلت عليه، وأنا أريد قتله فذكر لي أبي فقمت وأنا تائب إلى الله والله ما قتلته ولا أمسكته فقالت: صدق، ولكنه أدخل الذين قتلاه.

* * *

سنة ست وثلاثين

خلافة علي رضي الله عنه

لما قتل عثمان صبرًا سقط في أيدي أصحاب النبي (صلي الله عليه وسلم) وبايعوا عليًّا، ثم إن طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأم المؤمنين عائشة، ومن تبعهم رأوا أنهم لا يخلصهم مما وقعوا فيه من توانيهم في نصرة عثمان إلا أن يقوموا في الطلب دمه والأخذ بثأره من قتلته فساروا من المدينة بغير مشورة من أمير المؤمنين علي وطلبوا البصرة.

قال خليفة: قدم طلحة والزبير، وعائشة البصرة، وبها عثمان بن حنيف الأنصاري واليًّا لعلي فخاف وخرج منها، ثم سار علي من المدينة بعد أن استعمل عليها سهل بن حنيف أخا عثمان، وبعث ابنه الحسن، وعمار بن ياسر إلى الكوفة بين يديه يستنفران الناس، ثم إنه وصل إلىالبصرة وهو أحد الرؤوس الذين خرجوا على عثمان كما سلف فالتقى هو وجيش طلحة والزبير فقتل الله حكيمًا في طائفة من قومه وقتل مقدم جيش الآخرين أيضًا مجاشع بن مسعود السلمي.

ثم اصطلحت الفئتان وكفوا عن القتال على أن يكون لعثمان بن حنيف دار الإمارة والصلاة، وأن ينزل طلحة والزبير حيث شاءا من البصرة حتى يقدم علي - رضي الله عنه.

وقال عمار لأهل الكوفة: أما والله إني لأعلم أنها - يعني: عائشة - زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها لينظر أتتبعونه أو إياها.

قال سعد بن إبراهيم الزهري: حدثني رجل من أسلم قال: كنا مع علي أربعة آلاف من أهل المدينة.

وقال سعيد بن جبير: كان مع علي يوم وقعة الجمل ثمانمائة من الأنصار وأربعمائة ممن شهدوا بيعة الرضوان.

* * *

سنة سبع وثلاثين

وقعة صفين

لما قتل عثمان كتبت نائلة زوجته إلى الشام إلى معاوية كتابًا تصف فيه كيف دخل على عثمان وقتل وبعثت إليه بقميصه بالدماء فقرأ معاوية الكتاب على أهل الشام وطيف بالقميص في أجناد الشام، وحرضهم على الطلب بدمه، فبايعوا معاوية على الطلب بدمه.

ولما بويع علي بالخلافة قال له ابن الحسن وابن عباس: اكتب إلى معاوية فأقره على الشام وأطمعه، فإنه سيطمع ويكفيك نفسه وناحيته، فإذا بايع لك الناس أقررته أو عزلته قال: فإنه لا يرضى حتى أعطيه عهد الله تعالى وميثاقه أن لا أعزله قالا: لا تعطه ذلك. وبلغ ذلك معاوية فقال: والله لا ألي له شيئًا ولا أبايعه وأظهر بالشام أن الزبير بن العوام قادم عليهم، وأنه مبايع له فلما بلغه أمر الجمل أمسك فلما بلغه قتل الزبير ترحم عليه وقال: لو قدم علينا فبايعناه وكان أهلاً.

فلما انصرف علي من البصرة أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية فكلم معاوية وعظم أمر علي ومبايعته واجتماع الناس عليه، فأبى أن يبايعه وجرى بينه وبين جرير كلام كثير فانصرف جرير إلى علي فأخبره فأجمع على المسير إلى الشام وبعث معاوية أبا مسلم الخولاني إلى علي بأشياء يطلبها منه منها أن يدفع إليه قتلة عثمان فأبى علي وجرت بينهما رسائل.

ثم سار كل منهما يريد الآخر فالتقوا بصفين لسبع بقين من المحرم وشبت الحرب بينهم في أول صفر فاقتتلوا أيامًا.

عن ابن عباس قال: استعملني عثمان على الحج فأقمت للناس الحج، ثم قدمت وقد قتل وبويع لعلي فقال: سر إلى الشام فقد وليتكها قلت: ما هذا برأي معاوية ابن عم عثمان، وعامله على الشام، ولست آمن أن يضرب عنقي بعثمان وأدنى ما هو صانع أن يحبسني قال علي: ولم قلت: لقرابتي منك وأن كل من حمل عليك حمل علي، ولكن اكتب إلى معاوية فمنه وعده. فأبى علي وقال:

والله لا كان هذا أبدًا.

روى أبو عبيدة القاسم بن سلام عمن حدثه عن أبي سنان العجلي قال: قال ابن عباس لعلي: ابعثني إلى معاوية فوالله لأفتلن له حبلاً لا ينقطع وسطه قال: لست من مكرك ومكره في شيء ولا أعطيه إلا السيف حتى يغلب الحق الباطل فقال ابن عباس: أو غير هذا قال: كيف قال: لأنه يطاع ولا يعصى وأنت عن قليل تعصى ولا تطاع قال: فلما جعل أهل العراق يختلفون على علي - رضي الله عنه - قال: لله در ابن عباس إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق.

وقال مجالد عن الشعبي قال: لما قتل عثمان أرسلت أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أهل عثمان: أرسلوا إلي بثياب عثمان التي قتل فيها فبعثوا إليها بقميصه مضرجًا بالدم وبخصلة الشعر التي نتفت من لحيته، ثم دعت النعمان بن بشير فبعثته إلى معاوية فمضى بذلك وبكتابها فصعد معاوية المنبر وجمع الناس ونشر القميص عليهم وذكر ما صنع بعثمان ودعا إلى الطلب بدمه.

فقام أهل الشام فقالوا: هو ابن عمك وأنت وليه ونحن الطالبون معك بدمه وبايعوا له، وقال يونس عن الزهري قال: لما بلغ معاوية قتل طلحة والزبير وظهور علي دعا أهل الشام للقتال معه على الشورى والطلب بدم عثمان فبايعوه على ذلك أميرًا غير خليفة عن الشعبي - أو أبي جعفر الباقر شك خلاد - قال: لما ظهر أمر معاوية دعا علي - رضي الله عنه - رجلاً وأمره أن يسير إلى دمشق فيعتقل راحلته على باب المسجد ويدخل بهيئة السفر ففعل الرجل وكان قد وصاه بما يقول فسألوه: من أين جئت؟ قال: من العراق: قالوا: ما وراءك؟ قال: تركت عليًّا قد حشد إليكم ونهد في أهل العراق.

فبلغ معاوية فأرسل أبا الأعور السلمي يحقق أمره فأتاه فسأله فأخبره بالأمر الذي شاع فنودي: الصلاة جامعة وامتلأ الناس في المسجد فصعد معاوية المنبر وتشهد ثم قال: إن عليًّا قد نهد إليكم في أهل العراق فما الرأي فضرب الناس بأذقانهم على صدورهم ولم يرفع إليه أحد طرفة، فقام ذو الكلاع الحميري فقال: عليك الرأي وعلينا أم فعال - يعني: الفعال - فنزل معاوية ونودي في الناس: اخرجوا إلى معسكركم ومن تخلف بعد ثلاث أحل بنفسه.

فخرج رسول علي حتى وافاه فأخبره بذلك فأمر علي فنودي: الصلاة جامعة فاجتمع الناس، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أن رسولي الذي أرسلته إلى الشام قد قدم علي وأخبرني أن معاوية قد نهد إليكم في أهل الشام فما الرأي قال: فأضب أهل المجسد يقولون: يا أمير المؤمنين، الرأي كذا الرأي كذا فلم يفهم على كلامهم من كثرة من تكلم وكثر اللغط فنزل وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون وذهب بها ابن آكلة الأكباد يعني: معاوية.

وقال الأعمش: حدثني من رأى عليًّا يوم صفين يصفق بيديه ويعض عليهما ويقول: واعجبا أعصى ويطاع معاوية.

وقال الواقدي اقتتلوا أياما حتى قتل خلق وضجروا فرفع أهل الشام المصاحف وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه، وكان ذلك مكيدة من عمرو بن العاص يعني: لما رأى ظهور جيش علي. فاصطلحوا كما يأتي.

وكان علي في خمسين ألفا وقيل: في تسعين ألفًا وقيل: كانوا مائة ألف.

وكان معاوية في سبعين ألفًا وكان لواؤه مع عبد الرحمن بن خالد بن خالد بن الوليد المخزومي، وعلى ميمنته عمرو بن العاص، وقيل: ابنه الأشتر عبيد الله بن عمرو وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة الفهري، وعلى الخيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب ومن أمرائه يومئذ أبو الأعور السلمي، وزفر بن الحارث، وذو الكلاع الحميري، ومسلمة بن مخلد، وبسر بن أرطاة العامري، وحابس بن سعد الطائي، ويزيد بن هبيرة السكوني وغيرهم.

قال عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال: رأيت عمار بن ياسر بصفين ورأى راية معاوية فقال: إن هذه قاتلت بها مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أربع مرات، ثم قاتل حتى قتل.

وقال غيره: برز الأشعث بن قيس في ألفين فبرز لهم أبو الأعور في خمسة آلاف فاقتتلوا: ثم غلب الأشعث على الماء وأزالهم عنه.

ثم التقوا يوم الأربعاء سابع صفر، ثم يوم الخميس والجمعة وليلة السبت، ثم رفع أهل الشام لما رأوا الكسرة المصاحف بإشارة عمرو ودعوا إلى الصلح

والتحكيم فأجاب علي إلى تحكيم الحكمين فاختلف عليه حينئذ جيشه وقالت طائفة: لا حكم إلا لله. وخرجوا عليه فهم الخوارج.

وقال خليفة: شهد مع علي من البدريين: عمار بن ياسر، وسهل بن حنيف، وخوات بن جبير، وأبو سعد الساعدي، وأبو اليسر ورفاعة بن رافع الأنصاري، وأبو أيوب الأنصاري بخلف فيه قال: وشهد معه من الصحابة ممن لم يشهد بدرًا: خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وقيس بن سعد بن عبادة، وأبو قتادة وسهل بن سعد الساعدي، وقرظة بن كعب وجابر بن عبد الله، وابن عباس والحسن والحسين،

وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأبو مسعود عقبة بن عمرو، وأبو عياش الزرقي، وعدي بن حاتم والأشعث بن قيس، وسليمان بن صرد، وجندب بن عبد الله، وجارية بن قدامة السعدي.

وعن ابن سيرين قال: قتل يوم صفين سبعون ألفًا يعدون بالقصب.

وقال خليفة وغيره: افترقوا عن ستين ألف قتيل وقيل عن سبعين ألفًا منهم خمسة وأربعون ألفًا من أهل الشام.

وشهد صفين مع معاوية من الصحابة: عمرو بن العاص السهمي وابنه عبد الله، وفضالة بن عبيد الأنصاري، ومسلمة بن مخلد، والنعمان بن بشير، ومعاوية بن حديج الكندي، وأبو غادية الجهني قاتل عمار، وحبيب ابن مسلمة الفهري، وأبو الأعور السلمي، وبسر بن أرطأة العامري.

* * *

تحكيم الحكمين

حكم معاوية عمرا وحكم علي أبا موسى على أن من ولياه الخلافة فهو الخليفة ومن اتفقنا على خلعه خلع. وتواعدا أن يأتيا في رمضان وأن يأتي مع كل واحد جمع من وجوه العرب.

فلما كان الموعد سار هذا من الشام وسار هذا من العراق إلى أن التقى

الطائفتان بدومة الجندل وهي طرف من الشام من جهة زاوية الجنوب والشرق.

فعن عمر بن الحكم قال: قال ابن عباس لأبي موسى الأشعري: احذر عمرًا، فإنما يريد أن يقدمك ويقول: أنت صاحب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأسن مني فتكلم حتى أتكلم وإنما يريد أن يقدمك في الكلام لتخلع عليا. قال: فاجتمعا على إمرة فأدار عمرو أبا موسى وذكر له معاوية فأبى وقال أبو موسى: بل عبد الله بن عمر فقال عمرو: أخبرني عن رأيك؟ فقال أبو موسى: أرى أن نخلع هذين الرجلين ونجعل هذا الأمر شورى بين المسلمين فيختاروا لأنفسهم من أحبوا.

قال عمرو: الرأي ما رأيت؟ قال: فأقبلا على الناس وهم مجتمعون بدومة الجندل فقال عمرو: يا أبا موسى، أعلمهم أن رأينا قد اجتمع فقال: نعم إن رأينا قد اجتمع على أمر نرجو أن يصلح الله به أمر الأمة فقال عمرو: صدق وبر ونعم الناظر للإسلام وأهله. فتكلم يا أبا موسى، فأتاه ابن عباس فخلا به فقال: أنت في خدعة ألم أقل لك لا تبدأه وتعقبه فإني أخشى أن يكون أعطاك أمرا خاليًّا ثم ينزع عنه على ملأ من الناس فقال: لا تخشى ذلك فقد اجتمعنا واصطلحنا.

ثم قام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر شيئًا هو أصلح لأمرنا ولا ألم لشعثها من أن لا نغير أمرها ولا بعضه حتى يكون ذلك عن رضا منها وتشاور وقد اجتمعت أنا وصاحبي على أمر واحد: على خلع علي ومعاوية وتستقبل الأمة هذا الأمر فيكون شورى بينهم يولون من أحبوا، وإني قد خلعت عليًّا ومعاوية فولوا أمركم من رأيتم، ثم تأخر.

وأقبل عمرو فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه وإني خلعت صاحبه وأثبت صاحبي معاوية، فإنه ولي عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه فقال سعد بن أبي وقاص: ويحك يا أبا موسى، ما أضعفك عن عمرو ومكايده فقال: ما أصنع به جامعني على أمر، ثم نزع عنه فقال ابن عباس: لا ذنب لك الذنب للذي قدمك فقال: رحمك الله غدر بي فما

أصنع: وقال أبو موسى: يا عمرو، إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فقال عمرو: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارًا. فقال ابن عمر: إلى ما صير أمر هذه الأمة! إلى رجل لا يبالي ما صنع وآخر ضعيف.

ثم بايع أهل الشام معاوية بالخلافة في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين. كذا قال: وقال خليفة وغيره إنهم بايعوه في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وهو أشبه لأن ذلك كان إثر رجوع عمرو بن العاص من التحكيم.

وقال محمد بن الضحاك الحزامي عن أبيه قال: قام علي على منبر الكوفة فقال: حين اختلف الحكمان: لقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فعصيتموني فقام إليه شاب آدم فقال: إنك والله ما نهيتنا، ولكن أمرتنا ودمرتنا فلما كان منها ما تكره برأت نفسك ونحلتنا ذنبك. فقال علي: ما أنت وهذا الكلام قبحك الله! والله لقد كانت الجماعة فكنت فيها خاملاً فلما ظهرت الفتنة نجمت فيها نجوم الماغرة، ثم قال: لله منزل نزله سعد بن مالك، وعبد الله بن عمر والله لئن كان ذنبًا إنه لصغير مغفور وإن كان حسنًا إنه لعظيم مشكور، قلت: ما أحسنها لولا أنها منقطعة السند.

* * *

سنة ثمان وثلاثين

فيها وجه معاوية من الشام عبد الله بن الحضرمي في جيش إلى البصرة ليأخذها وبها زياد ابن أبيه من جهة علي فنزل ابن الحضرمي في بني تميم وتحول زياد إلى الأزد فنزل على صبرة بن شيمان الحداني.

وكتب إلى علي فوجه علي أعين بن ضبيعة المجاشعي فقتل أعين غيلة على فراشه، فندب علي جارية بن قدامة السعدي فحاصر ابن الحضرمي في الدار التي هو فيها ثم حرقها عليه.

* * *

ثورة الخوارج

وفي شعبان ثارت الخوارج وخرجوا على علي وأنكروا عليه كونه حكم الحكمين وقالوا: حكمت في دين الله الرجال والله يقول: " إن الحكم إلا لله " فناظرهم، ثم أرسل إليهم عبد الله بن عباس فبين لهم فساد شبهتهم وفسر لهم واحتج بقوله تعالى:{يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ} [المائدة: ٩٥]، وبقوله:{فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ} [النساء: ٣٥]، فرجع إلى الصواب منهم خلق وسار الآخرون فلقوا عبد الله بن خباب بن الأرت ومعه امرأته فقالوا: من أنت فانتسب لهم فسألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فأثنى عليهم كلهم فذبحوه وقتلوا امرأته وكانت حبلى فبقروا بطنها، وكان من سادات أبناء الصحابة.

* * *

وقعة النهروان

وفيها سارت الخوارج لحرب علي فكانت بينهم وقعة النهروان، وكان على الخوارج عبد الله بن وهب السبائي؛ فهزمهم علي وقتل أكثرهم وقتل ابن وهب. وقتل من أصحاب علي اثنا عشر رجلاً.

وقيل: في تسميتهم الحرورية؛ لأنهم خرجوا على علي من الكوفة وعسكروا بقرية قريبة من الكوفة يقال لها: حروراء واستحل علي قتلهم لما فعلوا بابن خباب وزوجته.

* * *

سنة تسع وثلاثين

فيها كانت وقعة الخوارج بحروراء بالنخيلة قاتلهم علي فكسرهم وقتل رؤوسهم وسجد شكرا لله تعالى لما أتي بالمخدج إليه مقتولاً، وكان رؤوس الخوارج زيد بن حصن الطائي وشريح بن أوفى العبسي، وكانا على المجنبتين وكان رأسهم عبد الله بن وهب السبأي، وكان على رجالتهم حرقوص بن زهير.

* * *

سنة أربعين

قال ابن سعد: قالوا انتدب ثلاثة من الخوارج وهم: عبد الرحمن ابن ملجم المرادي، والبرك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكر التميمي فاجتمعوا بمكة فتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ويريحوا العباد منهم.

فقال ابن ملجم: أنا لعلي وقال البرك: أنا لمعاوية وقال الآخر: أنا أكفيكم عمرًا فتواثقوا أن لا ينكصوا واتعدوا بينهم أن يقع ذلك ليلة سبع عشرة من رمضان ثم توجه كل رجل منهم إلى بلد بها صاحبة فقدم ابن ملجم الكوفة فاجتمع بأصحابه من الخوارج فأسر إليهم وكان يزورهم ويزورونه.

فرأى قطام بنت شجنة من بني تيم الرباب وكان علي قتل أباها وأخاها يوم النهروان فأعجبته فقالت: لا أتزوجك حتى تعطيني ثلاثة آلاف درهم وتقتل عليًّا فقال: لك ذلك ولقي شبيب بن بجرة الأشجعي فأعلمه ودعاه إلى أن يكون معه فأجابه وبقي ابن ملجم في الليلة التي عزم فيها على قتل علي يناجي الأشعث بن قيس في مسجده حتى طلع الفجر فقال له الأشعث: فضحك الصبح فقام وشبيب فأخذا أسيافهما، ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدة التي يخرج منها علي فذكر مقتل علي - رضي الله عنه - فلما قتل أخذوا عبد الرحمن بن ملجم وعذبوه فقتلوه.

* * *

حوادث سنة واحد وأربعين

ويسمى عام الجماعة لاجتماع الأمة فيه على خليفة واحد وهو معاوية.

قال خليفة: اجتمع الحسن بن علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان بمسكن، وهي من أرض السواد من ناحية الأنبار فاصطلحا وسلم الحسن الأمر إلى معاوية، وذلك في ربيع الآخر أو جمادى الأولى واجتمع الناس على معاوية فدخل الكوفة.

وقال عبد الله بن شوذب: سار الحسن في أهل العراق يطلب الشام وأقبل في أهل الشام فالتقوا فكره الحسن القتال، وبايع معاوية على أن جعل العهد من بعده

للحسن فكان أصحاب الحسن يقولون له: يا عار المؤمنين، فيقول: العار خير من النار.

وقال جرير بن حازم: بايع أهل الكوفة الحسن بعد أبيه وأحبوه أكثر من أبيه.

وعن عوانة بن الحكم قال: سار الحسن حتى نزل المدائن وبعث قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفًا فبينا الحسن بالمدائن؛ إذ نادى مناد ألا إن قيسا قد قتل فاختبط الناس وانتهب الغوغاء سرادق الحسن حتى نازعوه بساطًا تحته وطعنه رجل من الخوارج من بني أسد بخنجر فوثب الناس على الرجل فقتلوه لا - رحمه الله - ونزل الحسن القصر الأبيض بالمدائن، وكاتب معاوية في الصلح.

وروي أنه إنما خلع نفسه لهذا وهو أنه قام فيهم فقال: ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا زيغ لكن كنتم في منتدبكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، فأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم.

وقال أبو روق: لما رد الحسن إلى الكوفة وبايع معاوية قال له رجل منا يقال له أبو عامر: السلام عليك يا مذل المؤمنين! فقال: لست بمذل المؤمنين، ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك.

وكان الحسن - رضي الله عنه - سيدًا لا يرى القتال وقد قال جده رسول الله (صلي الله عليه وسلم):(**إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**).

وقال هلال بن خباب: قال الحسن بن علي: يا أهل الكوفة، لو لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث لذهلت: لقتلكم أبي وطعنكم في فخذي وانتهابكم ثقلي.

* * *

حوادث سنة اثنتين وأربعين

وفيها وجه عبد الله بن عامر على إمرة سجستان عبد الرحمن بن سمرة،

وهو من بني عمه وكان معه في تلك الغزوة من الشباب الحسن البصري والمهلب بن أبي صفرة وقطري بن الفجاءة فافتتح زرنج وبعض كور الأهواز. وفيها وجه ابن عامر راشد بن عمرو إلى ثغر الهند فشن الغارات وتوغل في بلاد السند.

* * *

حوادث سنة ثلاث وأربعين

وفيها فتح عبد الرحمن بن سمرة الرخج وغيرها من بلاد سجستان، وفيها افتتح عقبة بن نافع الفهري كورا من بلاد السودان وودان وهي من برقة، وفيها شتى بسر بن أرطأة بأرض الروم مرابطًا.

* * *

حوادث سنة أربع وأربعين

وفيها غزا المهلب بن أبي صفرة أرض الهند وسار إلى قندابيل وكسر العدو وسلم وغنم وهي أول غزواته، وكان من سبي كابل فيما ذكر خليفة: مكحول ونافع مولى ابن عمر وكيسان والد أيوب السختياني وسالم الأفطس، وفيها استلحق معاوية زياد بن أبيه.

* * *

حوادث سنة خمس وأربعين

وفيها عزل معاوية: عبد الله بن عامر عن البصرة واستعمل عليها الحارث بن عمرو الأزدي ثم عزل عن قريب وولى عليها زياد، وفيها غزا معاوية بن حديج أفريقية، وفيها سار عبد الله بن سوار العبدي فافتتح القيقان وغنم وسلم.

* * *

حوادث سنة ست وأربعين

وفيها جمع كابل شاه وزحف إلى المسلمين فنزح المسلمون عن كابل، ثم لقيهم الربيع بن زياد فهزمهم الله وسار وراءهم المسلمون إلى الرخج، وفيها

شتى المسلمون بأرض الروم، والله أعلم.

* * *

حوادث سنة سبع وأربعين

فيها غزا عبد الله بن سوار العبدي القيقان فجمع له الترك والتقوا فاستشهد عبد الله وسار ذلك الجيش وغلب المشركون على القيقان، وفيها سار رويفع بن ثابت الأنصاري من أطرابلس المغرب فدخل أفريقية، ثم انصرف من سنته.

* * *

حوادث سنة ثمان وأربعين

فيها عزل معاوية مروان عن المدينة وولاها سعيد بن العاص الأموي وكتب معاوية إلى زياد لما بلغه قتل عبد الله بن سوار: انظر رجلا يصلح لثغر الهند فوجهه إليه قال: فوجه زياد سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي، وفيها قتل بالهند عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي.

* * *

حوادث سنة تسع وأربعين

فيها توفي الحسن بن علي - رضي الله عنهما - وأبو بكرة الثقفي في قول، وعبد الله بن قيس القيني له صحبة.

وفيها شتى مالك بن هبيرة بأرض الروم وقيل: بل شتاها فضالة بن عبيد الأنصاري، وأقام الحج سعيد بن العاص.

* * *

حوادث سنة خمسين

وفيها أنفذ معاوية عقبة بن نافع إلى أفريقية فخط القيروان، وأقام بها ثلاث

سنين.

عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: لما افتتح عقبة أفريقية ووقف على مكان القيروان قال: يا أهل الوادي، إنا حالون إن شاء الله فأظعنوا - ثلاث مرات قال: فما رأينا حجرًا ولا شجرًا إلا يخرج من تحته دابة حتى هبطن بطن الوادي، ثم قال للناس: إنزلوا باسم الله.

وفيها وجه زياد: الربيع، الحارثي إلى خراسان فغزا بلخ وكانت قد أغلقت بعد رواح الأحنف بن قيس عنها فصالحوا الربيع ثم غزا الربيع قهستان ففتحها عنوة.

وفيها فتح معاوية بن حديج فتحا بالمغرب، وكان قد جاءه عبد الملك بن مروان في مدد أهل المدينة وهذه أول غزاة لعبد الملك.

وفيها غزوة القسطنطينية كان أمير الجيش إليها يزيد بن معاوية، وكان معه وجوه الناس وممن كان معه أبو أيوب الأنصاري - رضي الله عنه.

وفيها غزا سنان بن سلمة بن المحبق القيقان، فجاءه جيش عظيم من العدو فقال سنان لأصحابه: أبشروا فإنكم بين خصلتين: الجنة أو الغنيمة ففتح الله عليه ونصره وما أصيب من المسلمين إلا رجل واحد.

* * *

حوادث سنة إحدى وخمسين

توفي فيها: زيد بن ثابت في قول، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وجرير بن عبد الله البجلي - بخلف - وعثمان بن أبي العاص الثقفي.

وأبو أيوب الأنصاري وكعب بن عجرة - في قول - وميمونة أم المؤمنين.

وعمرو بن الحمق في قول، ورافع بن عمر الغفاري ويقال سنة ثلاث وله خمس وسبعون سنة.

عن محمد بن زياد. قال: قدم زياد المدينة فخطبهم وقال: يا معشر أهل المدينة، إن أمير المؤمنين حسن نظره لكم، وإنه جعل لكم مفزعًا تفزعون إليه

يزيد ابنه. فقام عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: يا معشر بني أمية اختاروا منها بين ثلاثة بين سنة رسول الله، أو سنة أبي بكر أو سنة عمر إن هذا الأمر قد كان وفي أهل بيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من لو ولاه ذلك لكان لذلك أهلاً، ثم كان أبو بكر فكان في أهل بيته من لو ولاه لكان لذلك أهلاً، فولاها عمر، فكان بعده وقد كان في أهل بيت عمر من لو ولاه ذلك لكان له أهلا فجعلها في نفر من المسلمين، ألا وإنما أردتم أن تجعلوها قيصرية كلما مات قيصر كان قيصر فغضب مروان بن الحكم، وقال لعبد الرحمن: هذا الذي أنزل الله فيه:{ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ } [الأحقاف: ١٧]، فقالت عائشة: كذبت إنما أنزل ذلك في فلان وأشهد أن الله لعن أباك على لسان نبيه (صلي الله عليه وسلم) وأنت في صلبه.

عن ذكوان مولى عائشة قال: لما أجمع معاوية على أن يبايع لابنه حج فقدم مكة في نحو من ألف رجل فلما دنا من المدينة خرج ابن عمر، وابن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر فلما قدم معاوية المدينة حمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر ابنه يزيد فقال: من أحق بهذا الأمر منه؟! ثم ارتحل فقدم مكة فقضى طوافه ودخل منزله فبعث إلى ابن عمر فتشهد وقال: أما بعد يا بن عمر، إنك كنت تحدثني أنك لا تحب تبيت ليلة سوداء ليس عليك فيها أمير، وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين أو تسعى في فساد ذات بينهم. فحمد ابن عمر الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنك قد كانت قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك بخير من أبنائهم فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار وإنك تحذرني أن أشق عصا المسلمين ولم أكن لأفعل إنما أنا رجل من المسلمين، فإذا اجتمعوا على أمر فإنما أنا رجل منهم. فقال: يرحمك الله فخرج ابن عمر.

ثم أرسل إلى ابن أبي بكر فتشهد ثم أخذ في الكلام فقطع عليه كلامه وقال: إنك والله لوددت أنا وكلناك في أمر ابنك إلى الله وإنا والله لانفعل والله لتردن هذا الأمر شورى في المسلمين، أو لنعيدنها عليك جذعة ثم وثب ومضى فقال

معاوية: اللهم اكفنيه بما شئت ثم قال: على رسلك أيها الرجل لا تشرفن على أهل الشام فإني أخاف أن يسبقوني بنفسك حتى أخبر العشية أنك قد بايعت، ثم كن بعد على ما بدا لك من أمرك.

ثم أرسل إلى ابن الزبير فقال: يا بن الزبير إنما أنت ثعلب رواغ كلما خرج من جحر دخل آخر وإنك عمدت إلى هذين الرجلين فنفخت في مناخرهما وحملتهما على غير رأيهما. فقال ابن الزبير: إن كنت قد مللت الإمارة فاعتزلها وهلم ابنك فلنبايعه أرأيت إذا بايعنا ابنك معك لأيكما تسمع ونطيع! لا نجمع البيعة لكما أبدا، ثم خرج وصعد معاوية المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار زعموا أن ابن عمر، وابن أبي بكر، وابن الزبير لن يبايعوا يزيد وقد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له فقال أهل الشام: والله لا نرضى حتى يبايعوا على رؤوس الأشهاد وإلا ضربنا أعناقهم فقال: سبحان الله ما أسرع الناس إلى قريش بالشر! لا أسمع هذه المقالة من أحد منكم بعد اليوم ثم نزل فقال الناس: بايع ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر وهم يقولون: لا والله ما بايعنا. فيقول الناس: بلى وارتحل معاوية فلحق بالشام.

وعن نافع قال: خطب معاوية فذكر ابن عمر فقال: والله ليبايعن أو لأقتلنه فخرج إليه ابنه عبد الله فأخبره فبكى ابن عمر! فقدم معاوية مكة فنزل بذي طوى فخرج إليه عبد الله بن صفوان فقال: أنت الذي تزعم أنك تقتل عبد الله بن عمر إن لم يبايع ابنك فقال: أنا أقتل ابن عمر! والله لا أقتله.

* * *

حوادث سنة اثنتين وخمسين

وفيها صالح عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي رتبيل وبلاده على ألف ألف درهم وأقام الحج سعيد بن العاص.

وفيها أو في حدودها قال: جرير بن حازم، عن جرير بن يزيد قال: خرج قريب وزحاف في سبعين رجلاً في رمضان، فأتوا بني ضبيعة وهم في مسجدهم بالبصرة فقتلوا رؤبة بن المخبل.

قال جرير بن حازم: فحدثني الزبير بن الخريت عن أبي لبيد: أن رؤبة قال

في العشية التي قتل فيها لرجل في كلام: إن كنت صادقًا فرزقني الله الشهادة قبل أن أرجع إلى بيتي.

قال جرير: عن قطن بن الأزرق عن رجل منهم قال: ما شعرنا وإنا لقيام في المسجد حتى أخذوا بأبواب المسجد، ومالوا في الناس فقتلوهم فوثب القوم إلى الجدر وصعد رجل المنارة فجعل ينادي: يا خيل الله اركبي، قال: فصعدوا فقتلوه ثم مضوا إلى مسجد المعاول فقتلوا من فيه فحدثني جرير بن يزيد أنهم انتهوا إلى رحبة بني علي فخرج عليهم بنو علي، وكانوا رماة فرموهم بالنبل حتى صرعوهم أجمعين.

* * *

حوادث سنة ثلاث وخمسين

وفيها بعد موت زياد استعمل معاوية على الكوفة الضحاك بن قيس الفهري وعلى البصرة سمرة بن جندب، وعزل عبيد الله بن أبي بكرة عن سجستان وولاها عباد بن زياد فغزا ابن زياد القندهار حتى بلغ بيت الذهب فجمع له الهند جمعًا هائلاً فقاتلهم فهزمهم، ولم يزل على سجستان حتى توفي معاوية، وفيها شتى عبد الرحمن بن أم الحكم بأرض الروم.

* * *

حوادث سنة أربع وخمسين

وفيها غزا عبيد الله بن زياد فقطع النهر إلى بخارى، وافتتح راميثن ونصف بيكند فقطع النهر على الإبل فكان أول عربي قطع النهر.

وفيها وجه الضحاك بن قيس من الكوفة مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى طبرستان، فصالح أهلها على خمسمائة ألف درهم، وفيها عزل معاوية عن البصرة سمرة بعبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي.

وحج بالناس مروان. وفيها توفيت سودة أم المؤمنين في قول، وقد مرت في

خلافة عمر.

* * *

حوادث سنة خمس وخمسين

وفيها عزل عن البصرة عبيد الله الثقفي ووليها عبيد الله بن زياد، وفيها غزا يزيد بن شجرة الرهاوي فقتل، وقيل: لم يقتل إنما قتل في سنة ثمان وخمسين.

* * *

حوادث سنة ست وخمسين

وقد مر أن معاوية ولى على البصرة عبيد الله بن زياد فعزله في هذه السنة عن خراسان، وأمّر عليها سعيد بن عثمان بن عفان، فغزا سعيد ومعه المهلب بن أبي صفرة الأزدي، وطلحة الطلحات، وأوس بن ثعلبة سمرقند، وخرج إليه الصغد فقاتلوه، فألجأهم إلى مدينتهم فصالحوه وأعطوه رهائن، وفيها شتى المسلمون بأرض الروم. وفيها اعتمر معاوية في رجب، وفيها توفيت الكلابية التي تزوجها النبي (صلي الله عليه وسلم)، فاستعاذت منه ففارقها أرخها الواقدي.

* * *

حوادث سنة سبع وخمسين

فيها توفيت أم المؤمنين عائشة أو في سنة ثمان، وفيها وجه معاوية حسان بن النعمان الغساني إلى أفريقية فصالحه من يليه من البربر، وضرب عليهم الخراج وبقي عليها حتى توفي معاوية.

وفيها عزل معاوية مروان عن المدينة، وأمّر عليها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وعزل عن خراسان سعيد بن عثمان، وأعاد عليها عبيد الله بن زياد، وشتى عبد الله بن قيس بأرض الروم.

* * *

حوادث سنة ثمان وخمسين

وفيها غزا عقبة بن نافع من قبل مسلمة بن مخلد، فاختط مدينة القيروان وابتناها وصلى أبو هريرة على عائشة، وكان مروان غائبًا في العمرة، وفيها حج بالناس الوليد بن عتبة.

* * *

حوادث سنة تسع وخمسين

وفيها غزا أبو المهاجر دينار فنزل على قرطاجنة فالتقوا فكثر القتل في الفريقين وحجز الليل بينهم وانحاز المسلمون من ليلتهم فنزلوا جبلاً في قبلة تونس ثم عاودوهم القتال فصالحوهم على أن يخلو لهم الجزيرة، وافتتح أبو المهاجر ميلة، وكانت إقامته في هذه الغزاة نحوا من سنتين، وفيها شتى عمرو بن مر بأرض الروم في البر، وأقام الحج للناس الوليد بن عتبة.

* * *

حوادث سنة ستين

فيها توفي: معاوية بن أبي سفيان.

* * *

حوادث سنة واحد وستين

مقتل الحسين

لما أخذ البيعة معاوية لابنه يزيد كان الحسين ممن لم يبايع، وكان أهل الكوفة يكتبون إلى الحسين يدعونه إلى الخروج إليهم زمن معاوية، وهو يأبى فقدم منهم قوم إلى محمد ابن الحنفية وطلبوا إليه أن يخرج معهم فأبى وجاء الحسين، فأخبره بما عرضوا عليه وقال: إن القوم إنما يريدون أن يأكلونا ويشيطوا دماءنا فأقام الحسين على ما هو عليه مهمومًا يجمع الإقامة مرة ويريد أن يسير إليهم مرة، فجاءه أبو سعيد الخدري فقال: يا أبا عبد الله، إني لك ناصح ومشفق وقد بلغني أن قومًا من شيعتكم كاتبوك فلا تخرج، فإني سمعت أباك

بالكوفة يقول: والله إني لقد مللتهم وأبغضوني وملوني، وما بلوت منهم وفاء ومن فاز بهم، فإنما فاز بالسهم الأخيب والله ما لهم ثبات ولا عزم ولا صبر على السيف قال: وقدم المسيب بن نجبة الفزاري وعدة معه إلى الحسين بعد وفاة الحسن فدعوه إلى خلع معاوية وقالوا: قد علمنا رأيك ورأي أخيك فقال: إني لأرجو أن يعطي الله أخي على نيته وأن يعطيني على نيتي في حبي جهاد الظالمين.

ولما احتضر معاوية أرسل إلى يزيد فأوصاه وقال: انظر حسين بن فاطمة، فإنه أحب الناس إلى الناس فصل رحمه وارفق به، فإن يك منه شيء فإني أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه.

ولما بويع يزيد كتب إلى الوليد بن عتبة أمير المدينة: أن أدع الناس إلى البيعة وابدأ بوجوه قريش وليكن أول من تبدأ به الحسين وارفق به فبعث الوليد في الليل إلى الحسين، وابن الزبير وأخبرهما بوفاة معاوية ودعاهما إلى البيعة فقالا: نصبح وننظر فيما يصنع الناس ووثبا فخرجا وأغلظ الوليد للحسين فشتمه الحسين وأخذ بعمامته فنزعها فقال الوليد: إن هجنا بأبي عبد الله إلا أسدًا فقيل للوليد: اقتله قال: إن ذلك لدم مصون.

وخرج الحسين وابن الزبير لوقتهما إلى مكة ونزل الحسين بمكة دار العباس. ولزم عبد الله الحجر فلبس المغافر، وجعل يحرض على بني أمية وكان يتردد إلى الحسين ويشير عليه أن يقدم العراق ويقول له: هم شيعتكم وكان ابن عباس يقول له: لا تفعل.

وقال له عبد الله بن مطيع: فداك أبي وأمي متعنا بنفسك، ولا تسر إلى العراق فوالله لئن قتلك هؤلاء القوم ليتخذنا خولاً أو عبيدًا.

وقد لقي عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس بن أبي ربيعة بالأبواء منصرفين من العمرة فقال لهما ابن عمر: أذكركما الله إلا رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس وننظر، فإن أجمع على يزيد الناس لم تشذا، وإن افترقوا عليه كان الذي تريدان.

وقال ابن عمر للحسين: لا تخرج فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة، وإنك بضعة منه ولا تنالها - يعني: الدنيا - فاعتنقه وبكى وودعه فكان ابن عمر يقول: غلبنا حسين بالخروج ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له أن لا يتحرك ما عاش.

وقال له ابن عباس: أين تريد يا ابن فاطمة قال: العراق وشيعتي قال: إني لكاره لوجهك هذا تخرج إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطة وملهم أذكرك الله أن تغرر بنفسك.

وبعث الحسين إلى أهل المدينة فسار إليه من خف معه من بني عبد المطلب وهم تسعة عشر رجلاً ونساء وصبيان وتبعهم محمد بن الحنفية فأدرك أخاه الحسين بمكة وأعلمه أن الخروج ليس له برأي يومه هذا، فأبى الحسين عليه فحبس محمد ولده فوجد عليه الحسين وقال: ترغب بولدك عن موضع أصاب فيه!

وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتب يدعونه إليهم فخرج من مكة متوجها إلى العراق في عشر ذي الحجة، فكتب مروان إلى عبيد الله بن زياد أمير الكوفة: أما بعد، فإن الحسين قد توجه إليك وتالله ما أحد أحب إلينا سلمة من الحسين فإياك أن تفتح على الحسين ما لا يسده شيء، وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص: أما بعد توجه إليك الحسين وفي مثلها تعتق، أو تسترق كما تسترق العبيد.

وقال أبو معشر: إن الحسين - رضي الله عنه - قال حين نزلوا كربلاء: ما اسم هذه الأرض قالوا: كربلاء قال: كرب وبلاء فبعث عبيد الله عمر بن سعد فقابلهم، فقال الحسين: يا عمر، اختر مني إحدى ثلاث: إما أن تتركني أن أرجع، أو أن تسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده فيحكم في ما أرى، فإن أبيت فسيرني إلى الترك فأقاتلهم حتى أموت. فأرسل عمر إلى ابن زياد بذلك فهم أن يسيره إلى يزيد فقال له: شمر بن جوشن - كذا قال والأصح شمر بن ذي الجوشن -: لا أيها الأمير، إلا أن ينزل على حكمك فأرسل إليه بذلك فقال الحسين: والله لا أفعل. وأبطأ عمر فأرسل إليه ابن زياد شمر المذكور فقال: إن

تقدم عمر وقاتل وإلا فاقتله وكن مكانه وكان مع عمر ثلاثون رجلاً من أهل الكوفة قالوا: يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ثلاث خصال فلا تقبلون منها شيئًا! وتحولوا مع الحسين فقاتلوا.

وقال عباد بن العوام عن حصين عن سعد بن عبيدة قال: رأيت الحسين وعليه جبة برود ورماه رجل يقال له: عمرو بن خالد الطهوي بسهم فنظرت إلى السهم معلقا بجنبه.

وقال ابن عيينة عن أبي موسى عن الحسن قال: قتل مع الحسين - رضي الله عنه - ستة عشر رجلاً من أهل بيته.

وعن غير واحد قالوا: قاتل يومئذ الحسين وكان بطلاً شجاعًا إلى أن أصابه سهم في حنكه فسقط عن فرسه فنزل شمر وقيل: غيره فاحتز رأسه فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وعن مغيرة قال: قالت مرجانة لابنها عبيد الله: يا خبيث، قتلت ابن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لا ترى الجنة أبدًا.

عن الواقدي والمديني عن رجالهما أن محفز بن ثعلبة العائذي عائذة قريش قدم برأس الحسين على يزيد فقال: أتيتك يا أمير المؤمنين، برأس أحمق الناس وألأمهم قال يزيد: ما ولدت أم محفز أحمق وألأم لكن الرجل لم يقرأ كتاب الله: {تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ} [آل عمران: ٢٦]، الآية.

ثم بعث يزيد برأس الحسين على عامله على المدينة فقال: وددت أنه لم يبعث به إلي، ثم أمر به فدفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة - رضي الله عنها.

وقال غير واحد: قتل مع الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وقد كان في آخر سنة ستين قتله ابن زياد صبرًا، وكان الحسين قد قدمه إلى الكوفة ليخبر من بها من شيعته بقدومه فنزل على هانيء بن عروة المرادي فأحس به عبيد الله بن زياد فقتل مسلمًا وهانئًا.

وممن قتل مع الحسين يوم عاشوراء إخوته بنو أبيه: جعفر وعتيق، ومحمد، والعباس الأكبر بنو علي وابنه الأكبر علي - وهو غير علي زين العابدين -

وابنه عبد الله بن الحسين، وابن أخيه القاسم بن الحسين، ومحمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأخوه عون وعبد الله، وعبد الرحمن ابنا مسلم بن عقيل - رضي الله عنهم.

وفيها: ظنا وتخمينا قدم على ابن الزبير وهو بمكة المختار بن أبي عبيد الثقفي من الطائف، وكان قد طرد إلى الطائف، وكان قوي النفس شديد البأس يظهر المناصحة والدهاء، وكان يختلف إلى محمد بن الحنفية فيسمعون منه كلاما ينكرونه فلما مات يزيد استأذن ابن الزبير في المضي إلى العراق، فأذن له وركن إليه وكتب إلى عامله على العراق عبد الله بن مطيع يوصيه به، فكان يختلف إلى ابن مطيع ثم أخذ يعيب في الباطن ابن الزبير ويثني على ابن الحنفية، ويدعو إليه ويحرض أهل الكوفة على ابن مطيع ويكذب، وينافق فراج أمره واستغوى طائفة وصار له شيعة إلى أن خافه ابن مطيع وهرب منه - كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

حوادث سنة اثنتين وستين

وفيها غزا سلم بن أحور خوارزم فصالحوه على مال، ثم عبر إلى سمرقند فنازلها فصالحوه أيضًا.

وفيها نقض أهل كابل وأخذوا أبا عبيدة بن زياد بن أبي سفيان بن حرب أسيرًا فسار أخوه يزيد في جيش فهجم عليهم فقاتلوه فقتل يزيد وقتل معه زيد بن جدعان التيمي والد علي بن زيد وصلة بن أشيم العدوي وولداه وعمرو بن قثم وبديل بن نعيم العدوي وعثمان بن آدم العدوي في رجال من أهل الصدق.

* * *

حوادث سنة ثلاث وستين

وفيها بعث سلم بن زياد: ابن أبيه طلحة بن عبد الله الخزاعي واليًا على سجستان، فأمره أن يفدي أخاه من الأسر ففداه بخمسمائة ألف وأقدمه على أخيه وأقام طلحة بسجستان.

فيها غزا عقبة بن نافع من القيروان فسار حتى أتى السوس الأقصى وغنم وسلم ورد فلقيه كسيلة وكان نصرانيًّا فالتقيا فاستشهد في الوقعة عقبة بن نافع

وأبو المهاجر دينار مولى الأنصار وعامة أصحابهما، ثم سار كسيلة الكلب فسار لحربه زهير بن قيس البلوي خليفة عقبة على القيروان فقتل في الوقعة كسيلة وهزم جنوده وقتلت منهم مقتلة كبيرة.

* * *

قصة الحرة

قال جويرية بن أسماء: سمعت أشياخنا يقولون: وفد إلى يزيد عبد الله بن حنظلة بن الغسيل الأوسي المدني وله صحبة وفد في ثمانية بنين له فأعطاه يزيد مائة ألف، وأعطى لكل ابن عشرة آلاف سوى كسوتهم فلما رجع إلى المدينة قالوا: ما وراءك؟ قال: أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم قالوا: إنه قد أكرمك وأعطاك قال: نعم وما قبلت ذلك منه إلا لأتقوى به عليه ثم حض الناس فبايعوه.

وقال خليفة بن خياط: قال أبو اليقظان: دعوا إلى الرضا والشورى وأمروا على قريش عبد الله بن مطيع العدوي وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة وعلى قبائل المهاجرين معقل بن سنان الأشجعي، وأخرجوا من بالمدينة من بني أمية.

وقال غيره: خلعوا يزيد فأرسل إليهم جيشًا عليه مسلم بن عقبة وأرسل أهل المدينة إلى مياه الطريق فصبوا في كل ماء زق قطران وغوروه فأرسل الله السماء عليهم فما استقوا بدلو.

وجاء من غير وجه أن يزيد لما بلغه وثوب أهل المدينة بعامله وأهل بيته ونفيهم جهز لحربهم مسلم بن عقبة المري وهو شيخ وكانت به النوطة وجهز معه جيشًا كثيفا فكلم يزيد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في أهل المدينة، وكان عنده وقال: إنما تقتل بهم نفسك فقال: أجل أقتل بهم نفسي وأشقى ولك عندي واحدة آمر مسلما أن يتخذ المدينة طريقًا فإن هم لم ينصبوا له الحرب وتركوه يمضي إلى ابن الزبير فيقاتله وإن منعوه وحاربوه قاتلهم، فإن ظفر بهم قتل من أشرف له وأنهبها ثلاثا ثم يمضي إلى ابن الزبير، فكتب عبد الله بن جعفر إلى أهل المدينة أن لا تعرضوا لجيشه فورد مسلم بن عقبة فمنعوه ونصبوا له الحرب ونالوا من يزيد فأوقع بهم وأنهبها ثلاثًا وسار إلى الزبير،

فمات بالمشلل وعهد إلى حصين بن نمير في أول سنة أربع وستين.

عن زيد بن أسلم قال: دخل عبد الله بن مطيع ليالي الحرة على ابن عمر فقال ابن عمر: سمعت النبي (صلي الله عليه وسلم) يقول:(**من نزع يدا من طاعة لم يكن له حجة يوم القيامة، ومن مات مفارقًا للجماعة؛ فإنه يموت موتة جاهلية**).

وقال النعمان بن بشير ليزيد: وجهني أكفك قال: لا ليس لهم إلا هذا والله لا أقبلهم بعد إحساني إليهم وعفوي عنهم مرة بعد مرة فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين، في عشيرتك وأنصار رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وقال له عبد الله بن جعفر: أرأيت إن رجعوا إلى طاعتك أتقبل ذلك منهم؟ قال: إن فعلوا فلا سبيل عليهم يا مسلم إذا دخلت المدينة ولم تصد عنها وسمعوا وأطاعوا فلا تعرضن لأحد وامض إلى الملحد ابن الزبير، وإن صدوك عن المدينة فادعهم ثلاثة أيام، فإن لم يجيبوا فاستعن بالله وقاتلهم فستجدهم أول النهار مرضى وآخره صبرًا سيوفهم أبطحية فإذا ظهرت عليهم، فإن كان بنو أمية قد قتل منهم أحد فجرد السيف واقتل المقبل والمدبر وأجهز على الجريح وانهبها ثلاثا واستوص بعلي بن الحسين وشاور حصين بن نمير، وإن حدث بك حدث فوله الجيش.

وعن السائب بن خلاد أنه سمع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:(**من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين**) رواه مسلم.

وقال جويرية بن أسماء: سمعت أشياخنا من أهل المدينة يتحدثون قالوا: خرج أهل المدينة يوم الحرة بجموع كبيرة وهيئة لم ير مثلها فلما رآهم أهل الشام كرهوا قتالهم فأمر مسلم بن عقبة بسريره فوضع بين الصفين، ثم أمر مناديه: قاتلوا عني أو دعوا فشد الناس في قتالهم فسمعوا التكبير خلفهم من المدينة وأقحم عليهم بنو حارثة وهم على الحرة فانهزم الناس وعبد الله بن حنظلة متساند إلى بعض بنيه يغط نوما فنبهه ابنه فلما رأى ما جرى أمر أكبر بنيه فقاتل حتى قتل، ثم لم يزل يقدمهم واحدا بعد واحد حتى أتى على آخرهم ثم كسر جفر سيفه فقاتل حتى قتل.

وقال وهيب بن خالد: ثنا عمرو بن يحيى عن أبيه قال: قيل لعبد الله ابن زيد يوم الحرة: ها ذاك ابن حنظلة، يبايع الناس على الموت فقال: لا أبايع عليه أحدا بعد رسول الله (صلي الله عليه وسلم). إسناده صحيح.

عن عبادة بن تميم قال: لما وثب أهل الحرة وأخرجوا بني أمية عن المدينة واجتمعوا على عبد الله بن حنظلة وبايعهم على الموت قال: يا قوم، اتقوا الله فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخل ويدع الصلاة قال: فكان ابن حنظلة يبيت تلك الليالي في المسجد وما يزيد على أن يشرب يفطر على شربة سويق ويصوم الدهر وما رؤي رافعًا رأسه إلى السماء إخباتًا فلما قرب القوم خطب عبد الله بن حنظلة أصحابه وحرضهم على القتال، وأمرهم بالصدق في اللقاء وقال: اللهم إنا بك واثقون فصبح القوم المدينة فقاتل أهل المدينة قتالا شديدا حتى كثرهم أهل الشام ودخلت المدينة من النواحي كلها، وابن حنظلة يمشي بها في عصابة من الناس أصحابه فقال لمولى له: إحم لي ظهري حتى أصلي الظهر فلما صلى قال له مولاه: ما بقي أحد فعلام نقيم ولواؤه قائم ما حوله إلا خمسة فقال: ويحك! إنما خرجنا على أن نموت قال: وأهل المدينة كالنعام الشرود وأهل الشام يقتلون فيهم فلما هزم الناس طرح الدرع وقاتلهم حاسرًا حتى قتلوه فوقف عليه مروان وهو ماد إصبعه السبابة فقال: أما والله لئن نصبتها ميتا لطالما نصبتها حيًّا.

وقال مبارك بن فضالة عن أبي هارون العبدي قال: رأيت أبا سعيد الخدري ممعط اللحية فقلت تعبث بلحيتك!

فقال: لا هذا ما لقيت من ظلمة أهل الشام يوم الحرة دخلوا علي زمن الحرة فأخذوا ما في البيت، ثم دخلت علي طائفة فلم يجدوا في البيت شيئًا فأسفوا وقالوا: أضجعوا الشيخ فأضجعوني فجعل كل واحد منهم يأخذ من لحيتي خصلة، عن بعضهم قالوا: ودخلوا المدينة ونهبوا وأفسدوا واستحلوا الحرمة.

قال خليفة: فجميع من أصيب من قريش والأنصار يوم الحرة ثلاثمائة وستة رجال، ثم سرد أسماءهم في ست أوراق قال: وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذي الحجة.

* * *

البيعة لابن الزبير

وقال غيره: لما بلغ ابن الزبير موت يزيد بايعوه بالخلافة لما خطبهم ودعاهم إلى نفسه، وكان قبل ذلك إنما يدعوا إلى الشورى فبايعوه في رجب.

* * *

البيعة لمعاوية بن يزيد

ولما هلك يزيد بويع بعده ابنه معاوية بن يزيد فبقي في الخلافة أربعين يومًا وقيل: شهرين أو أكثر متمرضًا والضحاك بن قيس يصلي بالناس فلما احتضر قيل له: ألا تستخلف فأبى وقال: ما أصبت من حلاوتها فلم أتحمل مرارتها! وكان لم يغير أحدًا من عمال أبيه.

وكان شابا صالحا أبيض جميلاً وسيما عاش إحدى وعشرين سنة. وصلى عليه عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان فأرادت بنو أمية عثمان هذا على الخلافة، فامتنع ولحق بخاله عبد الله بن الزبير.

وقال حصين بن نمير لمروان بن الحكم عند موت معاوية: أقيموا أمركم قبل أن يدخل عليكم شامكم فتكون فتنة، فكان رأي مروان أن يرد إلى ابن الزبير فيبايعه فقدم عليه عبد الله بن زياد هاربًا من العراق وكان عندما بلغه موت يزيد خطب الناس ونعى إليهم يزيد وقال: اختاروا لأنفسكم أميرا فقالوا: نختارك حتى يستقيم أمر الناس فوضع الديون وبذل العطاء فخرج عليه سلمة الرياحي بناحية البصرة، فدعا إلى ابن الزبير فمال الناس إليه.

وقال سعيد بن يزيد الأزدي: قال عبيد الله لأهل لبصرة: اختاروا لأنفسكم قالوا: نختارك فبايعوه وقالوا: أخرج لنا إخواننا وكان قد ملأ السجون من الخوارج فقال: لا تفعلوا فإنهم يفسدون عليكم فأبوا عليه فأخرجهم فجعلوا يبايعونه فما تتام آخرهم حتى أغلظوا له ثم خرجوا في ناحية بني تميم.

وروى جرير بن حازم عن عمه أنهم خرجوا فجعلوا يمسحون أيديهم بجدر

باب الإمارة ويقولون: هذه بيعة ابن مرجانة واجترأ عليه الناس حتى نهبوا خيله من مربطه.

وقال غيره: فهرب بالليل فاستجار بمسعود بن عمرو رئيس الأزد فأجاره، ثم إن أهل البصرة بايعوا عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي به ورضوا به أميرًا عليهم، واجتمع الناس لتتمة البيعة فوثبت الحرورية على مسعود بن عمرو فقتلوه وهرب الناس، وتفاقم الشر وافترق الجيش فرقتين وكانوا نحوا من خمسين ألفًا واقتتلوا ثلاثة أيام فكان على الخوارج نافع بن الأزرق.

لما مات يزيد انتقض أهل الري فوجه إليهم عامر بن مسعود أمير الكوفة محمد بن عمير بن عطارد الدارمي، وكان إصبهبذ الري يومئذ الفرخان فانهزم الفرخان والمشركون.

وفيها ظهرت الخوارج الذين بمصر ودعوا إلى عبد الله بن الزبير وكانوا يظنونه على مذهبهم ولحق به خلق من مصر إلى الحجاز فبعث ابن الزبير على مصر: عبد الرحمن بن جحدم الفهري فوثبوا على سعيد الأزدي فاعتزلهم.

وأما الكوفيون، فإنهم بعد هروب ابن زياد اصطلحوا على عامر بن مسعود الجمحي فأقره ابن الزبير.

وفيها هدم ابن الزبير الكعبة لما احترقت وبناها على قواعد إبراهيم الخليل صلى الله عليه وعلى نبينا - الحديث المشهور - وهو في البخاري ومتنه أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:(**يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة ولأدخلت الحجر في البيت ولجعلت لها بابين بابًا يدخل الناس منه وبابًا يخرجون منه**) وقال:(**إن قريشًا قصرت بهم النفقة فتركوا من أساس إبراهيم الحجر واقتصروا على هذا**) وقال:(**إن قومك عملوا لها بابًا عاليًّا ليدخلوا من أرادوا أو يمنعوا من أرادوا**).

فبناه ابن الزبير كبيرا وألصق بابه بالأرض فلما قتل ابن الزبير وولي الحجاج على مكة أعاد البيت على ما كان في زمن النبي (صلي الله عليه وسلم) ونقض حائطه من جهة الحجر فصغره وأخرج منه الحجر وأخذ ما فضل من الحجارة فدكها في أرض البيت فعلاً بابه وسد الباب الغربي.

* * *

حوادث سنة خمس وستين

البيعة لمروان بن الحكم

ولما انقضت وقعة مرج راهط في أول السنة بايع أكثر أهل الشام لمروان فبقي تسعة أشهر ومات وعهد إلى ابنه عبد الملك.

وفيها دخل المهلب بن أبي صفرة الأزدي خراسان أميرًا عليها من جهة ابن الزبير فكلمه أميرها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي في قتال الأزارقة والخوارج وأشار بذلك الأحنف بن قيس وأمدوه بالجيوش فسار وحارب الأزارقة أصحاب ابن الأزرق وصابرهم على القتال حتى كسرهم، وقتل منهم أربع آلاف وثمانمائة.

وفيها سار مروان بجيوشه إلى مصر وقد كان كاتبه كريب بن أبرهة وعابس بن سعيد قاضي مصر فحاصر جيشه وإلى مصر لابن الزبير فخندق على البلد، وخرج أهل مصر وهو اليوم الذي يسمونه يوم التراويح لأن أهل مصر كانوا ينتابون القتال ويستريحون واستحر القتل في المعافر فقتل منهم خلق وقتل يومئذ عبد الله بن يزيد ابن معد يكرب الكلاعي أحد الأشراف، ثم صالحوا مروان فكتب لهم كتابًا بيده وتفرق الناس وأخذوا في دفن قتلاهم وفي البكاء، ثم تجهز إلى مصر عبد الرحمن بن جحدم وأسرع إلى ابن الزبير، وضرب مروان عنق ثمانين رجلاً تخلفوا عن مبايعته. وضرب عنق الأكيدر بن حمام اللخمي سيد لخم وشيخها في هذه الأيام وكان من قتلة عثمان - رضي الله عنه - وذلك في نصف جمادى الآخرة يوم مات عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - وما قدروا يخرجون بجنازة عبد الله فدفنوه بداره.

واستولى مروان على مصر وأقام بها شهرين، ثم استعمل عليها ابنه عبد العزيز وترك عنده أخاه بشر بن مروان وموسى بن نصير وزيرًا وأوصاه بالمبايعة في الإحسان إلى الأكابر ورجع إلى الشام.

وفيها دعا ابن الزبير إلى بيعته محمد بن الحنفية فأبى عليه فحصره في شعب بني هاشم في جماعة من بيته وشيعته وتوعدهم.

وفيها خرج بنو ماحوز بالأهواز وفارس، وتقدم عسكرهم فاعترضوا أهل المدائن فقتلوهم أجمعين، ثم ساروا إلى أصبهان وعليها عتاب بن ورقاء الرياحي فقتل ابن ماحوز وانهزم الخوارج الذين معه، ثم أمروا عليهم قطري بن الفجاءة.

وأما نجدة الحروري فإنه قدم في العام الماضي في جموعه من الحرورية على ابن الزبير، وقاتلوا معه فلما ذهب أهل الشام اجتمعوا بابن الزبير وسألوه: ما تقول في عثمان؟ فقال: تعالوا العشية حتى أجيبكم، ثم هيأ أصحابه بالسلاح فجاءت الخوارج فقال نافع بن الأزرق لأصحابه: قد خشي الرجل غائلتكم، ثم دنا منه فقال: يا هذا اتق الله! وابغض الجائر وعاد أول من سن الضلالة وخالف حكم الكتاب، وإن خالفت فأنت من الذين استمتعوا بخلافهم وأذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا ثم تكلم خطيب القوم عبيدة بن هلال فأبلغ، ثم تكلم ابن الزبير فقال في آخر مقالته: أنا ولي عثمان في الدنيا والآخرة قالوا: فبريء الله منك يا عدو الله، فقال: وبريء منكم يا أعداء الله، فتفرقوا على مثل هذا.

ورحلوا فأقبل نافع بن الأزرق الحنظلي، وعبد الله بن صفوان السعدي وعبد الله بن أباض، وحنظلة بن بيهس، وعبد الله، وعبيد الله، وابن الماحوز اليربوعي حتى قدموا البصرة وانطلق أبو طالوت وأبو فديك عبد الله بن ثور وعطية اليشكري فوثبوا باليمامة، ثم اجتمعوا بعد ذلك على نجدة بن عامر الحنفي الحروري.

ولما رجع مروان إلى دمشق إذا مصعب بن الزبير قد قدم في عسكر من الحجاز يطلب فلسطين، فسرح مروان لحربه عمرو بن سعيد الأشدق، فقاتله فانهزم أصحاب مصعب.

وورد أن مروان تزوج بأم خالد بن يزيد بن معاوية وجعله ولي عهده من بعده، ثم بعده عمرو بن سعيد ثم لم يتم ذلك.

وكانت الكعبة احترقت في العام الماضي من مجمر علقت النار في الأستار فأمر ابن الزبير في هذا العام بهدمها إلى الأساس، وأنشأها محكمة وأدخل من الحجر فيها سعة ستة أذرع لأجل الحديث الذي حدثته خالته أم المؤمنين عائشة،

ثم إنه لما نقضها ووصلوا إلى الأساس عاينوه آخذا بعضه ببعض كأسنمة البخت، وأن الستة أذرع من جملة الأساس فبنوا على ذلك ولله الحمد وألصقوا داخلها بالأرض لم يرفعوا داخلها وعملوا لها بابًا آخر في ظهرها، ثم سده الحجاج فذلك بين للناظرين، ثم قصر تلك الستة الأذرع فأخرجها من البيت ودك تلك الحجارة رفي أرض البيت حتى علا كما هو في زماننا زاده الله تعظيمًا.

* * *

حوادث سنة ست وستين

وفي أثناء السنة عزل ابن الزبير عن الكوفة أميرها وأرسل عليها عبد الله بن مطيع فخرج من السجن المختار، وقد التف عليه خلق من الشيعة وقويت بليته وضعف ابن مطيع معه، ثم إنه توثب بالكوفة فناوشه طائفة من أهل الكوفة القتال فقتل منهم رفاعة بن شداد، وعبد الله بن سعد ابن قيس، وغلب على الكوفة وهرب منه عبد الله بن مطيع إلى ابن الزبير، وجعل يتبع قتلة الحسين وقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص وشمر بن ذي الجوشن الضبابي، وجماعة وافترى على الله أنه يأتيه جبريل بالوحي فلهذا قيل له: المختار الكذاب كما قالوا: مسيلمة الكذاب. ولما قويت شوكته في هذا العام كتب إلى ابن الزبير يحط على عبد الله بن مطيع ويقول: رأيته مداهنا لبني أمية فلم يسعني أن أقره على ذلك وأنا على طاعتك فصدقه ابن الزبير، وكتب إليه بولاية الكوفة فكفاه جيش عبيد الله بن زياد وأخرج من عنده إبراهيم بن الأشتر، وقد جهزه للحرب ابن زياد في ذي الحجة وشيعه المختار إلى دير ابن أم الحكم واستقبل إبراهيم أصحاب المختار قد حملوا الكرسي الذي قال لهم المختار: هذا فيه سر وإنه آية لكم كما التابوت آية لبني إسرائيل قال: وهم يدعون حول الكرسي ويحفون به فغضب ابن الأشتر وقال: اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا سنة بني إسرائيل إذا عكفوا على العجل.

* * *

حوادث سنة سبع وستين

وفيها وجه المختار أربعة آلاف فارس عليهم أبو عبد الله الجدلي، وعقبة بن طارق فكلم الجدلي عبد الله بن الزبير في محمد بن الحنيفة وأخرجوه من الشعب ولم يقدر ابن الزبير على منعهم وأقاموا في خدمة محمد ثمانية أشهر حتى قتل المختار وسار محمد إلى الشام، فأما ابن الزبير، فإنه غضب على المختار وبعث لحربه أخاه مصعب بن الزبير وولاه جميع العراق فقدم محمد بن الأشعث بن قيس وشبث بن ربعي إلى البصرة يستنصران على المختار فسير المختار إلى البصرة أحمر ابن شميط، وأبا عمرة كيسان في جيش من الكوفة حتى نزلوا المدار فسار إليهم مصعب بأهل البصرة وعلى ميمنته وميسرته المهلب بن أبي صفرة الأسدي، وعمر بن عبيد الله التيمي فحمل عليهم المهلب فألجأهم إلى دجلة ورموا بخيولهم في الماء وانهزموا فاتبعوهم حتى أدخلوهم الكوفة وقتل أحمر بن شميط وكيسان، وقتل من عسكر مصعب: محمد بن الأشعث وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، ودخل أهل البصرة الكوفة فحصروا المختار في قصر الإمارة، فكان يخرج في رجاله فيقاتل ويعود إلى القصر حتى قتله طريف وطرف أخوان من بني حنيفة في رمضان وأتيا برأسه إلى مصعب فأعطاهما ثلاثين ألفا وقتل بين الطائفتين سبعمائة.

ويقال: كان المختار في عشرين ألفًا فقتل أكثرهم والله أعلم.

وقتل مصعب خلقا بدار الإمارة غدرا بعد أن أمنهم وقتل عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري امرأة المختار صبرا لأنها شهدت في المختار عبد صالح.

* * *

حوادث سنة ثمان وستين

وفيها عزل ابن الزبير أخاه مصعبًا عن العراق وأمّر عليها ولده حمزة بن عبد الله واستعمل على المدينة جابر بن الأسود الزهري، فأراد من سعيد ابن المسيب أن يبايع لابن الزبير فامتنع فضربه ستين سوطًا، كذا قال خليفة.

وفيها أعاد ابن الزبير أخاه مصعبا إلى إمرة العراق لضعف حمزة بن عبد الله عن الأمور وتخليطه فقدمها مصعب فتجهز وسار يريد الشام في جيش كبير وسار إلى حربه عبد الملك فسار كل منهما إلى آخر ولايته وهجم عليهما الشتاء

فرجعا.

* * *

حوادث سنة تسع وستين

فتح قرطاجة

وفيها عقد عبد العزيز بن مروان أمير مصر لحسان الغساني على غزو أفريقية فسار إليها في عدد كثير فافتتح قرطاجنة وأهلها؛ إذ ذاك روم عباد صليب.

وفيها قتل نجدة الحروري مال عليه أصحاب ابن الزبير وقيل: اختلف عليه أصحابه فقتلوه.

* * *

حوادث سنة سبعين

وفيها كان الوباء بمصر فهرب منه عبد العزيز بن مروان إلى الشرقية فنزل حلوان، واتخذها منزلاً واشتراها من القبط بعشرة آلاف دينار، وبنى بها دار الإمارة والجامع وأنزلها الجند والحرس.

وفيها سارت الروم واستجاشوا على أهل الشام وعجز عبد الملك بن مروان عنهم لاشتغاله بخصمه ابن الزبير، فصالح ملك الروم على أن يؤدي إليه في كل جمعة ألف دينار.

وفيها وفد مصعب بن الزبير من العراق إلى مكة على أخيه أمير المؤمنين عبد الله بأموال عظيمة وتحف وأشياء فاخرة.

* * *

حوادث سنة إحدى وسبعين

وفيها خرج عبد الله بن ثور أحد بني قيس بن ثعلبة بالبحرين فوجه مصعب بن الزبير إلى قتاله عبد الرحمن الإسكاف فالتقوا بجواثا فانهزم عبد الرحمن

والناس.وفيها أو في التي بعدها. قتل بخراسان أميرها أبو صالح عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت السلمي أحد الشجعان المذكورين والأبطال المعدودين.ويقال له: صحبة ورواية ثار به أهل خراسان وقتله وكيع بن الدورقية.وقيل: إن عبد الملك بن مروان كتب إلى ابن خازم كتابًا بولاية خراسان فمزق كتابه وسب رسوله فكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح: إن قتلت ابن خازم فأنت الأمير فعمل على قتله وتأمر بكير على البلاد حتى قدم أمية بن عبد الله.

وكان في خلافة عثمان - رضي الله عنه - قد جمع قارن بهراة وأقبل في أربعين ألفًا فهرب قيس بن الهيثم، وترك البلاد فقام بأمر المسلمين عبد الله بن خازم هذا وجمع أربعة آلاف ولقي قارنًا فهزم جنوده وقتل قارن وكتب إلى عبد الله بن عامر بالفتح فأقره ابن عامر أمير العراق على خراسان، قال الواقدي: فيها افتتح عبد الملك قيسارية.

* * *

حوادث سنة اثنتين وسبعين

وكان مصعب قد سار كعادته إلى الشام إلى قتال عبد الملك بن مروان، واستئصاله وسار إليه عبد الملك فجرت بينهما وقعة هائلة بدير الجاثليق ومسكن بالقرب من أوانًا وكان قد كاتب عبد الملك جماعة من الأشراف المائلين إلى بني أمية وغير المائلين يمنيهم، ويعدهم إمرة العراق وإمرة أصبهان وغير ذلك فأجابوه. وأما إبراهيم بن الأشتر فلم يجبه وأتى بكتابه مصعبًا وفيه إن بايعه ولاه العراق. وقال لمصعب: قد كتب إلى أصحابك بمثل كتابي فأطعني واضرب أعناقهم فقال: إذا لا تناصحنا عشائرهم قال: فأوقرهم حديدا واسجنهم بأبيض كسرى ووكل بهم من إن غلبت ضرب أعناقهم وإن نصرت مننت عليهم قال: يا أبا النعمان، إني لفي شغل عن ذلك يرحم الله أبا بحر - يعني: الأحنف - إن كان ليحذر غدر العراق.

وقال عبد القاهر بن السري: هم أهل العراق بالغدر بمصعب فقال قيس بن الهيثم: ويحكم لا تدخلوا أهل الشام عليكم فوالله لئن تطعموا بعيشكم ليصفين

عليكم منازلكم.

وكان إبراهيم أشار عليه بقتل زياد بن عمرو، ومالك بن مسمع فلما التقى الجمعان قلب القوم أترستهم ولحقوا بعبد الملك.

وقال الطبري: لما تدانى الجمعان حمل إبراهيم بتن الأشتر على محمد بن مروان فأزاله عن موضعه، ثم هرب عتاب بن ورقاء وكان على الخيل مع مصعب، وجعل مصعب كلما قال لمقدم من عسكره: تقدم لا يطيعه.

فذكر محمد بن سلام الجمحي قال: أخبر عبد الله بن خازم أمير خراسان بمسير مصعب إلى عبد الملك فقال: أمعه عمر بن عبيد الله التيمي قيل: لا استعمله على فارس. قال: فمعه المهلب بن أبي صفرة قالوا: لا استعمله على الموصل قال: فمعه عباد بن الجصين قيل: لا استعمله على البصرة. فقال ابن خازم: وأنا بخراسان.

قال الطبري: فقال مصعب لابنه عيسى: اركب بمن معك إلى عمك ابن الزبير، فأخبره بما صنع أهل العراق ودعني فإني مقتول. فقال: والله لا أخبر قريشًا عنك أبدا ولكن إلحق بالبصرة فهم على الجماعة والطاعة قال: لا تتحدث قريش أني فررت بما صنعت ربيعة من خذلانها ولكن: أقاتل فإن قتلت فما السيف بعار.

وقال إسماعيل بن أبي المهاجر: أرسل عبد الملك مع أخيه محمد بن مروان إلى مصعب: إني معطيك الأمان يا ابن العم فقال مصعب: إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالبًا أو مغلوبًا.

وقيل: إن مصعبا أبى الأمان وأنهم أثخنوه بالرمي، ثم شد عليه زائدة بن قدامة الثقفي فطعنه وقال: يا لثارات المختار، وكان ممن قاتل مع مصعب.

وقال عبد الله بن مصعب الزبيري، عن أبيه قال: لما تفرق عن مصعب جنده قيل له: لو اعتصمت ببعض القلاع وكاتبت من بعد عنك كالمهلب وفلان، فإذا اجتمع لك من ترضاه لقيت القوم فقد ضعفت جدًّا واختل أصحابك فلبس سلاحه، وخرج فيمن بقي معه وهو يتمثل بشعر طريف العنبري الذي كان يعد بألف فارس بخراسان:

علام أقول السيف يثقل عاتقي ::: إذا أنا لم أركب به المركب الصعبا
سأحميكم حتى أموت ومن يمت ::: كريما فلا لوما عليه ولا عتبا

وروى غسان بن مضر عن سعيد بن يزيد قال: قال ابن الأشتر لمصعب: إبعث إلى زياد بن عمرو ومالك بن مسمع ووجوه من وجوه أهل البصرة فاضرب أعناقهم، فإنهم قد أجمعوا على أن يغدروا بك فأبى فقال ابن الأشتر: فإني أخرج الآن في الخيل فإذا قتلت فأنت أعلم. قال: فخرج وقاتل حتى قتل.

وقال ابن سعد: إن مصعبًا قال يومًا وهو يسير لعروة بن المغيرة بن شعبة: أخبرني عن حسين بن علي - رضي الله عنهما - كيف صنع حين نزل به؟ فأنشأ يحدثه عن صبره وإبائه ما عرض عليه وكراهيته أن يدخل في طاعة عبيد الله حتى قتل قال: فضرب بسوطه على معرفة فرسه وقال:

وإن الألى بالطف من آل هاشم ::: تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

قال: فعرفت والله أنه لا يفر وأنه سيصبر حتى يقتل.

وقال: والتقيا بمسكن فقال عبد الملك: ويلكم ما أصبهان هذه؟! قيل. سرة العراق قال: قد والله كتب إلي أكثر من ثلاثين من أشراف العراق وكلهم يقول: إن خببت بمصعب فلي أصبهان.

قال ابن سعد: فكتب إلى كل منهم: أن نعم فلما التقوا قال مصعب لربيعة: تقدموا للقتال. فقالوا: هذه عذرة بين أيدينا فقال: ما تأتون أنتن من العذرة؟ يعني: تخلفكم عن القتال.

وقد كانت ربيعة قبل مجمعة على خذلانه فأظهرت ذلك فخذله الناس. ولم يتقدم أحد يقاتل دونه فلما رأى ذلك قال: المرء ميت فلأن يموت كريمًا أحسن به من أن يضرع إلى من قد وتره لا أستعين بربيعة أبدًا ولا بأحد من أهل العراق ما وجدنا لهم وفاء انطلق يا بني إلى عمك، فأخبره بما صنع أهل العراق ودعني. فإني مقتول فقال: والله لا أخبر نساء قريش بصرعتك أبدا قال: فإن أردت أن تقاتل فتقدم حتى أحتسبك، فقاتل حتى قتل وتقدم إبراهيم بن الأشتر فقاتل قتالاً شديدًا حتى أخذته الرماح فقتل ومصعب جالس على سرير فأقبل إليه

نفر ليقتلوه فقاتل أشد القتال حتى قتل واحتز ابن ظبيان رأسه.

وبايع أهل العراق لعبد الملك ودخلها واستخلف على الكوفة أخاه بشر بن مروان.

قيل: إن ابن الزبير لما بلغه مقتل أخيه مصعب قام فقال: الحمد لله الذي خلق الخلق، ثم ذكر مصرع أخيه فقال: ألا إن أهل العراق أهل الغدر والنفاق أسلموه وباعوه والله ما نموت على مضاجعنا، كما يموت بنو أبي العاص فما قتل منهم رجل في زحف ولا نموت إلا قعصا بالرماح وتحت ظلال السيوف.

* * *

حوادث سنة ثلاث وسبعين

عن هشام بن عروة عن أبيه بحديث طويل منه: وقاتل حصين بن نمير ابن الزبير أياما وأحرق فسطاطًا له نصبه عند البيت فطار الشرر إلى البيت واحترق يومئذ قرنًا الكبش الذي فدى به إسحاق إلى أن قال في الحديث: فخطب عبد الملك بن مروان وقال: من لابن الزبير فقال الحجاج: أنا يا أمير المؤمنين، فأسكته ثم أعاد قوله فقال: أنا فعقد له على جيش إلى مكة فنصب المنجنيق على أبي قبيس ورمى به على ابن الزبير وعلى من معه في المسجد وجعل ابن الزبير على الحجر الأسود بيضة يعني: خوذة ترد عنه فقيل لابن الزبير: ألا تكلمهم في الصلح؟ فقال: أوحين صلح هذا والله لو وجدوكم في جوف الكعبة لذبحوكم جميعا ثم قال:

ولست بمبتاع الحياة بسبه ::: ولا مرتق من خشية الموت سلما

أنافس سهما إنه غير بارح ::: ملاقي المنايا أي صرف تيمما

قال: وكان على ظهر المسجد طائفة من أعوان ابن الزبير يرمون عدوه بالآجر، وحمل ابن الزبير فأصابته آجرة في مفرقه فلقت رأسه.

وقال الواقدي: لما قتل عبد الملك مصعبًا بعث الحجاج إلى ابن الزبير في ألفين فنزل الطائف وبقي يبعث البعوث إلى عرفة ويبعث ابن الزبير بعثًا، فتهزم خيل ابن الزبير ويرد أصحاب الحجاج إلى الطائف، فكتب الحجاج إلى عبد الملك في دخول الحرم ومحاصرة ابن الزبير وأن يمده بجيش فأجابه وكتب إلى طارق

بن عمرو فقدم على الحجاج في خمسة آلاف فحج الحجاج بالناس سنة اثنتين يعني: ثم صدر الحجاج بن يوسف وطارق ولم يطوفا بالبيت ولا قربا النساء حتى قتل ابن الزبير فطافا.

وحصر ابن الزبير من ليلة هلال ذي القعدة ستة أشهر وسبع عشرة ليلة.

وقدم على ابن الزبير حبشان من أرض الحبشة فجعلوا يرمون، فلا يقع لهم مزراق إلا في إنسان فقتلوا خلقًا.

وكان معه أيضًا من خوارج أهل مصر فقاتلوا قتالاً شديدًا ثم ذكروا عثمان فتبرءوا منه فبلغ ابن الزبير فناكرهم فانصرفوا عنه. وألح عليه الحجاج بالمنجنيق وبالقتال من كل وجه وحبس عنهم الميرة، فجاعوا وكانوا يشربون من زمزم فتعصمهم وجعلت الحجارة تقع في الكعبة.

قال شرحبيل: سمعت ابن الزبير يقول لأصحابه: انظروا كيف تضربون بسيوفكم؟ وليصن الرجل سيفه كما يصون وجهه، فإنه قبيح بالرجل أن يخطيء مضرب سيفه فكنت أرمقه إذا ضرب فما يخطيء مضربًا واحدًا شبرًا من ذباب السيف أو نحوه وهو يقول: خذها وأنا ابن الحواري.

فلما كان يوم الثلاثاء قام بين الركن والمقام فقاتلهم أشد القتال وجعل الحجاج يصيح بأصحابه: يا أهل الشام يا أهل الشام، الله الله في الطاعة فيشدون الشدة الواحدة حتى يقال: قد اشتملوا معليه فيشد عليهم حتى يفرجهم ويبلغ بهم باب بني شيبة، ثم يكر ويكرون عليه وليس معه أعوان فعل ذلك مرارًا حتى جاءه حجر عائر من ورائه، فأصابه في قفاه فوقذه فارتعش ساعة ثم وقع لوجهه ثم انتهض فلم يقدر على القيام وابتدره الناس وشد عليه رجل من أهل الشام فضرب الرجل فقطع رجليه وهو متكيء على مرفقه الأيسر وجعل يضربه وما يقدر أن ينهض حتى كثروه فصاحت امرأة من الدار: وا أمير المؤمنيناه قال: وابتدروه فقتلوه - رحمه الله.

عن محمد بن سليمان قال: دخل ابن الزبير على أمه وقال: يا أمه خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبق معي إلا من ليس عنده دفع أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟ قالت: أنت أعلم إن كنت

تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له، فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن قتل معك. فقبل رأسها وقال: هذا رأيي الذي قمت به ما ركنت إلى الدنيا وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله فانظري، فإني مقتول فلا يشتد حزنك وسلمي لأمر الله في كلام طويل بينهما.

وقال: وجعل الزبير يحمل فيهم كأنه أسد في أجمة ما يقدم عليه أحد ويقول: لو كان قرني واحدًا لكفيته.

وبات ليلة الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى وقد أخذ عليه الحجاج بالأبواب فبات يصلي عامة الليل، ثم احتبى بحمائل سيفه فأغفى، ثم انتبه بالفجر فصلى الصبح فقرأ: ن والقلم حرفًا حرفًا ثم قام فحمد الله وأثنى عليه وأوصى بالثبات.

ثم حمل حتى بلغ الحجون فأصيب بآجرة في وجهه شجته فقال:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ::: ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ثم تكاثروا عليه فقتلوه وبعث برأسه ورأسي عبد الله بن صفوان، وعمارة بن عمرو بن حزم إلى الشام بعد أن نصبوا بالمدينة.

واستوسق الأمر لعبد الملك بن مروان واستعمل على الحرمين الحجاج بن يوسف فنقض الكعبة التي من بناء ابن الزبير، وكانت تشعثت من المنجنيق وانفلق الحجر الأسود من المنجنيق فشعبوه وبناها الحجاج على بناء قريش، ولم ينقضها إلا من جهة الميزاب وسد الباب الذي أحدثه ابن الزبير وهو ظاهر المكان.

* * *

حوادث سنة أربع وسبعين

وفيها سار الحجاج من مكة بعدما بنى البيت الحرام إلى المدينة، فأقام بها ثلاثة أشهر يتعنت أهلها وبنى بها مسجدًا في بني سلمة فهو ينسب إليه، واستخف فيها ببقايا الصحابة وختم في أعناقهم.

* * *

حوادث سنة خمس وسبعين

وفيها وفد عبد العزيز بن مروان على أخيه، واستخلف على مصر زياد بن حناطة التجيبي فتوفي زياد في شوال، واستخلف أصبغ بن عبد العزيز بن مروان.

وفيها حج بالناس عبد الملك بن مروان وخطب على منبر رسول الله (صلي الله عليه وسلم). وسير على إمرة العراق الحجاج فسار من المدينة إلى الكوفة في اثني عشر راكبًا بعد أن وهب البشير ثلاثة آلاف دينار.

قال الوليد بن مسلم: حدثني عبيد الله بن يزيد بن أبي مسلم الثقفي عن أبيه قال: كان الحجاج عاملاً لعبد الملك على مكة فكتب إليه بولايته على العراق قال: فخرجت معه في نفر ثمانية، أو تسعة على النجائب فلما كنا بماء قريب من الكوفة نزل فاختضب وتهيأ وذلك في يوم جمعة، ثم راح معتما قد ألقى عذبة العمامة بين كتفيه متقلدًا سيفه حتى نزل عند دار الإمارة عند مسجد الكوفة وقد أذن المؤذن بالأذان الأول فخرج عليهم الحجاج وهم لا يعلمون فجمع بهم، ثم صعد المنبر فجلس عليه فسكت وقد اشرأبوا إليه وجثوا على الركب وتناولوا الحصى ليقذفوه بها وقد كانوا حصبوا عاملا قبله فخرج عليهم فسكت سكتة أبهتتهم وأحبوا أن يسمعوا كلامه فكان بدء كلامه أن قال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق، ويا أهل النفاق، والله إن كان أمركم ليهمني قبل أن آتي إليكم ولقد كنت أدعوا الله أن يبتليكم بي فأجاب دعوتي ألا إني سريت البارحة فسقط مني سوطي فاتخذت هذا مكانه - وأشار إلى سيفه - فوالله لأجرنه فيكم جر المرأة ذيلها ولأفعلن ولأفعلن.

قال يزيد: فرأيت الحصى متساقطًا من أيديهم وقال: قوموا إلى بيعتكم فقامت القبائل قبيلة قبيلة تبايع فيقول: من فتقول: بنو فلان حتى جاءته قبيلة فقال: من قالوا النخع؟ قال: منكم كميل بن زياد قالوا: نعم قال: فما فعل؟ قالوا: أيها الأمير شيخ كبير قال: لا بيعة لكم عندي ولا تقربون حتى تأتوني به.

قال: فأتوه به منعوشا في سرير حتى وضعوه إلى جانب المنبر فقال: ألا لم

يبق ممن دخل على عثمان الدار غير هذا فدعا بنطع وضربت عنقه، وقال أبو بكر الهذلي: حدثني من شهد الحجاج حين قدم العراق فبدأ بالكوفة فنودي: الصلاة جامعة فأقبل الناس إلى المسجد والحجاج متقلد قوسًا عربية وعليه عمامة خز حمراء متلثما فقعد وعرض القوس بين يديه ثم لم يتكلم حتى امتلأ المسجد قال محمد بن عمير: فسكت حتى ظننت أنه إنما يمنعه العي وأخذت في يدي كفا من حصى أردت أن أضرب به وجهه فقام فوضع نقابه وتقلد قوسه وقال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ::: متى أضع العمامة تعرفوني

إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها كأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى.

ليس بعشك فادرجي ::: قد شمرت عن ساقها فشمري

هذا أوان الحرب فاشتدي زيم ::: قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم ::: ولا بجزار على ظهر وضم

قد لفها الليل بعصلبي ::: مهاجر ليس بأعرابي

مهاجر ليس بأعرابي إني، والله ما أغمز غمز التين ولا يقعقع لي بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وجريت إلى الغاية فإنكم يا أهل العراق طالما أوضعتم في الضلالة وسلكتم سبيل الغواية أما والله لألحونكم العود ولأعصبنكم عصب السلمة ولأقرعنكم قرع المروة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل ألا إن أمير المؤمنين نثل كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرًا فوجهني إليكم فاستقيموا ولا يميلن منكم مائل واعلموا أني إذا قلت قولا وفيت به من كان منكم من بعث المهلب فليلحق به فغني لا أجد أحدًا يسير في زرافة إلا سفكت دمه واستحللت ماله. ثم نزل.

رواه المبرد بنحوه عن الثوري بإسناد وزاد فيه: قم يا غلام، فاقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين. فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إلى من بالكوفة سلام عليكم. فسكتوا فقال: اكفف يا غلام، ثم أقبل عليهم فقال: يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه شيئًا هذا أدب ابن نهية. أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب أو لتستقيمن. إقرأ يا غلام، فقرأ قوله: السلام

عليكم فلم يبق في المسجد أحد إلا قال: وعلى أمير المؤمنين السلام.

وفيها ضرب الدنانير والدراهم عبد الملك فهو أول من ضربها في الإسلام.

وحج فيها عبد الملك وخطب بالموسم غير مرة وكان من البلغاء العلماء الدهاة قال: إني رأيت سيرة السلطان تدور مع الناس فإن ذهب اليوم من يسير بسيرة عمر وأغير على الناس في بيوتهم وقطعت السبل وتظالم الناس وكانت الفتن فلا بد للوالي أن يسير كل وقت بما يصلحه نحن نعام والله أنا لسنا عند الله ولا عند الناس كهيئة عمر ولا عثمان ونرجو خير ما نحن بإزائه من إقامة الصلوات والجهاد والقيام لله بالذي يصلح ذينه والشدة على المذنب وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *

حوادث سنة ست وسبعين

وفيها خرج صالح بن مسرح التميمي وكان صالحًا ناسكًا مخبتًا، وكان يكون بدارا والموصل وله أصحاب يقرئهم ويفقههم ويقص عليهم، ولكنه يحط على الخليفتين عثمان وعلي كدأب الخوارج ويتبرأ منهما ويقول: تيسروا - رحمكم الله - لجهاد هذه الأحزاب المتحزبة وللخروج من دار الفناء إلى دار البقاء ولا تجزعوا من القتل في الله، فإن القتل أيسر من الموت والموت نازل بكم.

فلم ينشب أن أتاه كتاب شبيب بن يزيد من الكوفة فقال: أما بعد، فإنك شيخ المسلمين ولن نعدل بك أحدا وقد دعوتني فاستجبت لك وإن أردت تأخير ذلك أعلمتني فإن الآجال غادية ورائحة ولا آمن أن تخترمني المنية ولم أجاهد الظالمين فيا له غبنا، ويا له فضلاً متروكًا جعلنا الله وإياك ممن يريد بعمله الله ورضوانه.

فرد عليه الجواب يحضه على المجيء فجمع شبيب قومه منهم أخوه مصاد والمحلل بن وائل اليشكري، وإبراهيم بن حجر المحلمي، والفضل بن عامر الذهلي وقدم على صالح وهو بدارًا فتصمدوا مائة وعشرة أنفس.

ثم وثبوا على خيل لمحمد بن مروان فأخذوها وقويت شوكتهم، وأخافوا

المسلمين.

وفيها غزا حسان بن النعمان الغساني أفريقية وقتل الكاهنة.

* * *

حوادث سنة سبع وسبعين

وفيها سار شبيب بن يزيد فنزل المدائن فندب الحجاج لقتاله أهل الكوفة كلهم عليهم زهرة بن حوية السعدي شيخ كبير قد باشر الحروب.

وبعث إلى حربه عبد الملك من الشام سفيان بن الأبرد وحبيبًا الحكمي في ستة آلاف.

ثم قدم عتاب بن وراق على الحجاج مستعفيا من عشرة المهلب بن أبي صفرة فاستعمله الحجاج على الكوفة ولجمع جميع الجيش خمسين ألفا.

وعرض شبيب بن يزيد جنده بالمدائن فكانوا ألف رجل فقال: يا قوم، إن الله ينصركم وأنتم مائة أو مائتان فأنتم اليوم مئون.

ثم ركب فأخذوا يتخلفون عنه ويتأخرون فلما التقى الجمعان تكامل مع شبيب ستمائة فحمل في مائتين على ميسرة الناس فانهزموا واشتد القتال وعتاب بن ورقاء جالس هو وزهرة بن حويه على طنفسة في القلب فقال عتاب: هذا يوم كثر فيه العدد وقل الغناء والهفي على خمسة من رجال تميم.

وتفرق عن عتاب عامة الجيش وحمل عليه شبيب فقاتل عتاب ساعة وقتل ووطئت الخيل زهرة، فهلك فتوجع له شبيب لما رآه صريعًا فقال له رجل من قومه: والله يا أمير المؤمنين، إنك لمنذ الليلة لمتوجع لرجل من الكافرين!

قال: إنك لست أعرف بضلالتهم مني إني أعرف من قديم أمرهم ما لا تعرف لو ثبتوا عليه كانوا إخواننا، وقتل في المعركة: عمار بن يزيد الكلبي وأبو خيثمة بن عبد الله، ثم قال شبيب لأصحابه: ارفعوا عنهم السيف ودعا الناس إلى طاعته وبيعته فبايعوه ثم هربوا ليلاً.

هذا كله قبل أن يقدم جيش الشام فتوجه شبيب نحو الكوفة وقد دخلها عسكر الشام فشدوا ظهر الحجاج وانتعش بهم واستغنى بهم عن عسكر الكوفة وقال: يا

أهل الكوفة، لا أعز الله من أراد بكم العز الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ولا تقاتلوا معنا، وحنق بهم وهذا مما يزيد فيه بغضًا.

ثم إنه وجه الحارث بن معاوية الثقفي في ألف فارس في الكشف فالتمس شبيب غفلتهم والتقوا فحمل شبيب على الحارث فقتله وانهزم من معه.

ثم جاء شبيب فنزل الكوفة. وحفظ الناس السكك وبنى شبيب مسجدًا بطرف السبخة فخرج إليه أبو الورد مولى الحجاج في عدة غلمان فقاتل حتى قتل، ثم خرج طهمان مولى الحجاج في طائفة فقتله شبيب.

ثم إن الحجاج خرج من قصر الكوفة فركب بغلاً وخرج في جيش الشام فلما التقى الجمعان نزل الحجاج وقعد على كرسي ثم نادى: يا أهل الشام، أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين لا يغلبن باطل هؤلاء حقكم غضوا الأبصار واجثوا على الركب وأشرعوا إليهم بالأسنة.

وكان شبيب في ستمائة فجعل مائتين معه كردوسًا ومائتين مع سويد بن سليم ومائتين مع المحلل بن وائل فحمل سويد عليهم حتى إذا غشي أطراف الأسنة وثبوا في وجوههم يطعنونهم قدما قدمًا فانصرفوا فأمر الحجاج بتقديم كرسيه وصاح في أصحابه فحمل عليهم شبيب فثبتوا وطال القتال فلما رأى شبيب صبرهم نادى: يا سويد احمل على أهل هذا السكة لعلك تزيل أهلها عنها فتأتي الحجاج من وراءه ونحن من أمامه فحمل سويد على أهل السكة فرمي من فوق البيوت فرد.

قال أبو مخنف: فحدثني فروة بن لقيط الخارجي قال: فقال لنا شبيب يومئذ: يا أهل الإسلام، إنما شرينا الله ومن شرى الله لم يكثر عليه ما أصابه شدة كشداتكم في مواطنكم المعروفة وحمل على الحجاج فوثب أصحاب الحجاج طعنًا وضربًا فنزل شبيب وقومه، فصعد الحجاج على مسجد شبيب في نحو عشرين رجلاً وقال: إذا دنوا فارشقوهم بالنبل فاقتتلوا عامة النهار أشد قتال في الدنيا حتى أقر كل فريق للآخر.

ثم إن خالد بن عتاب بن ورقاء قال للحجاج: ائذن لي في قتالهم، فإني موتور وممن لا يتهم في نصيحة فأذن له فخرج في عصابة ودار من ورائهم

فقتل مصادًا أخا شبيب وغزالة امرأة شبيب وأضم النيران في عسكره، فوثب شبيب وأصحابه على خيولهم فقال الحجاج: احملوا عليهم فقد أرعبوا فشدوا عليهم فهزموهم وتأخر شبيب في حامية قومه.

فذكر من كان معه شبيب أنه جعل ينعس ويخفق برأسه وخلفه الطلب قال: فقلت له: يا أمير المؤمنين، التفت فانظر من خلفك فالتفت غير مكترث، ثم أكب يخفق ثم قلت: إنهم قد دنوا فالتفت ثم أقبل يخفق. وبعث الحجاج إلى خيل أن دعوه في حرق النار فتركوه ورجعوا.

ومر أصحاب شبيب بعامل للحجاج على بلد بالسواد فقتلوه، ثم أتوا بالمال على دابة فسبهم شبيب على مجيئهم بالمال وقال: اشتغلتم بالدنيا ثم رمى بالمل في الفرات، ثم سار بهم إلى الأهواز وبها محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله فخرج لقتاله وسأل محمد المبارزة فبارزه شبيب وقتله.

ومضى إلى كرمان فأقام شهرين ورجع إلى الأهواز فندب له الحجاج جيش الشام: سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي فالتقوا على جسر دجيل فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل، ثم ذهب شبيب فلما صار على جسر دجيل قطع الجسر فوقع شبيب وغرق وقيل: نفر به فرسه فألقاه في الماء وعليه الحديد فقال له رجل: أغرقا يا أمير المؤمنين!.

قال: " ذلك تقدير العزيز العليم " فألقاه دجيل إلى ساحله ميتًا، فحمل على البريد إلى الحجاج، فأمر به فشق بطنه وأخرج قلبه، فإذا هو كالحجر إذا ضرب به الأرض نبا عنها فشقوه فإذا بداخلاه قلب صغير.

* * *

حوادث سنة ثمان وسبعين

وفيها جرت حروب ووقعات بأفريقية والمغرب وولي فيها إمرة المغرب كله موسى بن نصير اللخمي فسار إلى طنجة وقدم على مقدمته طارق بن زياد الصدفي مولاهم الذي افتتح الأندلس وأصاب فيها المائدة التي يتحدث أهل الكتاب أنها مائدة سليمان عليه السلام.

وفيها فرغ الحجاج من بناء واسط سميت بذلك، لأنها وسط ما بين الكوفة

والبصرة.

* * *

حوادث سنة تسع وسبعين

وفيها كان مصرع قطري بن الفجاءة واسم الفجاءة جعونة بن مازن بن يزيد التميمي المازني أبو نعامة خرج في زمن مصعب بن الزبير، وبقي بضع عشرة سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة وبأمرة المؤمنين وتغلب على بلاد الفرس ووقائعه مشهورة قد ذكر منها المبرد قطعة في كامله وقد سير الحجاج لقتاله جيشًا بعد جيش وهو يهزمهم.

* * *

حوادث سنة ثمانين

وفيها أول فتنة ابن الأشعث: وذلك أن الحجاج كان شديد البغض لعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي يقول: ما رأيته قط إلا أردت قتله.

* * *

حوادث سنة إحدى وثمانين

وفيها خلع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الطاعة، وتابعه الناس وسار يقصد الحجاج.

* * *

أحداث سنة اثنتين وثمانين

وفيها كانت وقعة الزاوية بالبصرة بين ابن الأشعث، وبين جيش الحجاج.

ولابن الأشعث مع الحجاج وقعات كثيرة: منها وقعة دجيل المذكورة يوم

عيد الأضحى، وهذه الوقعة ووقعة دير الجماجم ووقعة الأهواز، فيقال: إنه خرج مع ابن الأشعث ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف رجل فيهم علماء وفقهاء وصالحون خرجوا معه طوعًا على الحجاج.

وقيل: كان بينهما أربع وثمانون وقعة في مائة يوم، فكانت منها ثلاث وثمانون على الحجاج وواحدة له.

قال ابن جرير الطبري: كانت وقعة دير الجماجم في شعبان سنة اثنتين قال ابن جرير: وفي قول بعضهم هي في سنة ثلاث وثمانين.

* * *

أحداث سنة ثلاث وثمانين

كانت فيها غزوة عطاء بن رافع صقلية وخرج عمران بن شرحبيل على البحر، وجعل على الإسكندرية عبد الملك بن أبي الكنود، وفيها عزل أبان بن عثمان عن المدينة وولي هشام بن إسماعيل المخزومي.

وفيها بعث الحجاج عمارة بن تميم القيني إلى رتبيل في أمر ابن الأشعث فقيد هو وجماعة في الحديد وقرن به في القيد أبو العنز وساروا بهم إلى الحجاج، فلما كانوا بالرخج طرح ابن الأشعث نفسه من فوق بنيان، فهلك هو وقرينه فقطع رأسه وحمل إلى الحجاج فرأسه مدفون بمصر وجثته بالرخج.

وكان قد أمره مصعب بن الزبير عند قتل أبيه محمد بن الأشعث بن قيس الكندي.

وفي سنة ثلاث ضم عبد الملك بن مروان إلى أخيه محمد بن مروان إمرة أذربيجان وأرمينية مع إمرة الجزيرة وبقي على ذلك إلى آخر أيام الوليد. وله غزوات وفتوحات كثيرة.

* * *

أحداث سنة أربع وثمانين

وقيل: فيها ظفروا بابن الأشعث وطيف برأسه في الأقاليم، وفيها فتحت المصيصة على يد عبد الله بن عبد الملك، وفيها افتتح موسى بن نصير بلد أولية

من المغرب، فقتل وسبى حتى قيل: إن السبي بلغ خمسين ألفًا.

وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية فهزمهم وحرق كنائسهم وضياعهم وتسمى: سنة الحريق.

* * *

أحداث سنة خمس وثمانين

وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية فأقام بها سنة وولى عليها عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي فبنى مدينة دبيل ومدينة برذعة.

وفيها قال ابن الكلبي: بعث عبد الله بن عبد الملك بن مروان وهو مقيم بالمصيصة يزيد بن حنين في جيش، فلقيته الروم في جمع كثير فأصيب الناس وقتل ميمون الجرجماني في نحو ألف نفس من أهل أنطاكية، وكان ميمون أمير أنطاكية من موالي بني أمية مشهور بالفروسية وتألم غاية الألم لمصابهم.

وبعث عبد الملك على مصر ابنه عبد الله وعقد بالخلافة من بعده لابنيه الوليد، ثم سليمان وفرح بموت أخيه، فإنه عزم على عزله من ولاية العهد فجاءه موته.

* * *

أحداث سنة ست وثمانين

وفيها سار قتيبة بن مسلم متوجها إلى ولايته فدخل خراسان وتلقاه دهاقين بلخ وساروا معه وأتاه أهل صاغان بهدايا ومفتاح من ذهب وسلموا بلادهم بالأمان، وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك حصن بولق وحصن الأخرم.

وعقد عبد الملك لابنه عبد الله على مصر فدخلها في جمادى الآخرة وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة، ثم أقره أخوه الوليد عليها لما استخلف وأما ابن يونس، فذكر أن الوليد عزل أخاه عبد الله عن مصر بقرة بن شريك أول ما

استخلف.

* * *

أحداث سنة سبع وثمانين

وفيها شرع الوليد بن عبد الملك في بناء جامع دمشق وكتب إلى أمير المدينة عمر ابن عبد العزيز ببناء مسجد النبي (صلي الله عليه وسلم).

وفي هذه السنة ولي عمر المدينة وله خمس وعشرون سنة وصرف عنها هشام ابن إسماعيل وأهين ووقف للناس، فبقي عمر عليها إلى أن عزله الوليد بن أبي بكر بن حزم.

* * *

أحداث سنة ثمان وثمانين

ويقال: إن فيها شرع الوليد ببناء الجامع، وكان نصفه كنيسة للنصارى وعلى ذلك صالحهم أبو عبيدة بن الجراح فقال الوليد للنصارى: إنا قد أخذنا كنيسة توما عنوة يعني: كنيسة مريم فأنا أهدمها وكانت أكبر من النصف الذي لهم فرضوا بإبقاء كنيسة مريم وأعطوا النصف، وكتب لهم بذلك والمحراب الكبير هو كان باب الكنيسة ومات الوليد وهم بعد في زخرفة بناء الجامع وجمع عليه الوليد الحجارين والمرخمين من الأقطار حتى بلغوا فيما قيل اثني عشر ألف مرخم وغرم عليها قناطير عديدة من الذهب فقيل: إن النفقة عليه بلغت ستة آلاف ألف دينار، وذلك مائة قنطار وأربعة وأربعون قنطارا بالقنطار الدمشقي.

* * *

أحداث سنة تسع وثمانين

وفيها افتتح عبد الله بن موسى بن نصير جزيرتي ميورقة ومنورقة وهما جزيرتان في البحر بين جزيرة صقلية وجزيرة الأندلس، وتسمى غزوة الأشراف، فإنه كان معه خلق من الأشراف والكبار، وفيها غزا قتيبة وردان خذاه ملك بخارى فلم يطقهم فرجع، وفيها أغزى موسى بن نصير ابنه مروان السوس الأقصى، فبلغ السبي أربعين ألفًا.

* * *

أحداث سنة تسعين

وفيها أوقع قتيبة بأهل الطالقان بخراسان فقتل منهم مقتلة عظيمة وصلب منهم طول أربعة فراسخ في نظام واحد، وسبب ذلك أن ملكها غدر ونكث وأعان نيزك طرخان على خلع قتيبة. قاله: محمد بن جرير، وفيها سار قرة بن شريك أميرًا على مصر على البريد في شهر ربيع الأول عوضا عن عبد الله بن عبد الملك بن مروان وقيل: قبل ذلك والله أعلم.

* * *

أحداث سنة إحدى وتسعين

وفيها سار قتيبة بن مسلم في جمع عظيم إلى مرو الروذ فهرب مرزبانها فصلب قتيبة ولديه، ثم سار إلى الطالقان فلم يحاربه صاحبها فكف قتيبة عنه وقتل لصوصًا كثيرة بها واستعمل عليها عمرو بن مسلم، ثم سار إلى أن وصل الفارياب فخرج إليه ملكها سامعًا مطيعًا فاستعمل عليها عامر بن مالك، ثم دخل بلخ وأقام بها يومًا فأقبل نيزك فعسكر ببغلان فاقتتل هو وقتيبة أيامًا ثم أعمل قتيبة الحيل على نيزك ووجه إليه من خدعه حتى جاء برجليه إلى قتيبة من غير أمان فجاء معتذرًا إليه من خلعه فتركه أيامًا ثم قتله وقتل سبعمائة من أصحابه.

وفيها عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة، وأذربيجان وولاها أخاه مسلمة بن عبد الملك فغزا مسلمة في هذا العام إلى أن بلغ الباب من بحر أذربيجان فافتتح مدائن وحصونًا ودان له من وراء الباب.

* * *

أحداث سنة اثنتين وتسعين

وافتتح إقليم الأندلس وهي جزيرة عظيمة متصلة ببر القسطنطينية من جهة الشمال والبحر الكبير من غربيها وقد خرج منه بحر الروم من جنوبيها، ثم دار إلى شرقيها، ثم استدار إلى شماليها قليلا. وهي جزيرة مثلثة الشكل افتتح

المسلمون أكثرها في رمضان منها على يد طارق أمير طنجة من قبل مولاه أمير المغرب موسى بن نصير.

وطنجة هي أقصى المغرب فركب طارق البحر وعدى من الزقاق لكون الفرنج اقتتلوا فيما بينهم واشتغلوا فانتهز الفرصة.

وقيل: بل عبر بمكاتبة صاحب الجزيرة الخضراء ليستعين به على عدوه فدخل طارق واستظهر على العدو وأمعن في بلاد الأندلس وافتتح قرطبة وقتل ملكها لذريق وكتب إلى موسى بن نصير بالفتح فحسده موسى على الانفراد بهذا الفتح العظيم وكتب إلى الوليد يبشره بالفتح وينسبه إلى نفسه وكتب إلى طارق يتوعده لكونه دخل بغير أمره ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحقه وسار مسرعًا بجيوشه ودخل الأندلس ومعه حبيب بن أبي عبيدة الفهري فتلقها طارق وقال: إنما أنا مولاك وهذا الفتح لك.

وأقام موسى بن نصير غازيًا وجامعًا للأموال نحو سنتين وقبض على طارق، ثم استخلف على الأندلس ولده عبد العزيز بن موسى ورجع بأموال عظيمة وسار بتحف الغنائم إلى الوليد، وتتابع فتح مدائن الأندلس.

وفي هذا الحين فتح الله على المسلمين بلاد الترك وغيرها فلله الحمد والمنة.

* * *

أحداث سنة ثلاث وتسعين

وفيها افتتح محمد بن القاسم الثقفي الديبل وغيرها ولاه الحجاج ابن عمه وهو ابن سبع عشرة سنة.قال عوانة بن الحكم: وفي أولها غزا موسى بن نصير فأتى طنجة، ثم سار لا يأتي على مدينة فيبرح حتى يفتحها أو ينزلوا على حكمه، ثم ساروا إلى قرطبة، ثم غرب وافتتح مدينة باجة ومدينة البيضاء وجهز البعوث فجعلوا يفتتحون ويغنمون.

قال خليفة: وفيها غزا قتيبة بن مسلم خوارزم فصالحوه على عشرة آلاف رأس، ثم سار إلى سمرقند فقاتلوه قتالا شَدِيدًا وحاصرهم حتى صالحوه على

ألفي ألف ومائتي ألف وعلى أن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس.

قال: وفيها غزا العباس ابن أمير المؤمنين أرض الروم، ففتح الله على يديه حصنًا، وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك فافتتح ما بين الحصن الجديد من ناحية ملطية.

* * *

أحداث سنة أربع وتسعين

وفيها بعث سليمان بن عبد الملك على المغرب محمد بن يزيد مولى قريش فولي سنتين، فعدل ولكنه عسف بآل موسى بن نصير، وقبض على ابنه عبد الله بن موسى وسجنه، ثم جاءه البريد بأن يقتله فولي قتل عبد الله: خالد بن خباب وكان أخوه عبد العزيز بن موسى على الأندلس، ثم ثاروا عليه فقتلوه في سنة تسع وتسعين لكونه خلع طاعة سليمان قتله وهو في صلاة الفجر حبيب بن أبي عبيدة ابن عقبة بن نافع الفهري.

* * *

أحداث سنة خمس وتسعين

وفيها غزا يزيد بن المهلب بن أبي صفرة طبرستان، فسأله الأصبهبذ الصلح فأبى فاستعان بأهل الجبال والديلم، وكان بينهم مصاف كبير واقتتلوا قتالاً شديدًا، ثم هزم الله المشركين، ثم صولح الأصبهبذ على سبعمائة ألف وقيل: خمسمائة في السنة وغير ذلك من المتاع والرقيق.

وقال المدائني: غدر أهل جرجان بمن خلف يزيد بن المهلب عليهم من المسلمين فقتلوهم فلما فرغ من صلح طبرستان سار إليهم فتحصنوا فقاتلهم يزيد أشهرا ثم أعطوا بأيديهم ونزلوا على حكمه فقاتل المقاتلة وصلب منهم فرسخين، وقاد منهم اثني عشر ألف نفس إلى وادي جرجان، فقتلهم وأجرى الماء في الوادي على الدم وعليه أرحاء تطحن بدمائهم فطحن واختبز وأكل، وكان قد حلف على ذلك.

* * *

أحداث سنة ست وتسعين

وغزا العباس بن الوليد فافتتح طوبس والمرزبانين، وأصيب جدار العذري الشامي ومن معه بأرض الروم وهو جد عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان لأمه، وقد روى عنه.

* * *

أحداث سنة سبع وتسعين

وفيها غزا يزيد المهلب جرجان، قال المدائني: غزاها ولم تكن يومئذ مدينة إنما هي جبال محيطة بها وتحول صول الملك إلى البحيرة جزيرة في البحر، وكان يزيد في ثلاثين ألفًا فدخلها يزيد فأصاب أموالاً، ثم خرج إلى البحيرة فحاصره، فكان يخرج فيقاتل فمكثوا كذلك أشهرًا، ثم انصرف يزيد في رمضان.

وذكر الوليد بن هشام: أن يزيد صالحهم على خمسمائة ألف درهم في العام، وروى حاتم بن مسلم عن يونس بن أبي إسحاق أنه شهد ذلك مع يزيد قال: صالحهم على خمسمائة ألف وبعثوا إليه بثياب وطيالسة وألف رأس.

وقال خليفة: وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك برجمة وحصن ابن عوف وافتتح أيضًا حصن الحديد سردوسل وشتى بنواحي الروم.

* * *

أحداث سنة ثمان وتسعين

وفيها غزا يزيد بن المهلب بن أبي صفرة طبرستان فسأله الأصبهذ الصلح فأبى فاستعان بأهل الجبال والديلم، وكان بينهم مصاف كبير واقتتلوا قتالاً شديدًا ثم هزم الله المشركين ثم صولح الأصبهذ على سبعمائة ألف وقيل: خمسمائة في السنة وغير ذلك من المتاع والرقيق.

* * *

أحداث سنة مائة

ويقال: فيها توفي: أبو عثمان النهدي ويقال: فيها توفي: حنش الصنعاني وعيسى بن طلحة بن عبيد الله، وأبو الطفيل، وعبد الله بن مرة الهمداني، وأبو عبد الرحمن الحبلي، وعبد الله بن عبد الملك بن مروان، وفيها غزا الصائفة الوليد بن هشام المعيطي.وأقام الموسم للناس أبو بكر بن حزم.

* * *

حوادث سنة ثلاث ومائة

توفي فيها: عطاء بن يسار مولى ميمونة في قوله.عكرمة بن عبد الرحمن ابن الحارث.

عمر بن الوليد بن عبدة مصري مقل مجاهد فيها أو في سنة اثنين. مصعب بن سعد بن أبي، وقاص بن طلحة بن عبيد الله يحيى بن وثاب مقريء الكوفة، يزيد بن الأصم نزيل الرقة.

يزيد بن حصين السكوني، وفيها قتل أمير الأندلس السمح بن مالك الخولاني قتلته الروم يوم التروية.

* * *

حوادث سنة أربعة ومائة

وفيها كانت وقعة نهر الران، فالتقى المسلمون والكفار وعلى المسلمين الجراح بن عبدالله الحكمي وعلى أولئك ابن الخاقان وذلك بقرب باب الأبواب ونصر الله الإسلام وركب المسلمون أقفية الترك قتلاً وأسرًا وسبيًا.

* * *

حوادث سنة خمس ومائة

وفيها زحف الخاقان وخرج من الباب في جمع عظيم من الترك وقصد أرمينية فسار إليه الجراح الحكمي فاقتتلوا أيامًا، ثم كانت الهزيمة على الكفار وذلك في شهر رمضان.

* * *

حوادث سنة ست ومائة

وفيها غزا ولد الخليفة معاوية بن هشام أرض الروم، فجهز بين يديه البطال إلى خنجرة فافتتحها.

* * *

حوادث سنة تسع ومائة

وفيها غزا في الصيف معاوية بن هشام بن عبد الملك وافتتح حصنًا من أرض الروم وغزًا أيضًا مسلمة فجهز جيشًا شتوا بأذربيجان.

* * *

حوادث سنة عشر ومائة

وفيها غزا مسلمة بلاد الخزر وتسمى غزوة الطين التقى هو وملك الخزر واقتتلوا أيامًا وكانت ملحمة مشهورة هزم الله فيها الكفار في سابع جمادى الآخرة، وفيها افتتح معاوية ولد هشام حصنين كبيرين من أرض الروم.

وفيها قدم إلى أفريقية عبيدة بن عبد الرحمن الذكواني أميرًا عليها فجهز ولده وأخاه فالتقوا المشركين فنصر الله تعالى وأسر طاغية القوم وولوا مدبرين.

* * *

حوادث سنة إحدى عشرة ومائة

وفيها عزل مسلمة بن عبد الملك عن أرمينية وأذربيجان وأعيد الجراح بن عبد الله الحكمي فسار إلى تفليس وأغار على مدينة البيضاء التي للخزر فافتتحها ورجع فجمعت الخزر جموعًا عظيمة كثيرة مع ابن خاقان فدخلوا أرمينية وحاصروا أردبيل.

وفيها أغزى الأمير عبيدة الذكواني من إفريقية مستنير بن الحارث في البحر وفي مائة وثمانين مركبًا وهجم الشتاء، فقفل وجاءت ريح مزعجة فغرقت عامة تلك المراكب ومن فيها فلم يسلم منها إلا سبعة عشر مركبًا فما شاء الله كان.

* * *

حوادث سنة اثنتي عشرة ومائة

وفيها غزا المسلمون مدينة فرغانة وعليهم أشرس بن عبد الله السلمي فالتقاهم الترك، وأحاطوا بالمسلمين وبلغ الخبر هشام بن عبد الملك فبادر بتوليه جنيد بن عبد الرحمن المري على بلاد ما وراء النهر ليحفظ ذلك الثغر.

وفيها أخذت الخزر أردبيل بالسيف واستباحوها، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم وجه هشام بن عبد الملك على أذربيجان سعيد بن عمير الحرشي فساق وبيت الخزر واستنقذ منهم بعض السبي، ثم ركب في البحر وكسر طاغية الخزر وقتل خلق من الخزر ونزل النصر، وفيها كانت غزوة صقلية فغنم المسلمون وسبوا، وفيها سار معاوية ولد هشام بن عبد الملك فافتتح خرشنة من ناحية ملطية، والله أعلم.

* * *

حوادث سنة ثلاث عشرة ومائة

وفيها غزا الجنيد المري ناحية طخارستان فجاشت الترك بسمرقند فالتقاهم الجنيد بقرب سمرقند فاقتتلوا أشد قتال، ثم تحاجزوا فكتب الجنيد إلى سورة بن أبجر الدارمي نائبة على سمرقند بالإسراع إليه فخرج فلقيه الترك على غرة فقتلته في طائفة من جنده ثم إن الجنيد التقاهم ثانية فهزمهم ودخل سمرقند وفيها أعيد مسلمة إلى إمرة أذربيجان، فأخذ متوليها سعيد بن عمرو فسجنه فجاء أمر هشام بأن يطلقه، وسأل مسلمة أهل حيزان الصلح فأبوا عليه فقاتلهم وجد في قتالهم فطلبوا الصلح والأمان فحلف لهم ألا يقتل منهم رجلاً ولا كلبًا فنزلوا فقتل الجميع إلا رجلاً واحدًا وكلبًا ورأى أن هذا سائغا له وأن الحرب خدعة، ثم إنه سار إلى أرض شروان فسأله ملكها الصلح فصالحهم وغور في بلادهم فقصده خاقان فالتقى الجمعان واقتتلوا أشد قتال، وكان العدو أن يظفروا فتحيز مسلمة بالناس ثم التقاهم ثانيًّا انهزم فيها خاقان.

* * *

حوادث سنة أربع عشرة ومائة

وفي أول السنة عزل هشام أخاه مسلمة عن أذربيجان والجزيرة بابن عمه مروان ابن محمد فسار مروان بجيشه حتى جاوز نهر الزم فقتل وسبى وأغار على الصقالبة.

وفيها غزا الجنيد المري بلاد الصغانيان من الترك، فرجع ولم يلق كيدًا.

قال خليفة بن خياط: وفيها غزا معاوية بن هشام بلاد الروم وأسر المسلمون قسطنطين.

* * *

حوادث سنة ثلاث عشرة ومائة

وفيها جاشت الترك بخراسان ومعهم الحارث بن سريج الخارجي وعليهم الخاقان الكبير، فعاثوا وأفسدوا ووصلوا إلى بلد مرو الروذ فسار أسد القسري فالتقاهم، فهزمهم وكانت وقعة هائلة قتل فيها من الترك خلائق.

وفيها افتتح مروان بن محمد متولي أذربيجان ثلاثة حصون وأسر تومانشاه، وبعث به إلى الخليفة هشام فمن عليه وأعاده إلى مملكته، وفيها غزا ابن الحبحاب أمير المغرب فغنم وسلم.

* * *

حوادث سنة ثمان عشرة ومائة

وفيها غزا مروان الحمار ناحية ورتنيس وظفر بملكهم فقتل وسبى، وغزا معاوية بن هشام بأرض الروم.

* * *

حوادث سنة تسع عشرة ومائة

فيها توفي: إياس بن سلمة بن الأكوع وحبيب بن أبي ثابت في قول، وحماد بن أبي سليمان في قول، وسليمان بن موسى الفقيه بدمشق وقيس بن سعد الفقيه بمكة، ومعاوية بن هشام الأمير بأرض الروم، وفيها غزا مروان بن محمد غزوة السائحة فدخل بجيشه في باب اللان، فلم يزل حتى خرج إلى بلاد الخزر ومر ببلنجر وسمندر، وانتهى إلى البيضاء مدينة الخاقان فهرب الخاقان، وفيها

جهز أمير إفريقية المغرب جيشًا عليهم قثم بن عوانة فأخذوا قلعة سردانية من بلاد المغرب ورجعوا فغرق قثم بن عوانة هو وجماعة، فيها حج بالناس مسلمة بن هشام بن عبد الملك.

* * *

حوادث سنة عشرين ومائة

وفيها عزل خالد بن عبد الله القسري عن إمرة العراق بيوسف بن عمر الثقفي، وكانت مدة ولاية خالد أربع عشرة سنة فلما استخلف الوليد بعث به إلى يوسف فقتله.

* * *

أحداث سنة احدى وعشرين ومائة

توفي فيها إياس بن معاوية أو في التي تليها وزيد بن علي قتل فيها بخلف، وسلمة بن كهيل في آخر يوم منها. وعطية بن قيس المذبوح. ومحمد بن يحيى بن حبان الأنصاري، ومسلمة بن عبد الملك فيها بخلف، ونمير بن أوس الأشعري.

وفيها غزا مروان بن محمد فسار من أرمينية إلى قلعة بيت السرير من بلاد الروم فقتل وسبى وغنم ثم أتى قلعة ثانية فقتل وأسر، ثم دخل حصن عوميك وفيه سرير الملك فهرب الملك، ثم إنهم صالحوا مروان في السنة على ألف رأس ومائة ألف مدي، ثم سار مروان فدخل أرض أزر وبلاد بطران فصالحوه وصالحه أهل بلاد تومان، ثم أتى جمرين فقاتلهم ولازم الحصار عليهم شهرين، ثم صالحوه ثم افتتح مسدارة وغيرها.

* * *

أحداث سنة اثنتين وعشرين ومائة

فيها مات بكير بن عبد الله بن الأشج على قول زبيد اليامي وقيل: سنة أربع

وسيار أبو الحكم بواسط، ويزيد بن عبد الله بن قسيط، ويعقوب بن عبد الله ابن الأشج، وأبو هاشم الرماني يحيى، والزبير بن عدي الكوفي، وولد فيها سعيد بن عامر الضبعي وأبو عاصم النبيل.

وفيها خرج بأرض المغرب ميسرة الحقير وعبد الأعلى مولى موسى ابن نصير متعاضدين ومعهما خلائق من الصفرية في شهر رمضان فعسكر لملتقاهم متولي أفريقية، فكان المصاف بينهم فاستظهر والي أفريقية لكن قتل ابنه اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب، ثم إنه جهز جيشًا عليهم أبو الأصم خالد فالتقوا فقتل أبو الأصم في جماعة من الأشراف في آخر السنة.

واستفحل أمر الصفرية وبايعوا بالخلافة الشيخ عبد الواحد بن زيد الهواري، فلم ينشب أن قتل وجرت حروب مهولة وقتل المسلمون وعظم الخطب وكانت سنة وأي سنة.

وكان الأمير عبيد الله بن الحبحاب قد جهز حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة الفهري غازيًّا إلى جزيرة صقلية فقدم معه ولده عبد الرحمن على طلائعه، وكان عبد الرحمن أحد الأبطال فلم يثبت له أحد وظفر ظفرا ما سمع بمثله قط وسار حتى نزل على أكبر مدائن صقلية وهي مدينة سرقوسة فقابلوه فهزمهم وهابته النصارى وذلوا لأداء الجزية.

وكان والده عبيد الله بن الحبحاب قد استعمل على طنجة وما يليها عمر بن عبد الله المرادي فظلم وعسف وأساء السيرة في البربر فثاروا واغتنموا غيبة العساكر وتداعت على عمر القبائل وعظم الشر. وهذه أول فتنة كانت بالمغرب بعد تمهيد البلاد فأمرت البربر عليهم ميسرة الحقير فأسرع حبيب الفهري الكرة من صقلية فالتقى هو وميسرة فكانت ملحمة هائلة فاستظهر ميسرة.

ثم إن البربر أنكرت سوء سيرة ميسرة وتغيروا عليه فقتلوه وأمروا عليهم خالد ابن حميدة الزناتي فأقبل بهم في جيش عظيم، فكانت بينهم وبين عسكر الإسلام ملحمة مشهورة قتل فيها خالد الزناتي وسائر من معه وذهب فيها خلق من فرسان العرب ولهذا سميت: غزوة الأشراف، ومرج أمر الناس وقويت

الخوارج، وعمد الناس إلى عبيد الله بن الحبحاب فعزلوه، فغضب الخليفة هشام لما بلغه وتنمر وبعث على المغرب كلثوم بن عياض القشيري.

* * *

أحداث سنة ثلاث وعشرين ومائة

وفيها كانت وقعة عظيمة بين البربر وبين كلثوم بن عياض، فقتل كلثوم في المصاف واستبيح عسكره وقتل عدة من أمرائه كسرهم أبو يوسف الأزدي رأس الصفرية، ثم اتبع المسلمين يقتل ويأسر، وقتل حبيب بن أبي عبيدة الفهري وسليمان بن أبي المهاجر، ثم قام بأمر المسلمين بلج ابن عم كلثوم فانتصر على الخوارج وهزمهم وقتل أبو يوسف في خلق من الصفرية، وكان كلثوم المذكور من جلة الأمراء ولي دمشق مدة لهشام،

ثم ولاه المغرب فسار إليها في خلق من عرب الشام فلما قتل دخل منهم خلق إلى الأندلس وعليها عبد الرحمن ابن حبيب الفهري وعبد الملك بن قطن فجرت بينهم وقعات على المنافسة على الدنيا فقتل بلج القشيري ووجوه أصحابه.

* * *

أحداث سنة اربع وعشرين ومائة

وعاثت الصفرية بالمغرب وحاصروا قابس ونصبوا عليها المجانيق وافترقت الصفرية بعد مقتل ميسرة فرقتين وقيل: إنه كان في صباه يسقي الماء ولما بلغ الخليفة هشام قتل كلثوم بعث على المغرب حنظلة بن صفوان الكلبي.

* * *

أحداث سنة خمس وعشرين ومائة

وفيها استخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فكتب إلى يوسف بن محمد الثقفي أن يبعث إلى أمير العراق يوسف بن عمر الثقفي بالأخوين إبراهيم،

ومحمد ابني هشام بن إسماعيل المخزومي، فلما قدما عليه عذبهما حتى هلكا، وكان إبراهيم هذا قد ولي الحرمين لهشام مدة وأقام الحج مدة.

* * *

أحداث سنة ست وعشرين ومائة

وفيها خرج أبو خالد يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان على ابن عمه الخليفة الوليد لما انتهك من حرمات الله، واستهتر بالدين فبويع يزيد بالمزة وتوثب على دمشق فأخذها، ثم جهز عسكرا إلى الوليد بن يزيد وهو بنواحي تدمر عاكفًا على المعاصي، فقتل بحصن البخراء من ناحية تدمر في شهر جمادى الآخرة.

فذكر الواقدي: قال حدثنا ابن أبي الزناد، عن أبيه قال: كان الزهري يقدح في الوليد أبدا عند هشام ويعيبه ويذكر عنه العظائم من المرد وغير ذلك، وأنه يخضبهم بالحناء ويقول: ما يحل لك يا أمير المؤمنين، إلا أن تخلعه من العهد. وكان الوليد قد جعله أبوه ولي عهد بعد هشام فكان هشام لا يستطيع خلعه ويعجبه قول الزهري رجاء أن يؤلب الناس عليه، ثم إن يزيدًا استخلف فلم تطل مدته ولا متع فعهد بالأمر إلى أخيه إبراهيم بن الوليد في ذي الحجة وقيل: لم يعهد إلى إبراهيم بل بايعه الملأ فتوثب عليه بعد أيام مروان الحمار، كما يأتي.

وفيها خرج عبد الرحمن بن حبيب الفهري بالمغرب وعليها حنظلة بن صفوان وكان فيه دين وورع عن الدماء فنزح عن القيروان، وتأسف عليه الناس لجهاده وعدله.

* * *

أحداث سنة سبع وعشرين ومائة

وفيها كانت فتن عظيمة وبلاء: فمن ذلك أن مروان بن محمد متولي أذربيجان وأرمينية وتلك الممالك لما بلغه موت يزيد الناقص أنفق الأموال وجمع الأبطال وسار بالعساكر فدخل الشام، فجهز ابرهيم بن الوليد لحربه أخويه بشرًا ومسرورًا فالتقوا فانتصر مروان وأسرهما وسجنهما، ثم زحف حتى نزل بعذراء فالتقاه سليمان بن هشام بن عبد الملك فكانت بينهما وقعة

مشهودة، ثم انهزم سليمان وبلغ ذلك ابرهيم بن الوليد فعسكر بظاهر دمشق وأنفق الأموال في العسكر فخذلوه وتفللوا عنه ووثب الكبار بدمشق فقتلوا عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان ويوسف بن عمر الذي كان نائب العراق في الحبس.

* * *

أحداث سنة ثمان وعشرين ومائة

وفيها اصطلح نصر بن سيار وجديع بن علي الكرماني على أن يقاتلوا أبا مسلم صاحب الدعوة، فإذا فرغوا من حربه نظروا في أمرهم فدس أبو مسلم بمكره إلى ابن الكرماني يخدعه ويقول: أنا معك وانخدع له ابن الكرماني والتف معه فقاتلوا نصر بن سيار، ثم كتب نصر إلى أبي مسلم إني أبايعك وأنا أحق بك من ابن الكرماني فقوي شأن أبي مسلم وكثر جيشه وخافه نصر بن سيار وتقهقر بين يديه ونزح عن مرو فأخذ أبو مسلم أثقاله وأهله،

ثم بعث عسكرا إلى سرخس فقاتلهم شيبان الحروري فقتل شيبان، وأقبلت سعادة الدولة العباسية من كل وجه.

* * *

أحداث سنة تسع وعشرين ومائة

وفيها خرج بحضرموت طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي الأعور، فغلب على حضرموت واجتمع إليه الإباضية، ثم سار إلى صنعاء وبها القاسم بن عمر الثقفي فالتقى الجمعان واشتد القتال، ثم انهزم القاسم بن عمر وكثر القتل في جنده وتبعه طالب الحق فبيته فهرب القاسم وقتل أخوه الصلت واستولى طالب الحق على صنعاء فجبى الأموال وجهز إلى مكة عشرة آلاف، وكان على مكة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان فكره قتالهم وفشل فوقفوا بعرفة ووقف معهم الحجيج، ثم غلبوا على مكة فنزح عنها عبد الواحد إلى المدينة.

وفيها كتب ابن هبيرة أمير العراقين إلى عامر بن ضبارة فسار حتى أتى خراسان، وقد ظهر بها أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة في رمضان، وكان

قد ظهر هناك عبد الله بن معاوية الهاشمي، فقبض عليه أبو مسلم وسجنه وسجن خلقًا من شيعته.

* * *

أحداث سنة ثلاثين ومائة

وكانت فيها وقعة هائلة مزعجة بين جيش أبي مسلم وبين جيش نصر، فانهزم أيضًا جيش نصر ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً وتأخر نصر بن سيار إلى قومس ظفر أبو مسلم الخراساني بسالم بن أحوز فقتله واستولى على أكثر مدن خراسان، ثم ظفر بعبد الله بن معاوية الهاشمي فقتله وجهز قحطبة بن شبيب في جيش فالتقى هو ونباتة بن حنظلة الكلابي على جرجان، فقتل في المصاف نباتة وابنه حية، ثم هرب نصر بن سيار وخارت قواه، وكتب إلى نائب العراق ابن هبيرة يستصرخ به وإلى مروان الحمار يستمده حين لا ينفع المدد.

* * *

أحداث سنة إحدى وثلاثين مائة

وفيها توجه قحطبة بن شبيب بعد قتل نباته جرجان فجهز ابن هبيرة جيشًا عظيمًا، فنزل بعضهم بهمذان وبعضهم بماه وبغيرها وعليهم ولده داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة، وعامر بن ضبارة فالتقوا بنواحي أصبهان في رجب فقتل في المصاف عامر، وانهزم داود وجيشه.

فذكر محمد بن جرير أن عامر بن ضبارة كان في مائة ألف، وكان قحطبة في عشرين ألفا قال: فأمر قحطبة بمصحف فرفع على رمح، ثم نادى يا أهل الشام، إنا ندعوكم إلى ما في هذا المصحف فشتموه فحمل عليهم فلم يطل القتال حتى انهزموا، ثم نزل قحطبة وابنه الحسن على باب نهاوند وغنم جيشه ما لا يوصف وأثخنوا في الشاميين.

قال حفص بن شبيب: فحدثني من كان مع قحطبة قال: ما رأيت عسكرًا قط جمع ما جمع أهل الشام بأصبهان من الخيل والسلاح والرقيق وأصبنا معهم ما لا يحصى من البرابط والطنابير والمزامير فقل خباء أو بيت ندخله إلا وجدنا فيه زكرة أو زقا من خمر.

ووقع الحصار على نهاوند وتقهقر الأمير نصر بن سيار إلى أن وصل إلى الري فأدركه الأجل بها وقيل: مات مساؤه وأوصى بنيه أن يلحقوا بالشام.

* * *

أحداث سنة اثنتين وثلاثين ومائة

وفيها زالت دولة بني أمية، ففي المحرم بلغ ابن هبيرة أن قحطبة توجه نحو الموصل فقال لأصحابه: ما بال القوم تنكبونا!.

قالوا: يريدون الكوفة فترحل ابن هبيرة نحو الكوفة، وكذلك فعل قحطبة فعبر الفرات في سبعمائة فارس وتتام إلى ابن هبيرة نحو ذلك فتواقعوا فجاءت قحطبة طعنة فوقع في الفرات فهلك ولم يعلم به قومه وانهزم أيضًا أصحاب ابن هبيرة وغرق خلق منهم في المخايض وذهبت أثقالهم فقال بيهس بن حبيب: نجمع الناس بعد أن جاوز الفرات فنادى مناد: من أراد الشام فهلم فذهب معه عنق من الناس ونادى آخر: من أراد الجزيرة فتبعه خلق ونادى آخر: من أراد الكوفة فذهب كل جند إلى ناحية فقلت: من أراد واسط فهلم، فأصبحنا مع ابن هبيرة بقناطر المسيب ودخلنا واسطًا يوم عاشوراء وأصبح المسودة قد فقدوا قائدهم قحطبة ثم استخرجوه من الماء فدفنوه وأمروا عليهم ابنه الحسن فقصد بهم الكوفة فدخلوها يوم عاشوراء أيضًا وهرب متوليهان زياد بن صالح إلى واسط.

وقتل ليلة الفرات صاحب شرطة ابن هبيرة زياد بن سويد المري وكاتبه عاصم مولى بني أمية.

وأما ابن قحطبة فاستعمل على الكوفة أبا سلمة الخلال، ثم قصد واسط فنازلها وخندق على جيشه فعبأ ابن هبيرة عساكره فالتقوا فانهزم عسكر ابن هبيرة وتحصنوا بواسط، وقتل في الوقعة يزيد أخو الحسن بن قحطبة وحكيم ابن المسيب الجدلي.

وفي المحرم وثب أبو مسلم صاحب الدعوة على ابن الكرماني فقتله بنيسابور وجلس في دست الملك وبويع وصلى وخطب للسفاح وصفت له خراسان.

* * *

بيعة السفاح

في ثالث ربيع الأول بويع أبو العباس عبد الله السفاح أول خلفاء بني العباس بالكوفة في دار مولاهم الوليد بن سعد.

وأما مروان الحمار خليفة الوقت فسار في مائة ألف حتى نزل الزابين دون الموصل، فجهز السفاح عمه عبد الله بن علي في جيش، فالتقى الجمعان على كشاف في جمادى الآخرة فانكسر مروان وتقهقر غلى الجزيرة وقطع وراءه الجسر وقصد الشام ليتقوى ويلتقي ودخل عبد الله بنعلي الجزيرة، فاستعمل عليها موسى بن كعب التميمي، ثم طلب الشام مجدًا وأمده السفاح بصالح بن علي وهو عمه الآخر، فسار عبد الله حتى نازل دمشق وفر مروان إلى غزة فحوصرت دمشق مدة وأخذت في رمضان وقتل بها خلق من بني أمية،

ومن جندهم فما شاء الله كان فلما بلغ مروان ذلك هرب إلى مصر ثم قتل في آخر السنة.

وهرب ابناه عبد الله نعبيد الله حتى دخلا أرض النوبة وكان مروان قد استعمل على مصر عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير اللخمي مولاهم، فأحسن السيرة وسارعتم السفاح صالح بن علي فافتتح مصر وظفر بعبد الملك وبأخيه معاوية؛ فعفا عنهما وقتل الأمير حوثرة بن سهيل فيقال: طبخوه طبخا وكان قد ولي مصر مدة، وقتل حسان بن عتاهية وصلب سنة.

* * *

أحداث سنة ثلاث وثلاثين ومائة

وفيها استعمل السفاح على البصرة عمه سليمان بن علي ولما قدم داود بن علي مكة أخذ من كان بالحجاز من بني أمية وقتلهم صبرا، فلم يمتع وهلك واستخلف حين احتضر على عمله ولده موسى فاستعمل السفاح على مكة خاله زياد بن عبد الله وعلى اليمن ابن خاله محمد بن زياد فوجه زياد بن عبيد الله الأمير أبا حماد الأبرص إلى المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة وهو باليمامة

فأخذه وقتله وقتل أصحابه.

* * *

أحداث سنة أربع وثلاثين ومائة

وفيها خلع الطاعة بسام بن إبراهيم الخراساني خرج معه طائفة فساقوا إلى المدائن فوجه السفاح لحربهم خازم بن خزيمة فالتوقا فانهزم بسام وقتل أبطاله، ثم مر خازم بثلاثين من الحارثيين خؤولة السفاح فكلمهم في أمر فاسخفوا به فضرب أعناق الكل، فأعظم ذلك اليمانية ودخل وجوههم على السفاح وصاحوا فهم السفاح بقتل خازم بن خزيمة فأشير عليه بالعفو، فإن له سابقة وطاعة وإن أراد أمير المؤمنين قتله فليعرضه للغزو، فإن ظفر فظفره لك وإلا استرحت منه أشاروا عليه بأن يبعثه إلى عمان وبها خلق من الخوارح عليهم ابن الجلنيد وشيبان بن عبد العزيز اليشكري فجهز معه سبعمائة فارس وكتب معه إلى أمير البصرة سليمان بن علي ليحملهم ن البصرة في الصفن إلى جزيرة بركاوان وإلى عمان ففعل؛ فأنكى خازم في الخوارج وجرت له حروب مع شيبان، ثم ظفر به وقتله حتى بلغ عدة قتلى الخوارج عشرة آلاف فقتل ابن الجلندي وبعث خازم بالرؤوس إلى البصرة.فحاربهم حربًا شديدًا حتى استولى عليها.

* * *

أحداث سنة أربع وثلاثين ومائة

وفيها خلع الطاعة بسام بن إبراهيم الخراساني خرج معه طائفة فساقوا إلى المدائن فوجه السفاح لحربهم خازم بن خزيمة فالتوقا فانهزم بسام وقتل أبطاله، ثم مر خازم بثلاثين من الحارثيين خؤولة السفاح فكلمهم في أمر فاسخفوا به فالسفاح وزيد بن رفيع في قول وسعيد بن جمهان بالبصرة وعطاء بن السائب في قول، وعبد الكريم بن الحارث المصري العابد، وعبد الملك بن عمير، وعبيد الله بن أبي جعفر، وعلي بن بذيمة الحراني، والعلاء بن الحراث الحضرمي، ومغيرة بن مقسم في قول، ويحيى بن أبي إسحق بالبصرة.

ثم حج فيها أبو جعفر وأبو مسلم فلما انقضى الموسم وقفلا ورد الخبر بذات عرق بموت السفاح، وكان قبل موته بمديدة قد عقد لأبي جعفر بالأمر من بعده

وقام بأمر البيعة يوم موت السفاح عيسى بن موسى ابن عمه، وبعثوا أبا غسان ببيعة أبي جعفر إلى عمه عبد الله بن علي، وكان راجعًا في الطريق من عند السفاح فبايع عسكره وقواده لنفسه وزعم أن السفاح جعل له الأمر، ثم دخل حران وغلب على الشام وقدم أبو جعفر المنصور من الحج فدخل الكوفة بأهلها الجمعة.

* * *

أحداث سنة سبع وثلاثين ومائة

وفيها في أولها بلغ أهل الشام موت السفاح فبايع أهل دمشق هاشم بن يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية قام بأمره فيما قيل عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي، فلما أظلهما صالح بن علي بالجيوش هربًا وكان عثمان قد استعمله عبد الله بن علي على أهل دمشق فخرج وسب بني العباس على منبر ابن عمه قد بذر الخزائن، فجدد الناس له البيعة ومن بعده لعيسى، وأما عمه عبد الله بن علي فإنه أبدى أن السفاح قال: من انتدب ملوران الحمار فهو ولي عهدي من بعدي وعلى هذا خرجت فقام عدة من القواد الخراسانية، فشهدوا بذلك وبايعه حميد بن قحطبة ومخارق بن الغفار، وأبو غانم الطائي والقواد فقال المنصور لأبي مسلم الخراساني: إنما هو أنا وأنت فسر نحو عبد الله فسار بسائر الجيش من الأنبار وعلى مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعي ومعه الحسن بن قحطبة وأخوه حميد كان فارق عبد الله لما تنكر له وخشي عبد الله أن الخراسانية الذين معه لا تنصح فقتل منهم بضعة عشر ألفًا أمر صاحب شرطته فقتلهم بخديعة، ثم نزل نصيبين وخندق على نفسه وأقبل أبو مسلم فنزل بقرب منه ثم نفذ إليه: إني لم أؤمر بقتالك ولكن أمير المؤمنين ولاني الشام وأنا أريدها.

فقال الشميون لعبد الله: كيف نقيم معك؟ وهذا يأتي بلادنا ويقتل ويسبي، ولكن نسير إلى بلادنا ونمنعه فقال: إنه ما يريد الشام ولئن أقمتم ليقصدنكم، ثم كان القتال بينهم نحوا من خمسة أشهر وأهل الشام أكثر فرسانًا وأكمل عدة وكان على ميمنتهم بكارين مسلم العقيلي وعلى الميرة خازم بن خزيمة واستظهر الشاميون غير مرة، وكاد عسكر أبي مسلم أن ينهزموا وهو يثبتهم ويرتجز.

من كان ينوي أهلــه فـــلا رجـــع ::: فر من المـــوت وفي المـــوت وقـــع

ثم أردف القلب بميمنته وحملوا على ميسرة عبد الله فكانت الهزيمة وقال عبد الله لابن سراقة الأزدي: ما ترى؟ قال: أرى أن نصبر ونقاتل، فإن الفرار قبيح بمثلك وقد عيته عل مروان قال: إني أقصد العراق قال: فأنا معك فانهزموا وخلوا عسكرهم فاحتوى عليه أبو مسلم بما فيه وكتب بالنصر إلى المنصور فبعث مولى لهيحصي ما حواه أبو مسلم فغضب عندها أبو مسلم وتنمر وهم يقتل المولى وقال: إنما لأمير المؤمنين من هذا الخمس ومضى عبد الله ب علي وأخوه عبد الصمد، فأما عبد الصمد فقصد الكوفة فاستأمن له عيسى بن مسوى فأمنه المنصور وأما عبد الله، فأتى أخاه سليمان متولى البصرة فاختفى عنده وأما المنصور فخاف من غيظ أبي مسلم، وأن يذهب إلى خراسان فكتب إليه بولاية الشام ومصر فأقام بالشام واستعمل على مصر فلما أتاه الكتاب أظهر الغضب وقال: يوليني مصر والشام وأنا لي خراسان!.

وعزم على الشر وقيل: بل شتم المنصور لما جاءه المنصور إلى المدائن وكان ن دهاة العالم لولا شحه وكتب إلى أبي مسلم ليقدم عليه فرد عليه إنه لم يبق لأمير المؤمنين عدو، وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان أن أخوف ما يكون الوزراء، وإذا سكتت الدهماء فنحن نافرون من قربك حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت فإن أرضاك ذاك فأنا كأحسن عبيدك وإن أبيت نقضت ما أبرمت من عهدك ضنا بنفسي. فرد عليه المنصور الجواب يطمئنه مع جرير بن يزيد البجلي وكان واحد وقته فخدعه ورده.

وفيها خرج سنباذ بخراسان للطلب بثأر أبي مسلم وكان سنباذ مجوسيًّا تغلب على نيسابور والري وأخذ خزائن أبي مسلم وتقوى بها فجهز المنصور لحربه جهور ابن مرار العجلي في عشرة آلاف، فكانت الوقعة بين الري وهمذان وكانت ملحمة مهولة فهزم سنباذ وقتل من جيشه نحو من ستين ألفًا وكان غالبهم من أهل الجبال وسبيت ذراريهم ث قتل سنباذ بقرب طبرستان.

* * *

أحداث سنة ثمان وثلاثين ومائة

وفيها أهم المنصور شأن ملبد الشيباني فندب لقتاله خازم بن خزيمة فسار في ثمانية آلاف فارس فالتقوا فقتل الله تعالى ملبدًا بعد حروب يطول شرحها.

وفيا غزا الأمير صالح بن علي فنزل دابقي فأقبل طاغية الروم قسطنيطين ابن أليون في مائة ألف فالتقاه صالح فانتصر ولله الحمد وسلم وغنم، وكان هذا اللعين قد أخذ ملطية من قريب وهدم سورها كما ذكرنا، وفيها ظهر عبد الله بن علي وبعث بالبيعة مع أخيه سليمان بن علي إلى أمير المؤمنين.

* * *

أحداث سنة تسع وثلاثين ومائة

وفيها خرج جعفر بن حنظلة البهراني فأتى مدينة ملطية وهي خارب فعسكر بها وأقبل الأمير عبد الواحد فنزل على ملطية فزرع أرضها وطبخ كللسا لبناء سورها، ثم قفل فوجه طاغية الروم من حرق الزرع.

وفيها غزا الأمير صالح بن علي الأمير العباس بن محمد فوغلا في أرض الروم وغزت معهما أم عيسى ولبابة أختا الأمير صالح وكانتا نذرتا إن زال ملك بني أمية أن تجاهدا في سبيل الله، ثم لم يكن بعد هذا العام صائفة ولا غزو إلى أن دخلت سنة ست وأربعين لاشتغال المنصور في أثناء ذلك بخروج ابني عبد الله بن حسن عليه.

وفيها عزل المنصور عمه سليمان عن البصرة وولي سفيان بن معاوية، واختفى عبد الله بن علي وآله خوفًا على أنفسهم فبعث المنصور إلى سليمان وعيسى فعزم عليهما في إشخاص أخيهما عبد الله بن علي أعطاهما له الأمان، وكتب إلى سفيان ابن معاوية ليحثهما على ذلك، فأقدموا عبد الله على المنصور

فسجنه وسجن بعض أصحابه وقتل بعضهم وبعث بطائفة منهم إلى خراسان ليقتلهم خالد، وحج بالناس العباس بن محمد أخو المنصور.

* * *

أحداث سنة أربعين ومائة

وفيها توجه جبريل بن يحيى إلى المصيصة فرابط فيها حتى بناها وأحكمها وسكنها الناس وتوجه الأمير عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد العباسي ابن أخي المنصور، فأقام على ملطية سنة حتى بناها ورم شعثها وأسكنهان الناس.

وفيها ثار جمع من جن خراسان على أميرها أبي داود خالد بن إبراهيم ليلاً وهو بمرو حتى وصلوا إلى داره فأشرف عليهم على طرف آجره خارجة وجعل ينادي أصحابه فأنكسرت به الآجرة فوقع فانكسر ظهره فمات من الغد؛ فبعث المنصور على إمرة خراسان عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي فقبض على جماعة من الأمراء اتهمهم بالدعوة إلى ولد فاطمة - رضي الله عنها - منهم مجاشع بن حريث صاحب بخارى وأبو المغيرة مولى بني تميم عامل قوهستان والحريش بن محمد الذهلي ابن عم خالد بن إبراهيم فقتلهم وضرب الجنيد بن خالد التغلبي ومعبدًا المري ضربًا شديدًا وحبسهما في عدة من الأمراء.

وفيها حج المنصور، ثم زار بيت المقدس، ثم سلك الشام ونزل الرقة فقتل بها منصور بن جعونة العامري، ثم سار إلى الهاشمية وهي بالكوفة وأمر بالشروع بعمل مدينة بغداد واختطها.

* * *

أحداث سنة إحدى وأربعين ومائة

وفيها كان ظهور الراوندية، قال أبو الحسن المدائني: هم قوم من خراسان على رأي أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة ويقولون فيما زعم بتناسخ الأرواح، فيزعمون أن روح آدم - عليه السلام - حلت في عثمان بن نهيك، وأن المنصور هو ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم وأن الهيثم بن معاوية هو جبريل. قال: فأتوا قصر المنصور فجعلوا يطوفون به ويقولون: هذا فقبض المنصور

منهم على نحو المائتين من الكبار فغضب الباقون وقالوا: علام حبسوا، ثم عهدوا إلى نعش فخفوا به يوهمون أنها جنازة قد اجتمعوا لها ثم إنهم مروا بها على باب السجن فعنده شدوا على الناس بالسلاح واقتحموا السجن فأخرجوا أصحابهم الذين قبض عليهم المنصور وقصدوا نحو المنصور وهم نحو ستمائة فتنادى الناس وأغلقت المدينة وخرج المنصور من قصره ماشيًّا لم يجد فرسا فأتي بدابة وهو يريدهم فجاءه معن بن زائدة، فترجل له وعزم عليه وأخذ بلجام الدابة وقال: إنك تكفى يا أمير المؤمنين، وجاء مالك بن الهيثم فوقف على باب القصر، ثم قاتلوهم حتى أثخنوهم.

وجاء خازم بن خزيمة فقال: يا أمير المؤمنين، أقتلهم؟ قال: نعم. فحمل عليهم حتى ألجأهم إلى الحائط فكروا على خازم فهزموه، ثم كر عليهم هو والهيثم بن شعبة بجندهما وأحاطوا بهم ووضعوا فيهم السيف فأبادوهم فلا - رحمهم الله.

وقد جاء يومئذ عثمان بن نهيك فكلمهم فرموه بنشابة فمرض منها، ومات فاستعمل المنصور مكانه على الحرس أخاه عيسى بن نهيك، وكان هذا كله في المدينة الملقبة بالهاشمية وهي بقرب الكوفة، ثم إن المنصور قدم سماطًا بعد العصر وبالغ في إكرام معن.

* * *

أحداث سنة اثنتين وأربعين ومائة

وفيها نزع الطاعة متولي السند عيينه بن موسى بن كعب فخرج المنصور بالجيش، فنزل البصرة وجهز عمر بن حفص العتكي محاربًا ومتوليًّا على السند والهند فسار حتى غلب على السند واستوثق له الأمر.

* * *

أحداث سنة ثلاث وأربعين ومائة

وفيها سار أبو الأحوص العبدي في ستة آلاف فارس من مصر إلى أفريقية فنزل برقة، ثم التقى هو وأبو الخطاب الإباضي، فانهزم أبو الأحوص فسار أمير مصر بنفسه وجيوشه وهو محمد بن الأشعث فالتقى هو والإباضية فقتل

في المصاف أبو الخطاب وانهزموا، وفيها بلغ المنصور أن الديلم قد أوقعوا بالمسلمين وقتلوا منهم خلائق فندب الناس للجهاد، وفيها عزل الهيثم عن مكة بالسري بن عبد الله بن الحارث بن العباس العباسي، فأتي بكتاب عهده وهو في اليمامة، وفيها عزل عن مصر حميد بن قحطبة وأعيد نوفل ثالثًا، ثم عزل نوفل ووليها يزيد بن حاتم الأزدي، وحج بالناس عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي أمير الكوفة.

* * *

أحداث سنة أربع وأربعين ومائة

وفيها غزا محمد بن السفاح الديلم بجيش الكوفة والبصرة وواسط والجزيرة، وفيها قدم المهدي من خراسان فدخل بابنة عمه ريطة بنت السفاح، وفيها حج المنصور وخلف على العساكر خازم بن خزيمة فاستعمل على المدينة رياح بن عثمان المري وعزل محمدا القسري.

وكان المنصور قد أهمه شأن محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب لتخلفهما عن الحضور عنده مع الأشراف فقيل: إن محمدًا ذكر أن المنصور لما حج في حياة أخيه السفاح كان ممن بايع له ليلة اشتور بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة حين اضطرب أمر بني أمية، فسأل المنصور زيادًا متولي المدينة عن ابني عبد الله بن حسن. فقال: ما يهمك يا أمير المؤمنين، من أمرهما أنا آتيك بهما فضمنه إياهما في سنة ست وثلاثين ومائة.

* * *

أحداث سنة خمس وأربعين ومائة

وفيها بالغ رياح وإلى المدينة في طلب محمد بن عبد الله حتى أخرجه. فعزم على الظهور فدخل مرة المدينة خفية.

فعن الفضل بن دكين قال: بلغني أن عبيد الله بن عمر وابن أبي ذئب وعبد الحميد بن جعفر قد دخلوا عليه فقالوا: ما تنتظر بالخروج والله ما نجد في هذه البلدة أشأم عليها منك ما يمنعك أن تخرج أخرج وحدك فكان من قصته أن

رياحًا طلب جعفر بن محمد، وبني عمه وجماعة من وجوه قريش ليلة قال راوي القصة: إنا لعنده؛ إذ سمعت التكبير، فقام رياح فاختفى وخرجنا نحن، فكان ظهور محمد بالمدينة في مائتي رجل وخمسين رجلاً فمر بالسوق ثم مر بالسجن فأخرج من فيه ودخل داره وأتى على حماره وذلك في أول رجب، ثم أمر برياح وابني مسلم فحبسوا بعد أن مانع أصحاب رياح بعض الشيء. ولما خطب محمد حمد الله تعالى، ثم قال: أما بعد فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التي بناها معاندة لله في ملكه وتصغيرًا لكعبة الله، وإنما أخذ الله فرعون حين قال: أنا ربكم الأعلى إن أحق الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين والأنصار اللهم إنهم قد فعلوا وفعلوا فاحصهم عددا واقتلهم بددًا ولا تغادر منهم أحدًا.

قال علي بن الجعد: كان المنصور يكتب إلى محمد بن عبد الله عن أحسن قواده يدعونه إلى الظهور ويخبرونه أنهم معه، فكان محمد يقول لو التقينا لمال إلي القواد كلهم وقد خرج معه مثل ابن عجلان وعبد الحميد بن جعفر قال محمد بن سعد: خرج ابن عجلان معه فلما قتل وولي المدينة جعفر بن سليمان أتوه بابن عجلان فكلمه كلامًا شديدًا وقال: خرجت مع الكذاب وأمر بقطع يده، فلم ينطق إلا أنه حرك شفتيه فقال من حضر من العلماء فقالوا: أصلح الله الأمير إن ابن عجلان فقيه المدينة وعابدها، وإنما شبه عليه وظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية ولم يزالوا يرغبون إليه حتى تركه ولزم عبيد الله بن عمر ضيعة له واعتزل فيها وخرج أخواه عبد الله وأبو بكر مع محمد بن عبد الله ولم يقتلا عفا عنهما المنصور. واختفى جعفر الصادق وذهب إلى مال له بالفراغ معتزلاً للفتنة - رحمه الله - ثم إن محمدا استعمل عماله على المدينة ولم يتخلف عنه من الوجوه إلا نفر منهم الضحاك ابن عثمان، وعبد الله بن منذر الخرميان، وخبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير.

قال سعد بن عبد الحميد بن جعفر: أخبرني غير واحد أن مالكًا استفتي في الخروج مع محمد وقيل له: إن في أعناقنا بيعة للمنصور فقال: إنما بايعتم

مكروهين وليس على مكرة يمين فأسرع الناس إلى محمد ولزم مالك بيته.

قال أبو داود السجستاني: كان سفيان الثوري يتكلم في عبد الحميد بن جعفر لخروجه مع محمد ويقول: إن مر بك المهدي وأنت في البيت فلا تخرج إليه حتى يجتمع عليه الناس، وذكر سفيان صفين فقال: ما أدري أخطأوا أم أصابوا.

* * *

بناء بغداد

في هذه السنة أسست مدينة السلام بغداد وهي التي تدعى: مدينة المنصور.

* * *

خروج إبراهيم

وخرج إبراهيم بن عبد الله بن حسن أخو محمد المذكور بالبصرة.

* * *

أحداث سنة سبع وأربعين ومائة

فيها توفي إسماعيل بن علي الهاشمي، وحبيب بن صالح الحمصي، وسليمان بن سليم قاضي حمص، والصلت بن بهرام الكوفي، وطلحة بن يحيى التيمي، وعبد الله اح أتي برأس إبراهيم فتمثل بيت معقر البارقي:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ::: كما قر عينا بالإياب المسافر

* * *

أحداث سنة ست وأربعين ومائة

وفي صفر منها تحول أبو جعفر المنصور فنزل ببغداد قبل استتمام بنائها، وكان خالد بن برمك ممن أشار عليه بإنشائها ونقل إليها خمسة أبواب كانت على واسط عظيمة فعمل لبغداد أربعة أبواب كل باب داخله باب آخر، وبنيت مستديرة وأنشئت دار الإمارة في وسطها وعملوا لها سورين.

* * *

أحداث سنة سبع وأربعين ومائة

وفيها بدعت الترك بناحية أرمينية وقتلوا أمما من المسلمين ودخلوا تفليس وكان حرب بن عبد الله الراوندي الذي تنسب إليه الحربية من بغداد مقيما بالموصل في ألفين لمكان الخوارج الذين بالجزيرة، وكان المنصور قد وجه إلى الموصل جبريل بن يحيى في عسكر فانضموا كلهم وقصدوا الترك فالتقوا، فانهزم جبريل وقتل حرب، وذكر علي بن محمد النوفلي عن أبيه: أن المنصور حج سنة سبع وأربعين.

* * *

أحداث سنة إحدى وخمسين ومائة

وفيها عزل عمر بن حفص المهلبي عن السند بهشام بن عمرو التغلبي ثم ولي المهلبي أفريقية. وسبب عزله عن السند أن محمد بن عبد الله بن حسن لما خرج بالمدينة وجه ولده الأشتر في طائفة إلى البصرة وأمرهم أن يشتروا بها خيلاً ويمضوا بها إلى السند يقدمونها إلى عمر، وكان يتشيع فقدموا بها فسر بهم ودعا خواصه إلى ربيعة محمد فأجابوه وفصل الأقبية والأعلام البيض وتهيأ للخروج فجاءه مصرع ابن حسن فوجه عبد الله الأشتر خفية إلى ملك مشرك يثق به فأكرم الملك مورد الأشتر، وكان معه نحو أربعمائة فكان يركب ويتصيد في هيئة ملك فبلغ ذلك المنصور فعزل عمر بن حفص، ثم إن الأشتر خرج يتنزه وظفر به أجناد هشام فاقتتلوا فقتل الأشتر وأصحابه.

وفيها قدم المهدي من الري إلى بغداد وشرع المنصور فبنى الرصافة وشيدها وعمل لها سورا منيعًا وخندقا وميدانًا وجر إليها الماء وجعلها للمهدي وجدد له بيعة العهد من بعده ثم من بعد المهدي لعيسى بن موسى، وفيها ولي معن بن زائدة إقليم سجستان.

* * *

أحداث سنة اثنين وخمسين ومائة

وفيها وثبت الخوارج ببست على معن بن زائدة فقتلوه لجوره وعسفه، وفيها غزا حميد بن قحطبة كابل وولاه المنصور إقليم خراسان، وفيها ولي البصرة يزيد بن منصور وولي مصر محمد بن سعيد وعزل عنها يزيد بن حاتم. وحج بالناس المنصور.

* * *

أحداث سنة ثلاث وخمسين ومائة

وفيها قتل متولي أفريقية عمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة الأزدي خرجت عليه أمم من البربر وعليهم أبو حاتم الإباضي وأبو عاد فيقال: كانوا في خمسة وثمانين ألف فارس، وأزيد من مائتي ألف راجل، وكانوا قد بايعوا بالخلافة أبا قرة الصفرة، وفيها ألزم المنصور رعيته بلبس القلانس الطوال المعروفة بالدنية فكانوا يعلمونها بالقصب والورق ويلبسونها السواد. وفيها يقول أبو دلامة:

وكنا نرجى من إمام زيادة ::: فزاد الإمام المصطفى في القلانس
تراها على هام الرجال كأنها ::: دنان يهود جللت بالبرانس

وفيها عزل الصائفة مسعود بن عبد الله الجحدري ففتح حصنًا بالروم بالسيف، وفيها ولي بكار بن مسلم أرمينية، وفيها دخل الميذ دجلة فوصلوا إلى البصرة فقتلوا وسبوا، ثم سار لحربهم العسكر فقهروهم واستنقذوا منهم كثيرًا مما أخذوا.

* * *

أحداث سنة أربع وخمسين ومائة

وفيها قدم المنصور الشام وزار بيت المقدس، ثم جهز يزيد بن حاتم في خمسين ألفًا لحرب الخوارج بأفريقة وأنفق على ذلك الجيش مع شحه بالمال ستين ألف ألف درهم وزيادة، وذكر الواقدي أن صاعقة نزلت بالمسجد الحرام

فأهلكت خمسة نفر.

* * *

أحداث سنة خمس وخمسين ومائة

وفيها استنفذ يزيد بن حاتم المغرب من الخوارج بعد حروب عظيمة، وقتل أبا عاد، وأبا حاتم ملكي الخولرج ومهد الإقليم وبقي على إمرته خمسة عشر عامًا، وفيها سار المهدي إلى الرافقة فنزل هناك وأنشأ المدينة.

وفيها أمر الخليفة بعمل سور على البصرة وسور على الكوفة فعملا من أموال أهل البلدين وولي البصرة الهيثم بن معاوية العتكي.

وفيها عزل المنصور أخاه العباس بن محمد عن الجزيرة وحسبه مدة وأغرمه أموالاً واستعمل عليها موسى بن كعب.

* * *

أحداث سنة ست وخمسين ومائة

وفيها كان الهيثم المذكور أمير البصرة قد ظفر بعمرو بن راشد الذي كان ولاه إبراهيم بن عبد الله بن حسن؛ إذ خرج على إقليم فارس فصلب بالبصرة بعد قطع أربعته، ثم عزل الهيثم واستعمل سوار بن عبد الله على الصلاة مضافًا إلى القضاء فمات الهيثم فجأة ببغداد على صدر سريته، وولي شرطة البصرة سعيد بن دعلج.

* * *

أحداث سنة سبع وخمسين ومائة

وفيها أنشأ المنصور قصره الذي سماه الخلد، وفيها عرض جيوشه في السلاح والخيل وخرج هو وعليه درع وقلنسوة سوداء مضربة وفوقها الخوذة، ونقل الأسواق من بغداد وعملت بظاهرها بباب الكرخ وأمر بعمل ذلك من ماله ووسع شوارع بغداد وهدم دورًا لذلك.

وفيها استعمل على البصرة بعد موت سوار عبيد الله بن الحسن العنبري،

واستعمل على السند معبد بن خليل وصرف هشام بن عمرو.

وفيها غزا الروم يزيد بن أسيد السلمي فوجه على بعض جيشه سنانًا مولى البطال فسبى وغنم.

* * *

أحداث سنة ثمان وخمسين ومائة

وفيها وجه المنصور ولده إلى الرقة فعزل موسى بن كعب عن الجزيرة ووليها يحيى بن خالد بن برمك فروى الحسن بن وهب، عن سعيد، عن صالح بن عطية قال: كان المنصور قد الزم خالد بن برمك بثلاثة آلاف ألف درهم نذر دمه وأجله ثلاثة أيام فقال خالد لابنه: يا بني، قد ترى ما حل بنا فانصرف إلى أهلك فما كنت فاعلا بهم بعد موتي فافعل وألق إخواننا ومر بعمارة بن حمزة، وصالح صاحب المصلى، ومبارك التركي فأعلمهم حالنا.

* * *

أحداث سنة تسع وخمسين ومائة

وفيها غزا الصائفة العباس أخو المنصور فوصل إلى أنقرة بأرض الروم، وافتتح مدينة.

وهلك نائب خراسان ابن قحطبة فولي بعده ابنه عبد الله وقيل: مليها أبو عون عبد الملك بن يزيد.

وولي حمزة بن مالك سجستان، وولي جبريل بن يحيى سمرقند وتلك الناحية.

* * *

أحداث سنة ستين ومائة

وفيها كان خروج يوسف البرم بخراسان منكرًا على المهدي الحالة التي هو عليها من الانهماك على اللهو واللذات وغير ذلك فاجتمع معه خلق فتوجه لحربه يزيد بن مزيد الشيباني، فأسره وأسر جماعة من جماعة من جنده وبعث بهم إلى الحضرة فقطعت أطراف يوسف ثم قتل هو وأصحابه وصلبوا.

زفيها قدم بغداد عيسى بن موسى فتلقي بالإكرام، ثم إنه حضر يومًا قبل

جلوس المهدي فدخل عليه طائفة من أمراء الوقت، فأغلقوا عليه باب المجلس أو هو أغلق على نفسه خوفًا منهم فكادوا أن يكسروا الباب بالدبابيس وشتموه وحصروه فجاء المهدي، وأنكر ذلك فلم ينتهوا إلى أن كاشفه ذوو الأسنان من أهل بيته بحضرة المهدي، وأغلظوا له وعنفوه ليخلع نفسه وكان أشدهم عليه محمد بن سليمان بن علي فاعتذر بأن عليه أيمانًا مشددة في أمواله ونسائه فأحضروا له القضاة والعلماء فأفتوه بما رأوا من المصلحة وكفر عنه المهدي وأعطاه أموالاً كما قدمنا.

وكان خلعه في أثناء المحرم، ثم صعد المهدي المنبر وخطب وصعد عيسى فبايع أول الناس بالعهد لموسى الهادي.

* * *

حوادث سنة إحدى وستين ومائة

ظهور عطاء المقنع

وفيها ظهور عطاء المقنع - لعنه الله - بأعمال مرو وكان يقول بتناسخ الأرواح حتى عاد الأمر إليه واستغوى خلقًا عظيمة وتوثب على بعض ما وراء النهر فانتدب لحربه أمير خراسان معاذ بن مسلم، والأمير جبريل بن يحيى، وليث مولى المهدي، وسعيد الحرشي فجمع المقنع الأقوات وتحصن للحصار بقلعة من أعمال كش.

* * *

أحداث سنة اثنتين وستين ومائة

وفيها كان مقتل عبد السلام بن هاشم اليشكري الذي خرج بحلب وبالجزيرة، وكثرت جموعه وهزم الجيوش إلى أن انتدب لحربه شبيب بن واج فسار في ألف فارس من الأبطال وأعطوا ألف ألف درهم ففر منهم اليشكري إلى حلب فلحقه بها شبيب فقتله.

* * *

أحداث سنة ثلاث وستين ومائة

مقتل المقنع وفيها ألح سعيد الحرشي في حصار اللعين عطاء المقنع فلما أحس بالهلاك مص سما وسقى نساءه فتلفوا، وستأتي ترجمته ودخل العسكر حصنه فقطعوا رأسه، ثم بعثوا به إلى المهدي فوافاه وهو بحلب يجهز البعوث لغزو الروم، وكانت غزوة عظمى أمر عليها ولده هارون وضم غليه الربيع الحاجب وموسى بن عيسى بن موسى، والحسن بن قحطبة وفتح المسلمون فتحًا كبيرًا.

* * *

أحداث سنة أربع وستين ومائة

غزوة عبد الكبير إلى الحدث وفيها كانت غزوة عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الحميد بن زيد بن الخطاب العدوي من درب الحدث فأقبل إليه ميخائيل البطريق في تسعين ألفًا فعجز عبد الكبير وتقهقر الجيش فهم المهدي بقتله، ثم سجنه.

عطش الحجيج وفيها اشتد عطش الحجيج حتى عاينوا التلف، ولاية البصرة وفارس وفيها عزل المهدي محمد بن سليمان بن علي عن البصرة، وفارس واستعمل عليها صالح بن داود بن علي.

* * *

أحداث سنة خمس وستين ومائة

غزوة هارون إلى القسطنطينية

وفيها غزا هارون ابن الخليفة الصائفة فوغل في بلاد الروم فافتتح ماجدة فالتقته الروم عليهم نقيطًا فانهزموا فقتل نقيطًا وسار إلى الدمستق بنقمودية، ثم سار بالجيوش حتى بلغ خليج قسطنطينية.

ثم صالح ملك الروم في العام على سبعين ألف دينار مدة ثلاث سنين بعد أن غنم وسبا واستنقذ خلقًا من الأسر وغنم ما لا يوصف من المواشي حتى ابتيع

البرذون بدرهم والزردية بدرهم وعشرون سيفًا بدرهم وقتل من العدو نحو خمسين ألفان فلله الحمد.

* * *

أحداث سنة ست وستين ومائة

عودة هارون بالغنائم وفيها رجع هارون بالغنائم وبالذهب من الروم.

قضاء البصرة وفيها عزل عن قضاء البصرة عبد الله بن الحسن ووليها خالد بن طليق بن عمران بن حصين فلم يحمد.

* * *

أحداث سنة سبع وستين ومائة

وجد المهدي في تتبع الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتل على التهمة.

عزل أبي عبيد الله الوزير وفيها عزل المهدي عن ديوان الرسائل أبا عبيد الله الأشعري الذي كان وزيره وولاه الربيع الحاجب فاستتاب سعيد بن واقد، الطاعون بالبصرة وبغداد وفيها كان الطاعون بالبصرة وبغداد، الزيادة في المسجد الحرام وفيها أمر المهدي بالزيادة الكبرى في المسجد الحرام فدخلت في ذلك دور كثيرة وولي يقطين الأمير.

* * *

أحداث سنة ثمان وستين ومائة

وفيها نقضت الروم الصلح بعد فراغ الهدنة بثلاثة أشهر فتوجه إليهم زيد بن بدر بن أبي محمد البطال في سرية فغنموا وظفروا، تجهيز الحرشي إلى طبرستان وفيها جهز المهدي سعيدًا الحرشي إلى طبرستان في أربعين ألفًا.

وفيها مات عمر الكلوذاني عريف الزنادقة فولي بعده حمدويه الميساني.

* * *

أحداث سنة تسع وستين ومائة

موت المهدي وخلافة الهادي

وفيها خلافة الهادي، في المحرم سار المهدي إلى ما سبذان عازمًا على تقديم ابنه هارون في ولاية العهد، وأن يؤخر موسى الهادي فنفذ إلى موسى في ذلك فامتنع فطلبه فلم يأت فهم المهدي بالمسير إلى جرجان لذلك فساق يومًا خلف صيد فاقتحم الصيد خربة ودخلت الكلاب خلفه وتبعهم المهدي فدق ظهره في باب الخربة مع شدة سوق الفرس فهلك لساعته.

وقيل: بل أطعموه السم سقته جارية له سما اتخذته لضرتها فمد يده وفزعت أن تقول: هو مسموم وكان لبا فيما قيل وقيل: كان إنجاصًا فأكل وصاح: جوفي وتلف من الغد وعلقت المسوح على قباب حرمه.

* * *

أحداث سنة سبعين ومائة

وفاة الخليفة الهادي، وفيها هلك الخليفة موسى الهادي من قرحة أصابته في جوفه، وقيل: سمته أمة الخيزران لما أجمع قتل أخيه الرشيد وكانت أيضًا حاكمة مستبدة بالأمور الكبار فمنعها وقد كانت المواكب تغدو إلى بابها فردهم عن ذلك وكلمها بكلام فج وقال: إن وقف بدارك أمير لأضر بن عنقه أما لك مغزل تشغلك، أو مصحف يذكرك، أو سبحة فقامت ما تعقل من الغضب فقيل: إنه بعث إليها بطعام مسموم، فأطعمت منه كلبًا فانتثر فعملت على قتله لما وصلبه.

وقيل بل صلبه الرشيد، ثم بعث الخليفة شماخًا اليمامي دسيسة وكتب معه إلى أمير أفريقية فتوصل إلى إدريس، وأظهر أنه شيعي متحرق وأنه يلم بالطب فأنس به إدريس، ثم شكى إليه وجعا بأسنانه فأعطاه سنونًا مسمومًا وأمره أن يستن به سحرًا وهرب الشماخ في الليل واستن إدريس فتلف فقام بعده ولده إدريس بن إدريس. فتملك هو وأولاده بالمغرب زمانًا بناحية تاهرت وانقطعت عنهم البعوث، وجرت للإدريسية أمور يطول شرحها وبنوا القصور والمدائن.

* * *

أحداث سنة إحدى وسبعين ومائة

عزل الفضل بن سليمان ووفاته وفيها قدم الأمير أبو العباس الفضل بن

سليمان الطوسي معزولاً عن نيابة خراسان فصيره الرشيد على ختم الخلافة ولم ينشب أن مات فدفع الخاتم إلى يحيى بن خالد بن برمك مع الوزارة.

ضرب عنق أمير الجزيرة وفيها أمر الرشيد أبا حنيفة بن قيس فضرب عنق أمير الجزيرة أبي هريرة محمد بن فروخ.

اخراج الرشيد العلويين من بغداد إلى المدينة المنورة، وفيها أخرج هارون الرشيد من كان ببغداد من العلويين إلى المدينة النبوية سوى العباس بن حسن بن عبد الله بن العباس ابن الإمام علي بن أبي طالب، وكان أبوه حسن في من أخرج.

سفر الخيزران للحج وفي رمضان سارت السدة الخيزران للحج وكان أمير الموسم عبد الصمد بن علي، وأقامت الخيزران بمكة نحو الشهر.

* * *

أحداث سنة اثنتين وسبعين ومائة

وفيها عزل الرشيد عن أرمينية يزيد بن مزيد الشيباني، وأمر عليها عبيد الله بن المهدي.

الحج هذا الموسم وحج بالناس يعقوب بن المنصور.

* * *

أحداث سنة ثلاث وسبعين ومائة

وفيها حج بالناس هارون الرشيد، إمارة العباس بن جعفر على خراسان وعزل عن إمرة خراسان جعفر بن محمد بن أشعث، وأمر ولد المعزول العباس بن جعفر.

* * *

أحداث سنة أربع وسبعين ومائة

فمن مات: بكر بن مضر المصري والأمير روح بن حاتم المهلبي وقاضي

مصر، وعالمها عبد الله بن لهيعة وعبد الرحمن بن أبي الزناد، ونعيم بن ميسرة، ويعقوب القمي بخلف، الحج هذا الموسم وفيها حج بالناس أيضًا أمير المؤمنين.

* * *

أحداث سنة خمس وسبعين ومائة

فمات فيها: حرم بن أبي حرم القطعي والحكم بن فضيل الواسطي، والخليل بن أحمد فيما قيل: وقد مر وخشاف الكوفي فقيه مصر، والقاسم بن معن المسعودي الكوفي، والليث بن سعد فقيه مصر، والهقل بن زياد في قول عقد البيعة لمحمد الأمين وفيها كان عقد البيعة بولاية العهد لابن أمير المؤمنين الرشيد محمد، ولقب: بالأمين وله يومئذ خمس سنين. فكان هذا أول وهن جرى في دولة الإسلام من حيث الإمامة. حرصت أمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور حتى تم ذلك. وأرضوا العسكر بأموال عظيمة فسكتوا.

* * *

أحداث سنة ست وسبعين ومائة

وفيها هاج الحرب بالشام بين اليمانية والقيسية، واشتد الخطب ونشأت بينهم أحقاد وإحن إلى وقتنا وبقي لبعضهم على بعض دماء يهيجون لها كل حين.

فتح مدينة دبسة وفيها فتحت مدينة دبسة ولها قصة يطول شرحها، افتتحها الأمير عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح بن علي العباسي، ومعه مخلد بن يزيد ابن عمر بن هبيرة الفزاري.

* * *

أحداث سنة سبع وسبعين ومائة

وفيها عزل الرشيد جعفر البرمكي عن مصر بإسحاق بن سليمان، ولاية الفضل بن يحيى على خراسان، وعزل حمزة بن مالك عن خراسان وولاها الفضل بن يحيى البرمكي مع سجستان والري.

* * *

أحداث سنة ثمان وسبعين ومائة

وفيها هاجت الحوفية بديار مصر من قيس وقضاعة، فوثبوا بنائب الرشيد إسحاق بن سليمان، فقاتلوه فوجه الرشيد جيشًا مع هرثمة بن أعين فخمدت الفتنة، ولاية هرثمة بن أعين على مصر، ثم ولى مصر هرثمة بن أعين، ثم عزل بعد شهر بعبد الملك بن صالح الهاشمي، فتنة أهل المغرب وفيها وثبت أهل المغرب فقتلوا متولي أفريقيا الفضل بن روح بن حاتم المهلبي وطردوا من عندهم من آل المهلب فبادر إليها هرثمة بن أعين، وكان شجاعا مهيبا فذلوا وأذعنوا بالطاعة، تفويض أمور الممالك ليحيى بن خالد، وفيها فوض الرشيد جميع أمور ممالكه إلى يحيى بن خالد البرمكي.

* * *

أحداث تسع وسبعين ومائة

وفيها ولي إمرة خراسان منصور بن يزيد بن منصور الحميري.

خروج الوليد بن طريف من جديد وفيها رجع الوليد بن طريف الشاري بجموعه من ناحية أرمينية إلى الجزيرة وقد اشتدت بليته وكثر جيشه فسار لحربه يزيد ابن مزيد الشيباني فراوغه يزيد، ثم التقاه على غرة بقرب هيت فقتله ومزق جمعه.

وفي ذلك تقول الفارعة أخت الوليد:

أيا شجر الخابور مالك مورقا ::: كأنك لم تجزع على ابن طريف

* * *

أحداث إحدى وثمانين ومائة

وفيها غزا الرشيد بلاد الروم فافتتح حصن الصفصاف عنوة.

مسير عبد الملك بن صالح إلى أنقرة وسار عبد الملك بن صالح بن علي حتى بلغ أنقرة من أرض الروم. وافتتح حصنًا.

* * *

أحداث اثنتين وثمانين ومائة

وفيها أخذ الرشيد البيعة بولاية العهد من بعد ولده الأمين لولده الآخر عبد الله المأمون، وكان ذلك بالرقة فسيره إلى بغداد في خدمته جعفر عم الرشيد وعبد الملك بن صالح، وعلي بن عيسى وولاه ممالك خراسان بأسرها وهو يومئذ مراهق، تملك ريني على الروم وفيها وثبت الروم على ملكهم قسطنطين فسلموه واعتقلوه وملكوا عليهم أمه ريني وتلقب أغسطه، وفيها حج بالناس موسى بن عيسى بن موسى العباسي.

* * *

أحداث ثلاث وثمانين ومائة

وفيها كان خروج الخزر بسبب ابنة الخاقان، وقد كانت في العام الماضي حملت إلى الفضل بن يحيى البرمكي وتزوج بها؛ فما وصلت حتى ماتت ببرذعة، فرجع من كان في خدمتها من العساكر إلى أبيها فأخبروه أنها قتلت غيلة فاشتد غضبه وخرج للقتال بجيوشه من باب الأبواب، فأوقعوا بأهل الإسلام وبالذمة وسفكوا وسبوا فيما قيل: أزيد من مائة ألف نسمة، وفي الجملة جرى على الإسلام أمر عظيم لم يسمع قبله بمثله أبدًا.

فاستعمل الرشيد على أرمينية يزيد بن مزيد مع أذربيجان وأمده بالجيوش وأردفه بخزيمة بن قانع وساروا فدفعوا الخزر عن أرمينية وأغلقوا باب الدربند.

* * *

أحداث أربع وثمانين ومائة

وفيها ولي حماد البربري مكة واليمن وولي داوود بن يزيد بن حاتم المهلبي السند وابن الأغلب المغرب ومهرويه الرازي طبرستان.

* * *

أحداث خمس وثمانين ومائة

وفيها خرج أبو الخصيب ثانية وغدر وغلب على نيسابور وطوس وأبيورد وزحف بجيشه إلى مرو فالتقوه فانكسر وتأخر إلى سرخس واستفحل أمره،

ظهور ابن عيسى وطول اختفائه.

وفيها ظهر بعبادان أحمد بن عيسى بن زيد بن علي الحسيني، وبناحية البصرة وبويع سرًا، ثم عجز وهرب فلم يزل مستخفيًّا إلى أن مات بعد دهر طويل سنة سبع وأربعين ومائتين بالبصرة، ولا أعلم أحدًا في دولة الإسلام استقر في طول هذه المدة أبدا مستخفيًّا.

* * *

أحداث ست وثمانين ومائة

وفيها سار علي بن عيسى بن ماهان من مرو لحرب أبي الخصيب فالتقاه بنسا، فقتل أبو الخصيب وتمزقت جيوشه وسبيت حرمه واستقام أمر خراسان، سجن ثمامة بن أشرس، وفيها سجن الرشيد ثمامة بن أشرس المتكلم؛ لأنه وقف منه على شيء من إعانة أحمد بن عيسى بن زيد.

بيعة الرشيد لولده المؤتمن وفيها بايع الرشيد بولاية العهد لولده قاسم من بعد الأخوين الأمين والمأمون ولقبه المؤتمن وولاه الجزيرة والثغور وهو صبي.

* * *

أحداث سبع وثمانين ومائة

وفيها مقتل جعفر البرمكي وقد اختلف في سبب قتله على أقوال فقيل: إن جبريل بن بختيشوع الطبيب قال: إني لقاعد عند أمير المؤمنين الرشيد؛ إذ أتى يحيى ابن خالد بن برمك، وكان يدخل بلا إذن فلما قرب سلم فرد عليه الرشيد ردًا ضعيفًا فعلم يحيى أن أمرهم قد تغير فأقبل علي الرشيد وقال: يا جبريل، يدخل عليك أحد منزلك بلا إذن فقلت: لا!

قال: فما بالنا يدخل علينا بلا إذن فوثب يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، قدمني الله قبلك والله ما هو إلا شيء خصصتني به والآن فأكون في الطبقة

الثانية من أهل الإذن إن أمرتني، فاستحيا الرشيد وكان من أرق الخلفاء وأطرق، ثم قال: ما أردت ما تكره ولكن الناس يقولون، قال: فظننت أنه لم يسنح له جواب يرتضيه، ثم خرج يحيى.

وقيل: إن ثمامة بن أشرس قال: أول ما أنكر يحيى بن خالد من أمره أن محمد ابن الليث رفع رسالة إلى الرشيد يعظه ويقول: إن يحيى لا يغني عنك من الله شيئًا وقد جعلته فيما بينك وبين الله، فكيف بك إذا وقفت بين يدي الله، فسألك عما عملت في عباده وبلاده.

فدعا الرشيد يحيى وقد بلغته الرسالة فقال: تعرف محمد بن الليث قال: نعم هو منهم على الإسلام، فأمر بابن الليث فوضع في المطبق دهرًا. فلما تنكر الرشيد للبرامكة أمر بإخراجه فأحضره وقال له: أتحبني؟ قال: لا والله. قال: أتقول هذا؟ قال: نعم وضعت في رجلي الأكبال وحلت بيني وبين عيالي بلا ذنب سوى قول حاسد يكيد الإسلام وأهله ويحب الإلحاد وأهله. فأطلقه ثم قال: أتحبني؟ قال: لا ولكن قد ذهب ما عندي. فأمر له بماية ألف، ثم قال: أتحبني؟ قال: نعم قد أحسنت إلي.

فقال: انتقم الله ممن ظلمك وأخذ لك ممن بعثني عليك.

قال: فقال الناس في البرامكة، فأكثروا وكان ذلك أول ما ظهر من تغير حالهم.

* * *

أحداث ثمان وثمانين ومائة

وفيها غزا المسلمون الصائفة ودخلوا من درب الصفصاف. فبرز نقفور بجموعه والتقوا فجرح نقفور ثلاث جراحات وانهزم وقتل من الروم مقتلة عظيمة فقيل: بلغت القتلى أربعين ألفًا وقيل: أربعة آلاف وسبعمائة، وحج بالناس الرشيد.

* * *

أحداث تسع وثمانين ومائة

فيها توفي: حكام بن سلم الرازي وأبو خالد الأحمر وشعيب بن إسحاق

الدمشقي، وعبد الأعلى بن عبد الأعلى الشامي، وعلي بن مسهر الكوفي، وعمر بن أبي خليفة العبدي، ومبشر بن عبد الله بن رزين النيسابوري، ومحمد بن الحسن قاضي القضاة وعلي بن حمزة الكسائي شيخ القراء، وهارون بن المغيرة ويحيى بن يمان العجلي، ويوسف بن خالد السمتي، فداء أسرى المسلمين وفيها كان الفداء حتى لم يبق بممالك الروم في الأسر مسلم.

* * *

أحداث سنة تسعين ومائة

وفيها خلع الطاعة رافع بن الليث بن نصر بن سيار بسمرقند فوجه ابن ماهان لحربه ابنه عيسى فالتقوا فانهزم عيسى.

إسلام الفضل بن سهل وفيها أسلم الفضل بن سهل المجوسي على يد المأمون ابن هارون الرشيد، فتح الرشيد هرقلة وفيها افتتح الرشيد مدينة هرقلة، وبث جيوشه بأرض الروم، وكان في مائة ألف فارس وخمسة وثلاثين ألفًا سوى المطوعة، وجال في أرض الكفر الأمير داوود بن عيسى بن موسى في سبعين ألفًا،

فتح حصن الصقالبة وافتتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة.

وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف وملقونية.

* * *

أحداث سنة اثنتين وتسعين ومائة

وفيها شخص هرثمة إلى خراسان ووجه إلى علي بن عيسى في الظاهر أموالاً وخلعًا وسلاحًا. فلما نزل نيسابور جمع وجوه أصحابه فخلا بكل منهم وأخذ عليه العهد والميثاق أن يكتم أمره وولى كل رجل بلدًا ودفع إليه عهده وجهزه سرًا إلى بلده. فعل هذا خوفًا من ثورة علي بن عيسى.

ثم سار فلما كان على مرحلة من مرو دعا ثقات أصحابه وكتب أسماء ولد علي بن عيسى وأهل بيته ودفع إلى كل رجل رقعة باسم من وكله بحفظه إذا دخل مرو.

ثم وجه إلى علي: إن أحب الأمير أن يوجه ثقاته لقبض ما معي فعل، فإنه إذا تقدمت الأموال أمام دخولي كان أقوى للأمير وأفت في عضد أعدائه، فوجه علي جماعة لقبض الأموال؛ فقل هرثمة: اشغلوهم الليلة. ففعلوا.

ثم سار إلى مرو فلما صار منها على ميلين تلقاه علي بن عيسى وولده وقواده؛ فلما وقعت عين هرثمة عليه ثنى رجله لينزل فصاح علي: والله لئن نزلت لأنزلن. فثبت ودنا فاعتنقا، ثم سارا إلى قنطرة لا يجوزها إلا فارس، فحبس هرثمة لجام الفرس وقال لعلي: سر فقال: لا والله. فقال هرثمة: لا والله أنت أميرنا، ثم نزل بمنزل علي وأكلا من السماط، ثم دفع الخادم كتاب الرشيد إلى علي فلما رأى أول حرف منه سقط من يده، ثم أمر هرثمة بتقييده وتقييد ولده وعماله، ثم صار إلى الجامع فخطب وبسط من آمال الناس وأخبر أن الرشيد ولاه ثغورهم بما بلغه من سوء سيرة الفاسق علي بن عيسى وإني منصفكم منه.فأظهروا السرور وضجوا بالدعاء، ثم انصرف ودعا بعلي وآله فقال: اعفوني من الإقدام بالمكروالحراني الفقيه محمد بن الحسن المهلبي بالمصيصة مطرف بن مازن قاضي صنعاء معمر بن سليمان النخعي الرقي.

* * *

أحداث سنة ثلاث وتسعين ومائة

وفيها ثار أهل حمص بعاملهم إسحاق بن سليمان فخرج إلى سلمية فولى عليهم الأمين عبد الله بن سعيد الحرشي فحبس عدة من وجوههم وقتل عدة وضرب النار في نواحي حمص فسألوه الأمان فأمنهم.

وسكنوا ثم هاجوا فقتل طائفة منهم، وفيها عزل الأمين أخاه القاسم عن ما كان الرشيد ولاه وذلك إمرة الشام وقنسرين والثغور وولى مكانه خزيمة بن خازم، الأمر بالدعاء لموسى ابن الأمين وفيها أمر الأمين بالدعاء لابنه موسى على المنابر بالإمرة بعد ذكر المأمون والقاسم، تنكر الأمين للمأمون وتنكر كل واحد من الأمين والمأمون لصاحبه وظهر الفساد بينهما.

* * *

أحداث سنة أربع وتسعين ومائة

وفيها ثار أهل حمص بعاملهم إسحاق بن سليمان فخرج إلى سلمية فولى عليهم الأمين عبد الله بن سعيد الحرشي فحبس عدة من وجوههم وقتل عدة وضرب النار في نواحي حمص فسألوه الأمان فأمنهم.

وسكنوا ثم هاجوا فقتل طائفة منهم، عزل الأمين القاسم عن الولايات وفيها عزل الأمين أخاه القاسم عن ما كان الرشيد ولاه وذلك إمرة الشام وقنسرين والثغور وولى مكانه خزيمة بن خازم، الأمر بالدعاء لموسى ابن الأمين وفيها أمر الأمين بالدعاء لابنه موسى على المنابر بالإمرة بعد ذكر المأمون والقاسم، تنكر الأمين للمأمون وتنكر كل واحد من الأمين والمأمون لصاحبه وظهر الفساد بينهما.

* * *

أحداث سنة خمس وتسعين ومائة

وفيها قال بعض الشعراء فيما جرى من ولاية العهد لموسى وهو طفل، وذلك برأي الفضل كما تقدم ورأي بكر بن المعتمر.

أضاع الخلافة غش الوزير ::: وفسق الأمير وجهل المشير
ففضل وزير وبكر مشير ::: يريدان ما فيه حتف الأمير
لواط الخليفة أعجوبة ::: وأعجب منه خلاق الوزير
فهذا يدوس وهذا يداس ::: وهذا لعمري خلاف الأمور
ولو يستعينان هذا بذاك ::: لكانا بعرضة آمر ستير
وأعجب بمن ذا وذا أننا ::: نبايع للطفل فينا الصغير
ومن لم يحسن غسل أسته ::: ومن لم يخل من بوله حجرظير

ولما تيقن المأمون خلعه تسمى بإمام المؤمنين وكوتب بذلك.

عقد الأمين الولايات لعلي بن عيسى وفي ربيع الآخر عقد الأمين لعلي بن عيسى بن ماهان على بلد الجبال: همدان ونهاوند وقم وأصبهان، وأقر له فيما قيل بمائتي ألف دينار وأعطى لجنده مالاً عظيمًا.

جمع الأمين أهل بغداد لقراءة العهد لابنه ولما جمع الأمين الملأ لقراءة العهد على ابنه موسى قال: يا معشر خراسان، يعني: الذين ببغداد إن الأمير

موسى قد أمر لكم من صلب ماله بثلاثة آلاف ألف درهم، فهيأ سبعمائة من الخوارزمية.

* * *

أحداث سنة ست وتسعين ومائة

وفيها روي عن عبد الرحمن بن وثاب قال: حدثني أسد بن يزيد بن مزيد أن الفضل بن الربيع الحاجب بعث إليه بعد مقتل عبد الرحمن الأبناوي قال: فأتيته فوجدته مغضبًا فقال: يا أبا الحارث، أنا وإياك نجري إلى غاية إن قصرنا عنها ذممنا وإن اجتهدنا في بلوغها انقطعنا، وإنما نحن شعرة من أصل إن قوي قوينا وإن ضعف ضعفنا إن هذا الرجل يعني: الأمين قد ألقى بيده إلى الأمة الوكعاء يشاور النساء ويعترض على الرؤساء وقد أمكن مسامعه من اللهو والجسارة فهم يكبدونه الظفر، والهلاك أسرع إليه من السيل إلى قيعان الرمل وقد خشيت والله أن نهلك بهلاكه ونعطب بعطبه وأنت فارس العرب وابن فارسها قد فزع إليك في لقاء هذا الرجل وأطمعه فيما قبلك أمران، أما أحدهما فصدق طاعتك وفضل نصيحتك والثاني يمن نقيبتك وشدة بأسك، وقد أمرني بإزاحة علتك وبسط يدك فيما أحببت فعجل المبادرة إلى عدوك، فإني أرجو أن يوليك الله تعالى شرف هذا الفتح ويلم بك شعث هذه الخلافة.

* * *

أحداث سنة سبع وتسعين ومائة

وفيها لحق القاسم الملقب بالمؤتمن وهو أخو الأمين ومنصور بن المهدي بالمأمون، شكوى المسلمين من أعمال زهير بن المسيب وفيها نزل زهير بن المسيب الضبي بكلواذي ونصب المجانيق واحتفر الخندق، وجعل يخرج في الأوقات عند اشتغال الجند بحرب طاهر فيرمي بالمجانيق والعرادات من أقبل وأدبر ويعشر أموال التجار. وجعل يرمي المسلمين فأتوا طاهرًا يشكون منه. وبلغ ذلك هرثمة من أعين فأمده بالجنود.

اشتداد الحصار على الأمين ببغداد، ثم نزل هرثمة نهر بين وبنى عليه حائطًا وخندقًا وأعد المجانيق وأنزل عبيد الله بن الوضاح الشماسية، ونزل

طاهر بن الحسين البستان الذي بباب الأبناء فضاق الأمين ذرعًا وتفرق ما كان في يده من الأموال العظيمة، فأمر ببيع ما في الخزائن من الأمتعة وضرب آنية الذهب والفضة دنانير ودراهم لينفقها.

* * *

أحداث سنة ثمان وتسعين ومائة

وفيها الحصار كما هو على بغداد ففارق محمدًا خزيمة بن خازم من كبار قواده، وقفز إلى طاهر بن الحسين هو ومحمد بن علي بن عيسى بن ماهان فوثبا على جسر دجلة في ثامن المحرم فقطعاه وركزا أعلامهما وخلعا الأمين ودعيا للمأمون، فأصبح طاهر بن الحسين وألح في القتال على أصحاب محمد الأمين وقاتل بنفسه، فانهزم أصحاب محمد ودخل طاهر قسرًا بالسيف ونادى مناديه: من لزم بيته فهو آمن.

ثم أحاط بمدينة المنصور وبقصر زبيدة وقصر الخلد فثبت على قتال طاهر حاتم ابن الصقر والهرش والأفارقة،

فنصب المجانيق خلف السور وعلى القصرين ورماهم، فخرج محمد بأمه وأهله من القصر إلى مدينة المنصور وتفرق عامة جنده وغلمانه وقل عليهم القوت والماء وفنيت خزائنه على كثرتها.

* * *

أحداث سنة مائتين

وفيها هرب أبو السرايا والطالبيون من الكوفة في المحرم إلى القادسية فدخلها هرثمة ومنصور بن المهدي وأمنوا أهلها، ثم أتى أبو السرايا إلى ناحية واسط، ثم مضى حتى أتى السوس وأنفق الأموال، فجاءهم الحسن بن علي الباذغيسي فأرسل إليهم: اذهبوا حيث شئتم فلا حاجة لي في قتالكم ولست بتابعكم، فأتى أبو السرايا إلى قتاله فالتقوا فهزمهم الحسن واستباح عسكرهم وجرح أبو السرايا وهرب هو ومحمد بن محمد وأبو الشوك وطلبوا رأس العين والجزيرة، فلما انتهوا إلى جلولا عثر بهم حماد الكندغوش فأخذهم وجاء بهم

إلى الحسن بن سهل وهو بالنهروان فقتل أبا السرايا في عاشر ربيع الأول وبعث محمد بن زيد بن علي إلى مرو إلى المأمون.

افتتاح البصرة واختفاء الطالبيين وسار علي بن أبي سعيد إلى البصرة فافتتحها، وكان بها زيد بن موسى بن جعفر أخو علي بن موسى الرضا وهو الذي يقال له: زيد النار لكثرة ما حرق من دور العباسيين بالبصرة، وكان يأتي بالرجل من المسودة فيحرقه بالنار، وانتهب تجار البصرة فأسره علي بن أبي سعيد واختفى الطالبيون.

* * *

أحداث سنة إحدى ومائتين

بيعة المأمون لعلي بن موسى الرضا بولاية العهد فيها جعل المأمون ولي العهد من بعده علي بن موسى الرضا وخلع أخاه القاسم بن الرشيد، وأمر بترك السواد ولبس الخضرة في سائر الممالك وأقام عنده بخراسان، فعظم هذا على بني عباس لا سيما في بغداد، وثاروا وخرجوا على المأمون وطردوا الحسن بن سهل من بغداد.

وكتب المأمون إلى إسماعيل بن جعفر بن سليمان العباسي أمير البصرة بلبس الخضرة فامتنع ولم يبايع بالعهد لعلي الرضا، فبعث المأمون عسكرا لحربه فسلم نفسه بلا قتال فحمل هو وولده إلى خراسان وبها المأمون فمات هناك.

* * *

أحداث سنة اثنتين ومائتين

البيعة لإبراهيم بن المهدي، في أولها بايع العباسيون وأهل بغداد إبراهيم بن المهدي وخلعوا المأمون لكونه أخرجهم من الأمر وبايع بولاية العهد لعلي بن موسى الرضا وأمرهم والدولة بإلغاء السواد ولبس الخضرة، فلما كان يوم الجمعة خامس المحرم صعد إبراهيم بن المهدي الملقب بالمبارك المنبر. فأول من بايعه عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن منصور ابن المهدي أخوه، ثم بنو عمه ثم القواد.وكان المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي هو المتولي

لأجل البيعة، وسعى في ذلك وقام به السندي وصالح صاحب المصلى ونصير الوصيف.

* * *

أحداث سنة أربع ومائتين

وصول المأمون إلى النهروان فيها وصل المأمون إلى النهروان فتلقاه بنو هاشم والقواد، العودة إلى لبس السواد وقدم عليه من الرقة بإذنه طاهر بن الحسين ودخل بغداد في نصف صفر، ولباسهم وأعلامهم خضر، فنزل الرصافة وبعد ثمانية أيام كلمه بنو هاشم العباسيون وقالوا له: يا أمير المؤمنين، تركت لبس آبائك وأهل دولتك ولبست الخضرة، وكاتبه قواد خراسان في ذلك.

وقيل: إنه أمر طاهر بن الحسين أن يسأله له حوائجه فقال: أسأل طرح الخضرة ولبس السواد زي آبائك، ثم جلس يوما وعليه الثياب الخضر فلما اجتمع الملأ دعا بسواد فلبسه ثم دعا بخلعة سوداء فألبسها طاهرًا ثم ألبس عدة قواده أقبية وقلانس سوداء، فطرح الناس الخضرة ومزقت، وأسرعوا إلى لبس السواد.

أحداث سنة خمس ومائتين

استعمال طاهر بن الحسين على خراسان فيها استعمل المأمون على جميع خراسان والمشرق طاهر بن الحسين، فسار إلى عمله في ذي القعدة وأعطاه عشرة آلاف ألف درهم.

ولاية ابن طاهر الجزيرة وكان ولده عبد الله بن طاهر قد قدم على المأمون من الرقة بعد أبيه فولاه الجزيرة، ولاية عيسى بن محمد آذربيجان وأرمينية وولى على آذربيجان وأرمينية عيسى بن محمد بن أبي خالد وأمره بقتال بابك.

استعمال بشر بن داود على السند واستعمل على السند بشر بن داود على أنه أيضا المأمون في أمرهم وذكره بضمانه لهم، فذكر المأمون أن يداري ما هو فيه، ثم ارتحل من مرو وقدم سرخس فشد قوم على الفضل بن سهل وهو في الحمام فضربوه بالسيوف حتى مات في ثاني شعبان.

* * *

أحداث سنة ثلاث ومائتين

وفاة الرضا، وأما سهل بن سلامة فأحضره حميد بن عبد الحميد وأكرمه وحمله على بغل ورده إلى داره، فلما قدم المأمون أتاه فأجازه ووصله وأمره أن يجلس في منزله وكانت أيام إبراهيم سنتين إلا بضعة عشر يومًا، وصول المأمون إلى همذان ووصل المأمون إلى همذان في آخر السنة.

* * *

أحداث سنة أربع ومائتين

وصول المأمون إلى النهروان فيها وصل المأمون إلى النهروان فتلقاه بنو هاشم والقواد، العودة إلى لبس السواد وقدم عليه من الرقة بإذنه طاهر بن الحسين ودخل بغداد في نصف صفر، ولباسهم وأعلامهم خضر، فنزل الرصافة وبعد ثمانية أيام كلمه بنو هاشم العباسيون وقالوا له: يا أمير المؤمنين، تركت لبس آبائك وأهل دولتك ولبست الخضرة،

وكاتبه قواد خراسان في ذلك، وقيل: إنه أمر طاهر بن الحسين أن يسأله له حوائجه فقال: أسأل طرح الخضرة ولبس السواد زي آبائك.

* * *

أحداث سنة خمس ومائتين

استعمال طاهر بن الحسين على خراسان فيها استعمل المأمون على جميع خراسان والمشرق طاهر بن الحسين، فسار إلى عمله في ذي القعدة وأعطاه عشرة آلاف ألف درهم، ولاية ابن طاهر الجزيرة وكان ولده عبد الله بن طاهر قد قدم على المأمون من الرقة بعد أبيه فولاه الجزيرة، ولاية عيسى بن محمد آذربيجان وأرمينية وولى على آذربيجان، وأرمينية عيسى بن محمد بن أبي خالد، وأمره بقتال بابك.

* * *

أحداث سنة أربع ومائتين

وصول المأمون إلى النهروان فيها وصل المأمون إلى النهروان فتلقاه بنو هاشم والقواد، العودة إلى لبس السواد وقدم عليه من الرقة بإذنه طاهر بن الحسين ودخل بغداد في نصف صفر ولباسهم وأعلامهم خضر، فنزل الرصافة وبعد ثمانية أيام كلمه بنو هاشم العباسيون وقالوا له: يا أمير المؤمنين، تركت لبس آبائك وأهل دولتك ولبست الخضرة. وكاتبه قواد خراسان في ذلك.

وقيل: إنه أمر طاهر بن الحسين أن يسأله له حوائجه فقال: أسأل طرح الخضرة ولبس السواد زي آبائك.

ثم جلس يوما وعليه الثياب الخضر فلما اجتمع الملأ دعا بسواد فلبسه ثم دعا بخلعة سوداء فألبسها طاهرا ثم ألبس عدة قواده أقبية وقلانس سوداء. فطرح الناس الخضرة ومزقت. وأسرعوا إلى لبس السواد.

* * *

أحداث سنة خمس ومائتين

استعمال طاهر بن الحسين على خراسان فيها استعمل المأمون على جميع خراسان والمشرق طاهر بن الحسين، فسار إلى عمله في ذي القعدة وأعطاه عشرة آلاف ألف درهم، ولاية ابن طاهر الجزيرة وكان ولده عبد الله بن طاهر قد قدم على المأمون من الرقة بعد أبيه فولاه الجزيرة.

ولاية عيسى بن محمد آذربيجان، وأرمينية وولى على آذربيجان، وأرمينية عيسى بن محمد بن أبي خالد وأمره بقتال بابك.

استعمال بشر بن داود على السند واستعمل على السند بشر بن داود على أنه يحمل إليه في كل سنة ألف ألف درهم.

استعمال الجلودي لمحاربة الزط واستعمل على محاربة الزط عيسى بن يزيد الجلودي، الحج هذا الموسم وحج بالناس عبيد الله بن الحسن العلوي أمير الحرمين.

* * *

أحداث سنة ست ومائتين

المد يغرق سواد العراق فيها كان المد الذي غرق فيه السواد وذهبت الغلات وغرقت قطيعة أم جعفر وقطيعة العباس.

تغلب بابك على عيسى بن محمد، وفيها غلب بابك عيسى بن محمد بن أبي خالد وبيته.

* * *

أحداث سنة سبع ومائتين

الدعوة للرضى في اليمن فيها وقيل: قبلها خرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ببلاد عك من اليمن يدعو إلى الرضى من آل محمد (صلي الله عليه وسلم)؛ لأن عامل اليمن أساء السيرة، فبايع عبد الرحمن خلق، فوجه المأمون لحربه دينار بن عبد الله وكتب معه بأمانه، وحج دينار،

ثم سار إلى اليمن حتى قرب من عبد الرحمن فبعث إليه بأمانه فقبله وجاء مع دينار إلى المأمون، وعند ظهوره منع المأمون الطالبين من الدخول عليه وأمرهم بلبس السواد.

* * *

أحداث سنة عشرة ومائتين

" دخول نصر بغداد " فيها في صفر دخل نصر بن شبث بغداد فأنزله المأمون بمدينة أبي جعفر وعليه الحرس.

" فتح ابن طاهر للإسكندرية " ثم فتح عبد الله بن طاهر الإسكندرية، وكان قد تغلب عليها طائفة أتوا من الأندلس في المراكب وعليهم رجل يكنى أبا حفص، ثم إنهم نزحوا عنها خوفًا من ابن طاهر ونزلوا جزيرة أقريطش فسكنوها وبها بقايا من أولادهم.

" ظفر علي بن هشام بأهل قم " وفيها امتنع أهل قم فوجه المأمون إليهم

علي ابن هشام فحاربهم وظفر بهم وهدم سورها، واستخرج منهم سبعة آلاف ألف درهم والله أعلم.

* * *

أحداث سنة إحدى عشرة ومائتين

وفيها قدم الأمير عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي بغداد من الديار المصرية فتلقاه العباس ولد المأمون وأبو إسحاق أخو المأمون، وقدم معه من المتغلبين على الشام وغيرها ابن أبي الجمل وابن السرج وابن أبي الصفر.

تشيع المأمون وفيها أمر المأمون بأن ينادى: برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير أو فضله على أحد من الصحابة، وإن أفضل الخلق بعد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وكان المأمون يبالغ في التشيع، ولكن لم يتكلم في الشيخين بسوء بل كان يترضى عنهما ويعتقد إمامتهما - رضي الله عنهما.

* * *

أحداث سنة اثنتي عشرة ومائتين

وفيها وجه المأمون محمد بن حميد الطوسي لمحاربة بابك الخرمي.

الولاية على اليمن واستعمل على اليمن: أبا الداري محمد بن عبد الحميد.

إظهار المأمون خلق القرآن، وفيها أظهر المأمون القول بخلق القرآن مضافا إلى تفضيل علي على أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - فاشمأزت النفوس منه، ثم سار إلى دمشق فصام بها رمضان.

* * *

أحداث سنة ثلاث عشرة ومائتين

خروج القيسية واليمانية في مصر وولاية المعتصم مصر والشام، وفيها خرج عبد السلام وابن حليس بمصر في القيسية واليمانية، فاستعمل المأمون على مصر والشام أخاه أبا إسحق المعتصم.

تفريق المأمون للأموال وأمر لكل واحد منهما بخمسمائة ألف دينار، وأمر بمثل ذلك لعبد الله بن طاهر فقيل: إنه لم يفرق ملك في يوم من المال مثل ذلك أبدًا.

استعمال غسان بن عباد على السند واستعمل على السند الأمير غسان بن عباد، وكان غسان ذا رأي وحزم ودهاء وخبرة تامة وقد ولي إمرة خراسان قبل طاهر بن الحسين.

* * *

أحداث سنة أربع عشرة ومائتين

وفيها خرج بلال الشاري وقويت شوكته فسار لحربه هارون بن أبي خلف فظفر به هارون وقتله.

ولاية أصبهان وآذربيجان والجبال وفيها ولي أصبهان وآذربيجان والجبال وحرب بابك علي بن هشام فواقع بابك غير مرة. والله أعلم.

* * *

أحداث سنة خمس عشرة ومائتين

وفيها سار المأمون لغزو الروم في أول العام واستخلف على بغداد الأمير إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، وقدم عليه محمد بن علي بن موسى الرضا فأكرمه وأجازه بمال عظيم وأمره بالدخول بأهله وهي أم الفضل ابنة المأمون فدخل بها ببغداد، ثم سار المأمون إلى دابق وأنطاكية، ثم دخل المصيصة وخرج منها إلى طرسوس، ثم دخل الروم في نصف جمادى الأولى فنازل حصن قرة حتى فتحه عنوة وهدمه وافتتح حصن ماجدة وتسلم حصنين بالأمان.

تهذيب قواعد الديار المصرية وأما أخوه أبو إسحاق، فإنه هذب قواعد الديار المصرية ورجع فقدم واجتمع بأخيه المأمون بنواحي الموصل، قدوم المأمون إلى دمشق وقدم المأمون دمشق بعد غزوته المذكورة.

* * *

أحداث سنة ست عشرة ومائتين

وفيها كر المأمون راجعًا إلى غزو الروم لكونه بلغه أن ملك الروم قتل خلقًا من أهل طرسوس والمصيصة فدخلها في جمادى الأولى وأقام بها إلى نصف شعبان وجهز أخاه أبا إسحاق فافتتح عدة حصون، ثم وجه يحيى بن أكثم فأغار وقتل وسبى، ثم رجع.

دخول المأمون الديار المصرية وفي آخر السنة توجه المأمون من دمشق إلى الديار المصرية ودخلها فهو أول من دخلها من الخلفاء العباسيين.

* * *

أحداث سنة سبع عشرة ومائتين

وفيها دخل المأمون مصر فأحضر بين يديه عبدوس الفهري فضربت عنقه.

قال المسعودي: وكان قد تغلب عليها.

عودة المأمون إلى دمشق وغزو الروم وعاد إلى دمشق، ثم سار إلى أذنة ودخل أرض الروم فنزل على لؤلؤة وحاصرها مائة يوم، ثم رحل عنها وخلف عليها عجيفا فخدعه أهلها وأسروه، ثم أطلقوه بعد جمعة.

وأقبل الملك توفيل في جيوش الروم لعنهم الله إلى حصن لؤلؤة فأحاط بعجيف، فبلغ ذلك المأمون فجهز الجنود لحربه فارتحل توفيل وكتب كتابًا إلى المأمون يطلب الصلح فبدأ بنفسه وأغلظ في المكاتبة. فاستشاط المأمون غضبًا وقصد الروم وعزم على المسير إلى قسطنطينية، ثم فكر في هجوم الشتاء فرجع.

حريق البصرة وفيها وقع حريق عظيم بالبصرة يقال: إنه أتى على أكثرها وكان أمرا مزعجًا يفوق الوصف.

* * *

أحداث سنة ثمان عشرة ومائتين

وفيها اهتم المأمون ببناء طوانة من أرض الروم وحشد لها الرجال والصناع وأمر ببنائها ميلا في ميل، وقرر ولده العباس على بنائها ولزمه عليها أموال لا يحصيها إلا الله تعالى وهي على فم الدرب مما يلي طرسوس. وافتتح

عدة حصون.

* * *

ذكر المحنة

في أثناء السنة كتب المأمون إلى نائبه على بغداد إسحاق بن إبراهيم الخزاعي ابن عم طاهر بن الحسين في امتحان العلماء كتابًا يقول فيه: وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة ممن لا نظر له ولا روية ولا استضاءة بنور العلم وبرهانه أهل جهالة بالله تعالى وعمى عنه وضلالة عن حقيقة دينه وقصور أن يقدروا الله حق قدره ويعرفوه كنه معرفته ويفرقوا بينه وبين خلقه. وذلك أنهم ساووا بين الله وبين خلقه وبين ما أنزل من القرآن. فأطبقوا على أنه قديم لم يخلقه الله ويخترعه. وقد قال تعالى:{ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا } [الزخرف: ٣]، فكل ما جعله الله فقد خلقه كما قال:{ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ } [الأنعام: ١]، وقال:{نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ } [طه: ٩٩]، فأخبر أنه قصص لأمور أحدثه بعدها. وقال:{أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ } [هود: ١]، والله محكم كتابه ومفصله فهو خالقه ومبتدعه.

ثم انتسبوا إلى السنة وأنهم أهل الحق والجماعة وأن من سواهم أهل الباطل والكفر، فاستطالوا بذلك وغروا به الجهال حتى مال قوم من أهل السمت الكاذب والتخشع لغير الله إلى موافقتهم فنزعوا الحق إلى باطلهم واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالهم.

إلى أن قال: فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة المنقوصون من التوحيد حظًا أوعية الجهل وأعلام الكذب ولسان إبليس الناطق في أوليائه والهائل على أعدائه من أهل دين الله وأحق أن يتهم في صدقه وتطرح شهادته، ولا يوثق به ذلك أعمى وأضل سبيلا.

ولعمرو أمير المؤمنين إن أكذب الناس من كذب على الله ووحيه، وتخرص الباطل ولم يعرف الله حقيقة معرفته، فاجمع من بحضرتك من القضاة فاقرأ عليهم كتابنا وامتحنهم فيما يقولون واكشفهم عما يعتقدون في خلق الله وإحداثه، ولعلمهم أني غير مستعين في عمل ولا واثق بمن لا يوثق، فإذا أقروا بذلك

ووافقوا فمرهم بنص من بحضرتهم من الشهود ومسألتهم عن علمهم في القرآن وترك شهادة من لم يقر أنه مخلوق، واكتب إلينا بما يأتيك عن قضاة أهل علمك في مسألتهم والأمر لهم بمثل ذلك.

وكتب المأمون إليه أيضًا في إشخاص سبعة أنفس وهم: محمد بن سعد كاتب الواقدي، ويحيى بن معين وأبو خثيمة، وأبو مسلم مستملي يزيد بن هارون، وإسماعيل بن داوود، وإسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد بن إبراهيم الدورقي، فأشخصوا إليه فامتحنهم بخلق القرآن فأجابوه فردهم من الرقة إلى بغداد.

وسبب طلبهم أنهم توقفوا أولاً ثم أجابوه تقية. وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم بأن يحضر الفقهاء ومشائخ الحديث ويخبرهم بما أجاب به هؤلاء السبعة ففعل ذلك فأجابه طائفة وامتنع آخرون، فكان يحيى بن معين وغيره يقولون أجبنا خوفًا من السيف.

ثم كتب المأمون كتابًا آخر من جنس الأول إلى إسحاق وأمره بإحضار من امتنع فأحضر جماعة منهم: أحمد بن حنبل وبشر بن الوليد الكندي، وأبو حسان الزيادي وعلي بن أبي مقاتل، والفضل بن غانم وعبيد الله بن عمر القواريري، وعلي بن الجعد وسجادة والذيال بن الهيثم، وقتيبة بن سعيد، وكان حينئذ ببغداد وسعدويه الواسطي، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وابن الهرش، وابن علية الأكبر، ومحمد بن نوح العجلي، ويحيى بن عبد الرحمن العمري، وأبو نصر التمار، وأبو معمر القطيعي ومحمد بن حاتم بن ميمون وغيرهم، وعرض عليهم كتاب المأمون فعرضوا وورروا ولم يجيبوا ولم ينكروا.فقال لبشر بن الوليد: ما تقول؟ قال: قد عرفت أمير المؤمنين غير مرة.

قال: وإن فقد تجدد من أمير المؤمنين كتاب.قال: أقول: كلام الله.قال: لم أسألك عن هذا. أمخلوق هو؟ قال: ما أحسن غير ما قلت لك.

وقد استعهدت أمير المؤمنين أن لا أتكلم فيه، ثم قال لعلي بن أبي مقاتل: ما

تقول؟ قال: القرآن كلام الله وإن أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا، وأجاب أبو حسان الزيادي بنحو من ذلك،ثم قال لأحمد بن حنبل: ما تقول؟ قال: كلام الله.قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله لا أزيد على هذا.

ثم امتحن الباقين وكتب بجواباتهم، وقال ابن البكاء الأكبر: أقول القرآن مجعول ومحدث لورود النص بذلك، فقال له إسحاق بن إبراهيم: والمجعول مخلوق قال: نعم.

قال: فالقرآن مخلوق قال: لا أقول مخلوق. " هذا ما أشهد عليه عبد الله بن هارون أمير المؤمنين أن الله وحده لا شريك له في ملكه وأنه خالق وماسواه مخلوق.

ولا يخلو القرآن من أن يكون شيئًا له مثل والله لا مثل له " إلى أن قال: " والبعث حق وإني مذنب أرجو وأخاف، فإذا مت فوجهوني وليصل علي أقربكم مني نسبًا وليكبر خمسًا ".وذكر وصايا من هذا النوع إلى أن قال: " فرحم الله عبدًا اتعظ وفكر فيما حتم الله على جميع خلقه من الفناء وقضى عليهم من الموت الذي لا بد منه.

فالحمد لله الذي توحد بالبقاء، ثم لينظر المرء ما كنت فيه من عز الخلافة هل أغنى عني شيئًا إذا جاء أمر الله لا والله؟ ولكن أضعف به علي الحسنات، فيا ليت عبد الله بن هارون لم يكن بشرا بل ليته لم يكن شيئًا.

يا أبا إسحاق ادن مني واتعظ بما ترى وخذ بسيرة أخيك في القرآن واعمل في الخلافة إذ طوقكها الله تعالى عمل المريد لله الخائف من عقابه ولا تغتر بالله وتمهيله فكأن قد نزل بك الموت، ولا تغفل عن أمر الرعية الرعية الرعية العوام العوام، فإن الملك بهم الله الله فيهم وفي غيرهم، يا أبا إسحاق، عليك عهد الله لتقومن بحق الله في عباده ولتؤثرن طاعة الله على معصيته.قال: اللهم نعم.قال: فانظر من كنت تسمعني أقدمه فأضعف له في التقدمة، وعبد الله بن طاهر أقره على عمله وقد عرفت بلاءه وغناءه.وأبو عبد الله بن أبي دؤاد لا يفارقك وأشركه في المشورة في كل أمرك ولا تتخذن بعدي وزيرًا فقد علمت ما نكبني به يحيى بن أكثم في معاملة الناس وخبث سريرته حتى أبعدته.

هؤلاء بنو عمك من ذرية أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه أحسن صحبتهم وتجاوز عن مسيئهم وأعطهم الصلات، ثم توفي في رجب ودفن بطرسوس، خلافة المعتصم وكان أول من بايع المعتصم: العباس بن المأمون، ما ذكره المسبحي عن المحنة في مصر قال محمد بن عبيد الله المسبحي في " تاريخ مصر ": كتب المعتصم إلى نائبه على مصر كندر وإلى قاضي مصر هارون بن عبد الله الزهري كتابا بلي بن هشام.

وأما سعدويه الواسطي فقل له: قبح الله رجلاً بلغ به التصنع للحديث والحرص على الرئاسة فيه أن تمنى وقت المحنة.

وأما المعروف بسجادة وإنكاره أن يكون سمع ممن كان يجالس من الفقهاء القول بأن القرآن مخلوق، فأعلمه أن في شغله بإعداد النوى وحكمه لإصلاح سجادته وبالودائع التي دفعها إليه علي بن يحيى وغيره ما أذهله عن التوحيد.

وأما القواريري ففيما انكشف من أحواله وقبوله الرشا والمصانعات ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته وسخافة عقله ودينه، وأما يحيى العمري، فإن كان من ولد عمر بن الخطاب فجوابه معروف، وأما محمد بن الحسن بن علي بن عاصم، فإنه لو كان مقتديًّا بمن مضى من سلفه لم ينتحل النحلة التي حكيت عنه وأنه بعد صبي يحتاج إلى أن يعلم.

وقد كان أمير المؤمنين وجه إليك المعروف بأبي مسهر بعد أن نصه أمير المؤمنين عن محنته في القرآن فجمجم عنها ولجلج فيها حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف فأقر ذميما فأنصصه عن أقراره، فإن كان مقيمًا عليه فأشهر ذلك وأظهره، ومن لم يرجع عن شركه ممن سميت بعد بشر وابن المهدي فاحملهم موثقين إلى عسكر أمير المؤمنين ليسألهم، فإن لم يرجعوا حملهم على السيف، قال: فأجابوا كلهم عند ذلك إلا أحمد بن حنبل وسجادة، ومحمد بن نوح والقواريري، فأمر بهم إسحاق فقيدوا، ثم سألهم من الغد وهم في القيود فأجاب سجادة، ثم عاودهم ثالثًا فأجاب القواريري ووجه بأحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح المضروب إلى طرسوس، ثم بلغ المأمون أنهم إنما أجابوا مكرهين فغضب وأمر بإحضارهم إليه، فلما صاروا إلى الرقة بلغتهم وفاة المأمون، وكذا جاء الخبر بموت المامون إلى أحمد. ولطف الله تعالى وفرج.

وأما محمد بن نوح فكان عديلاً لأحمد بن حنبل في المحمل فمات، فوليه أحمد بالرحبة وصلى عليه ودفنه رحمه الله تعالى.

وفاة المأمون وأما المأمون فمرض بالروم فلما اشتد مرضه طلب ابنه العباس ليقدم عليه وهو يظن أنه لا يدركه فأتاه وهو مجهود وقد نفذت الكتب إلى البلدان فيها: من عبد الله المأمون وأخيه إسحاق الخليفة من بعده بهذا النص.

فقيل: إن ذلك وقع بأمر المأمون.وقيل: بل كتبوا ذلك وقت غشي أصابه فأقام العباس عنده أياما حتى مات، وفيها ظهر محمد بن القاسم العلوي الحسيني بالطالقان يدعوا إلى الرضا من آل محمد، فاجتمع عليه خلق فسار لقتاله جيش من قبل عبد الله بن طاهر فجرت بينهم وقعات عديدة، ثم انهزم محمد بن القاسم فقصد بعض كور خراسان فظفر به متولي نسا فقيده وبعث به إلى ابن طاهر فحبسه المعتصم، ثم إنه هرب من السجن ليلة عيد الفطر ونزل في حبل دلي له، فنودي عليه: من أحضره فله مائة ألف درهم فلم يقعوا به.

قدوم السبي من الخرمية وفي جمادى الأولى قدم بغداد إسحاق بن إبراهيم بسبي عظيم من الخرمية الذين أوقع بهم بهمذان.

إفساد الزط بالبصرة وفيها عاثت الزط بنواحي البصرة فانتدب لحربهم عجيف ابن عنبسة فظفر بهم وقتل منهم نحو الثمانمائة، ثم جرت له معهم حروب، وكان عدتهم خمسة عشر ألفًا.

* * *

أحداث سنة تسع عشرة ومائتين

وفيها ظهر محمد بن القاسم العلوي الحسيني بالطالقان يدعوا إلى الرضا من آل محمد، فاجتمع عليه خلق فسار لقتاله جيش من قبل عبد الله بن طاهر فجرت بينهم وقعات عديدة، ثم انهزم محمد بن القاسم فقصد بعض كور خراسان فظفر به متولي نسا فقيده وبعث به إلى ابن طاهر فحبسه المعتصم، ثم إنه هرب من السجن ليلة عيد الفطر ونزل في حبل دلي له، فنودي عليه: من أحضره فله مائة ألف درهم فلم يقعوا به.

قدوم السبي من الخرمية وفي جمادى الأولى قدم بغداد إسحاق بن إبراهيم بسبي عظيم من الخرمية الذين أوقع بهم بهمذان.

إفساد الزط بالبصرة وفيها عاثت الزط بنواحي البصرة فانتدب لحربهم عجيف ابن عنبسة فظفر بهم وقتل منهم نحو الثمانمائة، ثم جرت له معهم حروب، وكان عدتهم خمسة عشر ألفًا.

* * *

أحداث سنة عشرين ومائتين

ويوم عاشوراء دخل عجيف بغداد بسبي الزط وأسراهم فعبأهم على هيئتهم في الحرب وكان يومًا مشهودًا، ثم نفذوا إلى عين ذربة فأغارت عليهم الروم فاجتاحوهم حتى لم ينج منهم أحد.

مسير الأفشين لحرب بابك وفيها عقد المعتصم على حرب بابك وعلى بلاد الجبل للأفشين واسمه حيدر بن كاوس، ثم وجه أبا سعيد محمد بن يوسف إلى أردبيل لعمارة الحصون التي خربها بابك ففعل ذلك، وكان محمد بن البعيث صديق بابك في قلعة شاهي وحصن تبريز من بلاد أذربيجان فبعث بابك قائده عصمة فنزل بابن البعيث فأكرمه وأنزل إليه الإقامات وأضافه وسقاه خمرا وأسره وقتل جماعة من مقدميه فهرب عسكره.

وجعل ابن البعيث يناصح المعتصم ودله على عورة بلاد بابك، ثم كانت وقعة كبيرة بين بابك والأفشين انهزم فيها بابك وقتل من أصحابه نحو الألف وهرب إلى موقان ومنها إلى مدينته التي تسمى البذ وبعث الأفشين بالرؤوس والأسارى إلى بغداد.

محنة الإمام أحمد وفي رمضانها كانت محنة الإمام أحمد وضرب بالسياط ولم يجب، وسيأتي ذلك في ترجمته، إنشاء المعتصم لمدينة سر من رأى وفي ذي القعدة نزل المعتصم بالقاطول وأمر بإنشاء مدينة سر من رأى فاشترى أرضها من رهبان لهم دير هناك، وقد كان الرشيد ينزل بالقاطول لطيبه، واستخلف المعتصم على بغداد ولده الواثق.

غضب المعتصم على وزيره الفضل وفيها غضب المعتصم على وزيره

الفضل ابن مروان وصادره وأخذ منه أموالاً عظيمة تفوق الوصف حتى قيل: إنه أخذ منه عشرة آلاف ألف دينار واستأصله وأهل بيته ونفاه إلى السن قرية بطريق الموصل، وولي بعد الوزارة محمد بن عبد الملك الزيات.

* * *

أحداث سنة إحدى وعشرين ومائتين

" ذكر فتنة الجمحي " وفيها ولي إمرة مكة محمد بن داود بن عيسى العباسي فبعث رجلاً من بني جمح لعد المواشي وقال: هاتوا كل فريضة دينارًا. فامتنعوا عليه وقالوا: تريد أن تغصبنا أموالنا، إنما في عمدك أن تأخذ الفريضة شاة، فحاربهم وحاربوه وقتل طائفة وقتل الجمحي فجهز محمد بن داود أخا الجمحي فقتل وبدع وعاث جيشه.

قال الفسوي: سمعت بعض السفهاء الذين كانوا معه يقول: افتضضنا أكثر من عشرين ألف عذراء.

" ذكر كسوة البيت " وفيها حج حنبل بن إسحاق فيما حدث أبو بكر الخلال عن عصمة بن عصام عنه قال: رأيت كسوة البيت الديباج، وهي تخفق في صحن المسجد وقد كتب في الدارات:{لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]. فلما قدمت أخبرت أحمد بن حنبل فقال: قاتله الله الخبيث عمد إلى كتاب الله فغيره يعني: ابن أبي دؤاد فإنه أمر بذلك.

بناء سامراء

وفيها تكامل بناء سامراء.

* * *

أحداث سنة اثنتين وعشرين ومائتين

الوقعة بين الأفشين وبابك الخرمي

قال العصفري: فيها كانت وقعة الأفشين بالكافر بابك الخرمي فهزمه الأفشين واستباح عسكره وهرب بابك، ثم أسروه بعد فصول طويلة.

وكان من أبطال زمانه وشجعانهم المذكورين، عاث وأفسد وأخاف الإسلام

وأهله، غلب على آذربيجان وغيرها ى وأراد أن يقيم ملة المجوس، وظهر في أيامه المازيار القائم بملة المجوس بطبرستان فعظم شره وبلاؤه.

وكان المعتصم في أول هذه السنة قد بعث نفقات الجيوش إلى الأفشين فكانت ثلاثين ألف ألف درهم.

فتح البذ مدينة بابك " وفي رمضان فتحت البذ مدينة بابك - لعنة الله - بعد حصار طويل صعب، وكان بها بابك قد عصى بعد أن عمل غير مصاف مع المسلمين.

فلما أخذت اختفى في غيضة بالحصن وأسر أهله وأولاده، ثم جاء كتاب المعتصم بأمانه فبعث به إليه الأفشين مع رجلين وكتب معهما: ولد بابك يشير على أبيه بالدخول في الأمان فهو خير فلما دخلاً في الغيضة إلى بابك قتل أحدهما وقال للآخر: اذهب إلى ابن الفاعلة ابني وقل له: لو كنت ابني للحقت بي،

ثم خرق كتاب الأمان وخرج من الغيضة وصعد الجبل في طريق وعرة يعرفها.

وكان الأفشين قد أقام الكمناء في المضائق فأفلت بابك منهم وصار إلى جبال أرمينية فالتقاه رجل يقال له: سهل البطريق فقال له: الطلب وراءك فأنزل عندي. فنزل عنده. وبعث سهل إلى الأفشين يخبره. فجاء أصحاب الأفشين فأحاطوا به وأخذوه.

وكان المعتصم قد جعل لمن جاء به حيًّا ألفي ألف درهم ولمن جاء برأسه ألف ألف درهم فأعطى سهل ألفي ألف وحط عنه خراج عشرين سنة، ثم قتل بابك سنة ثلاث وعشرين.

" رواية المسعودي عن هرب بابك " قال المسعودي: هرب بابك متنكرا بأخيه وأهله وولده ومن تبعه من خاصته وتزيوا بزي التجار السفارة، فنزل بأرض أرمينية بعمل سهل بن سنباط، فابتاعوا شاة من راع فنكرهم وذهب إلى سهل فأخبره. فقال: هذا بابك ولا شك.

وكانت قد جاءته كتب الأفشين بأن لا يفوته بابك إن مر به. فركب سهل في

أجناده حتى أتى بابك فترجل لبابك وسلم عليه بالملك وقال: قم إلى قصرك وأنا معك. فسار معه وقدمت الموائد فقعد سهل يأكل معه فقال: بابك بعتو وجهل أمثلك يأكل معي؟!؛ فقام سهل واعتذر وغاب وجاء بحداد ليقيده فقال بابك: أعذرا يا سهل، فقال: يا ابن الخبيثة، إنما أنت راعي بقر.

وقيد من كان معه وكتب إلى الأفشين فجهز إليه أربعة آلاف فتسلموه وجاؤوا ومعهم سهل فخلع عليه الأفشين وتوجه وأسقط عنه الخراج وبعثت بطاقة إلى المعتصم بالفتح، فانقليت بغداد بالتكبير والضجيج، فلله الحمد رب العالمين.

* * *

أحداث سنة ثلاث وعشرين ومائتين

قدوم الأفشين بغداد وفيها قدم الأفشين بغداد في ثالث صفر ببابك الخرمي وأخيه، وكان المعتصم يبعث إلى الأفشين منذ فصل عن برزند كل يوم بفرس وخلعة كل ذلك من فرحه بأسر بابك.

ذكر ما رتبه المعتصم من البريد " ومن عناية المعتصم بأمر بابك أنه رتب البريد من سامراء إلى الأفشين بحيث أن الخبر ياتيه في أربعة من أيام من مسيرة شهر، فلما قدم ببابك أنزلوه بالمطيرة تنكر المعتصم لرؤية بابك فلما كان في جوف الليل أتى أحمد بن أبي دؤاد متنكرًا فنظر إلى بابك وشاهده ورد إلى المعتصم فأخبره، فلم يصبر المعتصم حتى أتى متنكرا فتأمله وبابك لا يعرفه.

ديانة بابك وكان لعنه الله ثنويا على دين ماني ومزدك يقول بتناسخ الأرواح ويستحل البنت وأمها. وقيل: كان ولد زنا وكانت أمه عوراء تعرف برمية العلجة. وكان علي بن مزدكان يزعم أنه زنى بها وأن بابك منه.

وقيل: كانت فقيرة من قرى آذربيجان فزنى بها نبطي فحملت منه بابك

وربي بابك أجيرًا في قريته. وكان بتلك الجبال قوم من الخرمية ولهم مقدمان: جاوندان وعمران، فتفرس جاوندان في بابك الشجاعة فاستأجره من أمه فأحبته امرأة جاوندان وأطلعته على أمور زوجها، ثم قتل جاوندان في وقعة بينه وبين ابن عم له فزعمت امرأته أنه استخلف بابك فصدقها الجند وانقادوا له فأمرهم أن يقتلوا بالليل من وجدوا من رجل أو صبي، فأصبح خلق مقتلين، ثم انضم إليه طائفة من قطاع الطريق وطائفة من الفلاحين والشطار، ثم استفحل أمره وعظم شره وصار معه عشرون ألف مقاتل، وأظهر مذهب الباطنية واستولى على حصون ومدائن وقتل وسبى إلى أن أظفر الله به، فاركبه المعتصم فيلاً وألبسه قباء من ديباج وقلنسوة سمور مثل الشربوش وخضبوا الفيل بالحناء وطافوا به.

قطع أطراف بابك وقتله، ثم أمر المعتصم بأربعته فقطعت، ثم قطع رأسه وطيف به بسامراء، وبعث بأخيه إلى بغداد ففعل به نحو ذلك واسمه عبد الله، ويقال: إنه كان أشجع من بابك. فيقال: إنه قال لأخيه بابك قدام الخليفة: يا بابك، قد عملت ما لم يعمله أحد فاصبر صبرًا لم يصبره أحد.فقال: سوف ترى صبري.

فلما قطعت يده مسح بالدم وجهه فقالوا: لم فعلت هذا قال: قولوا للخليفة إنك أمرت بقطع أربعتي وفي نفسك أنك لا تكويهما وتدع دمي ينزف فخشيت إذا خرج الدم أن يصفر وجهي فترون أن ذلك من جزع الموت. فغطيت وجهي بالدم لهذا.

فقال المعتصم: لولا أن أفعاله لا توجب الصنيعة والعفو لكان حقيقًا بالإستبقاء.

ثم ضربت عنقه وأحرقت جثته وفعل ذلك بأخيه فما منهما من صاح.

ويقال أن بابك قتل مائة وخمسين ألفًا وما ذلك ببعيد.

الحرب بين الأفشين وطاغية الروم وفيها سار الأفشين بالجيوش فالتقى طاغية الروم فاقتتلوا أيامًا وثبت كلا الفريقين وقتل خلق منهما، ثم انهزم الطاغية ونزل النصر. وكان هذا الكلب قد حصر زبطرة وافتتحها عنوة وقتل

وسبى وحرق الجامع.

* * *

فتح عمورية

وفيها خرب المعتصم أنقرة وغيرها وأنكى في بلاد الروم وأوطأهم خوفا وذلاً وافتتح عمورية كما هو مذكور في ترجمته، وكانت نكايته في الروم مما لم يسمع لخليفة بمثله، فإنه قد شتت جموعهم وخرب ديارهم؛ وكان ملكهم توفيل بن ميخائيل بن جرجس قد نزل على زبطرة في مائة ألف ثم أغار على ملطية وعم بلاؤه وفي ذلك يقول إبراهيم بن المهدي.

يا غيرة الله قد عاينت فانتقمي ::: هتك النساء وما منهن يرتكب

هب الرجال على أجرامها قتلت ::: ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

فلما سمع المعتصم هذا الشعر خرج لوقته إلى الجهاد وجرى ما جرى.

وكان على مقدمته اشناش التركي وعلى ميمنته إيتاح التركي وعلى الميسرة جعفر بن دينار وعلى الساقة بغا الكبير وعلى القلب عجيف ودخل من الدروب الشامية وكان في مائتي ألف على أقل ما قيل والمكثر يقول: كان في خمسمائة ألف.

ولما افتتح عمورية صمم على غزو القسطنطينية، فأتاه ما أزعجه من أمر العباس ابن المأمون، وأنه قد بويع وكاتب طاغية الروم فقفل المعتصم وقبض على العباس ومتبعيه وسجنهم.

* * *

أحداث سنة أربع وعشرين ومائتين

إظهار المازيار الخلاف بطبرستان.وفيها أظهر مازيار بن قارن الخلاف بطبرستان وحارب وكان مباينا لآل طاهر، وكان المعتصم يأمره بحمل الخراج إليهم فيقول: لا أحمله إلا إلى أمير المؤمنين، وكان الأفشين يسمع أحيانًا من المعتصم ما يدل على أنه يريد عزل عبد الله بن طاهر، فلما ظفر ببابك ونزل من المعتصم المنزلة الرفيعة طمع في إمرة خراسان، وبلغه منافرة المازيار

لابن طاهر فترجى أن يكون ذلك سببًا لعزل ابن طاهر، ثم إنه دس كتبا إلى المازيار يقوي عزمه، وبعث المعتصم لمحاربة المازيار جيشًا عليهم الأفشين، وجبى المازيار الأموال وعسف، وأخرب أسوار آمل والري وجرجان وهرب الناس إلى نيسابور، فأرسل ابن طاهر جيشًا عليهم عمه الحسن بن الحسين، وجرت حروب وأمور، ثم اختلف أصحاب المازيار عليه، ثم قتل بعد أن أهلك الحرث والنسل.

* * *

أحداث سنة خمس وعشرين ومائتين

وزارة الزيات وفيها استوزر المعتصم محمد بن عبد الملك الزيات.

القبض على الأفشين وفيها قبض المعتصم على الأفشين لعداوته لعبد الله بن طاهر ولأحمد بن أبي دؤاد فعملا عليه وما زالا حتى ألقيا في قلب المعتصم أن الأفشين يريد قتله، ونقل إليه ابن أبي دؤاد أنه يكاتب المازيار، فطلب المعتصم كاتبه وتهدده بالقتل فاعترف وقال: كتبت إليه بأمره يقول: لم يبق غيري وغيرك وغير بابك.

وقد مضى بابك وجيوش الخليفة عند ابن طاهر ولم يبق عند الخليفة سواي فإن هزمت ابن طاهر كفيتك أنا المعتصم وتخلص لنا الدين الأبيض يعني المجوسية، وكان يتهم بها.

فوهب المعتصم للكاتب مالاً وأحسن إليه وقال: إن أخبرت أحدًا قتلتك. فروي عن أحمد بن أبي دؤاد قال: دخلت على المعتصم وهو يبكي ويقلق فقلت: لا أبكى الله عينيك ما بك؟! قال: يا أبا عبد الله، رجل أنفقت عليه ألف ألف دينار ووهبت له مثلها يريد قتلي، قد تصدقت لله بعشرة آلاف ألف درهم فخذها ففرقها، وكان الكرخ قد احترق فقلت: نفرق نصف المال في بناء الكرخ والباقي في أهل الحرمين.

* * *

أحداث سنة ست وعشرين ومائتين

ذكر المطر بتيماء وفيها في جمادى الآخرة مطر أهل تيماء على ما ذكر ابن

حبيب الهاشمي بردًا كالبيض قتل منهم ثلاثمائة وسبعين نفسًا ونظروا إلى أثر قدم طولها نحو ذراع ومن الخطوة نحو خمسة أذرع، وسمعوا صوتًا: ارحم عبادك اعف من عبادك.

ذكر سجن الأفشين وموته، وكان المعتصم قد سجن الأفشين في مكان ضيق فذكر حمدون بن إسماعيل قال: بعث معي الأفشين رسالة إلى المعتصم يترقق له ويحلف وينتصل ويتذلل له فلم يغن ومنع من الطعام حتى مات، ثم أخرج وصلب في شعبان.

قال الصولي: أخرج وصلب وأتي بأصنام كانت في داره قد حملت إليه من أشروسنة، فأحرقت وأحرق معها.وقيل: بل ترك مصلوبًا مدة، واسمه حيدر بن كاوس من أولاد الأكاسرة والأفشين لقب لمن ملك أشروسنة، وكان موصوفًا بالشجاعة والرأي والخبرة، وقد مر أنه حارب بابك وظفر به، وكان أكبر من بقي في دولة المعتصم.

ذكر المازيار وأما المازيار صاحب طبرستان فاسمه محمد بن قارن، وكان ظلومًا غشوما صادر أهل طبرستان أذلهم وجعل السلاسل في أعناقهم وخرب أسوار مدائنهم، حارب جيوش المعتصم إلى أن انكسر فأسر وقتل أخوه شهريار، وضرب هو حتى مات وصلب إلى جانب بابك، وكان عظيمًا عند المأمون يكتب إليه: إلى أصبهنذ إصبهان وصاحب طبرستان. وكان قد جمع أموالاً لا تحصى.

* * *

أحداث سنة سبع وعشرين ومائتين

خروج المبرقع بفلسطين وفيها خرج بفلسطين أبو حرب الذي زعم أنه السفياني، فدعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أولاً إلى أن قويت شوكته واستفحل أمره. وسبب خروجه أن جنديًا أراد النزول في داره فمانعته أهل المبرقع فضربها بسوط أثر في ذراعها، فلما جاء زوجها بكت وشكت إليه فذهب إلى الجندي وقتله وهرب. ولبس برقعا لئلا يعرف.

* * *

أحداث سنة ثمان وعشرين ومائتين

ذكر بيعة الواثق بالله

وبويع للواثق بالله هارون في التاسع عشر ربيع الأول بعد موت أبيه بعهد منه سنة ثمان وعشرين ومائتين.

ذكر قتال الأعراب حول المدينة " وفيها عاشت الأعراب حول المدينة فسار لحربهم بغا الكبير فدوخهم وأسر وقتل فيهم، وكان قد حاربهم حماد بن جرير الطبري القائد فقتل هو وعامة أصحابه واستباحوا عسكره.

وحبس بغا منهم في القيود بالمدينة نحو ألف نفس فنقبوا الحبس بهم امرأة، فأحاط بهم أهل المدينة وحصروهم يومين، ثم برزوا للقتال بكرة وكان مقدمهم عزيزة السلمي فكان يحمل ويرتجز.

لا بد من رحم وإن ضاق الباب ::: وإني أنا عزيزة بن قطاب

الموت خير للفتى من العذاب.

وكان قد فك قيده وهو يقاتل به يومه، ثم قتل وقتلت عامة بني سليم وقتل جماعة من الأعراب.

* * *

أحداث سنة إحدى وثلاثين ومائتين

الواثق يأمر بامتحان خلق القرآن وفيها ورد كتاب الواثق إلي أمير البصرة يأمره بأن يمتحن الأئمة والمؤذنيين بخلق القرآن، وكان قد اتبع أباه المعتصم في امتحان الناس بخلق القرآن.

رفع المتوكل للمحنة فلما استخلف المتوكل بعده رفع المحنة ونشر السنة.

خبر الفداء بين المسلمين والروم وفيها كان الفداء فاستفك من طاغية الروم أربعة آلاف وستمائة نفس، فتفضل أحمد بن أبي دؤآد فقال: من قال من الاسارى القرآن مخلوق خلصوه وأعطوه دينارين، ومن امتنع دعوة في الأسر ولم يقع فداء بين المسلمين والروم منذ سبع وثلاثين سنة وفيها نقل أبو مروان

بن حبان في تاريخ الاندلس واقعة غريبة فقال: ورد مجوس يقال: لهم الاردمانيون إلي ساحل الأندلس الغربي في أيام الأمير عبد الرحمن فوصلوا أشبيلية وهي بغير سور ولا بها عسكر فقاتلهم أهلها ثم انهزموا، فدخل المجوس أشبيلية وسبوا الذرية ونهبوا، فأرسل عبد الرحمن عسكرا فكسروهم واستنقذوا الأموال والذرية وأسروا منهم أربعة آلاف وأخذوا لهم ثلاثين مركبًا.

* * *

أحداث سنة اثنين وثلاثين ومائتين

وفيها كانت وقعة كبيرة بين بغا الكبير وبين بني نمير وكانوا قد أفسدوا الحجاز وتهامة بالغازات وحشدوا في ثلاثة آلاف راكب فهزموا أصحاب بغا وجعل يناشدهم الرجوع إلى الطاعة وبات بحذائهم، ثم أصبحوا فالتقوا فانهزم أصحاب بغا فأيقن بالهلاك، وكان قد بعث مائتي فارس إلى جبل لبني نمير، فبينما هو في الإشراف على التلف إذا بهم قد رجعوا يضربون الكوسات فحملوا على بني نمير فهزموهم وركبوا أقفيتهم قتلاً وأسرا فأسروا منهم ثمانمائة رجل، فعاد بغا وقدم سامراء وبين يديه الأسرى.

* * *

أحداث سنة ثلاثة وثلاثين ومائتين

الزلزلة بدمشق وفيها جاءت زلزلة مهولة بدمشق سقطت فيها شرفات الجامع تصدع حائط المحراب وسقطت منارته، وهلك خلق تحت الردم، وهرب الناس إلى المصلى باكين متضرعين وبقيت ثلاث ساعات وسكنت وقال: أحمد بن كامل في تاريخه إن بعض أهالي دير مران رأى دمشق تنخفض وترتفع مرارا فمات تحت الهدم معظم أهلها. كذا قال والله حسبيه.

وهرب الناس إلى المصلى قال: وانكفأت قرية بالغوطة فلم ينج منها إلا رجل واحد وكانت الحيطان تنفصل حجارتها مع كون الحائط عرضه سبعة أدرع. وامتدت إلى أنطاكية فهدمتها وإلى الجزيرة فأخربتها وإلى الموصل فيقال: هلك من أهلها خمسون ألفًا ومن أهل أنطاكية عشرون ألفًا.

إصابة ابن أبي دؤآد بالفالج، وفيها أصاب أحمد بن أبي داؤد فالج صيره حجرًا ملقى.

* * *

أحداث سنة أربع وثلاثين ومائتين

خبر هبوب الريح بالعراق وفيها هبت ريح بالعراق - ما قيل - شديدة السموم لم يعهد مثلها أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد وقتلت المسافرين، ودامت خمسين يومًا واتصلت بهمدان فأحرقت الزرع والمواشي واتصلت بالموصل وسنجار ومنعت الناس من المعاش في الأسواق ومن المشي في الطرق وأهلكت خلقًا كثيرًا والله أعلم بصحة ذلك.

الحج هذا الموسم وحج بالناس من العراق محمد بن داود بن عيسى العباسي، وهو كان أمير الحج في هذه العوام.

اظهار المتوكل للسنة وفيها أظهر السنة المتوكل في مجلسه وتحدث بها ووضع المحنة ونهى عن القول بخلق القرآن، وكتب بذلك إلى الآفاق واستقدم المحدثين إلى سامراء وأجزل عطاياهم وأكرمهم وأمرهم أن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية.

وجلس أبو بكر بن أبي شيبة في جامع الرصافة فاجتمع له نحو من ثلاثين ألف نفس، وجلس أخوه عثمان بن أبي شيبة على منبر في مدينة المنصور، فاجتمع إليه أيضًا نحو من ثلاثين ألفًا.

وجلس مصعب الزبيري وحدث وتوفر دعاء الخلق للمتوكل وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له ونسوا ذنوبه حتى قال قائلهم الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق يوم الردة وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم والمتوكل في إحياء السنة وإماتة التجهم.

* * *

أحداث سنة خمس وثلاثين ومائتين

فيها توفي: أحمد بن عمر الوكيعي، وإبراهيم بن العلاء زبريق الحمصي،

وإسحاق الموصلي النديم، وسريج بن يونس العابد، وإسحاق بن إبراهيم بن مصعب أمير بغداد، وشجاع بن مخلد، وشيبان بن فروخ، وأبو بكر بن أبي شيبة، وعبيد الله بن عمر القواريري، ومحمد بن عباد المكي، ومحمد بن حامد السمين معلى بن مهدى الموصلي، ومنصور بن أبي مزاحم، وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة، وهريم بن عبد الأعلى البصري، وعمرو بن عباس الزام النصارى بلباس العسلي، وفيها ألزم المتوكل النصارى بلبس العسلي.

* * *

أحداث سنة ستة وثلاثين ومائتين

إرسال المتوكل القضاة لأخذ البيعة لأولاده وفيها أشخص المتوكل القضاة من البلدان لبيعة ولاة عهد أولاده: المنتصر بالله محمد ومن بعده المعتز بالله محمد، ومن بعده المؤيد بالله إبراهيم، وبعث خواصه إلي البلدان ليأخذوا البيعة بذلك.

حوادث دمشق وفيها أو في حدودها وثبوا على نائب دمشق سالم بن حمد فقتلوه يوم الجمعة على باب الخضراء، وكان من العرب فلما ولي أذل قومًا بدمشق من السكون والسكاسك ولهم وجاهة ومنعة فثاروا به وقتلوه، فندب المتوكل لدمشق أفريدون التركي وسيره إليها. وكان شجاعًا فاتكًا ظالمًا فقدم في سبعة آلاف فارس وأباح له المتوكل القتل بدمشق والنهب على ما نقل إلينا ثلاث ساعات، فنزل ببيت لهيا وأراد أن يصبح بالبلد فلما أصبح نظر إلي البلد وقال: يا يوم ما يصبحك مني. وقدمت له بغلة فضربته بالزوج، فقتلته وقبر ببيت لهيا ورد الجيش تاذي معه خائفين. وبلغ المتوكل فصلحت نيته لأهل دمشق.

هدم قبر الحسين وفيها أمر المتوكل بهدم قبر السيد الحسين بن علي - رضي الله عنهما - وهدم ماحوله من الدور وأن تعمل مزارع.

ومنع الناس من زيارته وحرث وبقي صحراء، وكان معروفًا بالنصب فتألم المسلمون لذلك وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء دعبل وغيره، غزوة علي بن يحيى الصائفة وفيها غزا علي بن يحيى الصائفة في ثلاثة آلاف فارس، فكان بينه وبين ملك الروم مصاف انتصر فيه المسلمون

وقتل خلق من الروم، وانهزم ملكهم في نفر يسير إلي القسطنطينية.

فسار الأمير علي فأناخ على عمورية فقاتل أهلها وأخذها عنوة وقتل وأسر وأطلق خلقًا من الأسر وهدم كنائسها وافتتح حصن الفطس وسبى منه نحو عشرين ألفًا، الحج هذا الموسم وحج بالناس محمد المنتصر ولي العهد ومعه أم المتوكل وشيعها المتوكل إلي النجف ورجع وأنفقت أموالاً جزيلة.

* * *

أحداث سنة سبع وثلاثين ومائتين

ذكر وثوب أهل أرمينية بعاملهم وفيها وثبت بطارقة أرمينية بعاملها يوسف بن محمد فقتلوه فجهز المتوكل لحربهم بغا الكبير فالتقاهم على دبيل فنصر عليهم وقتل منهم خلقًا عظيمًا وسبى خلقا حتى قيل: إن المقتلة بلغت ثلاثين ألفا وسار إلي تفليس.

* * *

أحداث سنة ثمان وثلاثين ومائتين

حصار بغا تفليس وفيها حاصر بغا تفليس وبها إسحاق بن إسماعيل مولى بني أمية فخرج للمحاربة، فأسر وضربت عنقه وأحرقت تفليس واحترق فيها خلق. وفتحت عدة حصون بنواحي تفليس.

غزو الروم دمياط بالمراكب وفيها قصدت الروم - لعنهم الله - دمياط في ثلاثمائة مركب فكبسوا البلد وسبوا ستمائة امرأة ونهبوا، وأحرقوا وبدعوا، وخرجوا مسرعين في البحر. فلا قوة إلا بالله.

* * *

أحداث سنة تسع وثلاثين ومائتين

نفي المتوكل لابن الجهم وفيها نفى المتوكل علي بن الجهم إلى خراسان غزوة علي بن يحيى بلاد الروم وفيها غزا الأمير علي بن يحيى الأرمني بلاد الروم، فأوغل فيها فيقال: إنه شارف القسطنطينية، فأحرق ألف قرية وقتل عشرة آلاف علج وسبى عشرين ألف رأس وعاد غانمًا سالمًا.

عزل ابن أكثم عن القضاء، وفيها عزل يحيى بن أكثم عن القضاء وصودر، وأخذ من داره مائة ألف دينار، وأخذ له من البصرة أربعة آلاف جريب.

* * *

أحداث سنة أربعين ومائتين

وثوب أهل حمص على أبي المغيث، وفيها وثب أهل حمص على أبي المغيث الرافقي متولي البلد وأخرجوه منها وقتلوا جماعة من أصحابه فسار إليهم الأمير محمد بن عبدويه ففتك بهم وفعل بهم العجائب، الصيحة في خلاط وفيها سمع أهل خلاط صيحة عظيمة من جو السماء فمات منها خلق، وقوع البرد بالعراق وفيها وقع برد بالعراق كبيض الدجاج.

* * *

أحداث سنة إحدى وأربعين وما ئتين

وثوب أهل حمص على واليهم وفيها وثب أهل حمص بواليهم محمد بن عبدويه، وأعانهم النصارى، فقاتلهم وأنجده صالح أمير دمشق.

تناثر الكواكب وفي جمادى الآخرة ماجت النجوم في السماء، وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل؛ وكان أمر مزعجًا لم يعهد مثله.

* * *

أحداث سنة اثنتين وأربعين ومائتين

خبر زلازل عدة ويقال: فيها كانت زلزلة عظيمة بقومس، وأعمالها هلك منها خلق تحت الهدم قيل: بلغت عدتهم خمسة وأربعين ألفًا. وكان معظم ذلك بالدامغان حتى قيل: سقط نصفها، وزلزلت الري وجرجان ونيسابور وطبرستان، ورجمت قرية السويدا بناحية مضر ووقع منها حجر على خيمة أعراب، ووزن حجر منها فكان عشرة أرطال.

* * *

أحداث سنة ثلاث وأربعين ومائتين

عزم المتوكل السكنى بدمشق

وفي آخرها قدم المتوكل إلى دمشق، فأعجبته وبنى له القصر بداريًّا وعزم على سكناها فعمل يزيد بن محمد المهلبي:

أظـن الشـام تشـمت بـالعراق ::: إذا عـزم الإمـام علـى انطـلاق
فـإن تـدع العـراق وسـاكنيه ::: فقـد تبلـى المليحـة بـالطلاق

* * *

أحداث سنة أربع وأربعين ومائتين

فتح حصن للروم وفيها افتتح بغا حصنًا من الروم يقال له: صملة.

نفي طبيب المتوكل وفيها سخط المتوكل على طبيبه بختيشوع ونفاه إلى البحرين.

اتفاق الأعياد وفيها اتفق عيد الأضحى وفطير اليهود وعيد الشعانين للنصارى في يوم واحد.

* * *

أحداث سنة خمس وأربعين ومائتين

عموم الزلازل في البلاد ويقال: فيها عمت الزلازل الدنيا، فأخربت القلاع والمدن والقناطر وهلك خلق بالعراق والمغرب، وسقطت من أنطاكية نيف وتسعون برجا، وتقطع جبلها الأقرع وسقط في البحر، وسمع من السماء أصوات هائلة وهلك أكثر أهل اللاذقية تحت الردم، وذهبت جبلة بأهلها وهدمت بالس وغيرها، وامتدت إلى خراسان ومات خلائق منها.

وأمر المتوكل بثلاثة آلاف ألف درهم للذين أصيبوا بمنازلهم.

وزلزلت مصر، وسمع أهل بلبيس من ناحية مصر ضجة هائلة فمات خلق من أهل بلبيس، وغارت عيون مكة.

* * *

أحداث سنة ست وأربعين ومائتين

غزو المسلمين الروم وفيها غزا المسلمون الروم، فسبوا واستنقذوا خلائق من الأسرى.

تحول المتوكل إلى الماحوزة ويوم عاشوراء تحول المتوكل إلى الماحوزة مدينته التي أمر ببنائها وفرق في الصناع والعمال عليها مبلغًا عظيمًا.

المطر ببلخ وفيها مطرت بناحية بلخ مطرًا دمًا عبيطًا.

* * *

أحداث سنة سبع وأربعين ومائتين

بيعة المنتصر بالله

وفي رابع شوال بويع بالخلافة بعد قتل المتوكل ابنه المنتصر بالله محمد.

فولى المظالم أبا عمرة أحمد بن سعيد مولى بني هاشم.

* * *

أحداث سنة ثمان وأربعين ومائتين

وقوع الوحشة بين وصيف التركي والوزير وفيها وقع بين الوزير أحمد بن الخصيب وبين وصيف التركي وحشة فأشار الوزير على المنتصر أن يبعد عنه وصيفا وخوفه منه، فأرسل إليه: إن طاغية الروم أقبل يريد الإسلام فسر إليه. فآعتذر فأحضره وقال: إما أن تخرج أنت أو أخرج.

فقال: لا بل أخرج أنا.فانتخب المنتصر معه عشرة آلاف وأنفق فيهم الأموال وساروا، ثم بعث المنتصر إلى وصيف يأمره بالمقام بالثغر أربع سنين.

* * *

خلع المعتز والمؤيد من العهد

وفي صفر خلع المعتز والمؤيد أنفسهما من المعهد مكرهين.

لما استقامت الأمور للمنتصر ألح عليه أحمد بن الخصيب ووصيف وبغا في خلعهما خوفًا من موته قبل المعتز فيهلكهم المعتز، وكان المنتصر مكرمًا للمعتز والمؤيد إلى أربعين يومًا من خلافته، ثم جعلهما في حجرة فقال المعتز لأخيه: أحضرنا يا شقي، هنا للخلع. قال: ما أظنه يفعل.

فجاءتهم الرسل بالخلع فأجاب المؤيد وامتنع المعتز وقال: إن كنتم تريدون قتلي فافعلوا، فمضوا وعادوا فحبسوه في بيت وأغلظوا له، ثم دخل عليه أخوه المؤيد وقال: يا جاهل، قد رأيت ما جرى على أبينا وأنت أقرب إلى القتل إخلع ويلك، فإن كان في علم الله أنك تلي لتلين. فخلع نفسه وكتبًا على أنفسهما أنهما عاجزان وقصدنا أن لا يأثم المتوكل بسببنا؛ إذ لم نكن له موضعًا. واعترافًا بذلك في مجلس العامة بحضرة جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ووصيف وبغا ومحمد بن عبد الله بن طاهر وبغا الصغير وأعيان بني عمهما. فقال لهما المنتصر: أترياني خلعتكما طمعًا في أن أعيش بعدكما حتى يكبر ولدي عبد الوهاب وأبايع له والله ما طمعت في ذلك، ووالله لأن يلي بنو أبي أحب إلي بنو عمي ولكن هؤلاء - وأومأ إلى الأمراء - ألحوا علي في خلعكما فخفت عليكما من القتل إن لم أفعل فما كنت أصنع أقتلهم فو الله ما تفي دماؤهم كلهم بدم بعضكما.فأكبا عليه فقبلا يده وضمهما إليه وانصرفا.

مقتل محمد الخارجي وفيها حكم محمد بن عمر الخارجي بناحية الموصل؛ ومال إليه خلق.وسار لحربه إسحاق بن ثابت الفرغاني فالتقوا فقتل جماعة من الفريقين، ثم أسر محمد وجماعة فقتلوا وصلبوا إلى جانب خشبة بابك.

استيلاء الصفار على خراسان وفيها قويت شوكة يعقوب بن الليث الصفار واستولى على معظم إقليم خراسان؛ وسار من سجستان ونزل هراة وفرق في هذه الأموال.

* * *

مقتل المنتصر بالله

وفيها قتل المنتصر بالله بالذبحة، وهي الخوانيق وقيل: إنه سم.

* * *

بيعة المستعين بالله

وبويع بعده المستعين بالله أبو العباس أحمد بن المعتصم، وأمه أم ولد اسمها مخارق.

وكان مليحًا أبيض بوجهه أثر جدري وكان ألثغ.

ولما هلك المنتصر اجتمع القواد وتشاوروا وذلك برأي ابن الخصيب فقال لهم أوتامش: متى وليتم أحدًا من ولد المتوكل لا يبقي منا باقية.

فقالوا: ما لها إلا أحمد بن المعتصم ولد أستاذنا. فقال محمد بن موسى المنجم سرًا: أتولون رجلاً عنده أنه أحق بالخلافة من المتوكل وأنتم دفعتموه عنها؟ ولكن اصطنعوا إنسانًا يعرف ذلك لكم.فلم يقبلوا منه وبايعوا أحمد المستعين وله ثمان وعشرون سنة، فاستكتب أحمد بن الخصيب واستوزر أوتامش، فبينا هو قد دخل دار العامة في دست الخلافة إذا جماعة من الشاكرية والغوغاء وبعض الجند وهم نحو ألف قد شهروا السلاح وصاحوا: المعتز يا منصور.

فتنة الغوغاء ونشبت الحرب بين الفريقين وقتل جماعة، فخرج المستعين عن دار العامة وأتى إلى القصر الهاروني فبات به، ودخل الغوغاء دار العامة فنهبوا خزائن السلاح ونهبوا دورا عديدة، وكثرت الأسلحة واللامة عليهم فأجلاهم بغا الصغير عن دار العامة وكثرت القتلى بينهم، فوضع المستعين العطاء فسكنوا، وبعث بكتاب البيعة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر إلى بغداد فبايع الناس، وأعطى المستعين أحمد بن الخصيب أموالاً عظيمة.

نفي ابن الخصيب إلى أقريطش، ثم في هذه السنة في رجب أو قبله نفاه إلى أقريطش ونهب أمواله بعد المحبة الزائدة، وذلك بتدبير أوتامش وحطه عليه عند المستعين.

تولية ابن طاهر العراق وفيها عقد المستعين لمحمد بن عبد الله بن طاهر على العراق والحرمين والشرطة.

* * *

أحداث سنة تسع وأربعين ومائتين

شغب الجند ببغداد وفي صفر شغب الجند ببغداد عند مقتل عمر بن عبيد الله الأقطع وعلي بن يحيى الأرمني أمير الغزاة ببلاد الروم مجاهدين وعند استيلاء الترك على بغداد وقتلهم المتوكل وغيره وتمكنهم من الخلفاء وأذيتهم للناس.

ففتح الجند والشاكرية السجون وأحرقوا الجسر وانتهبوا الدواوين، ثم خرج نحو ذلك بسر من رأى، فركب بغا وأوتامش وقتلوا من العامة جماعة، فحمل عليهم العامة ففتكت من الأتراك جماعة، وشج وصيف بحجر فأمر بإحراق الأسواق.

مقتل أوتامش وفي ربيع الآخر قتل أوتامش وكاتبه شجاع فاستوزر المستعين أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد.

عزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء، وفيها عزل عن القضاء جعفر بن عبد الواحد وولاه جعفر بن محمد بن عمار البرجمي الكوفي، خبر الزلزلة في الري وجاءت زلزلة هلك فيها خلق تحت الهدم في الري.

* * *

أحداث سنة خمسين ومائتين

مقتل يحيى بن عمر في المصاف بالكوفة، وفيها ظهر يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بالكوفة، وقتل في المصاف بينه وبين جيش محمد ابن عبد الله بن طاهر بناحية الكوفة، ومحمود بن خالد وهشام بن خالد الأزرق.

استيلاء الحسن بن زيد على آمل، ثم في رمضان خرج الحسن بن زيد بن محمد الحسني بطبرستان، واستولى على آمل وجبى الخراج وامتد سلطانه إلى الري وهمذان والتجأ إليه كل من يريد الفتنة والنهب، وانهزم عسكر ابن طاهر بين يديه مرتين. فبعث المستعين جيشًا إلى همدان.

العقد للعباس على العراق وفيها عقد المستعين لابنه العباس على العراق

والحرمين.

* * *

أحداث سنة ثلاث وخمسين ومائتين

" أخذ هراة " وفيها قصد يعقوب بن الليث الصفار هراة في جمع فأخذ هراة من نواب ابن طاهر وقيدهم وحبسهم.

" هزيمة ابن أبي دلف " وفيها سار الأمير موسى بن بغا فالتقى هو وعسكر عبد العزيز ابن الأمير أبي دلف العجلي، فهزمهم وساق وراءهم إلى الكرج وتحصن منه عبد العزيز وأسرت والدة عبد العزيز. وبعث إلى سامراء بتسعين حملاً من رؤوس القتلى.

" خلعة المعتز على بغا " وفي رمضان خلع المعتز بالله على بغا الشرابي وألبسه تاج الملك.

" مقتل وصيف " وفي شوال قتل وصيف التركي.

" كسوف القمر " وفي ذي القعدة كسف القمر.

" غزو ابن معاذ بلاد الروم " وغزا محمد بن معاذ بلاد الروم ودخل بالعسكر من جهة ملطية، فأسر وقتل خلق من أصحابه.

" هزيمة الكوكبي " وفي ذي القعدة التقى موسى بن بغا الكوكبي بأرض قزوين، فانهزم الكوكبي ولحق بالديلم.

" وفاة ابن خاقان " وفيها مات مزاحم بن خاقان أخو الفتح بمصر. والله أعلم.

* * *

أحداث سنة أربع وخمسين ومائتين

فيها توفي: أحمد بن عبد الواحد بن عبود الدمشقي، وإبراهيم بن مجشر الكاتب وبغا الصغير الشرابي، وزياد بن يحيى الحساني، وسلم بن جنادة والدارمي، وعلي بن محمد بن علي بن موسى الرضا أبو الحسن العسكري من الاثني عشرية، ومحمد بن عبد الله المخرمي الحافظ، ومحمد بن منصور الطوسي العابد، ومحمد بن هاشم البعلبكي، والمرار بن حمويه الهمداني الفقيه،

ولم يجر فيها من الحوادث ما له صورة.

* * *

أحداث سنة خمس وخمسين ومائتين

فيها توفي: عبد الله بن أبي زياد القطواني، وعبد الله الدارمي بخلف، وعبد الله ابن هاشم الطوسي وعبد الغني بن رفاعة المصري، وعتيق بن محمد النيسابوري، والجاحظ، وأبو حاتم بخلف فيهما وقد مرا سنة خمسين والمعتز بالله محمد بن المتوكل قتلوه، ومحمد بن حرب النسائي، ومحمد بن عبد الرحيم أبو يحيى صاعقة، ومحمد بن كرام الصوفي شيخ الكرامية، وموسى بن عامر المري.

* * *

مقتل المهتدي

وخرج المهتدي بالله ومعه صالح بن علي والمصحف في عنقه وهو يقول: أيها الناس، انصروا خليفتكم، وحمل عليه طغوبا أخو بايكباك في خمسمائة. فمال الأتراك الذين مع الخليفة إلى طغوبا والتحم الحرب فانهزم جمع الخليفة وكثر فيهم القتل فولى منهزمًا والسيف في يده وهو ينادي: أيها الناس، انصروا خليفتكم.

ثم دخل دار صالح بن محمد بن يزداد ورمى بسلاحه ولبس البياض ليهرب من الأسطحة. وجاء أحمد حاجب بايكباك، فأخبر به فتبعه فهرب فرماه بعضهم بسهم ونفجه بالسيف، ثم حمل إلى أحمد فأركبوه بغلاً وركبوا خلفه سائسًا وأوتوا به إلى دار أحمد بن خاقان وجعلوا يضربونه ويقولون: أين الذهب.

فأقر لهم بستمائة ألف دينار مودعة ببغداد أودعها الكرجي، فأخذوا خطة إلى خشف الواضحية المغنية بستمائة ألف دينار ودفعوه إلى رجل فعصر على خصيتيه فمات.

* * *

بيعة أحمد بن المتوكل

وبايعوا أحمد بن المتوكل ولقبوه المعتمد على الله وكنيته أبو العباس وقيل: أبو جعفر في سادس عشر رجب.

* * *

أحداث سنة تسع وخمسين ومائتين

توفي فيها: أبو إسحاق الجوزجاني الحافظ، وإسحاق بن وهب العلاف، وإسحاق البغوي لؤلؤ، وأحمد بن إسماعيل السهمي، وبشر بن مطر السامري، وحجاج بن الشاعر، وعلي بن معبد نزيل مصر، ومحمد بن يزيد السلمي النيسابوري، ومحمود بن سميع الدمشقي، ومحمد بن آدم المروزي " مواصلة الحرب مع الزنج " وفيها عرض الموفق عسكره بواسط.

وجاءته النجدة وهيأ السفن ليدخل إلى الخبيث رأس الزنج وكان قد نزل البطيحة وبثق حوله الأنهار وتحصن، فهجم عليه الموفق فأحرق أكواخه وقتل من أصحابه مقتلة كبيرة، واستنقذ من النسوان جمعًا كبيرة، ورد إلى بغداد، واستخلف على حرب الخبيث محمد بن المولد، فسار الخبيث إلى الأهواز وقتل خمسين ألفًا وسبى أربعين ألفًا وأهلك الأمة، فسار لحربه موسى بن بغا فأقام يحاربه بضعة عشر شهرًا وقتل خلق من الطائفتين.

* * *

أحداث سنة ستين ومائتين

" الوقعة بين ابن الليث والحسن العلوي " وفيها سار يعقوب بن الليث بن زيد العلوي فهزمه ودخل طبرستان والديلم. ورآه فصعد الحسن في جبال الديلم ونزل الثلج والأمطار على أصحاب يعقوب فتلف منهم خلق واندعكوا. ورجع يعقوب بأسوأ حال وقد عدم من أصحابه أربعون ألفًا وذهب عامة خيله.

" الغلاء بالحجاز والعراق " وفيها كان الغلاء المفرط في الحجاز والعراق وبلغ كر الحنطة ببغداد مائة وخمسين دينارًا.

" إغارة العرب على حمص " وفيها أغارت الأعراب على حمص فخرج

لحربهم منجور التركي أميرها فقتلوه فجاء على إمرتها بكتمر التركي المعتمدي.

" استيلاء الروم على لؤلؤ " وفيها أخذت الروم بلدة لؤلؤ.

* * *

أحداث سنة إحدى وستين ومائتين

وفيها مالت الديلم إلى يعقوب بن الليث الصفار وتخلت عن الحسن بن زيد، فأحرق الحسن منازلهم وصار إلى كرمان.

كتاب المعتمد لحجاب خراسان وفيها كتب المعتمد كتابًا قريء على من ببغداد من حجاج خراسان والري مضمونه: أني لم أول يعقوب بن الليث خراسان ويأمرهم بالبراءة منه.

وقعة الزنج بالأهواز وفيها ولى المعتمد أبا الساج الأهواز وحرب صاحب الزنج فسار إليها فأقام بها، فبعث إليه قائد الزنج علي بن أبان وبعث إليه أبو الساج صهره عبد الرحمن فاقتتلوا، وكانت وقعة عظيمة قتل فيها القائد عبد الرحمن وانحاز أبو الساج إلى عسكر مكرم ودخل الزنج الأهواز فقتلوا وسبوا.

ولاية أحمد بن أسد وفيها كتب المعتمد لأحمد بن أسد بولاية بخارى وسمرقند وما وراء النهر.

* * *

تولية الموفق العهد

وولى أخاه الموفق العهد بعد ابنه المفوض جعفر وولاه المشرق والعراق وبغداد والحجاز واليمن وفارس وإصبهان والري وخراسان وطبرستان وسجستان والسند. وعقد لكل واحد منهما لواءين أبيض وأسود وشرط إن حدث به حدث أن الأمر لأخيه إن لم يكن ابنه جعفر قد بلغ، وكتب العهد ونفذه مع قاضي القضاة الحسن بن أبي الشوارب ليعلقه في الكعبة، فمات الحسن بمكة بعد الصدر.وقيل: توفي ببغداد.

* * *

أحداث سنة اثنتين وستين ومائتين

وفيها أعيى الخليفة أمر يعقوب بن الليث فكتب إليه بولاية خراسان وجرجان فلم يرض حتى توافى باب الخليفة واضمر في نفسه الحكم على الخليفة والإستيلاء على العراق والبلاد، وعلم المعتمد قصده فارتحل من سر من رأى في شهر جمادى الآخرة واستخلف عليها ابنه جعفرًا وضم إليه محمدًا المولد، ثم نزل المعتمد بالزعفرانية.

وسار يعقوب بن الليث بجيش لم ير مثله فقيل: كانوا سبعين ألفًا وقيل: كانت خرامية وثقله على عشرة آلاف جمل فدخل واسطًا في أواخر شهر جمادى الآخرة، فارتحل المعتمد من الزعفرانية إلى سييب بني كومًا وإياه مسرور البلخي والعسكر. ثم زحف يعقوب من واسط إلى دير العاقول نحو المعتمد، فجهز المعتمد أخاه الموفق إلى حرب يعقوب ومعه موسى بن بغا ومسرور فالتقى الجمعان في ثالث رجب بقرب دير العاقول واقتتلوا قتالاً شديدًا فكانت الهزيمة على الموفق، ثم صارت على يعقوب وولى أصحابه مدبرين. فقيل: إنه نهب من عسكره عشرة آلاف فرس ومن الذهب ألفًا ألف دينار ومن الدراهم والأمتعة ما لا يحصى. وخلصوا محمد بن طاهر، وكان مع يعقوب في القيود، ثم عاد المعتمد إلى سامراء وصار يعقوب إلى فارس، ورد المعتمد على محمد بن طاهر عمله وأعطاه خمسمائه ألف درهم.

* * *

أحداث سنة خمس وستين

وفيها خرج أحمد بن طولون أمير مصر إلى الشام فحصر سيما الطويل بأنطاكية إلى أن افتتحها وقتل سيما.

إلتحاق المولد بابن الصفار وفيها خامر محمد المولد ولحق بيعقوب بن الليث وصار من خواصه.

القبض على سليمان بن وهب وابنه وفيها قبض المعتمد على سليمان بن وهب، وابنه عبيد الله واصطفى أموالهما، ثم صولحا على تسعمائة ألف دينار.

عصيان العباس على أبيه أحمد بن طولون.

ثم سار الموفق من بغداد في جيوشه في السفن والسماريات في هيئة لم ير مثلها إلى واسط، فتلقاه ولده أبو العباس ثم سارا إلى قتال الزنج ليستأصلوهم فواقعهم فانهزم الزنج واستنفذ منهم من المسلمات نحو خمسة آلاف امرأة وهدمت مدينة الشعراني فهرب في نفر يسير مسلوبًا من الأهل والمال ووصل إلى المذار، فكتب إلى الخبيث سلطان الزنج بما جرى فتردد الخبيث إلى الخلاء مرارا في ساعة ورجف قواده وتقطعت كبده وأيقن بالهلاك.

ثم إن الموفق سأل عن أصحاب الخبيث فقيل له: معظمهم مع سليمان بن جامع في بلد طهيثًا فسار الموفق إليها وزحف عليها بجنوده فالتقاه سليمان بن جامع، وأحمد بن مهدي الجبائي في جموع الزنج ورتب الكمناء، واستحر القتال فرمى أبو العباس بن الموفق لأحمد بن مهدي بسهم في وجهه هلك منه بعد أيام، وكان أبو العباس راميًّا مذكورًا.

ثم أصبح الموفق على القتال وصلى وابتهل إلى الله بالدعاء وزحف على البلدة، وكان عليه خمسة أسوار فما كانت إلا ساعة وانهزمت الزنج وعمل فيهم السيف وغرق أكثرهم، وهرب سليمان بن جامع.

واستنقذ الموفق من طهيثًا نحو عشرة آلاف أسير فسيرهم إلى واسط وأخذ من المدينة تحفا وأموالاً بحيث استغنى عسكره، وأقام بها الموفق أيامًا ثم هدمها.

* * *

أحداث سنة سبع وستين

وقعة الزنج

وفيها دخلت الزنج واسطًا فاستباحوها وأحرقوا فيها فجهز الموفق ابنه أبا العباس في جيش عظيم، فكان بينه وبين الزنج وقعة في المراكب في الماء فهزمهم أبو العباس وقتل فيهم وأسر وغرق سفنهم، وكان ذلك أول النصر. فنزل أبو العباس واسطًا.

واجتمع قواد الخبيث صاحب الزنج سليمان بن موسى الشعراني، وعلي بن

أبان، وسليمان بن جامع وحشدوا وأقبلوا فالتقاهم أبو العباس فهزمهم وفرقهم، ثم واقعهم بعد ذلك فهزمهم أيضًا ومزقهم، ثم دامت مصابرة القتال بينهم شهرين ثم قذف الله الرعب في قلوب الزنج من أبي العباس وهابوه.

وتحصن سليمان بن جامع بمكان وتحصن الشعراني بمكان آخر، فسار أبو العباس وحاصر الشعراني وجرت بينهم حروب صعبة إلى أن انهزمت الزنج ورجع أبو العباس بجيوشه سالما غانمًا وكان أكثر قتالهم في المراكب والسماريات وغرق من الزنج خلق سوى من قتل وأسر.

ثم سار الموفق من بغداد في جيوشه في السفن والسماريات في هيئة لم ير مثلها إلى واسط،

فتلقاه ولده أبو العباس ثم سارا إلى قتال الزنج ليستأصلوهم فواقعهم فانهزم الزنج واستنفذ منهم من المسلمات نحو خمسة آلاف امرأة وهدمت مدينة الشعراني فهرب في نفر يسير مسلوبًا من الأهل والمال ووصل إلى المذار فكتب إلى الخبيث سلطان الزنج بما جرى فتردد الخبيث إلى الخلاء مرارًا في ساعة ورجف فواده وتقطعت كبده وأيقن بالهلاك.

ثم إن الموفق سأل عن أصحاب الخبيث فقيل له: معظمهم مع سليمان بن جامع في بلد طهيثًا فسار الموفق إليها وزحف عليها بجنوده فالتقاه سليمان بن جامع وأحمد بن مهدي الجبائي في جموع الزنج ورتب الكمناء واستحر القتال فرمى أبو العباس بن الموفق لأحمد بن مهدي بسهم في وجهه هلك منه بعد أيام، وكان أبو العباس راميًّا مذكورًا.

ثم أصبح الموفق على القتال وصلى وابتهل إلى الله بالدعاء وزحف على البلدة وكان عليه خمسة أسوار فما كانت إلا ساعة وانهزمت الزنج وعمل فيهم السيف وغرق أكثرهم، وهرب سليمان بن جامع.

واستنقذ الموفق من طهيثًا نحو عشرة آلاف أسير فسيرهم إلى واسط وأخذ من المدينة تحفاً وأموالاً بحيث استغنى عسكره وأقام بها الموفق أيامًا ثم هدمها.

* * *

أحداث سنة تسع وستين ومائتين

فيها توفي: أحمد بن عبد الحميد الحارثي وحذيفة بن غياث، وإبراهيم بن منقذ الخولاني، وعبد الله بن حماد الآملي، ومحمد بن إبراهيم أبو حمزة الصوفي، وأبو فروة يزيد بن محمد بن يزيد بن سنان.

كسوف الشمس والقمر وفي المحرم انكسفت الشمس والقمر.

* * *

غارة الأعراب على الحجاج

وفيها قطعت الأعراب الطريق على الحجاج، فأخذت خمسمائة جمل بأحمالها.

* * *

أحداث سنة سبعين ومائتين

مقتل صاحب الزنج وفيها وصل لؤلؤ الطولوني في جيش عظيم نجدة للموفق في المحرم فكانت بين الموفق وبين الخبيث وقعة أوهنت الخبيث، ثم وقعة أخرى قتل فيها الخبيث وعجل الله بروحه إلى النار، وهو علي بن محمد المدعي أنه علوي وقيل: اسمه بهبوذ.

قد ذكرنا وقائعه مع الموفق وحصاره الزمن الطويل له إلى أن اجتمع مع الموفق زهاء ثلاثمائة ألف مقاتل مطوعة وفي الديوان.

فلما كان في ثاني صفر وقد التجأ الخبيث إلى جبل، ثم تراجع هو وأصحابه إلى مدينتهم خفية وجاءت مقدمات الموفق فلما وصلوا إلى المدينة لم يدروا أنهم قد رجعوا إليها فأوقعوا بهم، فانهزم الخبيث وأصحابه وتبعهم أصحاب الموفق يأسرون ويقتلون وانقطع الخبيث في جماعة من قواده وفرسانه وفارقه ابنه انكلائي وسليمان بن جامع فظفر أبو العباس بن الموفق بابن جامع، فكبر الناس لما أتى به إلى أبيه.

ثم شد الخبيث وأصحابه، فأزال الناس عن مواقفهم فحمل عليه الموفق

فانهزموا وتبعهم إلى آخر نهر أبي الخصيب فبينا القتال يعمل؛ إذ أتى فارس من أصحاب لؤلؤ إلى الموفق برأس الخبيث في يده فلم يصدقه فعرضه على جماعة فعرفوه. فترجل الموفق وابنه والأمراء وخروا سجدا لله وكبروا وحمدوا الله تعالى.

وقيل: إن أصحاب الموفق لما أحاطوا به لم يبق معه إلا المهلبي، ثم ولى وتركه فقذف نفسه في النهر فقتلوه، وسار أبو العباس ومعه رأس الخبيث على رمح، فدخل به بغداد وعملت قباب الزينة وضج الناس بالدعاء للموفق وولده، وكان يوما مشهودا، وأمن الناس وتراجعوا إلى المدن التي أخذها الخبيث، وكان ظهوره من سنة خمس وخمسين.

قال الصولي: إنه قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمائة ألف آدمي، وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة ألف، وكان له منبر في مدينته يصعد ويسب عثمان وعلي، ومعاوية، وطلحة، والزبير، وعائشة وهو رأي الأزارقة، وكان ينادي على المرأة العلوية بدرهمين وثلاثة في عسكره وكان عند الواحد من الزنج العشرة من العلويات يطأوهن وتخدمن نساءهن، ومدح الشعراء الموفق.

* * *

أحداث سنة إحدى وسبعين ومائتين

تعطيل الجمعة في مسجد الرسول

وفيها دخل محمد وعلي ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر الصادق ابن محمد المدينة، فقتلا فيها وجبيًّا الأموال وعطلت الجمعة والجماعة في مسجد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) شهرًا.

عزل عمرو بن الليث وفيها عزل المعتمد عمرو بن الليث وأمر بلعنه على المنابر. وولى خراسان محمد بن طاهر، وكان محمد ببغداد فاستتاب عنه على نيسابور رافع بن هرثمة.

إقرار نصر بن أحمد على بخارى وسمرقند وأمر على بخارى وسمرقند نصر بن أحمد بن أسد.

مسير رافع بن هرثمة إلى جرجان، ثم جاءت كتب الموفق إلى رافع بقصد

جرجان وآمل، وكانت للحسن بن زيد فسار إليه رافع سنة أربع وسبعين.

الوقعة بين أبي العباس بن الموفق وخمارويه.

* * *

أحداث سنة اثنتين وسبعين ومائتين

دخول الخوارج الموصل وفيها دخل حمدان بن حمدون وهارون الشّاريّ الخوارج مدينة الموصل. وصلى الشّاريّ بالنّاس في الجامع.

القبض على صاعد بن مخلد وبنيه وفيها قبض الموفّق على صاعد بن مخلد وعلى بنيه ومواليه، واستكتب عوضه إسماعيل بن بلبل.

حركة الزنج بواسط: وفيها تحرّكت الزَّنج بواسط وصاحوا: أنكلائيّ يا منصور.

وكان أنكلائيّ ابن الخبيث، وسليمان بن جامع، والمهلّبيّ، والشّعرانيّ، وغيرهم من قوّاد الزّنج محبوسين ببغداد في يد فتح السَّعيديّ. فكتب إليه الموفّق أن يذبح الجماعة ويبعث رؤوسهم، ففعل.

* * *

أحداث سنة ثلاث وسبعين ومائتين

وفيها كانت بالرافقة واقعة بين إسحاق بن كنداج، ومحمد بن أبي الساج فانهزم إسحاق، ثم تواقعا أيضًا فانهزم إسحاق في ذي الحجة.

* * *

أحداث سنة أربع وسبعين ومائتين

وفيها خرج الموفق إلى كرمان لحرب عمرو بن الليث الصفار.

وفيها غزا يازمان الخادم الروم، فقتل وسبى وعاد سالمًا.

* * *

أحداث سنة خمس وسبعين ومائتين

وفيها غزا يازمان البحر، فأخذ عدة مراكب للروم.

حبس الموفق لابنه أبي العباس.

وفيها حبس الموفق ابنه أبا العباس، فشغب أصحابه وحملوا السلاح واضطربت بغداد. فركب الموفق وقال: يا أصحاب، ولدي أتراكم أشفق على ابني منيوقد احتجت إلى تأديبه.

فوضعوا السلاح وتفرقوا واطمأنوا عليه.

* * *

أحداث سنة ست وسبعين ومائتين

وفيه رضي للمعتمد على عمرو بن الليث وكتب اسمه على الأعلام والأترسة ببغداد.

هرب ابن أبي الساج من خمارويه وفها قدم محمد بن أبي الساج هاربا من خمارويه بعد وقعات جرت بينهما وضعف عنه محمد.

مسير الموفق إلى إصبهان وفي سار الموفق إلى إصبهان فنزح محمد بن عبد العزيز أب دلف بجيشه وعياله.

ولاية ابن الليث شرطة بغداد وعزله وفيه ولي عمرو بن الليث شرطة بغداد. ثم بعد قليل غضب عليه المعتمد وعزله وأسقط اسمه من الأعلام.

* * *

أحداث سنة سبع وسبعين ومائتين

وفيها اتفق تزمان الخادم أمير الثغر مع خمارويه ودعا له على المنابر بطرسوس، فبعث إليه ثلاثين ألف دينار وخمسمائة دابة وخمسمائة ثوب من مصر، ثم بعث إليه بخمسين ألف دينار، استيلاء ابن هرثمة على طبرستان وفيها: استولى ابن هرثمة على طبرستان.

* * *

أحداث سنة ثمان وسبعين ومائتين

وفيها وردت الأخبار أن نيل مصر غار ونقص نقصًا عظيمًا وغلت

الأسعار.قال أبو لمظفر بن الجوزي: غار النيل فلم يبق منه شيء.

قلت: ولم يتعرض المسبحي في تاريخه إلى شيء من ذلك.

* * *

مرض الخليفة الموفق ووفاته

وفي المحرم انصرف الموفق من الجبل إلى بغداد مريضًا وكان به نقرس، وزاد مرضه فصار داء الفيل، وكان يبردون بالثلج ويحمل على سرير ويحمله عشرون نفسا، فقال مرة للذين يحملون: لعلكم قد ضجرتم مني، وددت الله أني كأحدكم أحمل على رأسي وآكل وأني في عافية، وقال في مرضه: قد أطبق ديواني على مائة ألف مرتزق وما أصبح فيهم أسوأ حالاً مني وزاد به انتفاخ رجله ومات.

* * *

أحداث سنة تسع وسعين ومائتين

ولاية العهد للمعتضد

ولثمان بقين من المحرم خلع جعفر المفوض من أعهد وقدم عليه المعتضد وكتب إلى الآفاق بذلك، وذلك لتمكن المعتضد من الأمور ولطاعة الجيش له.

وفاة المعتمد وولاية ابن الموفق

وضعف أمر المعتمد معه وتوفي بعد أشهر بمن السنة فولي المعتضد أبو العباس من الموفق الخلافة.

قوم رسول خمارويه إلى المعتضد وفيها قدم رسول خمارويه صاحب مصر إلى المعتضد، وذلك عشرون حمل غل من الهدايا من سوى الخيول والسروج والجواهر والتحف وزرافة ولاية ابن الليث خراسان، وقدمت عليه هدايا عمرو بن الليث، فولاه خراسان.

* * *

سنة إحدى وثمانين ومائتين

وفيها دخل طغج بن جف صاحب خمارويه من ناحية طرسوس لغزو الروم ففتح ملورية.

وفيها غارت مياه الري وطبرستان حتى أبيع الماء ثلاثة أرطال بدرهم وقحط الناس وأكلوا الجيف.

تقليد المعتضد للمكتفي بعض البلاد وفي رجب شخص المعتضد إلى الجبل ناحية الدينور وقلد إبنه عليًّا الري وقزوين وهمذان والدينور، وجعل كاتبه أحمد بن أبي الأصبغ، وقلد عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف إصبهان، وأسرع الإنصراف من غلاء السعر فقدم بغداد في رمضان.

خروج المعتضد لقتال حمدان بن حمدون، ثم خرج في ذي القعدة إلى الموصل عامدا لحمدان بن حمدون بن الحارث بن منصور بن لقمان، وهو جد ناصر الدولة، وكان قد بلغ المعتضد أنه يميل إلى هارون الشاري الخارجي.

* * *

سنة اثنتين وثمانين ومائتين

الأمر بتوريث ذوي الأرحام

وفيها كتبت الكتب إلى الآفاق بأن يورث ذوو الأرحام، وأن يبطل ديوان المواريث، وكثر الدعاء للمعتضد. وكان قد سأل أبا حازم القاضي عن ذلك فقال:{وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ} [الأنفال: ٧٥].

فقال المعتضد: قد روي عدم الرد عن الخلفاء الأربعة.

فقال أبو حازم: كذب الناقل عنهم؛ بل كلهم رد هم وجميع الصحابة سوى زيد بن ثابت، وكان زيد يخفيه حتى مات عمر وهو مذهب فقهاء التابعين ومن بعدهم، ولم يذهب إلى قول زيد غير الشافعي في إحدى القولين والقول الآخر كالجماعة.

فقال المعتضد: اكتبوا بذلك إلى الآفاق.

* * *

سنة أربع وثمانين ومائتين

وفيها كانت وقعة بين عيسى النوشري المعتضدي، وبين بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف، وكان قد أظهر العصيان فهزمه النوشري بقرب إصبهان واستباح عسكره، ولاية القضاء بمدينة المنصور، وفي ربيع الأول ولي القضاء أبو عمر محمد بن يوسف على مدينة المنصور، وفيها ظهر بمصر حمرة عظيمة حتى كان الرجل ينظر إلى وجه الرجل فيراه أحمر وكذا الحيطان، فتضرع الناس بالدعاء إلى الله، وكانت من العصر إلى الليل.

إرسال ابن الليث للأموال وفيها بعث عمرو بن الليث بألف ألف درهم لتنفق على إصلاح درب مكة من العراق.

* * *

سنة خمس وثمانين ومائتين

وفي المحرم قطع صالح بن مدرك الطائي الطريق على الحجاج بالأجفر، وأخذ للركب ما قيمته ألف ألف دينار وأسر الحرائر، ولاية ابن الليث ما وراء النهر، وفي المحرم عزل إسماعيل بن أحمد عن ما وراء النهر ووليه عمرو بن الليث.

الريح الصفراء بالبصرة وفي ربيع الأول هبت ريح صفراء بالبصرة، ثم صارت خضراء، ثم سوداء وامتدت في الأمصار؛ ووقع عقبها برد وزن البردة مائة وخمسون درهما، وقلعت الريح نحو ستمائة نخلة ومطرت قرية حجارة سوداء وبيضاء.

استعمال ابن أبي الساج، وفيها استعمل المعتضد على أرمينية وأذربيجان ابن أبي الساج.

* * *

سنة ست وثمانين ومائتين

منازلة المعتضد لآمد وفي ربيع الآخر نازل المعتضد آمد وبها محمد بن أحمد بن الشيخ؛ فنصب عليها المجانيق ودام الحصار أربعين يومًا، ثم ضعف محمد وتخاذل أصحابه فطلب الأمان، ثم خرج فخلع عليه.

قبض المعتضد على راغب الخادم وفيها قبض المعتضد على راغب الخادم أمير طرسوس وأستأصله فمات بعد أيام.

قدوم هدية ابن الليث على المعتضد وفيها في جمادى الآخرة قدمت هدايا عمرو بن الليث وهي أربعة آلاف ألف درهم وعشرة من الدواب بسروجها ولجمها المذهبة وخمسون أخرى بجلالها.

* * *

سنة سبع وثمانين ومائتين

ذكر القرامطة وغلظ أمرهم

وفيها غلظ أمر القرامطة وأغاروا على البصرة ونواحيها فسار لحربهم العباس بن عمرو الغنوي فالتقوا فأسر الغنوي وقتل خلق من جنده.

إطلاق القرمطي للغنوي، ثم إن أبا سعيد بعد أن ضيق عليه أطلقه وقال: بلغ المعتضد عني رسالة؛

ومضمونها أنه يكف عنه ويحفظ حرمته: فأنا قد قنعت بالبرية فلا يتعرض لي.رواية ابن خلكان عن القرامطة قال ابن خلكان: كان من حديث العباس أن القرامطة لما أشتد أمرهم وبالغوا في القتل أرسل إليهم المعتضد جيشًا عليه العباس بن عمرو فالتقوا فأسره أبو سعيد القرمطي في الوقعة وأسر جميع من معه من الجيش.

ثم من الغد احضر الأسرى فقتلهم بأسرهم وحرقهم - رحمهم الله - وأطلق العباس فجاء إلى المعتضد وحده، وكانت الوقعة بين البصرة والبحرين.

* * *

سنة ثمان وثمانين ومائتين

دخول ابن الليث بغداد أسيرًا وفي جمادى الأولى أدخل عمرو بن الليث الصفار بغداد أسيرًا على جمل فسجن إلى سنة تسع وثمانين وأهلك عند موت المعتضد.

الزلزلة في دبيل وزلزلت دبيل ليلاً، قال أبو الفرج ابن الجوزي: فأخرج

من تحت الهدم خمسون ومائة ألف ميت.

وقيل: كان ذلك في العام الماضي كما تقدم.

* * *

سنة تسع وثمانين ومائتين

فيضان ماء البحر على السواحل وفيها فاض ماء البحر على السواحل فأخرب البلاد والحصون التي عليه وهذا لم يعهد.

* * *

خلافة المكتفي

وقام بعده ابنه المكتفي بالله أبو محمد علي وليس في الخلفاء من اسمه علي إلا هو وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ولد سنة أربع وستين، ومائتين وأمه تركية، وكان من أحسن الناس.

* * *

أخذ البيعة للمكتفي

ولما نقل المعتضد اجتمعوا في دار العامة وفيهم مؤنس الخادم ومؤنس الخازن ووصيف موشكير والفضل بن راشد ورشيق، وكان بدر المعتضدي بفارس فقالوا للقاسم بن عبيد الله الوزير: خذ البيعة.

فقال: المعتضد حي ولا آمن إفاقته، وقد أطلقت المال فينكر علي.

فقالوا: إن عوفي فنحن المناظرون دونك.

وكان في عزمه أن يزوي الأمر عن المكتفي لكن رأى ميلهم إلى المكتفي، فأخذ له البيعة بعد العصر من يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر، وأحضر أحمد بن محمد بن بسطام أولاد الخلفاء: عبد الله بن المعتز وقصي بن المؤيد وعبد العزيز بن المعتمد، وعبد الله بن الموفق، وأبي أحمد وأخذ عليهم البيعة للمكتفي.

* * *

وفاة المعتضد

وتوفي المعتضد ليلة الإثنين لثمان بقين من الشهر.

* * *

الأموال التــي خلفها المعتضد

وكـان المكتفـي بالرقـة، فكتـب إليـه القاسم بالخلافـة وأن فـي بيوت الأمـوال عشرة آلاف ألف دينار، ومن الدراهم أضعافها، ومن الجواهر مـا قيمتـه كذلك، ومن الثياب والخيل وذكر أشياء كثيرة.

* * *

سنة تسعين ومائتين

ظفر القرمطي بغلام طغج وفي أولها قصد يحيى بـن زكرويـه الرقـة فجـاء جمع فخرج إليه عسكرها فهزمهم وقتل منعم فبعث طغج لحربـه بشيرًا غلامـه فـالتقوا فقتـل بشيرًا وانهزم جنده، فندب المكتفـي أبـا الأغـر فـي عشـرة آلاف وجهزه لحربهم.

حصار القرمطي دمشق، ثم سار القرمطـي فحاصـر دمشـق وبهـا طغـج بـن جف فضعف عن مقاومة القرامطة.

صـرف المكتفـي عـن السـكن بسـامراء وفيهـا خـرج المكتفـي مـن بغداد يريـد سامراء ليسكن بها فصرفه الوزير عن ذلك وقال: نحتاج إلى غرامات كثيرة، فعاد إلى بغداد.

إقامة الحسين مقام أخيه يحيى بن زكرويه ولما قتل الكلب يحيى بن زكرويه على حصار دمشق أقاموا مقامه أخاه الحسين.

* * *

أحداث سنة إحدى وتسعين ومائتين

زواج ابن المكتفي وفيها زوج المكتفي ولده أبا أحمد بابنة الوزير عبيد الله، وخطب أبو عمر القاضي وخلع القاسم أربعمائة خلعة، وكان الصداق مائة ألـف دينار.

خروج الترك إلى بلاد المسلمين: وفيها خرجت الترك إلى بلاد المسلمين في جيوش عظيمة يقال: كان معهم سبعمائة فرس ولا يركب الفرس إلا الأمير فنادى اسماعيل بن أحمد في خراسان وسجستان وطبرستان بالنفير وجهز جيشه فوافو الترك على عدة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وانهزم من بقي وغنم المسلمون وعادوا منصورين.

وصول الروم إلى الحدث وفيها بعث صاحب الروم جيشًا مبلغه مائة ألف فوصلوا إلى الحدث فنهبوا وسبوا وأحرقوا.

* * *

أحداث سنة ثلاث وتسعين ومائتين

تغلب الخليجي على جيش المكتفي

وفي أولها: واقع الخليجي المتغلب على مصر المكتفي على العريش فهزمهم أقبح هزيمة.

ظهور أخي الحسين بن زكرويه، وفيها ظهر أخو الحسين بن زكرويه فندب المكتفي لحربه الحسين بن حمدان وصار ابن زكرويه إلى دمشق فحارب أهلها، ثم مضى إلى طبرية وحارب من بها ودخلها فقتل عامة أهلها الرجال والنساء وانصرف إلى البادية.استغواء القرامطة لبعض بطون كلب.

القبض على الخليجي

وفيها زحف فاتك المعتضدي على الخليجي، فانهزم إلى مصر ودخل الفسطاط وقتل أكثر أصحابه وانهزم الباقون واحتوى فاتك على عسكره فاستتر الخليجي عند رجل من أهل الفسطاط فدل عليه، فأخذ في جماعة من أصحابه وبعث به فاتك إلى بغداد فوصلها في نصف شعبان فأدخل هو وأصحابه على الجمال فحبسوا.

* * *

أحداث سنة خمس وتسعين ومائتين

الفداء بين المسلمين والروم وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم، فكان

عدة من فودي ثلاثة آلاف نفس.خروج خاقان المفلحي لحرب ابن أبي الساج، وبعث المكتفي لحرب يوسف بن أبي الساج خاقان المفلحي في أربعة آلاف مقاتل.

* * *

وفاة الخليفة المكتفي

ومات المكتفي بالله في ذي القعدة؛ فبويع أخوه جعفر المقتدر وهو صبي وأمه رومية وقيل: تركية أخوها غريب المعروف بغريب الخال، أدركت خلافته وسميت السيدة.ولد جعفر في رمضان سنة اثنتين وثمانين وكان معتدل القامة جميلاً أبيض بحمرة مدور الوجه مليحًا، ولما اشتدت علة المكتفي سأل عنه فصح عنده أنه بالغ فأحضر في يوم الجمعة لإحدى عشرة من ذي القعدة القضاة وأشهدهم أنه جعل العهد إليه.

وتوفي المكتفي ليلة الأحد لاثنتي عشرة من ذي القعدة.

* * *

خلافة المقتدر

ولم يل الخلافة قبل المقتدر أصغر منه فإنه وليها وله ثلاث عشرة سنة وأربعون يومًا، واستوزر وزير أخيه العباس بن الحسن ولم يكن مؤنس الخادم حاضرًا؛ لأن المتعضد كان قد أخرجه إلى مكة مكرها وكان يبغضه، فاستدعاه المقتدر ورفع منزلته، ومات صافي بعد بيعة المقتدر فاختص مؤنس بالأمور كلها.

* * *

أحداث سنة ست وتسعين ومائتين

موت محمد بن المعتضد قال محمد بن يوسف القاضي: لما تم أمر المقتدر استصباه الوزير وكثر خوض الناس في صغره فعمل العباس على خلعه بمحمد بن المعتضد، ثم اجتمع محمد بن المعتضد وصاحب الشرطة في مجلس العباس يومًا فتنازعا فأربى عليه صاحب الشرطة في الكلام ولم يدر ما قد رشح له ولم

يتمكن محمد من الإنتصاف منه فاغتاظ غيظًا عظيمًا كظمه ففلج في المجلس، فاستدعى العباس عمارية فحمله فيها فلم يلبث أن مات.

* * *

خلع المقتدر وتولية ابن المعتز

ثم اتفق جماعة على خلع المقتدر وتولية عبد الله بن المعتز فأجابهم بشرط أن لا يكون فيها دم فأجابوه، وكان رأسهم محمد بن داود بن الجراح، وأبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضي، والحسين بن حمدان، واتفقوا على قتل المقتدر ووزيره العباس وفاتك.فلما كان يوم العشرين من ربيع الأول ركب الحسين بن حمدان والقواد والوزير فشد ابن حمدان على الوزير فقتله فأنكر عليه فاتك فعطف على فاتك فقتله، ثم شد على المقتدر - وكان يلعب بالصوالجة - فسمع الهيعة فدخل وأغلقت الأبواب فعاد ابن حمدان إلى المخرم فنزل بدار سليمان بن وهب وأرسل إلى ابن المعتز، فأتاه وحضر القواد والقضاة والأعيان سوى خواص المقتدر وأبي الحسين بن الفرات فبايعوه بالخلافة ولقبوه بالغالب لله. وقيل غير ذلك.

عودة المقتدر إلى الخلافة

وقبض المقتدر على وصيف وعلى يمن الخادم وأبي عمر محمد بن يوسف القاضي، وأبي المثنى القاضي، وأبي المثنى أحمد بن يعقوب، ومحمد بن خلف القاضي والفقهاء والأمراء الذين خلعوه وسلموا إلى مؤنس الخادم فقتلهم إلا علي ابن عيسى، وابن عبدون والقاضيين أبا عمر ومحمد بن خلف، فإنهم سلموا من القتل وكان قتل الباقين في وسط ربيع الآخر.

وزارة ابن الفرات واستقام الأمر للمقتدر فاستوزر أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات.

* * *

أحداث سنة سبع وتسعين ومائتين

دخول ابني ابن الليث بغداد أسيرين وفيها دخل طاهر، ويعقوب ابنا محمد

بن عمرو بن الليث الصفار بغداد اسيرين.

بناء المهدية بالمغرب وفيها وصل الخبر إلى العراق بظهور عبيد الله المسمى بالمهدي؛ وأخرج ابن الأغلب وبنى المهدية.

وخرجت المغرب عن أمر بني العباس من هذا التاريخ، إقامة ابن الأغلب بالرقة وهرب ابن الأغلب وقصد العراق، فكتب إليه أن يصير إلى الرقة ويقيم بها، وفاة النوشري وابن بسطام وتوفي نائبه عيسى النوشري وعامل خراجها أحمد بن محمد بن بسطام فقلد تكين أبو منصور الخاصة مصر فوصلها في ذي الحجة، واستعمل على الخراج علي بن أحمد بن بسطام.

* * *

أحداث سنة ثمان وتسعين ومائتين

إصابة القاضي ابن أبي الشوارب بالفالج، وفيها فلج القاضي عبد الله بن علي ابن أبي الشوارب، وكان على قضاء الجانب الشرقي فأسكت من الفالج فاستخلف ابنه محمدًا وبقي إلى سنة إحدى وثلاثمائة.

ولاية ابن حمدان ديار بكر وربيعة وفيها قدم الحسين بن حمدان من قم فولاه المقتدر ديار بكر وربيعة، وفاة ابن عمرويه وفيها توفي محمد بن عمرويه صاحب الشرطة توفي بآمد وحمل إلى بغداد.

* * *

قتل المهدي للداعيين الشيعيين

وفيها كانت وقعة بين أبي محمد عبيد الله المهدي وبين داعيه أبي عبد الله وأبي العباس بأفريقية في جمادى الآخرة، فقتل الداعيان وجندهما فخالف على المهدي أهل طرابلس فجهز إليهم ابنه أبا القاسم القائم، فأخذها عنوة في سنة ثلاثمائة وتمهدت له المغرب.

* * *

أحداث سنة تسع وتسعين ومائتين

القبض على الوزير ابن الفرات.

وفيها قبض المقتدر على وزيره أبي الحسن بن الفرات ونهبت دوره وهتك حرمه.وقيل: إنه ادعي عليه أنه كاتب الأعراب أن يكبسوا بغداد، ونهبت بعض بغداد عند قبضه.

وزارة ابن خاقان واستوزر أبا علي محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان.

ورود هدايا مصر على المقتدر وفيها وردت هدايا مصر فيها خمسمائة ألف دينار وضلع إنسان عرض شبر في طول أربعة عشر شبرًا وتيس له ضرع يحلب لبنا.

ورود هدايا أمير خراسان ووردت هدايا أحمد بن إسماعيل بن أحمد أمير خراسان فيها جواهر ويواقيت لا تقوم.

ورود هدايا ابن أبي الساج ووردت هدايا يوسف بن أبي الساج، فكانت خمسمائة رأس من الخيل والبغال، وثمانون ألف دينار وبساط رومي طوله سبعون ذراعًا في عرض ستين ذراعا نسج في عشر سنين وغير ذلك.

* * *

أحداث سنة ثلاثمائة

مقتل الحسيني بأعمال دمشق وفيها ظهر محمد بن جعفر بن علي الحسيني بأعمال دمشق فخرج إليه أميرها أحمد بن كيغلغ فقتل محمد في المعركة.

الوباء بالعراق وفيها كان وباء شديد بالعراق وأهلك الخلق.

سيح جبل بالدينور وساح جبل بالدينور في الأرض وخرج من تحته ماء كثير غرق القرى.

* * *

أحداث سنة إحدى وثلاثمائة

القبض على الوزير الخاقاني في أولها قبض المقتدر على وزيره أبي علي الخاقاني وعلى ابنيه وأبي الهيثم بن ثوابة.

وكان قد مضى بليق المؤنسي في ثلاثمائة راكب إلى مكة لإحضار علي بن عيسى للوزارة، فقدم في عاشر المحرم فقلد وسلم إليه الخاقاني ومن معه فصادره مصادرة قريبة ورفق بهم وعدل في الرعية وعف عن المال وأحسن السياسة واتقى الله وأبطل الخمور.

قاله ثابت بن سنان فقال: وحدثني بعد عزله من الوزارة قال: قال لي ابن الفرات بعد صرفي وتوليته: أبطلت الرسوم وهدمت الارتفاع.

فقلت: أي رسم أبطلت؟ قال: المكس بمكة.

فقلت: أهذا وحده أبطلت؟ وقد أبطلت ما ارتفاعه في العام خمسمائة ألف دينار ولم أستكثر هذا القدر في جنب ما حططته عن أمير المؤمنين من الأوزار، ولكن انظر مع ما حططت إلى ارتفاعي وارتفاعك، فقدم الخادم قبل أن يجيب.

" تولية محمد بن يوسف القضاء " وفي صفر سأل علي بن عيسى أن يقلد القضاء أبا عمر محمد بن يوسف وعرفه فضله ومحله فقلده قضاء الجانبين.

وبقي على قضاء مدينة المنصور أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول.

ركوب المقتدر إلى الشماسية وفيها ركب المقتدر من داره إلى الشماسية، وهي أول ركبة ظهر فيها للعامة.

اعتقال ابن ثوابة الكاتب ونفذ محمد بن ثوابة الكاتب إلى الكوفة وسلم إلى إسحاق بن عمران فاعتقله حتى مات.

مقتل أحمد بن إسماعيل الساماني، وفيه ورد الخبر أن غلمان أحمد بن إسماعيل قتلوه على نهر بلخ وقام ابنه نصر بن أحمد فبعث إليه المقتدر عهده بولاية خراسان.

مقتل أبي سعيد الجنابي وفيها قتل أبو سعيد الجنابي القرمطي المتغلب على هجر؛ قتله غلامه الخادم الصقلبي لكونه أراده على الفاحشة فلما دخل إليه قتله، قال: وما زال يفعل ذلك بواحد واحد حتى قتل أربعة من الأعيان ثم دعاء بالخامس فلما رأى القتلى صاح فصاح النساء واجتمعوا على الخادم فقتلوه،

وكان أبو سعيد الجنابي قد هزم جيوش المعتضد، ثم وادع المعتضد القتال فكف عنه وبقي بهجر من ناحية البرية إلى هذا الوقت إلى هذا الوقت.

* * *

أحداث سنة اثنتين وثلاثمائة

تغلب نصر بن أحمد الساماني على عمه في أولها ورد كتاب نصر بن أحمد أمير إقليم خراسان أنه واقع عمه إسحاق بن إسماعيل وأنه أسره فبعث إليه المقتدر بالخلع واللواء.

مقتل حباسة الكتامي، وفيها عاد المسمى بالمهدي الفاطمي إلى الإسكندرية ومعه صاحبه حباسة فجرت بينه وبين جيش الخليفة حروب قتل فيها حباسة وعاد مولاه إلى القيروان.

حرب العباسيين والفاطميين في مصر وفيها وصل إلى مصر القاسم بن سيما في جيش مددًا لتكين ونودي في مصر بالنفير إلى الغزاة فلم يتخلف كبير أحد فقدم حباسة حتى نزل الجيزة فكان المصاف في جمادى الآخرة، ثم أصبحوا على القتال وتعبئوا للحرب وكثر القتل في الفريقين، ثم تراجع حباسة وولى فاتبعه العامة حتى عدوا خليج نزهة فكر عليهم حباسة فيقال: قتل منهم عشرة آلاف.

وخرجوا من اليوم الثالث فلم يكن قتال، قدوم مؤنس الخادم إلى مصر وفيها قدم مؤنس الخادم إلى مصر مددًا وأميرًا عليها وخرج عنها تكين الخاصة.

* * *

أحداث سنة ثلاث وثلاثمائة

تألف الوزير بن عيسى للقرامطة فيها راسل علي بن عيسى الوزير القرامطة وهاداهم وأطلق لهم ليتألفهم فنفع ذلك، ولادة علي بن عبد الله بن حمدان وفي ذي الحجة ولد علي بن عبد الله بن حمدان سيف الدولة.

* * *

أحداث سنة أربع وثلاثمائة

حبس العلوي في المحرم عاد نصر الحاجب من الحج ومعه العلوي الذي قطع الطريق على الركب عام أول فحبس في المطبق.

غزوة مؤنس الخادم بلاد الروم وفي ربيع الآخر غزا مؤنس الخادم بلاد الروم من ناحية ملطية فوافاه جنود الأطراف فافتتح حصونا وأثر أثرة حسنة.

وفاة ابن كنداجق وفيها مات محمد بن إسحاق بن كنداجق بالدينور، وكان متقلدها؛ وصادر علي الوزير ورثته فصالحهم على ستين ألف دينار معجلة.

الخوف ببغداد من حيوان الزبزب وفيها وقع الخوف ببغداد من حيوان يقال له: الزبزب ذكر الناس أنهم يرونه بالليل على الأسطحة، وأنه يأكل الأطفال ويقطع ثدي المرأة فكانوا يتحارسون ويضربون بالصواني والطاسات ليهرب واتخذ الناس لأطفالهم مكاب ودام عدة ليال، فأخذ الأعيان حيوانًا أبلق كأنه من كلاب الماء. فذكر أنه الزبزب وأنه صيد فصلب على الجسر، فلم يغن ذلك إلى أن انبسط القمر وتبين للناس أن لا حقيقة لما توهموه.

أحداث سنة خمس وثلاثمائة

قدوم رسل ملك الروم بالهدايا فيها قدمت رسل ملك الروم بهدايا تطلب عقد هدنة، فأشحنت رحاب دار الخلافة والدهاليز بالجند والسلاح وفرشت سائر القصور بأحسن الفرش، ثم أحضر الرسولان والمقتدر على سريره والوزير ومؤنس الخادم قائمان بالقرب منه.

إظهار المقتدر عظمة الخلافة أمام رسل الروم وذكر الصولي وغيره احتفال المقتدر فقالوا: أقام المقتدر العساكر وصفهم بالسلاح، وكانوا مائة وستين ألفًا وأقامهم من باب الشماسية إلى دار الخلافة وبعدهم الغلمان، وكانوا سبعة آلاف خادم وسبعمائة حاجب، ثم وصف أمرا مهولا فقال: كانت الستور ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج ومن البسط اثنان وعشرون ألفًا، وكان في الدار قطعان من الوحش تأنست كان فيها مائة سبع في السلاسل، ثم أدخلا دار الشجرة وكان في وسطها بركة والشجرة فيها ولها ثمانية عشر غصنًا عليها

الطيور مذهبة ومفضضة وورقها مختلف الألوان وكل طائر من هذه الطيور المصنوعة يصفر، ثم أدخلا إلى الفردوس وبها من الفرس ما لا يقوم وفي الدهاليز عشرة آلاف جوشن مذهبة معلقة.

* * *

أحداث سنة ست وثلاثمائة

فتح مارستان والدة المقتدر في أولها فتح مارستان السيدة والدة المقتدر ببغداد، وكان طبيبه سنان بن ثابت، وكان مبلغ النفقة فيه في العام سبعة آلاف دينار.

وفاة القاضي وكيع وفي ربيع الأول مات القاضي محمد بن خلف وكيع فأضيف ما كان يتولاه من قضاء الأهواز إلى أبي جعفر بن البهلول قاضي مدينة المنصور.

قتل الحسين بن حمدان وفي جمادى الأولى أمر المقتدر بقتل الحسين بن حمدان فقتل في الحبس.

* * *

أحداث سنة سبع وثلاثمائة

وفاة الفضل بن عبد الملك في صفر توفي أمير الموسم الفضل بن عبد الملك الهاشمي ببغداد فولي ابنه مكانه، ولاية نازوك دمشق وفيها خلع المقتدر على نازوك وولاه دمشق فسار إليها.

دخول القرامطة البصرة وفيها دخلت القرامطة البصرة فقتلوا وسبوا ونهبوا.

دخول عسكر القائم المهدي الإسكندرية وفي صفر دخلت مقدمة القائم الإسكندرية فاضطرب أهل الفسطاط ولحق كثير منهم بالقلزم والحجاز فتمسك ذكاء أمير مصر بالجيزة، ثم إنه مرض وتوفي في ربيع الأول.

* * *

أحداث سنة ثمان وثلاثمائة

فتنة الغلاء ببغداد فيها غلت الأسعار ببغداد وشغبت العامة ووقع النهب فركبت الجند فهاوشتهم العامة.

وسببه ضمان حامد بن العباس السواد وتجديد المظالم فقصدوا دار حامد فخرج إليهم غلمانه فحاربوهم ودام القتال أيامًا ثم انكشف عن جماعة من القتلى، ثم تجمع من العامة عشرة آلاف فأحرقوا الجسر وفتحوا السجون ونهبوا الناس فركب هارون بن غريب الخال في العساكر وركب حامد في طيار فرجموه واختلت أحوال الدولة العباسية وعلت الفتن ومحقت الخزائن.

استيلاء المهدي على بلاد المغرب واستولى عبيد الله الملقب بالمهدي على بلاد المغرب.

* * *

أحداث سنة تسع وثلاثمائة

خلاف الطبري المؤرخ والحنابلة جرى بين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وبين الحنابلة كلام فحضر أبو جعفر عند علي بن عيسى لمناظرتهم فلم يحضروا.

تلقيب مؤنس الخادم بالمظفر وفيها قدم مؤنس من حرب صاحب القيروان فخلع عليه المقتدر ولقبه بالمظفر.

استرجاع الإسكندرية من المغاربة وسار ثمل الخادم من طرسوس في البحر إلى الإسكندرية فأخذها من جيش المغاربة.

عزل تكين عن مصر وإعادته وفيها عزل تكين عن مصر بأبي قابوس محمود بن حمك فأقام ثلاثة أيام، ثم عزل وأعيد تكين، خروج القادة لقتال عسكر القائم المهدي وفيها عسكر مؤنس وتكين والقواد وساروا إلى الفيوم لحرب عساكر القائم فرجع القائم إلى إفريقية من غير قتال وذلك في أوائل السنة.

* * *

أحداث سنة عشر وثلاثمائة

القبض على أم موسى القهرمانة فيها قبض المقتدر على أم موسى القهرمانة وأهلها وأسبابها؛ لأنها زوجت بنت أخيها أبي بكر بمحمد بن إسحاق بن المتوكل على الله وكان من سادة بني العباس يترشح للخلافة فتمكن أعداؤها من السعي عليها.

وكانت قد أسرفت في نثار المال على صهرها، وبلغ المقتدر أنها تعمل له على الخلافة فكاشفتها السيدة أم المقتدر وقالت: قد دبرت على ولدي وصاهرت ابن المتوكل حتى تقعديه في الخلافة وجمعت له الأموال، فسلمتها وأخاها وأختها إلى ثمل القهرمانة.

وكانت ثمل موصوفة بالشر وقساوة القلب فبسطت عليهم العذاب واستخرجت منهم أموالاً وجواهر فيقال إنه حصل من جهتهم ما مقداره ألف ألف دينار.

* * *

أحداث سنة إحدى عشر وثلاثمائة

ذكرعزل حامد بن العباس عن الوزارة وفيها عزل عن الوزارة حامد بن العباس علي بن عيسى وقلدها أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات، وهذه ثالث مرة يعاد، ثم صودر حامد وعذب.

وكان فيه زعارة وطيش فيما قال المسعودي. قال: كلمه إنسان فقلب ثيابه على كتفه ولكم الرجل، ودخلت عليه أم موسى القهرمانة وكانت كبيرة المحل فخاطبته في طلب المال فقال لها: اضرطي والتقطي واحسبي لا تغلطي. فأخجلها.

ذكر رد المواريث وفي شعبان أمر المقتدر برد المواريث إلى ما صيرها المعتضد من توريث ذوي الأرحام.

* * *

أحداث سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة

ذكر وقوع ركب العراق في أسر الجنابي في ثاني عشر المحرم عارض أبو طاهر بن أبي سعيد الجنابي ركب العراق قريبًا من الهبير وعمره يومئذ سبع عشرة سنة وهو في ألف فارس وألف راجل، وكان في الركب أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان وأحمد بن بدر عم السيدة وشقيق الخادم فأسرهم الجنابي وأخذ الأموال والجمال والحريم وسار بهم إلى هجر وترك بقية الركب؛ فماتوا جوعًا وعطشًا إلا القليل. وبلغ الخبر بغداد فكثر فيها النوح والبكاء.

أحداث سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة

ذكر دخول القرمطي الكوفة ونهبها فيها سار الحجاج من بغداد ومعهم جعفر ابن ورقاء في ألف فارس فلقيهم القرمطي بزبالة فناوشهم الحرب ورجع الناس إلى بغداد، ونزل القرمطي على الكوفة فقاتلوه فغلبهم ودخل البلد ونهب ما لا يحصى. فندب المقتدر مؤنسًا الخادم لحرب القرمطي وجهزهم بألف ألف دينار.

* * *

أحداث سنة أربع عشرة وثلاثمائة

ذكر نزوح أهل مكة فيها نزح أهل مكة منها خوفا من قرب القرمطي.

ذكر دخول الروم ملطية وفيها دخلت الروم ملطية بالسيف فقتلوا وسبوا وبقوا بها أيامًا، ذكر تجمد دجلة بالموصل، وفيها جمدت دجلة بالموصل وعبرت عليها الدواب وهذا لم يعهد، ذكر ثلج بغداد، وسقط ثلوج كثيرة ببغداد.ذكر امتناع حجاج خراسان والعراق ورد حجاج خراسان خوفًا من القرمطي ولم يحج الركب العراقي في هذين العامين.

* * *

أحداث سنة خمس عشرة

ذكر إكرام المقتدر لعيسى بن علي في صفر قدم علي بن عيسى الوزير فزاد المقتدر في إكرامه وبعث إليه بالخلع وبعشرين ألف دينار. ذكر انتهاب

الروم سميساط وفيها وصلت الروم إلى سميساط، وأخذوا من فيها وما فيها وضربوا الناقوس في جامعها فتهيأ مؤنس للخروج.

* * *

أحداث سنة ست عشرة وثلاثمائة

ذكر استباحة القرمطي الرحبة في أولها دخل أبو طاهر القرمطي الرحبة بالسيف واستباحها، ذكر أمان أهل قرقيسيا وبعث أهل قرقيسيا يطلبون الأمان فأمنهم.ذكر ارتداد القرمطي عن الرقة وقصد الرقة وهو في تسعمائة فارس وثلاثمائة راجل فقتل فيها جماعة بالربض ودفعه أهلها عنها فسار مؤنس من بغداد إلى الرقة فأتاها بعد انصراف أبي طاهر.ذكر انصراف القرمطي عن الكوفة، ثم أتى هيت فرموه بالحجارة فقتلوا أبا الرواد من خواص أصحابه فسار إلى الكوفة فنهض نصر الحاجب بالعساكر ورآه فمرض نصر، فاستخلف أحمد بن كيغلغ وبعث معه بالجيش فانصرف القرمطي قبل أن يلقاه، ومات نصر في رمضان وحمل إلى بغداد.ذكر وزارة ابن مقلة واستعفى علي بن عيسى من الوزارة فاستوزر أبو علي بن مقلة الكاتب.

أحداث سنة سبع عشرة وثلاثمائة

ذكر فتنة خلع المقتدر وخلافة القاهرة قال ثابت بن سنان: في ثامن المحرم خرج مؤنس إلى باب الشماسية ومعه سائر الجيش وركب نازوك الوالي في جيشه من داره وخرج أبو الهيجاء بن حمدان أيضًا إلى مؤنس فشحن المقتدر داره ومعه هارون ابن غريب وأحمد بن كيغلغ وحاشية، فلما كان آخر النهار انفض أكثر من في دار الخلافة من الرجالة إلى مؤنس.

وراسل مؤنس المقتدر بأن الجيش عاتب منكر لما يصرف من الذهب إلى الحرم والخدم وأنهم يطلبون إخراج الحرم والخدم من دار الخلافة وإبعادهم.

فكتب إليه رقعة بخطه: " أمتعني الله بك ولا أخلاني منك ولا أراني فيك سوءًا. إني تأملت الحال فوجدت الأولياء الذين خرجوا لم يريدوا إلا صيانة نفسي وإعزاز أمري فبارك الله عليهم. فأما أنت يا أبا الحسن المظفر لا خلوت منك فشيخي وكبيري ".

وذكر فصلاً طويلا في الخضوع له إلى أن قال: " وقيل: هذا وبعده فلي في أعناقهم بيعة مؤكدة ومن بايعني بايع الله ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وعهد الله نكث؛ ولي عليكم نعم وصنائع وآمل أن تعترفوا بها لا تكفروها ".

فلما وقفوا على الورقة عدلوا إلى مطالبته بإخراج هارون عن بغداد فأجابهم إلى ذلك وقلده الثغور وخرج من يومه.

* * *

أحداث سنة ثمان عشرة

ذكر تقليد ابن ياقوت شرطة بغداد في المحرم صرف المقتدر ابني رائق عن الشرطة وقلدها أبا بكر محمد بن ياقوت.

ذكر ريح عظيمة ببغداد وفي ربيع الآخر هبت ريح عظيمة حملت رملا أحمر قيل: إنه من جبل زرود فامتلأت به أزقة بغداد والأسطحة.

ذكر القبض على ابن مقلة وفيها قبض المقتدر على الوزير أبي علي بن مقلة وأحرقت داره،

وكانت عظيمة قد ظلم الناس في عمارتها، وعز على مؤنس حيث لم يشاوره الخليفة.

ذكر وزارة ابن مخلد، ثم استوزر سليمان بن الحسن بن مخلد فكان لا يصدر عن أمر حتى يشاور علي بن عيسى.

* * *

أحداث سنة تسع عشرة

ذكر القبض على الوزير سليمان بن الحسن، فيها قبض المقتدر على الوزير سليمان بن الحسن وكان قد أضاق إضاقة شديدة، وكانت وزارته سنة وشهرين.

ذكر وزارة الكلوذاني وكان المقتدر يميل إلى وزارة الحسين بن قاسم فلم يمكنه مؤنس، وأشار بأبي القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني، فاستوزره مع مشاورة علي بن عيسى في الأمور.

ذكر الوقعة بين ابن غريب ومرداويج وفيها كانت وقعة بين هارون بن غريب

وبين مرداويج الديلمي بنواحي همدان، فانهزم هارون وملك الديلمي الجبل الأسود بأسره إلى حلوان.

* * *

أحداث سنة عشرين وثلاثمائة

ذكر وزارة ابن الفرات وفيها عزل الحسين بن القاسم من الوزارة واستوزر أبو الفتح بن الفرات.

ذكر ولاية مرداويج الديلمي وفيها بعث العهد واللواء لمرداويج الديلمي على إمرة أذربيجان وأرمينية وأران وقم ونهاوند وسبجستان.

ذكر انتهاب الجند دور ابن الفرات وفيها نهب الجند دور الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات فهرب إلى طيار له في الشط فأحرق الجند الطيارات، وصخم الهاشمهيون وجوههم وصاحوا: الجوع الجوع.

وكان قد اشتد الغلاء؛ لأن القرمطي ومؤنسًا منعوا الغلات من النواحي أن تصل.

أحداث سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة

شغب الجند على القاهر فيها شغب الجند على القاهر بالله وهجموا الدار فنزل في طيار إلى دار مؤنس فشكا إليه، فصبرهم مؤنس عشرة أيام.

وكان ابن مقلة منحرفًا عن محمد بن ياقوت فنقل إلى مؤنس أن ابن ياقوت يدبر عليهم، فبعث مؤنس غلمان علي بن بليق إلى دار الخلافة يطلبون عيسى الطبيب؛ لأنه آتهم بالفضول، فهجموا إلى أن أخذوه من حضرة القاهر فنفاه مونس إلى الموصل.

التضييق على القاهر وآتفق ابن مقلة ومونس وبليق وآبنه على الإيقاع بابن ياقوت فعلم فآستتر وتفرق رجاله، وجاء علي بن بليق إلى دار الخلافة فوكل بها أحمد بن زيرك وأمره بالتضييق على القاهر وتفتيش من يدخل.

وطالب ابن بليق القاهر بما كان عنده من أثاث أم المقتدر فأعطاه إياه فبيع وجعل في بيت المال وصرف إلى الجند.

* * *

أحداث سنة اثنتين وعشرين وثلا ثمائة

ظهور الديلم فيها ظهرت الديلم وذاك؛ لأن أصحاب مرداويخ دخلوا إصبهان وكان من قواده علي بن بويه، فاقتطع مالا جليلاً وانفرد عن مخدومه، ثم التقى هو ومحمد بن ياقوت فهزم محمدا واستولى على فارس.

وكان بويه فقيرًا صعلوكًا يصيد السمك رأى أنه بال فخرج من ذكره عمود نار، ثم تشعب العمود حتى ملأ الدنيا، فقص رؤياه على معبر فقال: لا أعبرها إلا بألف درهم.

فقال: والله ما رأيت عشرها وإنما أنا صياد.

ثم مضى وصاد سمكة فأعطاه إياها فقال له: ألك أولاد؟ قال: نعم. قال: أبشر فإنهم يملكون الدنيا ويبلغ سلطانهم على قدر ما آحتوت النار التي رأيتها، وكان معه أولاده علي والحسن وأحمد.

ثم مضت السنون وخرج بولده إلى خراسان فخدموا مرداويخ بن زيار الديلمي إلى أن صار علي قائدًا فأرسله يستخرج له مالاً من الكرج فاستخرج خمسمائة ألف درهم فأخذ المال وآتى همدان ليملكها فغلق أهلها في وجهه الأبواب فقاتلهم وفتحها عنوة وقتل خلقًا، ثم صار إلى إصبهان وبها المظفر بن ياقوت فلم يحاربه وسار إلى أبيه بشيراز، ثم صار إلى أرجان فأخذ الأموال وتنقل في النواحي وانضم إليه خلق وصارت خزائنه خمسمائة ألف دينار، فجاء إلى شيراز وبها ابن ياقوت فخرج إليه في بضع عشر ألفًا وكان علي بن بويه في ألف رجل فهابه علي وسأله أن يفرج له عن الطريق لينصرف فأبى عليه فالتقوا فانكسر علي، ثم انهزم ابن ياقوت ودخل علي شيراز، ثم إنه قل ما عنده فنام على ظهره فخرجت حية من سقف المجلس فأمر بنقضه فخرجت صناديق ملأى ذهبًا فأنفقها في جنده وضاق مرة فطلب خياطًا يخيط له وكان أطروشًا فظن أنه قد سعي به فقال: والله ما عندي سوى اثني عشر صندوقًا لا أعلم ما فيها. فأمر علي بإحضارها فوجد فيها مالا عظيما فأخذه وركب يومًا فساحت

قوائم فرسه فحفروه فوجد فيه كنزًا واستولى على البلاد وخرجت خراسان وفارس عن حكم الخلافة.

* * *

أحداث سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

تقليد ولدي الراضي المشرق والمغرب فيها تمكن الراضي بالله وقلد ابنيه المشرق والمغرب وهما أبو جعفر وأبو الفضل، واستكتب لهما أبا الحسين علي بن محمد بن مقلة.

* * *

أحداث سنة أربع وعشرين

وفاة هارون بن المقتدر توفي هارون بن المقتدر وحزن عليه أخوه الخليفة واغتم له وأمر بنفي الطبيب بختيشوع بن يحيى واتهمه بتعمد الخطأ في علاجه.

تقليد ابن طغج عملا في مصر وفيها قلد ابن مقلة أبا بكر محمد بن طغج أعمال المعاون بمصر مضافًا إلى ما بيده من الشام.

قطع ابن رائق الحمل عن بغداد وفيها قطع الحمل عن بغداد محمد بن رائق واحتج بكثرة كلفة الجيش عنده وقطع حمل الأهواز وطمع غيرهم.

إطلاق المظفر بن ياقوت من الحبس.

تعذيب ابن مقلة وأخذ ابن مقلة فتسلمه عبد الرحمن الوزير وضرب بالمقارع وأخذ خطه بألف ألف دينار، ثم سلم إلى أبي العباس الخصيبي فجرى عليه من المكاره والتعليق والضرب عجائب.

رواية ثابت بن سنان عن تعذيب ابن مقلة قال ثابت: كلفني الخصيبي الدخول إليه يوما وقال: إن كان يحتاج إلى الفصد فليفصد بحضرتك. فدخلت فوجدته مطروحا على حصير وتحت رأسه مخدة وسخة وهو عريان في وسطه سراويل ورأيت بدنه من رأسه إلى أطراف رجليه كالباذنجان وبه ضيق نفس شديد. وكان الذي تولى عذابه ودهق صدره الدستوائي. فقلت: يريد الفصد.فقال الخصيبي: وكيف نعمل ولابد من تعذيبه كل يوم فقلت: فيتلف.قال: افصده.ففصد

ته ورفهته ذلك اليوم، واتفق أن الخصيبي استتر ذلك اليوم فاطمأن ابن مقلة وتصلح. وحضر أبو بكر بن قرابة وضمن ما عليه وتسلمه.

* * *

أحداث سنة خمس وعشرين وثلاثمائة

محاربة ابن رائق للحجرية والساجية فيها أشار محمد بن رائق على الراضي بأن ينحدر معه إلى واسط فخرج أول السنة منحدرا فوصل واسط في عاشر المحرم. واستخلف بالحضرة أبا محمد الصلحي فاضطربت الحجرية وقالوا: هذه حيلة علينا ليعمل بنا مثل ما عمل بالساجية. فأقام بعضهم ثم انحدروا، واستخدم ابن رائق ستين حاجبًا وأسقط الباقين وكانوا أربعمائة وثمانين، ونقص أرزاق الحشم فثاروا وحاربوا ابن رائق وجرى بينهم قتال شديد وانهزم من بقي من الساجية إلى بغداد ولم يبق من الحجرية إلا قليل مثل صافي الخازن والحسن بن هارون فأطلقا.ولما فرغ ابن رائق من الحجرية والساجية أشار على الراضي بالله بالتقدم إلى الأهواز فأخرج المضارب.

* * *

أحداث سنة ست وعشرين وثلاثمائة

انهزام ألد مستق في أولها ورد الخبر بأن علي بن عبد الله بن حمدان لقي ألد مستق فهزمه علي.

أحداث سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

الحرب بين بجكم وابن حمدان فيها سافر الراضي وبجكم لمحاربة الحسن بن عبد الله ابن حمدان وكان قد أخر الحمل عن ما ضمنه من الموصل والجزيرة. فأقام القاضي بتكريت، ثم التقى بجكم وابن حمدان فانهزم أصحاب بجكم وأسر بعضهم فحقق بجكم الحملة بنفسه فانهزم أصحاب ابن حمدان، واتبعه بجكم إلى أن بلغ نصيبين فأقام بها وهرب ابن حمدان إلى آمد وسار الراضي إلى الموصل.

أحداث سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة

انهزام ألد مستق في أولها ورد الخبر بأن علي بن عبد الله بن حمدان لقي ألد مستق فهزمه علي.

زواج بجكم ببنت البريدي وفيها تزوج بجكم بسارة بنت الوزير أبي عبد الله البريدي.

وفاة قاضي القضاة ابن يوسف وفي شعبان توفي قاضي القضاة أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف وقلد مكانه ابنه القاضي أبو نصر يوسف.

* * *

أحداث سنة تسع وعشرين وثلاثمائة

عزل بجكم لابن شيرزاد ومصادرته فيها عزل بجكم ابن شيرزاد عن كتابته وصادره على مائة وخمسين ألف دينار وفاة الراضي بالله وفي ربيع الأول اشتدت علة الراضي بالله وقاء في يومين أرطالاً من دم ومات. وبويع المتقي لله أخوه.

وكان الراضي سمحًا كريمًا أديبًا شاعرًا فصيحًا محبًا للعلماء، سمع من البغوي وله شعر مدون.

أحداث سنة ثلاثين وثلاثمائة

حبس كورتكين في دار ابن رائق في المحرم وجد كورتكين الديلمي في درب فأحضر إلى دار ابن رائق وحبس.

الغلاء العظيم ببغداد وفيها كان الغلاء العظيم ببغداد وأبيع كر القمح بمائتي دينار وعشرة دنانير وأكلوا الميتة وكثر الأموات على الطرق وعم البلاء.

انتشار الجوع وفي ربيع الآخر خرج الحرم من قصر الرصافة يستغيثون في الطرقات: الجوع الجوع.

* * *

أحداث سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة

زواج ابن المتقي ببنت ناصر الدولة الحمداني: في المحرم كتب كتاب أبي منصور إسحاق بن المتقي على بنت الأمير ناصر الدولة بن حمدان والصداق

مائتا ألف دينار وقيل: مائة ألف دينار وخمسمائة ألف درهم.

وولي العقد عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي ولم يحضر أبوها، غزو الروم إلى أرزان وغيرها: وفي صفر وصلت الروم إلى أرزان وميافارقين ونصيبين فقتلوا وسبوا وثم طلبوا منديلاً في كنيسة الرها يزعمون أن المسيح مسح به وجهه فارتسمت صورته فيه على أنهم يطلقون جميع من سبوا فأرسل إليهم وأطلقوا الأسرى.

تضيق ناصر الدولة على المتقي: وفيها ضيق الأمير ناصر الدولة على المتقي في نفقاته وأخذ ضياعه وصادر الدواوين وأخذ الأموال وكرهه الناس، استئمان الديلم لابن بويه: وفيها وافى الأمير أحمد بن بويه يقصد قتال البريدي فاستأمن إليه جماعة من الديلم، هروب سيف الدولة وأخيه: وفيها هاج الأمراء على سيف الدولة بواسط فهرب في البرية يريد بغداد، ثم سار إلى الموصل ناصر الدولة خائفًا لهروب أخيه ونهبت داره. نزوح البغداديين إلى الشام ومصر: وفيها نزح خلق كثير من بغداد مع الحجاج إلى الشام ومصر خوفًا من اتصال الفتن ببغداد، خلعة المتقي لابن بويه: وفيها بعث المتقي إلى أحمد بن بويه بخلع فسر بها ولبسها، ولادة مولود للقرمطي: وفيها ولد لأبي طاهر القرمطي ولد فأهدى إليه أبو عبد الله هدايا عظيمة فيها مهد ذهب مجوهر، الحج هذا الموسم: وحج بالناس القرمطي على مال أخذه منهم، وزارة علي بن مقلة: واستوزر المتقي أبا الحسين علي بن أبي مقلة، دخول توزون بغداد وإمرته: وسار من واسط توزون فقصد بغداد وقد هرب منه سيف الدولة فدخل توزون بغداد في رمضان فانهزم سيف الدولة إلى الموصل أيضًا فخلع المتقي على توزون ولقبه أمير الأمراء، الوحشي بين المتقي وتوزون وفيها وقعت الوحشية بين المتقي وتوزون فعاد إلى واسط، عزل ابن مقلة: وفيها عزل المتقي ولد ابن مقلة وأخذ منه مائة ألف دينار ثم استوزره، وفاة بدر الخرشني: وفيها هلك بدمشق بدر الخرشني.

وكان قد جرت له أمور ببغداد، ثم صار إلى الإخشيد محمد بن طغج فولاه إمرة دمشق فوليها شهرين ومات، وفاة سنان بن ثابت: وفي ذي القعدة مات أبو سعيد سنان بن ثابت المتطبب والد مصنف التاريخ ثابت، وقد أسلم سنان على يد

القاهر بالله. وقد طبب جماعة من الخلفاء وكان متقننا. وفاة ابن عبدوس الجهشياري: وفيها مات محمد بن عبدوس مصنف كتاب " الوزراء " ببغداد. وكان من الرؤساء. وزارة الإصبهاني وفي حدودها استوزر المتقي غير وزير من هؤلاء الخاملين ويعزله فاستوزر أبا العباس الكاتب الإصبهاني، وكان ساقط الهمة بحيث أنه كان يركب وبين يديه اثنان؛ وما ذاك إلا لضعف دست الخلافة ووهن دولة بني العباس.

* * *

أحداث سنة ست وثلاثين وثلاثمائة

خروج المطيع لمحاربة البريدي: فيها خرج المطيع ومعز الدولة من بغداد إلى البصرة لمحاربة أبي القاسم عبد الله بن البريدي فسلكوا البرية، فلما قاربوها استأمن إلى معز الدولة جيش البريدي وهرب هو إلى القرامطة. وملك معز الدولة البصرة وأقطع المطيع منها ضياعًا.

قدوم عماد الدولة على أخيه معز الدولة: وفيها وصل عماد الدولة علي بن بويه إلى الأهواز فبادر أخوه معز الدولة إلى خدمته وجاء فقبل الأرض وتأدب معه، ثم بعد أيام ودعه وعاد معز الدولة وقد أخذ واسطًا والبصرة، تكحيل صاحب خراسان أخويه وعمه: وفيها وردت الأخبار بأن نوحًا صاحب خراسان كحل أخويه وعمه إبراهيم. ظفر صاحب المغرب بابن كيداد: وفيها ظفر المنصور صاحب المغرب بمخلد بن كيداد وقتل قواده ومزق جيشه. وفاة الصولي: وفيها توفي أبو بكر محمد بن يحيى الصولي النديم الإخباري العلامة صاحب الهندسة والبراعة في الشطرنج. وقع لنا جزء من حديثه بعلو. غارة الروم على أطراف الشام: وفيها أغارت الروم - لعنهم الله - على أطراف الشام فسبوا وأسروا فساق وراءهم سيف الدولة ولحقهم فقتل منهم مقتلة واسترد ما أخذوا ثم أخذ حصن برزية من الأكراد بعد أن نازله مدة، ثم افتتحه في سنة سبع.

* * *

أحداث سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة

عودة المطيع إلى دار الخلافة: ولما انهزم سيف الدولة بن حمدان إلى الموصل جدد معز الدولة أحمد بن بويه الإيمان بينه وبين المطيع وأزال عنه التوكل وأعاده إلى دار الخلافة، صرف ابن أبي الشوارب عن القضاء: وصرف القاضي محمد بن الحسن ابن أبي الشوارب عن القضاء بالجانب الغربي وقلد قضاء الجانبين أبو الحسن محمد ابن صالح ويعرف بابن أم شيبان. امتلاك سيف الدولة دمشق: ولما مات الإخشيد بدمشق سار سيف الدولة من حلب فملك دمشق واستأمن إليه يانس المؤنسي، ثم سار سيف الدولة فنزل الرملة، وجاء من مصر أنوجور بن الإخشيد بالجيوش والقائم على أمره كافور الخادم، فرد سيف الدولة إلى دمشق وسار وراءه المصريون فانهزم إلى حلب فساروا خلفه فانهزم إلى الرقة. ثم تصالحوا على أن يعود سيف الدولة إلى ما كان بيده.

قال المسبحي: وكان بين سيف الدولة وبين أبي المظفر حسن بن طغج وهو أخو الإخشيد وقعة عظيمة باللجون فانكسر ابن حمدان ووصل إلى دمشق بعد شدة وتشتت، وكانت أمه بدمشق، فنزل المرج خائفًا وأخرج حواصله وسار نحو حمص على طريق قارا، وسار أخو الإخشيد وكافور الإخشيدي إلى دمشق، ثم سار إلى حلب في آخر السنة واستقر أمرهم، مصالحة معز الدولة وناصر الدولة: وفيها اصطلح معز الدولة وناصر الدولة على أن يكون لناصر الدولة من تكريت إلى الشام. وكان ناصر الدولة قد عاد فنزل عكبرا.

قيادة تكين الشيرازي للترك: فلما علم الترك الذين مع ناصر الدولة بالمصالحة جاؤوا إليه ليقتلوه فانهزم إلى الموصل فقدموا عليهم تكين الشيرازي، وكانوا خمسة آلاف. وساقوا وراء ناصر الدولة. حبس ابن شيرزاد: وكان أبو جعفر بن شيرزاد قد هرب من معز الدولة إلى ناصر الدولة فلما قرب من الموصل سمله وحبسه. هزيمة الترك: وبعث ناصر الدولة إلى أخيه سيف الدولة يستنجده وتقهقر إلى سنجار ونزل الحديثة والترك وراءه، ثم إن معز الدولة جهز له نجدة وجاءه عسكر حلب فالتقوا على الحديثة فانهزم الترك وقتلوا وأسروا ورجع ناصر الطال الموصوفين وفيه ظلم.

* * *

أحداث سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة

استيلاء قراتكين على الري والجبال: فيها استولى قراتكين على الري والجبال ودفع عنها عسكر ركن الدولة. غزوة سيف الدولة وانهزامه: وفيها غزا سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم في ثلاثين ألفًا ففتح حصونًا وقتل وسبى وغنم فأخذ عليه الروم الدرب عند خروجه فاستولى على عسكره قتلاً وأسرًا واستردوا جميع ما أخذ وأخذوا جميع خزائنه وهرب في عدد يسير.

رد الحجر الأسود: وفيها رد الحج الأسود إلى موضعه. بعث به القرمطي مع محمد بن سنبر إلى المطيع، وكان بجكم قد دفع قبل هذا خمسين ألف دينار وما أجابوا وقالوا: أخذناه بأمر وما نرده إلا بامر. فلما ردوه في هذه السنة قالوا: رددناه بأمر من أخذناه بأمره. وكذبوا فإن الله سبحانه وتعالى قال:{ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا } [الأعراف: ٢٨]، فكذبهم الله بقوله:{ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ } [الأعراف: ٢٨]، وأن عنوا بالأمر القدر فليس ذلك حجة لهم فإن الله تعالى قدر عليهم الضلال والمروق من الدين وقدر عليهم أنه يدخلهم النار فلا ينفعهم قولهم: أخذناه بأمر.

وقد أعطاهم المطيع مالاً وبقي الحجر عندهم اثنين وعشرين سنة. وفيها - قاله المسبحي - وافى سنبر بن الحسن إلى مكة ومعه الحجر الأسود وأمير مكة معه فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر من سفط وعليه ضباب فضة قد عملت من طوله وعرضه فضبط شقوقًا حدثت عليه بعد انقلاعه وأحضر له صانعًا معه جص يشده.

فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده وشده الصانع بالجص وقال لما رده: أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئة الله. وفاة الصيمري الكاتب: وفيها تزوج محمد بن أحمد الصيمري كاتب معز الدولة ووزيره. تقليد المهلبي الكتابة: فقلد مكانه أبا محمد الحسن بن محمد المهلبي الوزير.

مقتل عبد الله ابن الناصر لدين الله الأموي: وفي عيد الأضحى قتل الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد الأموي صاحب الأندلس ولده عبد الله وكان قد خاف من خروجه عليه وكان من كبار العلماء روى عن: محمد بن عبد الملك

بن أيمن وقاسم بن أصبغ، وله تصانيف منها مجلد في " مناقب بقي بن مخلد " رواه عنه: مسلمة بن قاسم. غزوة سيف الدولة وإيغاله في الروم: وفيها غزا سيف الدولة كما قدمنا فسار في ربيع الأول ووافاه عسكر طرسوس في أربعة آلاف عليهم القاضي أبو حصين. فسار إلى قيسارية ثم إلى "... " ووغل في بلاد الروم وفتح عدة حصون وسبى وقتل، ثم سار إلى سمندو، ثم إلى خرشنة يقتل ويسبي، ثم إلى بلد صارخة وبينها وبين قسطنطينية سبعة أيام.

فلما نزل عليها واقع الدمستق مقدمته فظهرت عليه فلجأ إلى الحصن وخاف على نفسه، ثم جمع والتقى سيف الدولة فهزمه الله أقبح هزيمة وأسرت بطارقته وكانت غزوة مشهورة، وغنم المسلمون ما لا يوصف وبقوا في الغزو أشهرا، ثم إن الطرسوسيين قفلوا ورجع العربان ورجع سيف الدولة في مضيق صعب فأخذت الروم عليه الدروب وحالوا بينه وبين المقدمة وقطعوا الشجر وسدوا به الطرق ودهدهوا الصخور في المضائق على الناس، والروم وراء الناس مع الدمستق يقتلون ويأسرون ولا منفذ لسيف الدولة، وكان معه أربعمائة أسير من وجوه الروم فضرب أعناقهم وعقر جماله وكثيرًا من دوابه وحرق الثقل وقاتل قتال الموت ونجا في نفر يسير، واستباح الدمستق أكثر الجيش وأسر أمراء وقضاة. ووصل سيف الدولة إلى حلب ولم يكد، ثم مالت الروم فعاثوا وسبوا وتزلزل الناس، ثم لطف الله تعالى وأرسل الدمستق إلى سيف الدولة يطلب الهدنة فلم يجب سيف الدولة وبعث يتهدده، ثم جهز جيشًا فدخلوا بلاد الروم من ناحية حران فغنموا وأسروا خلقًا، وغزا أهل طرسوس أيضًا في البر والبحر، ثم سار سيف الدولة من حلب إلى آمد فحارب الروم وخرب الضياع وانصرف سالمًا.

وأما الروم فإنهم احتالوا على أخذ آمد وسعى لهم في ذلك نصراني على أن ينقب لهم من مسافة أربعة أميال حتى وصل إلى سورها، ففعل ذلك وكان نقبًا واسعًا فوصل إلى البلد من تحت السور، ثم عرف به أهلها فقتلوا النصراني وأحكموا ما نقبه وسدوه، ومعنى الدمستق نائب البلاد في شرقي قسطيطينية.

* * *

أحداث سنة أربعين وثلاثمائة

مهاجمة صاحب عمان البصرة: فيها قصد صاحب عمان البصرة وساعده أبو يعقوب القرمطي فسار إليهم أبو محمد المهلبي في الديلم فالتقوا فانهزم المهلبي واستباح عسكرهم وعاد إلى بغداد بالأسارى والمراكب، إيغال سيف الدولة في بلاد الروم: وفيها جمع سيف الدولة بن حمدان جيوش الموصل والجزيرة والشام والأعراب ووغل في بلاد الروم فقتل وسبى شيئًا كثيرًا وعاد إلى حلب سالمًا.

الحج هذه السنة: وحج الناس في هذه السنة، إصلاح الحجر الأسود وتمكينه في الكعبة: وفيها قلع حجبة الكعبة الحجر الذي نصبه صاحب الجنابي وجعلوه في الكعبة وأحبوا أن يجعلوا له طوقًا من فضة فيشد به كما كان قديمًا لما عمله عبد الله ابن الزبير، وأخذ في إصلاحه صائغان حاذقان فأحكماه، قال أبو الحسن محمد بن نافع الخزاعي: فدخلت الكعبة فيمن دخلها فتأملت الحجر، فإذا السواد في رأسه دون سائره أبيض، وكان مقدار طوله فيما حرزت مقدار عظم الذراع، قال: ومبلغ ما عليه من الفضة فيما قيل ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعة وتسعون درهما ونصف.

وفاة الكرخي شيخ الحنفية: وفيها توفي شيخ الحنفية أبو الحسن الكرخي عبد الله بن لال وله ثمانون سنة ببغداد. الزلازل بحلب والعواصم: وفيها كثرت الزلازل بحلب والعواصم ودامت أربعين يوما وهلك خلق كثير تحت الهدم. وتهدم حصن رغبان ودلوك وتل حامد وسقط من سور دلوك ثلاثة أبرجة. ولله الأمر.

* * *

أحداث سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة

تعزير القائلين بالتناسخ: فيها اطلع أبو محمد المهلبي على قوم من التناسخية فيهم شاب يزعم أن روح علي - رضي الله عنه - انتقلت إليه. وفيهم امرأة تزعم أن روح فاطمة - عليها السلام - انتقلت إليها، وفيهم آخر يدعي أنه جبريل فضربوا فتعززوا بالإنتماء إلى أهل البيت فأمر معز الدولة بإطلاقهم لميله إلى أهل البيت، وهذا كان من أفعاله الملعونة أخذ الروم سروج: وفيها

اخذت الروم سروج فقتلوا وسبوا وأخربوا البلد. الحج هذه الموسم: وحج بالناس أحمد بن عمر بن يحيى العلوي. وفاة المنصور إسماعيل بن القائم: وفي آخر شوال مات المنصور أبو الطاهر ابن القائم محمد بن عبيد صاحب المغرب بالمنصورية التي مصرها.

وصلى عليه ولي عهده أبو تميم معد بن المنصور الملقب بالمعز لدين الله، وكان بعيد الغور حاد الذهن سريع الجواب عاش أربعين سنة وبقي في السلطنة سبعة أعوام وأيام وخلف خمسة بنين وخمس بنات، وكان فصيحًا مفوها يخترع الخطبة، حارب ابن كيداد ولم يزل حتى أسره ومات في حبسه فسلخ جلده وحشاه تبنا، ثم صلبه وأحرقه، وأحسن السيرة وأبطل مظالم أبيه، وقام بعده ابنه المعز فأحسن السيرة فأحبه الناس وصفت له المغرب وافتتح مصر وبنى القاهرة. وفاة أبي الخير التيناتي: وفيها أو قريبًا منها توفي العابد القدوة أبو الخير التيناتي الأقطع صاحب الكرامات. وستأتي ترجمته - رحمه الله تعالى.

* * *

أحداث سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة

أسر سيف الدولة لابن الدمستق: وفيها عاد سيف الدولة من الروم سالمًا مؤيدًا غانما قد أسر قسطنطين بن الدمستق، محاربة ابن محتاج لابن بويه: وفيها جاء صاحب خراسان ابن محتاج إلى الري محاربا لابن بويه وجرت بينهما حروب، وعاد إلى خراسان. محنة ابن بهزاد السيرافي: وفيها كانت بمصر محنة أحمد بن بهزاد بن مهران السيرافي المحدث. أقام يملي بمصر زمانًا، فأملى في داره حديث الشاك الذي جاء إلى علي - رضي الله عنه - فقال: إني شككت في شيء. فقال: سل. وأجابه. فقام جماعة من المالكية وشكوه إلى أبي المسك كافور الإخشيدي فرد الأمر إلى الوزير أبي الفضل بن حنزابه، فحضر عند القضاة والفقهاء فكتبوا كلهم أن من حدث بهذا الحديث فليس بثقة أن يؤخذ عنه، فامتنع أبو بكر بن الحداد أن يفتى بذلك.

وعنف ابن بهزاد ومنع من الحديث، وقال أبو جعفر أحمد بن عون الله

القرطبي: قرص لي عثمان - رضي الله عنه - وأشار إلى ما لا يحل اعتقاده فتركته، وقال أبو عمر الطلمنكي: أملى على أهل الحديث حديثًا منكرًا متضمنا مخالفة الجماعة فقال: أجيفوا الباب ما أمليته من ثلاثين سنة، فاستشعر القوم فقاموا عليه لما أملاه ومنع من التحديث، ثم أنه تعصب له قوم من الفرس فأذن له بالحديث.

وقد وثقه جماعة، وروى عن الربيع المرادي، وتوفي في شعبان سنة ست وأربعين، حديثه بعلو في " الخليعات "، أسر ابن الدمستق: وأسر سيف الدولة ابن الدمستق كما ذكرنا في وقعة كانت بينه وبين أبيه، وكان الذي أسره ثواب العقيلي فدخل سيف الدولة حلب وابن الدمستق بين يديه، وكان مليح الصورة فبقي عنده مكرمًا حتى مات، وفاة الحسن بن طغج: وفيها توفي الحسن بن طغج أبو المظفر أخو الإخشيد. ولي إمرة دمشق مرتين ثم ولي إمرة الرملة وبها مات.

* * *

أحداث سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة

وقعة سيف الدولة والدمستق: فيها كانت وقعة عظيمة بين سيف الدولة وبين الدمستق على الحدث، وكان الدمستق قد جمع أمما من الترك والروس والبلغار والخزر فكانت الدبرة عليه وقتل معظم بطارقته وهرب هو وأسر صهره وجماعة من بطارقته. وأما القتلى فلا يحصون، وغنم سيف الدولة عسكرهم بما فيه.

خطبة ابن محتاج للمطيع: وفيها خطب أبو علي بن محتاج صاحب خراسان للمطيع ولم يكن خطب له قبل ذلك، وبعث له المطيع اللواء والخلع، مرض معز الدولة: وفيها مرض معز الدولة بعلة الإنعاظ الدائم وأرجف بموته واضطربت بغداد، فركب بكلفة ليسكن الناس، الوحشة بين أنوجور وكافور: وفيها وقعت الوحشة بين أنوجور بن الإخشيد وبين كافور وسببه أن قومًا كلموا ابن الإخشيد وقالوا: قد احتوى كافور على الأموال وتفرد بتدبير الجيوش واقتطع أموال أبيك

وأنت معه مقهور، وزينوا له الكيد وحملوه على التنكر له ولزم الصيد والتباعد فيه إلى المحلة وغيرها والجلوس إذا رجع في بستانه منهمكا في اللعب واللهو، فلما كان في حادي عشر المحرم علمت والدة أبي القاسم أنوجور أن ابنها الليلة على المسير إلى الرملة فقلقت لذلك وأرسلت أبا المسك كافور بالمضي إليه فلم يفعل بل أرسل إليه برسالات بليغة وبعثت أمه إليه تخوفه الفتنة وتنصحه، ثم طابت نفسه واصطلحوا. وفاة نوح بن نصر الساماني: وفيها توفي الأمير نوح بن نصر ببخارى في جمادى الأولى.

* * *

أحداث سنة أربع وأربعين وثلاثمائة

انعقاد إمرة الأمراء لبختيار: في المحرم عقد معز الدولة إمرة الأمراء لابنه أبي منصور بختيار. مهاجمة صاحب خراسان لركن الدولة: وفيها تحرك صاحب خراسان على ركن الدولة فنجده أخوه بجيش من العراق.

دخول ابن ماكان الديلمي إصبهان واعتقاله: وفيها دخل ابن ماكان الديلمي أحد قواد صاحب خراسان إلى إصبهان فنزح عنها أبو منصور بن ركن الدولة فتبعه ابن ماكان فأخذ خزائنه. وعارضه أبو الفضل بن العميد وزير الدولة ومعه القرامطة فأوقعوا به وأثخنوه بالجراح وأسروا قواده وحملوه إلى القلعة، وصار ابن العميد إلى إصبهان فأوقع بمن فيها من أصحابه ورجع إليها أبو منصور بويه.

الوباء بالري: وفيها وقع وباء عظيم بالري، وكان أبو علي بن محتاج صاحب خراسان قد نازلها فمات في الوباء، إصابة ابن مقلة بالفالج: وفيها فلج أبو الحسين علي بن مقلة وأسكت وله تسع وثلاثون سنة. عهد المطيع ولواؤه لصاحب خراسان: وفيها ورد رسول أبي الفوارس عبد الملك بن نوح صاحب خراسان فبعث إليه المطيع بالعهد واللواء. الزلزلة في مصر: وفيها زلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البيوت ودامت مقدار ثلاث ساعات زمانية وفزع الناس إلى الله بالدعاء.

* * *

أحداث سنة خمس وأربعين وثلاثمائة

زيادة اقطاع الوزير المهلبي: وفيها زاد الملك معز الدولة في إقطاع الوزير أبي محمد المهلبي وعظم قدره عنده.

إيقاع الروم بأهل طرسوس: وفيها أوقع أهل الروم بأهل طرسوس وقتلوا وسبوا وأحرقوا قراها. خروج روزبهان الديلمي على معز الدولة: وفيها خرج روزبهان الديلمي على معز الدولة وانحاز المهلبي بمن معه فخرج معز الدولة لقتال روزبهان. وانحدر بعده المطيع لله، ثم ظفر معز الدولة بروزبهان في المصاف وبه ضربات وأسر قواده، وقدم بغداد وروزبهان على جمل ثم غرق.

غزوة سيف الدولة للروم: وفيها غزا سيف الدولة بلاد الروم وافتتح حصونا وسبى وغنم وعاد إلى حلب.

غارة الروم على نواحي ميافارقين: ثم أغارت الروم على نواحي ميافارقين. وفاة أم المطيع لله: وفيها توفيت أم المطيع لله بعلة الاستسقاء.

* * *

أحداث سنة ست وأربعين وثلاثمائة

ظهور جبال وجزر في البحر: فيها نقص البحر ثمانين ذراعًا وظهر فيه جبال وجزائر لم تعهد، وكان العام قليل المطر جدًّا. الزلازل بالري: وكان بالري ونواحيها زلازل عظيمة. الإنخساف بالطالقان: وخسف ببلد الطالقان في ذي الحجة ولم يفلت من أهلها إلا نحو ثلاثين رجلاً. وخسف بخمسين ومائة قرية من قرى الري واتصل الأمر إلى حلوان فخسف بأكثرها، وقذفت الأرض عظام الموتى وتفجرت منها المياه، وتقطع بالري جبل، وعلقت قرية بين السماء والأرض بمن فيها نصف نهار ثم خسف بها. وانحرفت الأرض خروقًا عظيمة وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم هكذا نقل ابن الجوزي فالله أعلم. وفاة أبي العباس الأصم: وفيها توفي أبو العباس الأصم محدث خراسان في ربيع الأول وقد ناهز المائة.

* * *

أحداث سنة سبع وأربعين وثلاثمائة

عودة الزلازل بحلوان: وفيها عادت الزلازل بحلوان وقمم الجبال فأتلفت خلقًا عظيمًا وهدمت الحصون. هجوم الجراد: وجاء جراد طبق الدنيا فأتى على جميع الغلات والأشجار. خروج الروم إلى آمد وغيرها: وفي ربيع الأول خرجت الروم إلى آمد وأرزن وميافارقين ففتحوا حصونًا كثيرة وقتلوا خلائق وهدموا سميساط. شغب الترك والديلم على ناصر الدولة: وفي ربيع الآخر شغب الترك والديلم بالموصل على ناصر الدولة أحاطوا بداره. فحاربهم بغلمانه وبالعامة فظفر وقتل جماعة ومسك جماعة وهربوا إلى بغداد. الوقعة بين الروم وسيف الدولة وهربه: وفي شعبان كانت وقعة عظيمة بنواحي حلب بين الروم وسيف الدولة فقتلوا معظم رجاله وغلمانه وأسروا أهله وهرب في عدد يسير.

دخول معز الدولة الموصل: وفيها سار معز الدولة إلى الموصل ودخلها فنزح عنها ناصر الدولة بن حمدان إلى نصيبين، فسار ناصر الدولة إلى ميافارقين واستأمن عسكره إلى معز الدولة فهرب إلى حلب مستجيرًا بأخيه سيف الدولة فأكرم مورده وبالغ في خدمته، وجرت فصول ثم قدم في الرسلية أبو محمد الفياضي كاتب سيف الدولة إلى الموصل، فقرر الأمر على أن تكون الموصل وديار ربيعة والرحبة على سيف الدولة؛

لأن معز الدولة لم يثق بناصر الدولة فإنه غدر به مرارًا ومنعه الحمل.

فقال معز الدولة: أنت عندي الثقة، وأن يقدم ألف ألف درهم، ثم انحدر معز الدولة إلى بغداد، وتأخر الوزير المهلبي والحاجب سبكتكين بالموصل إلى أن يحمل مال التعجيل.

وفاة القاضي ابن حذلم: وفيها توفي قاضي دمشق أبو الحسن أحمد بن سليمان ابن أيوب بن حذلم. وكان إمامًا فقيهًا على مذهب الأوزاعي له حلقة بالجامع.

* * *

أحداث سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة

خلعة السلطنة لبختيار: فيها خلع المطيع على بختيار بن معز الدولة خلع

السلطنة وعقد له لواء ولقبه عز الدولة أمير الأمراء.

سرية محمد بن ناصر الدولة وأسره: وفيها خرج محمد بن ناصر الدولة بن حمدان في سرية نحو بلاد الروم فأسرته الروم بمن معه.

وقوع أبي الهيثم ابن القاضي أبي حصين في أسر الروم: وفيها وصلت الروم إلى الرها وحران فأسروا أبا الهيثم ابن القاضي أبي حصين وسبوا وقتلوا.

غرق زوارق الحجاج: وفي سابع ذي القعدة غرق من الحجاج الواردين من الموصل إلى بغداد في دجلة بضعة عشر زورقًا فيها من الرجال والنساء نحو ستمائة نفس. موت ملك الروم: وفيها مات ملك الروم وطاغيتهم الأكبر بالقسطنطينية وأقعد ابنه مكانه، ثم قتل ونصب غيره. دخول الروم طرسوس والهارونية: ووصلت الروم - لعنهم الله - إلى طرسوس فقتلوا جماعة وفتحوا حصن الهارونية وخربوا الحصن وقتلوا أهله خطب ابن نباتة الجهادية ثم كرت الروم إلى ديار بكر ووصلوا ميافارقين فعمل الخطيب عبد الرحيم بن نباتة الخطب الجهادية. هرب ابن المطيع: وفيها هرب بن عبد الواحد بن المطيع لله من بغداد إلى دمشق.

وفاة جماعة من الأعلام: وفيها توفي: الوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح، وأبو بكر أحمد بن سليمان الفقيه النجاد شيخ الحنابلة، وجعفر بن محمد بن نصير الخلدي الزاهد المحدث، وأبو بكر محمد جعفر الأدمي المحدث. محاصرة جوهر المعزي لفاس: وسار جوهر المعزي إلى آخر المغرب وحاصر فاس فافتتحها عنوة وأخذها من الملك أحمد بن بكر في رمضان.

* * *

أحداث سنة تسع وأربعين وثلاثمائة

إيقاع نجا غلام سيف الدولة بالروم: فيها أوقع نجا غلام سيف الدولة بالروم فقتل وأسر.

الفتنة بين السنة والشيعة ببغداد: وفيها جرت وقعة هائلة ببغداد في شعبان

بين السنة والشيعة وتعطلت الصلوات في الجوامع سوى جامع براثا الذي يأوي إليه الرافضة، وكان جماعة بني هاشم أثاروا الفتنة فاعتقلهم معز الدولة فسكنت الفتنة.

ظهور أمر المستجير بالله ومقتله: وفيها ظهر ابن لعيسى بن المكتفي بالله بناحية أرمينية وتلقب بالمستجير بالله يدعو إلى الرضى من آل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ولبس الصوف وأمر بالمعروف. ومضى إلى جبال الديلم فاستنصر بهم وهم سنة فخرج معه جماعة منهم وساروا إلى أذربيجان، فاستولى المستجير بالله على عدة بلدان وبعضها كان في يد سالار الديلمي، فسار إليه سالار فهزمه ويقال: قتله. مرض معز الدولة: وفي شوال عرض للملك معز الدولة مرض في كلاه فبال الدم ثم احتبس بوله ثم رمى حصًا صغارًا ورملاً. وأرجفوا بموته. غزوة سيف الدولة في بلاد الروم وكثرتهم عليه: وفيها جمع سيف الدولة جموعًا كثيرًا وغزا بلاد الروم فأسر وقتل وسبى فثارت الروم وكثروا عليه فعاد في ثلاثمائة من خواصه وذهب جميع ما كان معه وقتل أعيان قواده وخرج من ناحية طرسوس. وفاة ابن ثوابة الكاتب: وفيها توفي أحمد بن محمد بن ثوابة كاتب الرسائل لمعز الدولة فقلد مكانه أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابيء.

وفاة أنوجور بن الإخشيد: وفي آخر السنة مات السلطان أنوجور الإخشيد وتقلد أخوه علي مكانه، ونائب المملكة أبو المسك كافور. إسلام الترك: وفيها أسلم من الترك مائتا ألف خركاه. كذا ذكر أبو المظفر ابن الجوزي. بذل الهاشمي المال لتقلده القضاء: وفيها بذل القاضي الحسن بن محمد الهاشمي مائتي ألف درهم على أن يقلد قضاة البصرة، فأخذ المال منه ولم يقلد. وفاة الإمام حسان شيخ خراسان: وفيها توفي الإمام أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه شيخ أهل الحديث والفقه بخراسان عن اثنتين وسبعين سنة. وفاة النيسابوري: ومحدث نيسابور وحافظها الكبير أبو علي الحسين بن علي بن يزيد النيسابوري الصائغ.

* * *

أحداث سنة خمسين وثلاثمائة

بناء معز الدولة للدار الهائلة في بغداد: فيها شرع معز الدولة لما تعافى في بناء دار هائلة عظيمة ببغداد أخرب لأجلها دورًا وقصورًا وقلع أبواب الحديد التي على باب مدينة المنصور، وألزم الناس ببيع أملاكهم ليدخلها في البناء ونزل في الأساسات ستة وثلاثين ذراعًا.

فحاصله أنه لزمه من الغرامات عليها إلى أن مات ثلاثة عشر ألف ألف درهم، وصادر الدواوين وغيرهم، وجعل كل ما صح له شيء أخرجه في بنائها، وقد درست من قبل سنة ستمائة ولم يبق لها أثر، وبقي مكانها دحلة يأوي إليها الوحوش وشيء من الأساس يعتبر به من يراه.

تقليد ابن أبي الشوارب قضاء القضاة: وفيها قلد قضاء القضاة أبو العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب وركب بالخلع من دار معز الدولة وبين يديه الدبادب والبوقات وفي خدمته الجيش، وشرط على نفسه أن يحمل في كل سنة إلى خزانة معز الدولة مائتي ألف درهم، وكتب عليه سجلاً بذلك، فانظر إلى هذه المصيبة. وامتنع المطيع من تقليده ومن دخوله عليه وأمر أن لا يمكن من الدخول عليه أبدًا.

ضمان معز الدولة للحسبة والشرطة: وفيها ضمن معز الدولة الحسبة ببغداد والشرطة فلا كان الله عافاه.

وفاة ابن مقاتل بمصر: وفي شعبان مات بمصر متولي ديوان الخراج بها وهو أبو بكر محمد بن علي بن مقاتل، فوجدوا في داره ثلاثمائة ألف دينار مدفونة. غزوة نجا غلام سيف الدولة لبلاد الروم: وفيها دخل نجا غلام سيف الدولة بن حمدان إلى بلاد الروم فسبى ألف نفس وغنم أموالاً وأسر خمسمائة. انتزاع الروم أقريطش: وفيها أخذ ملط الروم أرمانوس بن قسطنطين من المسلمين جزيرة أقريطش فلا حولة ولا قوة إلا بالله، وكان الذي افتتح أقريطش عمر بن شعيب الغليظ البلوطي غزاها فافتتحها في حدود الثلاثين ومائتين وصارت في يد أولاده إلى هذا الوقت.

وفاة القطان محدث بغداد: وفيها توفي محدث بغداد أبو سهل أحمد بن محمد

بن زياد القطان في شعبان، وكان صوامًا قوامًا روى الكثير. وفاة الخطبي: وفيها توفي أبو محمد إسماعيل بن محمد بن علي الخطبي. وكان عالما إخباريًّا محدثًا يرتجل الخطب. وفاة الهاشمي خطيب جامع المنصور: وفيها توفي أبو جعفر عبد الله بن إسماعيل الهاشمي خطيب جامع المنصور. وكان ذا قعدد في الأبوة، فإنه في طبقة الواثق؛ إذ هو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى بن المنصور أبي جعفر.

* * *

حوادث سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة

فيها نقلت سنة خمسون وثلاثمائة من؛ حيث المغلات في سنة إحدى وخمسين الخراجية.

أحداث سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة

يوم عاشورا، قال ثابت: ألزم معز الدولة الناس بغلق الأسواق ومنع الهراسين والطباخين من الطبيخ ونصبوا القباب في الأسواق وعلقوا عليها المسوح وأخرجوا نساء منشرات الشعور مضجات يلطمن في الشوارع ويقمن المآتم على الحسين عليه السلام وهذا أول يوم نيح عليه ببغداد.

وفيها قلد القضاء بالعراق أبو البشر عمر بن أكثم على أن لا يأخذ رزقًا وصرف ابن أبي الشوارب، وفيها قتل ملك الروم وصار الدمستق هو الملك واسمه نقفور.

* * *

أحداث سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة

عمل ببغداد يوم عاشوراء كعام أول إلى الضحى فوقعت فتنة عظيمة بن السنة والرافضة وجرح جماعة ونهب الناس.

وفيها نزل الدمستق على المصيصة في جيش ضخم، فأقام أسبوعًا ونقب السور في أماكن وقاتله أهلها فضاقت بهم الأسعار، ثم رحل عنها بعد أن أهلك الضياع وإنما رحل لشدة الغلاء، فإن القحط كان بالشام والثغور.

* * *

أحداث سنة أربع وخمسين وثلاثمائة

فيها عمل يوم عاشوراء ببغداد مأتم الحسين كالعام الماضي.

وفيها وثبت غلمان سيف الدولة على غلامه نجا الكبير وضربوه بالسيوف، وكان أكبر غلمانه ومقدم جيشه، وسار سيف الدولة إلى خلاط فملكها وكانت لنجا.

أحداث سنة ست وخمسين وثلاثمائة

دخلت الخراسانية فغزوا بلد ابن مسلمة وخرجوا بالسلامة والغنائم وتصدر أهل نصيبين إلى ناصر الدولة بمصادرة العمال فأزال ضررهم ورد إليهم كثيرًا من أموالهم حتى قيل إنه قال لهم: قد أبحت لكم دماء من ظلمكم.

وفيها رجع غزاة خراسان إلى بلادهم ودخل سيف الدولة إلى حلب ومعه قوم من الخراسانية، ومعهم فيل فمات الفيل بعد أيام فاتهموا أن النصارى سمته.

* * *

أحداث سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة

أقامت الرافضة الشعار الجاهلي يوم عاشورا ويوم الغدير.

وكان ببغداد قحط واسع الكر بتسعين دينارًا.

* * *

أحداث سنة تسع وخمسين وثلاثمائة

أقامت الشيعة ببغداد مأتم عاشوراء.

* * *

أحداث سنة إحدى ستين وثلاثمائة

أقامت الشيعة بدعة عاشورا ببغداد.

* * *

أحداث سنة اثنتين وستين وثلاثمائة

فيها حشدت الروم - لعنها الله - وأقبلوا في عدد وعدة فأخذوا نصيبين واستباحوا وقتلوا وأسروا وقدم بغداد من نجا منهم فاستنفروا الناس في الجوامع وكسروا المنابر ومنعوا الخطبة، وحاولوا الهجوم على الخليفة المطيع واقتلعوا بعض شبابيك دار الخلافة حتى غلقت أبوابها ورماهم الغلمان بالنشاب من الرواشن وخاطبوا الخليفة بالتعنيف وبأنه عاجز عما أوجبه الله عليه من حماية حوزة الإسلام وأفحشوا القول.

وافق ذلك غيبة الملك عز الدولة في الكوفة للزيارة، فخرج إليه أهل العقل والدين من بغداد وفيهم الإمام أبو بكر الرازي الفقيه، وأبو الحسن علي بن عيسى النحوي، وأبو القاسم الداركي، وابن الدقاق الفقيه وشكوا إليه ما دهم الإسلام من هذه الحادثة العظمى فوعدهم بالغزو ونادى بالنفير في الناس فخرج من العوام خلق عدد الرمل، ثم جهز جيشًا وغزوا فهزموا الروم وقتلوا منهم مقتلة كبيرة وأسروا أميرهم وجماعة من بطارقته وأنفذت رؤوس القتلى إلى بغداد وفرح المسلمون بنصر الله.

وصادروا بختيار بن بويه " وزير " المطيع فقال: أنا ليس لي غير الخطبة، فإن أحببتم اعتزلت فشدوا عليه حتى باع قماشه وحمل أربعمائة ألف درهم فأنفقها ابن بويه في أغراضه وأهمل الغزو وشاع في الألسنة أن الخليفة صودر كما شاع قبله أن القاهر كدي يوم جمعة فانظر إلى تقلبات الدهر.

* * *

أحداث سنة ثلاث وستين وثلاثمائة

الهاشمي حين دعاه إلى ما يتولاه من القضاء

بين أهل مدينة السلام مدينة المنصور، والمدينة الشرقية من الجانب الشرقي، والجانب الغربي والكوفة وسقي الفرات وواسط وكرخي وطريق

الفرات ودجلة وطريق خراسان وحلوان وقرميسين وديار مضر وديار ربيعة وديار بكر والموصل والحرمين واليمن ودمشق وحمص وجند قنسرين والعواصم ومصر والإسكندرية وجندي فلسطين والأردن وأعمال ذلك كلها، وما يجري من ذلك من الإشراف على من يختاره لنقابة من العباسيين بالكوفة وسقي الفرات وأعمال ذلك وما قلده إياه من قضاء القضاة وتصفح حوال الحكام والإستشراف على ما يجري عليه أمر الأحكام في سائر النواحي والأمصار التي تشتمل عليها المملكة وتنتهي إليها الدعوة وإقرار من يحمد هديه وطريقته والاستبدال بمن يذم سمته وسجيته نظرا " منه للكافة " واحتياطًا للخاصة والعامة وحنوا على الملة، والذمة عن علم بأنه المقدم في بيته وشرفه المبرز في عفافه " وظلفه " المزكى في دينه وأمانته الموصوف في روعه ونزاهته المشار إليه بالعلم والحجى المجتمع عليه في الحلم والنهي والبعيد من الأدناس اللباس من التقى أجمل لباس النقي الجيب المخبور بصفاء الغيب العالم بمصالح الدنيا العارف بما يفيد سلامة العقبى آمره بتقوى الله فإنها الجنة الواقية وليجعل كتاب الله في كل ما يعمل في رويته ويترتب عليه حكمه وقضيته إمامه الذي يفزع إليه وعماده الذي يعتمد عليه، وأن يتخذ سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منارًا يقصده ومثالاً يتبعه وأن يراعي الإجماع، وأن يقتدي بالأئمة الراشدين، وأن يعمل اجتهاده فيما لا يوجد فيه كتاب ولا سنة ولا إجماع، وأن يحضر مجلسه من يستظهر بعلمه ورأيه، وأن يسوي بين الخصمين إذا تقدما إليه في لحظه ولفظه ويوفي كلا منهما من إنصافه وعدله حتى يأمن الضعيف من حيفه وييأس القوس من ميله وآمره أن يشرف على أعوانه وأصحابه ومن يعتمد عليه من أمنائه وأسبابه إشرافًا يمنع من التخطي إلى السيرة المحظورة وتدفع عن الإسفاف إلى المكاسب المحجورة ".

أحداث سنة أربع وستين وثلاثمائة

في المحرم أوقع العيارون حريقًا بالخشابين مبدأه من باب الشعير فاحترق أكثر هذا السوق وهلك شيء كثري واستفحل أمر العيارين ببغداد حتى ركبوا الخيل وتلقبوا بالقواد وغلبوا على الأمور وأخذوا الخفارة من الأسواق والدروب، وكان فيهم أسود الزند كان يأوي قنطرة الزبد وشحذ وهو عريان

فلما كثر الفساد " رأى " هذا الأسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف فطلب الأسود سيفًا ونهب وأغار وحف به طائفة وتقوى وأخذ الأموال واشترى جارية بألف دينار، ثم راودها فتمنعت فقال: ما تكرهين مني قالت: أكرهك كلك قال: ما تحبين قالت: تبيعني. قال: أو خيرًا من ذلك. فحملها إلى القاضي وأعتقها ووهبها ألف دينار فتعجب الناس من سماحته، ثم خرج إلى الشام فهلك هناك.

وقطعت خطبة الطائع لله وغيرها من يوم العشرين من جمادى الأولى إلى أن أعيدت في عاشر رجب، فلم يخطب في هذه الجمع في البلاد وذلك لأجل تشغب وقع بينه وبين عضد الدولة.

" وكان عضد الدولة " قد قدم العراق فأعجبه ملكها فعمل عليها واستمال الجند فتشغبوا على عز الدولة فأغلق بابه وكتب عضد الدولة عن الطائع باستقرار الأمر لعضد الدولة على محمد بن بقية وزير عز الدولة، ثم اضطربت الأمور على عضد الدولة ولم يبق بيده غير بغداد فنفذ إلى والده ركن الدولة يعلمه أنه قد خاطر بنفسه وجنده وقد هذب مملكة العراق واستعاد الطائع إلى داره وأن عز الدولة عاص لا يقيم دولة فلما بلغه غضب وقال للرسول: قل له: خرجت في نصرة ابن أخي أو في الطمع في مملكته فأفرج عضد الدولة عن عز الدولة بختيار، ثم خرج إلى فارس.

* * *

أحداث سنة خمس وستين وثلاثمائة

فيها كتب ركن الدولة أبو علي بن بويه إلى ولده عضد الدولة أبي شجاع أنه قد سن وأنه يؤثر مشاهدته فاجتمعا فقسم ركن الدولة الممالك بين أولاده فجعل لعضد الدولة فارس وكرمان " وأرجان " ولمؤيد الدولة الري وأصبهان ولفخر الدولة همذان والدينور وجعل ولده أبا العباس في كنف عضد الدولة.

وفي رجب عمل مجلس الحكم في دار السلطان عز الدولة وجلس ابن معروف؛ لأن عز الدولة التمس ذلك ليشاهد مجلس حكمه كيف هو.

وفيها وفي التي تليها كانت الحرب تستعر بين هفتكين وبين جوهر المعزي

بأعمال دمشق وعدة الوقائع بينهما اثنتا عشرة وقعة منها وقعة الشاغور التي كاد يتلف فيها جوهر، ثم كان بينهما عدة وقعات بعد ذلك.

* * *

أحداث سنة ست وستين وثلاثمائة

في جمادى الأولى زفت بنت عز الدولة إلى الطائع لله.

وفيها جاء أبو بكر محمد بن علي بن شاهويه صاحب القرامطة ومعه ألف رجل منهم إلى الكوفة، وأقام الدعوة بها لعضد الدولة، وأسقط خطبة عز الدولة، وكان ورد عنها معونة من القرامطة لعضد الدولة.

* * *

أحداث سنة سبع وستين وثلاثمائة

فيها جاء الخبر بهلاك أبي يعقوب يوسف بن الجنابي القرمطي صاحب هجر فأغلقت أسواق الكوفة ثلاثة أيام وكان موازرا لعضد الدولة.

وفيها عبر عز الدولة إلى الجانب الغربي على جسر علمه ودخل إلى قطربل وتفرق عنه الديلم ودخل أوائل أصحاب عضد الدولة بغداد وخرج يتلقاه وضربت له القباب المزينة ودخل البلد، ثم إنه خرج لقتال عز الدولة فالتقوا فأخذ عز الدولة أسيرا وقتله بعد ذلك.

* * *

أحداث سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة

فيها سرق السبع الفضلة الذي على زبزب عضد الدولة وعجب الناس كيف كان هذا مع هيبة عضد الدولة المفرطة وكونه شديد المعاقبة على أقل جناية تكون وقلبت الأرض على سارقه فلم يوقف له على خبر. ويقال: إن صاحب " مصر " دس من فعل هذا.

وكان العزيز العبيدي قبل هذا قد بعث رسولاً إلى عضد الدولة وكتابا أوله: " من عبد الله نزار العزيز بالله أمير المؤمنين إلى عضد الدولة أبي شجاع مولى أمير المؤمنين سلام عليك، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله

إلا هو ويسأله أن يصلي على جده محمد (صلي الله عليه وسلم) ". والكتاب مبني على الإستمالة مع ما يسر إليه الرسول عتبة بن الوليد فبعث مع الرسول رسولا له وكتابًا فيه مودة وتعللات مجملة.

* * *

أحداث سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة

فيها فتح المارستان العضدي أنشأه عضد الدولة في الجانب الغربي من بغداد ورتب فيه الأطباء والوكلاء والخزان وكل ما يحتاج إليه في ربيع الآخر.

وفي هاذ الزمان كانت البدع والأهواء فاشية بمثل بغداد ومصر من الرفض والإعتزال والضلال، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

أحداث ثلاث وسبعين وثلاثمائة

في ثاني عشر محرم أظهرت وفاة عضد الدولة وحمل تابوته إلى المشهد وجلس صمصام الدولة ابنه للعزاء وجاءه الطائع لله معزيًّا ولطم عليه في الأسواق أيامًا عديدة، ثم ركب صمصام الدولة إلى دار الخلافة وخلع عليه الطائع سبع خلع وتوجه وعقد له لواءين ولقب " شمس الملة ".

وفيها ورد موت مؤيد الدولة بن أبي منصور بن ركن الدولة بجرجان فجلس صمصام الدولة للعزاء وجاءه الطائع معزيًّا ولما مات كتب الصاحب إسماعيل بن عباد إلى أخيه فخر الدولة بالإسراع ليقدم. واستوزر الصاحب ورفع منزلته.

* * *

أحداث أربع وسبعين وثلاثمائة

فيها شرع أبو عبد الله بن سعدان في الصلح بن صمصام الدولة وفخر الدولة.

وفيها كان عرس ببغداد فوقعت الدار وهلك كثير من النساء وأخرجن من تحت الهدم بالحي والزينة فكانت المصيبة عامة.

* * *

أحداث خمس وسبعين وثلاثمائة

فيها هم صمصام الدولة أن يجعل المكس على الثياب الحرير والقطن مما ينسج ببغداد ونواحيها ودفع له في ضمان ذلك ألف ألف درهم في السنة فاجتمع الناس في جامع المنصور وعزموا على المنع من صلاة الجمعة وكاد البلد يفتتن فأعفاهم من ضمان ذلك.

* * *

أحداث ست وسبعين وثلاثمائة

فيها كثر الموت بالحميات الحادة فهلك كثير من الناس ببغداد وزلزلت الموصل فهدمت الدور وهلك خلق من الناس.

وفيها مال العسكر إلى شرف الدولة أبي الفوارس شيرويه، وكان غائبًا بكرمان فلما بلغه موت أبيه عضد الدولة رد إلى فارس وقبض على وزير أبيه نصر النصراني وجبى الأموال وملك الأهزاز وأخذها من أخيه أحمد وغلب على البصرة واستعد لقصد بغداد وأخذها من أخيه صمصام الدولة فتركوا صمصام الدولة فانحدر سائرا إلى شرف الدولة راضيًّا بما يعامله به فلما وصل قبل الأرض بين يديه مرات فقال له شرف الدولة: كيف أنت وكيف حالك؟ في طريقك ثم سجنه واجتمع عسكر شرف الدولة من الديلم تسعة عشر ألفًا.

وكان الأتراك ثلاثة آلاف غلام فاقتتلوا فانهزم الديلم وقتل منهم ثلاثة آلاف في رمضان فأخذ الديلم يذكرون صمصام الدولة فقيل لشرف الدولة: أقتله فأمنه سنة.

وقدم شرف الدولة بغداد فركب الطائع إليه يهنئه بالسلامة، ثم خفي خبر صمصام الدولة وذلك أنه حمل إلى القلعة، ثم نفذ إليه شرف الدولة بفراش ليكحله فوصل الفراش، وقد مات شرف الدولة فكحله فالعجب إنفاذ أمر ملك قد مات.

قال حمزة: وسألني الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات بمصر عن أبي بكر الإسماعيلي وسيرته وما صنف فكنت أخبره ما صنف من الكتب وجمع من المسانيد والمقلين وتخريجه على كتاب البخاري وجميع سيرته فتعجب من ذلك وقال: لقد كان رزق من العلم والجاه وكان له صيت حسن.

قال حمزة: وسمعت جماعة منهم ابن المظفر الحافظ يحكون جودة قراءة أبي بكر وقالوا: كان مقدما في جميع المجالس كان إذا حضر مجلسًا لا يقرأ غيره.

أحداث سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة

زاد غلاء الأسعار وعدمت الأقوات وظهر الموت ببغداد.

وفيها أمر السلطان شرف الدولة برصد الكواكب السبعة في مسيرها كما فعل المأمون فبني بيت لها في الدار في آخر البستان.

وفيها لحق الناس بالبصرة حر وسموم تساقط الناس منه ومات طائفة في الطرق.

* * *

أحداث سنة تسع وسبعين وثلاثمائة

جاء الخبر في أول السنة أن ابن الجراح الطائي خرج على الحاج بين سميراء وفيد ونازلهم، ثم صالحهم على ثلاثمائة ألف درهم وشيء من الثياب والمتاع.

وفيها انتقل شرف الدولة إلى قصر معز بباب الشماسية؛ لأن الأطباء أشاروا عليه بصحة هوائه وكان قد ابتدأ به المرض من السنة الماضية فشنعت الديلم وطلبوا أرزاقهم فعاد إلى داره وراسلهم وأمسك جماعة.

* * *

حوادث سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة

فيها قبضوا على الطائع لله في داره في تاسع عشر شعبان. وسببه أن أبا الحسن ابن المعلم كان من خواص بهاء الدولة فحبس فجاء بهاء الدولة وقد جلس الطائع لله في الرواق متقلدًا سيفًا فلما قرب بهاء الدولة قبل الأرض وجلس على كرسي وتقدم أصحاب بهاء الدولة فجذبوا الطائع بحمائل سيفه من سريره وتكاثر عليه الديلم فلفوه في كساء وحمل في زبزب وأصعد إلى دار المملكة وشاش البلد قدر أكثر الجند أن القبض على بهاء الدولة، فوقعوا في النهب وشلح من حضر من الأشراف والعدول وقبض على الرئيس علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان في جماعة وصودروا واحتيط على الخزائن والخدم ورجع بهاء الدولة إلى داره.

وظهر أمر القادر بالله وأنه الخليفة ونودي له في الأسواق. وكتب على الطائع كتابا بخلع نفسه، وأنه سلم الأمر إلى القادر بالله وشهد عليه الأكابر والأشراف. ونفذ إلى القادر المكتوب وحثه على القدوم.

وشغب الديلم والترك يطالبون برسم البيعة وبرزوا إلى ظاهر بغداد وترددت الرسل منهم بهاء الدولة ومنعوا من الخطبة للقادر، ثم أرضوهم فسكنوا وأقيمت الخطبة للقادر في الخطبة الآتية وهي ثالث رمضان وحول من دار الخلافة جميع ما فيها حتى الخشب الساج والرخام، ثم أبيحت للخاصة والعامة فقلعت أبوابها وشبابيكها.

وجهز مهذب الدولة علي بن نصر القادر بالله من البطائح وحمل إليه من الالآت والفرش ما أمكنه وأعطاه طيارا كان عمله لنفسه وشيعه فلما وصل إلى واسط اجتمع الجند وطالبوه بالبيعة وجرت لهم خطوب انتهت إلى أن وعدهم بإجرائهم مجرى البغداديين فرضوا وسار، وكان مقامه بالبطيحة منذ يوم حصل فيها إلى أن خرج عنها سنتين وأحد عشر شهرًا وقيل: سنتين وأربعة أشهر عند أميرها مهذب الدولة.

حوادث سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة

فمن الحوادث فيها أن أبا الحسن علي بن محمد بن المعلم الكوكبي كان قد

استولى على أمور السلطان بهاء الدولة كلها فمنع أهل الكرخ وباب الطاق من النوح يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح كان كذلك يعمل من نحو ثلاثين سنة ووقع أيضا بإسقاط من قبل من الشهود بعد وفاة القاضي أبي محمد بن معروف، وأن لا يقبل في الشهادة إلا من كان ارتضاه ابن معروف، وذلك أنه لما توفي كثر قبول الشهود بالشفاعات حتى بلغت عدة الشهود ثلاثمائة وثلاثة أنفس، ثم إنه فيما بعد وقع بقبولهم في السنة.

وفيها شغبت الجند وخرجوا بالخيم إلى باب الشماسة وراسلوا بهاء الدولة يشتكون من أبي الحسن بن المعلم وتعديد ما يعاملهم به وطالبوه بتسليمه إليهم. وكان ابن المعلم قد استولى على الأمور فالمقرب من قربه والمبعد من بعده فثقل على الأمراء أمره ولم يراعهم هو فأجابهم السلطان ووعدهم فأعادوا الرسالة بأنهم لا يرضون إلا بتسليمه إليهم فأعاد الجواب بأنه يبعده عن مملكته، فأبوا ذلك إلى أن قال له الرسول: إنه لأمر شديد فاختر بقاءه دولتك فقبض عليه حينئذ وعلى أصحابه وأخرجوا صلته فصمم الجند أنهم لا يرجعون إلا بتسليمه فتدمم من ذلك وركب إليهم فلم يقم أحد منهم إليه ولا خدمه وقد أقاموا على المطالبة به وترك الرجوع إلا بعد تسليمه إلى أبي حرب خال بهاء الدولة، فسقي السم فلم يعمل فيه فخنق بحبل.

وفي رجب سلم الطائع لله المخلوع إلى القادر بالله فأنزله في حجرة ووكل به من يحفظه وأحسن صيانته ومراعاة أموره فكان المخلوع يطالب من زيادة الخدمة بمثل ما كان يطالب به أيام خلافته وأنه حمل إليه طيب من بعض العطارين فقال: أمن هذا يتطيب أبو العباس قالوا: نعم. فقال: قولوا له في الفلاني من الدار كندوج فيه طيب مما كنت استعمله فأنفذ لي بعضه وقدمت إليه بعض الليالي شمعة قد أوقدت فأنكر ذلك فحملوا إليه غيرها وأقام على هذا إلى أن توفي.

وفيها ولد أبو الفضل محمد بن القادر بالله وهو الذي جعل ولي العهد ولقب الغالب بالله.

* * *

حوادث سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة

فيها أقبل الخان بغراخان الذي يكتب عنه مولى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وله ممالك الترك وإلى قرب الصين ليأخذ بخارى فحاربه نوح بن منصور الساماني فانهزم نوح وأخذ بخارى واستنجد نوح بنائبه أبي علي بن سمجور صاحب خراسان فخذله وعصى فمرض الخان ببخارى وراح فمات في الطريق، وكان دينا، وولي بلاد الترك بعده إيلخان وبرز نوح إلى مملكته.

حوادث سنة أربع وثمانين وثلاثمائة

فيها قوي أمر العيارين ببغداد وشرع القتال بين الكرخ وأهل باب البصرة وظهر المعروف بعزيز من أهل باب البصرة واستفحل أمره والتزق به كثير من المؤذين وطرح النار في المحال وطلب أهل الشرط، ثم صالح الكرخ وقصد سوق البزازين وطالب بضرائب الأمتعة حتى الأموال وكاشف السلطان وأصحابه وكان ينزل إلى السفن ويطالب بالضرائب فأمر السلطان بطلب العيارين فهربوا عنه.

وفي ذي الحجة ورد الخبر برجوع الحاج من الطريق وكان السبب أنهم لما حصلوا بين زبالة والثعلبية اعترض الحاج الأصيفر الأعرابي ومنعهم الجواز إلا برسمه وتردد الأمر إلى أن ضاق الوقت فعادوا ولم يحج أيضًا لأهل الشام ولا اليمن إنما حج أهل مصر، وفيها ولي نقابة العباسيين أبو الحسن محمد بن علي بن أبي تمام الزينبي، وفيها تزوج مهذب الدولة علي بن نصر ببنت بهاء الدولة، وعقد للأمير أبي منصور بن بهاء الدولة على بنت مهذب الدولة، وعقد على كل صداق منهما مائة ألف دينار.

* * *

حوادث سنة خمس وثمانين وثلاثمائة

فيها نفذ بدر بن حسنويه تسعة آلاف دينار لتدفع إلى الأصيفر عوضًا عما كان يأخذ من الركب العراقي.

* * *

حوادث سنة ست وثمانين وثلاثمائة

في المحرم ادعى أهل البصرة أنهم كشفوا عن قبر عتيق فوجدوا فيه ميتًا طريًّا بثيابه وسيفه وأنه الزبير بن العوام فأخرجوه وكفنوه ودفنوه بالمربد وبنوا عليه وعمل له مسجد ونقلت إليه القناديل والبسط والقوام والحفظة، قام بذلك الأمير أبو المسك، فالله أعلم من ذاك الميت.

* * *

حوادث سنة سبع وثمانين وثلاثمائة

فيها توفي فخر الدولة علي ابن ركن الدولة ابن بويه بالري ورتبوا ولده رستم في السلطنة وهو ابن أربع سنين وكان فخر الدولة قد أقطعه أبوه بلدانا فلما توفي أخوه بويه كتب إليه الصاحب إسماعيل بن عباد يحثه على الإسراع فقدم وتملك مكان أخيه واستوزر ابن عباد وكان شهمًا شجاعًا جماعًا للأموال لقبه الطائع فلك الأمة، وكانت سلطنته أربع عشرة سنة وعاش ستا وأربعين سنة. ولما اشتد به مرضه أصعد إلى قلعة فبقي بها أيامًا يمرض فمات وكانت الخزائن مقفلة مختومة وقد جعل مفاتيحها في كيس من حديد وسمر وحصلت عند ولده رستم فلم يوجد ليلة وفاته شيء يكفن فيه وتعذر النزول إلى البلد لشدة شغب الجند فاشتروا من قيم الجامع ثوبًا فلف فيه وشد بالحبال وجر على درج القلعة حتى تقطع وكان يقول: قد جمعت لولدي ما يكفيهم ويكفي عسكرهم خمس عشرة سنة.

وكان ترك ألفي ألف دينار وثمانمائة ألف وخمسة وسبعين ألف دينار ومن الجواهر واليواقيت واللؤلؤ أربعة عشر ألف وخمسمائة قطعة قيمتها ثلاثة آلاف ألف ومن الأواني الذهب ما وزنه ألف دينار ومن أواني الفضة ثلاثة آلاف درهم ومن الثياب ثلاثة آلاف حمل وخزانة السلاح ألفًا حمل وخزانة الفرش ألف وخمسمائة حمل إلى غير ذلك.

* * *

حوادث سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة

فيها قبض القادر بالله على كاتبه أبي الحسن علي بن عبد العزيز وقلد أبا العلاء سعيد بن الحسن بن تريك، ثم بعد شهرين ونصف عزله وأعاد أبا الحسن.

وفي ذي الحجة جاء برد مفرط ببغداد وتجلد الماء وبول الدواب والخيل.

وفيها جلس القادر بالله للرسولين اللذين من جهة أبي طالب رستم بن فخر الدولة، وأبي النجم بدر بن حسنويه فعهد لرستم على الري وأعمالها وأرسل اللواء والخلع وعهد لبدر على الجبل ولقبه أبا طالب مجد الدولة.

* * *

حوادث سنة تسع وثمانين وثلاثمائة

كانت قد جرت عادة الشيعة في الكرخ وباب الطاق بنصب القباب وإظهار الزينة يوم الغدير والوقيد في ليلته فأرادت السنية أن تعمل في مقابلة هذا أشياء فادعت أن اليوم الثامن من يوم الغدير كان اليوم الذي حصل فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) وأبو بكر في الغار فعملت فيه ما تعمل الشيعة في يوم الغدير وجعلت بإزاء عاشوراء يومًا بعده بثمانية أيام إلى مقتل مصعب بن الزبير وزارت قبره بمسكن كما يزار قبر الحسين، فكان ابتداء ما عمل في الغار يوم الجمعة لأربع بقين من ذي الحجة وأقامت السنية هذا الشعار القبيح زمانًا طويلاً فلا قوة إلا بالله.

* * *

حوادث سنة تسعين وثلاثمائة

فيها ظهر بسجستان معدن للذهب فكانوا يصفون من التراب الذهب الأحمر.

وفيها قلد القاضي أبو عبد الله الحسين بن هارون الضبي مدينة المنصور مضافًا إلى قضاء الكوفة وغيرها وولي القاضي أبو محمد عبيد الله بن محمد الأكفاني الرصافة وأعمالها.

وفيها ولي نيابة دمشق فحل بن تميم من جهة الحاكم، فمرض ومات بعد أشهر وولي بعده علي بن جعفر بن فلاح.

* * *

حوادث سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة

حج بالعراقيين جعفر بن شعيب السلار ولحقهم عطش في طريقهم فهلك خلق كثير.

وفي المحرم قتل الحاكم بمصر جماعة من الأعيان صبرًا.

وفيها قتل المنتصر أبو إبراهيم إسماعيل بن نوح بن نصر بن نوح الساماني، وكان قد أسر أخوه عبد الملك - كما ذكرنا في سنة تسع وثمانين.

واستولى على ما وراء النهر ايلك خان وقبض على أبي إبراهيم هذا، وعلى أخيه عبد الملك، وعلى نوح بن منصور الرضي، وعلى أعمامهم أبي زكريا وأبي سليمان فتحيل المنتصر وهرب من السجن في زي امرأة كانت تنتابهم لمصالحهم واختفى أيامًا عند عجوز وذهب إلى خوارزم فتلاحق به من بدو نمار من بقايا الدولة السامانية حتى اجتمع شمله وكثف خيله ورجله وأغار بعض عماله على بخارى وبيتوا بضعة عشر قائدًا من القواد وحملوا في وثاق إلى خوارزم وانهزم من بقي من قواد ايلك خان وعاد المنتصر إلى بخارى وفرح الناس فجمع أيلك جيوشه وتكاثفت أيضًا جموع المنتصر وقصد نيسابور وحارب أميرها نصر بن سبكتكين أخا محمود فهزمه، وأخذ نيسابور فانزعج لذلك السلطان محمود وطوى المغاور حتى وافى نيسابور فتقهقر عنها المنتصر إلى أسفرايين وجبى الخراج وقدم له شمس المعالي قابوس خيلاً وجمالاً وبغالاً وألف ألف درهم وثلاثين ألف دينار مدارة عن جرجان.

حوادث سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة

فيها منع عميد الجيوش يوم عاشوراء من النوح وتعليق المسوح في الأسواق ومنع السنية عما أبدعوه في أمر مصعب بن الزبير، وفيها قبض بهاء الدولة على وزيره أبي غالب محمد لن خلف وقرر عليه مائة ألف دينار.

وفيها برز عميد الجيوش وذهب إلى سورًا فاستدعى سيف الدولة على بن مزيد وقرر عليه في العام أربعين ألف دينار عن بلاده وأقره عليها.

وفي ربيع الآخر منها أمر نائب دمشق بمصولة الأسود الحاكمي بمغربي

فطيف به على حمار ونودي عليه: هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر، ثم أمر به فأخرج إلى الرملة فضربت عنقه هناك رضي الله عنه ولا رضي عن قاتله.

* * *

حوادث سنة أربع وتسعين وثلاثمائة

فيها قلد بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوي قضاء القضاة والحج والمظالم ونقابة الطالبيين وكتب له من شيراز العهد ولقبه الطاهر الأوحد ذو المناقب فلم ينظر في قضاء القضاة لامتناع القادر بالله من الإذن له.

وحج بالناس أبو الحارث محمد بن محمد العلوي فاعترض الحاج الأصيفر المنتفقي ونازلهم وعول على نهبهم فقالوأ: من يكلمه ويقرر له ما يأخذ فنفذوا أبا الحسن بن الرفاء وأبا عبد الله بن الدجاجي، وكانا من أحسن الناس قراءة فدخلا إليه وقرءا بين يديه فقال: كيف عيشكما ببغداد؟ فقالا: نعم العيش تصلنا الخلع والصلات. فقال: هل وهبوا لكما ألفًا ألف دينار قالا: لا ولا ألف دينار. فقال: قد وهبت لكما الحاج وأموالهم فدعوا له وانصرفوا وفرح الناس. ولما قرءا بعرفات قال أهل مصر والشام: ما سمعنا عنكم بتبذير مثل هذا!.

يكون عندكم شخصان مثل هذين فتستصحبونهما معكم معا، فإن هلكا أي شيء تحملون وأخذهما أبو الحسين بن بويه مع أبي عبد الله بن بهلول، وكانوا يصلون به بالنوبة التراويح وهم أحداث.

* * *

حوادث سنة خمس وتسعين وثلاثمائة

حج بالعراقيين جعفر بن شعيب السلار ولحقهم عطش في طريقهم فهلك خلق كثير.

وفي المحرم قتل الحاكم بمصر جماعة من الأعيان صبرًا.

وفيها قتل المنتصر أبو إبراهيم إسماعيل بن نوح بن نصر بن نوح الساماني وكان قد أسر أخوه عبد الملك كما ذكرنا في سنة تسع وثمانين.

واستولى على ما وراء النهر ايلك خان وقبض على أبي إبراهيم هذا وعلى

أخيه عبد الملك وعلى نوح بن منصور الرضي وعلى أعمامهم أبي زكريا، وأبي سليمان فتحيل المنتصر وهرب من السجن في زي امرأة كانت تنتابهم لمصالحهم واختفى أياما عند عجوز وذهب إلى خوارزم فتلاحق به من بدو نمار من بقايا الدولة السامانية حتى اجتمع شمله وكثف خيله ورجله وأغار بعض عماله على بخارى وبيتوا بضعة عشر قائدًا من القواد وحملوا في وثاق إلى خوارزم وانهزم من بقي من قواد ايلك خان وعاد المنتصر إلى بخارى وفرح الناس، فجمع ايلك جيوشه وتكاثفت أيضًا جموع المنتصر وقصد نيسابور وحارب أميرها نصر بن سبكتكين أخا محمود فهزمه وأخذ نيسابور فانزعج لذلك السلطان محمود وطوى المغاور حتى وافى نيسابور فتقهقر عنها المنتصر إلى أسفرايين وجبى الخراج وقدم له شمس المعالي قابوس خيلاً وجمالاً وبغالاً وألف ألف، درهم وثلاثين ألف دينار مدارة عن جرجان.

* * *

حوادث سنة ست وتسعين وثلاثمائة

فيها تولى ابن الأكفاني قضاء جميع بغداد.

وفيها جلس القادر بالله لأبي المنيع قرواش بن أبي حسان ولقبه بعميد الدولة وتفرد قرواش بالإمارة.

وحج بالناس محمد بن محمد بن عمر العلوي وخطب بالحرمين للحاكم صاحب مصر على القاعدة، وأمر الناس بالحرمين بالقيام عند ذكره وفعل مثل ذلك بمصر وكان إذا ذكر قاموا وسجدوا في السوق وفي مواضع الاجتماع،

فإنا لله وإنا إليه راجعون فلقد كان هؤلاء العبيديون شرا على الإسلام وأهله من الشر.

* * *

حوادث سنة سبع وتسعين وثلاثمائة

فيها خروج أبي ركوة الأموي من ولد هشام بن عبد الملك واسمه الوليد، وكان يحمل ركوة في السفر ويتزهد وقد لقي المشايخ وكتب الحديث بمصر وحج ودخل اليمن والشام وكان في خلال أسفاره يدعو إلى القائم من ولد هشام

بن عبد الملك ويأخذ البيعة على من ينقاد له، ثم جلس معلمًا واجتمع عنده أولاد العرب فدعاهم فوافقوه وأسر إليهم أنه الإمام ولقب نفسه بالثائر بأمر الله المنتصف من أعداء الله فعرف بهذا بعض الولاة فكتب إلى الحاكم بأن يأذن له في طلبه قبل أن تقوى شوكته فأمره باطراح الأمر والفكر فيه لئلا يجعل له سوقًا وينبه عليه وكان يخبرهم عن المغيبات، ثم حاربه ذلك الوالي في عسكره فظفر به أبو ركوة ثم أخذوا أسلابهم فأصاب مالية، ونزل برقة فجمع له أهلها مائتي ألف دينار وأخذ من يهودي مائتي ألف دينار ونقش السكة باسمه وخطب الناس ولعن الحاكم وشتمه فحشد له الحاكم وجهز لقتاله ستة عشر ألفًا عليهم الفضل بن عبد الله وأنفق فيهم ذهبا عظيما فلما قارب تلقاه أبو ركوة فرام مناجزته والفضل يراوغ فقال أصحاب أبي ركوة: قد بذلنا نفوسنا دونك ولم يبق فينا فضل لمعاودة حرب ونحن مطلوبون لأجلك فخذ لنفسك وانظر أي بلد شئت لنحملك إليه فذهب إلى بلد النوبة؛ لأنه كان مهادنه فبعث الفضل في طلبه عسكرا، فأدركوه فأسلمه أصحابه فحمل إلى الحاكم، فأركب جملاً وطيف به ثم قتل.

وبالغ الحاكم في إكرام الفضل وإعطائه الأقطاع فمرض فعاوده مرتين دفعتين فلما عوفي قتله.

* * *

حوادث سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة

في ربيع الآخر وقع ثلج عظيم ببغداد حتى كان سمكه في بعض المواضع ذراعًا ونصفا وأقام أسبوعًا لم يذب ورمي إلى الشوارع وبلغ وقعه إلى الكوفة وإلى عبادان.

وكثرت العملات ببغداد واللصوص وقتل منهم جماعة.

* * *

حوادث سنة تسع وتسعين وثلاثمائة

وفي شعبان عصفت ريح شديدة بالعراق وألقت رملاً أحمر بالطرق والبيوت.

وفيها عزل أبو عمرو قاضي القضاة وولي القضاء أبو الحسن بن أبي الشوارب فقال العصفري الشاعر:

عندي حديث ظريف ::: بمثله يتغنى
من قاضيين يعزى ::: هذا وهذا يهنا
هذا يقول: أكرهونا ::: وذا يقول: استرحنا
ويكذبان جميعا ::: ومن يصدق منا

ورجع الركب العراقي خوفًا من ابن الجراح الطائي فدخلوا بغداد يوم عرفة وخرج بنو رعب الهلاليون وهم ستمائة على ركب البصرة، فأخذوا منهم بما قيمته ألف ألف دينار. كذا نقل ابن الجوزي في منتظمه.

وفيها ولي دمشق أبو الحسن حامد بن ملهم للحاكم بعد علي بن جعفر بن فلاح فوليها سنة وأشهرًا، ثم عزل وكان جوادًا ممدحًا وولي بعده أو معه القائد أبو منصور ختكين الداعي المعروف بالضيف ذكره ابن عساكر فقال: ولي إمرة دمشق مرتين للحاكم فأساء السيرة.

وفي جمادى الآخرة كانت الفتنة بالأندلس وثار محمد بن هشام الأموي على متولي الأندلس وانخرم النظام وهى سلطان بني أمية بالأندلس.

* * *

حوادث سنة أربعمائة

نقص في ربيع الآخر نهر دجلة نقصانًا لم يعهد مثله وامتنع سير السفن من أوانًا والراشدية من أعالي دجلة لأجل جزائر ظهرت، ولا يعلم أن كري دجلة وقع قبل ذلك.

وفيها عمل أبو محمد الحسن بن الفضل بن سهلان على مشهد علي سورًا منيعًا من ماله لكثرة من يطرقه من الأعراب وتحصن المشهد.

* * *

أحداث سنة إحدى وأربعمائة

إظهار قرواش الطاعة للحاكم وخطبته

وفاة أيلك خان صاحب ما وراء النهر: وفيها مات أيلك الخان صاحب ما وراء النهر الذي أخذها من آل سامان بعد التسعين وثلاثمائة، وكان ملكًا شجاعًا حازمًا ظالمًا شديد الوطأة. وكان قد وقع بينه وبين أخيه الخان الكبير طغان ملك الترك فورث مملكته أخوه طغان فمالأ السلطان محمود سبكتكين وولاه وهادنه وتودد له فجاست من جهة الصين جيوش تقصد جيوش طغان وبلاد الإسلام من ديار الترك وما وراء النهر يزيدون على مائة ألف خركاه لم يعهد الإسلام مثلها في صعيد واحد فجمع طغان جمعا لم يسمع بمثله ونصره الله تعالى.

وفاة السلطان بهاء الدولة: ومات السلطان بهاء الدولة أحمد بن عضد الدولة وكان مصافيا لسلطان محمود بن سبكتكين مداريا له موثرا لمصافاته لحكم الجوار.

* * *

أحداث سنة اثنين وأربعمائة:

تلقيب فخر الملك بسلطان الدولة: في ربيع الأول انحدر فخر الملك إلى دار الخلافة فلما صعد من الزبزب تلقاه أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان، وقبل الأرض بين يديه وفعل الحجاب كذلك ودخل الدار والحجاب بين يديه وأجلس في الرواق وجلس الخليفة في القبة، ودعي فخر الملك، ثم كثر الناس وازدحموا وكثر البوس واللغط وعجز الحجاب عن الأبواب فقال الخليفة: يا فخر الملك، إمنع من هذا الاختلاط. فرد بالدبوس الناس ووكل النقباء بباب القبة.

وقرأ ابن حاجب النعمان عهد السلطان الدولة بالتقليد والألقاب، وكتب القادر بالله علامته عليه وأحضرت الخلع والتاج والطوق والسواران والواءآت وتولى عقدهما الخليفة بيده، ثم أعطاه سيفًا وقال للخادم: اذهب قلده به فهو فخر له ولعقبه يفتح به شرق الدنيا وغربها، وبعث ذلك إلى شيراز مع جماعة.

إبطال الحاكم للمنجمين: وفيها أبطل الحاكم المنجمين من بلاده وشدد في ذلك وأعتق أكثر مماليكه وأحسن إليهم.

* * *

أحداث سنة ثلاث وأربعمائة

تلقيب فخر الملك بسلطان الدولة: في ربيع الأول انحدر فخر الملك إلى دار الخلافة فلما صعد من الزبزب تلقاه أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان وقبل الأرض بين يديه وفعل الحجاب كذلك ودخل الدار والحجاب بين يديه وأجلس في الرواق وجلس الخليفة في القبة، ودعي فخر الملك، ثم كثر الناس وازدحموا وكثر البوس واللغط وعجز الحجاب عن الأبواب فقال الخليفة: يا فخر الملك، إمنع من هذا الاختلاط. فرد بالدبوس الناس ووكل النقباء بباب القبة.

وقرأ ابن حاجب النعمان عهد السلطان الدولة بالتقليد والألقاب. وكتب القادر بالله علامته عليه وأحضرت الخلع والتاج والطوق والسواران والواءآت وتولى عقدهما الخليفة بيده ثم أعطاه سيفا وقال للخادم: إذهب قلده به فهو فخر له ولعقبه يفتح به شرق الدنيا وغربها، وبعث ذلك إلى شيراز مع جماعة.

إبطال الحاكم للمنجمين: وفيها أبطل الحاكم المنجمين من بلاده وشدد في ذلك واعتق أكثر مماليكه وأحسن إليهم.

* * *

أحداث سنة أربع وأربعمائة:

تلقيب فخر الملك بسلطان الدولة: في ربيع الأول انحدر فخر الملك إلى دار الخلافة فلما صعد من الزبزب تلقاه أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان وقبل الأرض بين يديه وفعل الحجاب كذلك ودخل الدار والحجاب بين يديه وأجلس في الرواق وجلس الخليفة في القبة، ودعي فخر الملك، ثم كثر الناس وازدحموا وكثر البوس واللغط وعجز الحجاب عن الأبواب فقال الخليفة:

يا فخر الملك، إمنع من هذا الاختلاط. فرد بالدبوس الناس ووكل النقباء بباب القبة.

وقرأ ابن حاجب النعمان عهد السلطان الدولة بالتقليد والألقاب. وكتب القادر بالله علامته عليه وأحضرت الخلع والتاج والطوق والسواران والواءآت وتولى عقدهما الخليفة بيده ثم أعطاه سيفًا وقال للخادم: إذهب قلده به فهو فخر له ولعقبه يفتح به شرق الدنيا وغربها. وبعث ذلك إلى شيراز مع جماعة.

إبطال الحاكم للمنجمين: وفيها أبطل الحاكم المنجمين من بلاده وشدد في ذلك واعتق أكثر مماليكه وأحسن إليهم.

* * *

أحداث سنة خمس وأربعمائة:

منع النساء من الخروج في مصر: فيها ورد الخبر أن الحاكم صاحب مصر حظر على النساء الخروج من بيوتهن والإطلاع من الأسطحة ودخول الحمامات. ومنع الأساكفة من عمل الخفاف وقتل عدة نسوة خالفن أمره.

ومن كان قد لهج بالكوب في الليل يطوف في الأسواق، ورتب في كل درب أصحاب أخبار يطالعونه بما يتم، ورتبوا عجائز يدخلن الدور ويكشفن ما يتم للنساء، وأن فلانة تحب فلانا ونحو هذا. فينفذ من يمسك تلك المرأة فإذا اجتمع عنده جماعة منهن أمر بتغريقهم. فافتضح الناس وضجوا في ذلك.

ثم أمر بالنداء: أيما امرأة خرجت من بيتها أباحت دمها، فرأى بعد النداء عجائز فغرقهن.

قال: فإذا ماتت امرأة جاء ولها إلى قاضي القضاة يلتمس غاسلة فيكتب إلى صاحب المعونة في حيلة امرأة: فاتفق أن مر قاضي مالك بن سعيد الفارقي فنادته امرأة من روزنة: أقسمت عليك بالحاكم وآبائه أن تقف لي، فوقف فبكت بكاء شديدًا وقالت: لي أخ يموت فبالله إلا ما حملتني إليه لأشاهده قبل الموت، فرق لها وأرسلها مع رجلين فأتت بابا فدخلته، وكانت الدار لرجل يهواها وتهواه، وأتى زوجها فسأل الجيران فأخبروه بالحال فذهب إلى القاضي وصاح

وقال: أنا زوج المرأة وما لها أخ وما أفارقك حتى تردها إلي، فعظم ذلك على قاضي القضاة وخاف سطوة الحاكم فطلع بالرجل إلى الحاكم مرعوبًا وقال: العفو يا أمير المؤمنين، ثم شرح له القصة، فأمره أن يركب مع ذينك الرجلين، فوجدوا المرأة والرجل في إزار واحد نائمين على سكر فحملا إلى الحاكم. فسألها فأحالت على الرجل وما حسنه لها، وسأل الرجل فقال: هي هجمت علي وزعمت أنها خلو من بعل وإني إن لم أتزوجها سعت بي إليك لتقتلني، فأمر الحاكم بالمرأة فلفت في بارية وأحرقت وضرب الرجل ألف سوط، ثم عاد وشدد على النساء إلى أن قتل.

أحداث سنة ست وأربعمائة:

الفتنة بين السنة والرافضة: فيها جرت فتنة بين السنة والرافضة ببغداد في أول السنة ومنعهم فخر الملك من عمل عاشوراء.

الوباء في البصرة: وفيها وقع وباء عظيم بالبصرة.

* * *

أحداث سنة سبع وأربعمائة:

احتراق مشهد الحسين: فيها احترق مشهد الحسين - رضي الله عنه - بكربلاء من شمعتين سقطتا في جوف الليل على التأزير.

احتراق دار القطن: وفيها احترقت دار القطن ونهر طابق.

وقوع قبة الصخرة: وفيها وقعت القبة الكبيرة التي على الصخرة ببيت المقدس.

الفتنة بين الشيعة والسنة: وفيها هاجت الفتنة بين الشيعة والسنة بواسطة، ونهبت دور الشيعة الزيدية وأحرقت وهرب وجوه الشيعة والعلوين فقصدوا علي ابن مزيد واستنصروا به.

الخلع بالوزارة للرامهرمزي: وفيها خلع على أبي الحسن بن الفضل الرامهرمزي خلع الوزارة من قبل سلطان الدولة، وهو الذي بنى سور الحائر

بمشهد الحسين.

* * *

أحداث سنة ثمان وأربعمائة:

تفاقم الفتنة بين الشيعة والسنة: وقعت الفتنة بين السنة والشيعة وتفاقمت وعمل أهل نهر القلايين بابا على موضعهم وعمل أهل الكرخ بابا على الدقاقين. وقتل طائفة على هذين البابين، فركب المقدام أبو مقاتل وكان على الشرطة ليدخل الكرخ فمنعه أهلها وقاتلوه، فأحرق الدكاكين وأطراف نهر الدجاج وما تهيأ له دخول.

استتابة فقهاء المعتزلة: قال هبة الله اللالكائي في كتاب " السنة " أو في غيره: وفيها استتاب القادر بالله فقهاء المعتزلة فأظهروا الرجوع وتبرأوا من الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام، وأخذ خطوطهم بذلك وأنهم متى خالفوه عاقبهم.

* * *

أحداث سنة تسع وأربعمائة

تكفير القائل بخلق القرآن: في المحرم قريء بدار الخلافة كتاب بمذاهب السنة وفيه: من قال: " القرآن مخلوق " فهو كافر حلال الدم إلى غير ذلك من أصول السنة.

زيادة ماء البحر: وفيها زاد ماء البحر إلى أن وصل إلى الأبلة ودخل البصرة.

* * *

أحداث سنة عشر وأربعمائة

كتاب يمين الدولة محمود بفتوحاته في الهند: ورد من يمين الدولة محمود كتاب بما افتتحه من الهند وبما وصل إليه من أموالهم وغنائمهم فيه: إن كتاب العبد صدر من غزنة لنصف المحرم سنة عشر والدين مخصوص بمزيد الإظهار والشرك مقهور بجميع الأطراف والأقطار، وانتدب العبد لتنفيذ الأوامر

وتابع الوقائع على كفار السند والهند. فرتب بنواحي غزنة العبد محمدًا مع خمسة عشر ألف فارس وعشرة الآف راجل. وأنهض العبد مسعودًا مع عشرة الآف فارس وعشرة الآف راجل وشحن بلح وطخارستان بأرسلان الحاجب مع اثني عشر ألف فارس وعشرة الآف راجل. وضبط ولاية خوارزم بالتونتاش الحاجب مع عشرين ألف فارس وعشرين ألف راجل وانتخب ثلاثين ألف فارس وعشرة الآف راجل لصحة راية الإسلام. وانضم إليه جماهير المطوعة.

وخرج العبد من غزنة في جمادى الأولى سنة تسع بقلب منشرح لطلب السعادة ونفس مشتاقة إلى درك الشهادة ففتح قلاعًا وحصونًا وأسلم زهاء عشرين ألفًا من عباد الوثن وسلموا قدر ألف ألف من الورق ووقع الإحتواء على ثلاثين فيلاً. وبلغ عدد الهالكين منهم خمسين ألفًا.

ووافى العبد مدينة لهم عاين زهاء ألف قصر مشيد وألف بيت للأصنام ومبلغ ما في الصنم ثمانية وتسعون ألف مثقال. وقلع من الأصنام الفضة زيادة على ألف صنم.

ولهم صنم معظم يؤرخون مدته بجهالتهم بثلاثمائة ألف عام، وقد بنوا حول تلك الأصنام المنصوبة زهاء عشرة الآف بيت، فعني العبد بتخريب تلك المدينة اعتناًء تامًا ونهبها المجاهدون بالإحراق. فلم يبقى منها إلا الرسوم، وحين وجد الفراغ لاستيفاء الغنائم حصل منها عشرين ألف ألف درهم وأفرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثة وخمسين ألفًا، واستعرض ثلاثمائة وستة وخمسين فيلاً.

ولاية قوام الدولة على كرمان: وفيها جلس القادر بالله فقريء عهد الملك قوام الدولة أبي الفوارس وحملت إليه خلع السلطنة بولاية كرمان.

* * *

أحداث سنة إحدى عشر وأربعمائة

فقد الحاكم بأمر الله: في شوال فقد الحاكم صاحب مصر وكان يواصل الركوب وتتصدى له العامة فيقف عليهم ويسمع منهم، وكان الخلق في ضنك من العيش معه، وكانوا يدسون إليه الرقاع المختومة بالدعاء عليه والسب له ولأسلافه حتى أنهم عملوا تمثال إمرأة من كاغد بخف وإزار ثم نصبوها له،

وفي يديها قصة. فأمر بأخذها من يدها ففتحها فرأى فيها العظائم فقال: انظروا من هذه، فإذا هي تمثال مصنوع، فتقدم بطلب الأمراء والعرفاء فحضروا فأمرهم بالمصير إلى مصر وضربها بالنار ونهبها وقتل أهلها، فتوجهوا لذلك فقاتل المصريون عن أنفسهم بحسب ما أمكنهم. ولحق النهب والحريق الأطراف والنواحي التي لم يكن لأهلها قوة على امتناع ولا قدرة على الدفاع.

واستمرت الحرب بين العبيد والرعية ثلاثة أيام وهو يركب ويشاهد النار ويسمع الصياح، فيسأل عن ذلك فيقال له العبيد يحرقون مصر، فيتوجع ويقول: من أمرهم بهذا لعنهم الله.

قلت: بل لعنة الله على الكافر. فلما كان اليوم الثالث اجتمع الأشراف والشيوخ إلى الجامع ورفعوا المصاحف وعج الخلق بالبكاء والإستغاثة بالله، فرحمهم الأتراك وتقاطروا إليهم وقاتلوا معهم. وأرسلوا إلى الحاكم يقولون له: نحن عبيدك ومماليكك وهذه النار في بلدك وفيه حرمنا أولادنا وما علمنا أن أهله جنوا جناية تقتضي هذا، فإن كان باطن لا نعرفه عرفنا به وانتظر حتى نخرج عيالنا وأموالنا، وإن كان ما عليه هؤلاء العبيد مخالفًا لرأيك أطلقنا في معاملتهم بما نعامل به المفسدين.

فأجابهم: إني ما أردت ذلك ولا أذنت فيه وقد أذنت لكم في الإيقاع بهم.

وأرسل العبيد سرًا بأن كونوا على أمركم وقواهم بالسلاح.

فاقتتلوا وعادوا الرسالة: إنا قد عرفنا غرضك وإنه إهلاك البلد، ولوحوا بأنهم يقصدون القاهرة، فلما رآهم مستظهرين ركب حماره ووقف بين الفريقين وأومأ إلى العبيد بالإنصراف، وسكنت الفتنة.

وكان قدر ما أحرق من مصر ثلثها ونهب نصفها، وتتبع المصريون من أسر الزوجات والبنات فاشتروهن من العبيد بعد أن زنوا بهن حتى قتل جماعة أنفسهن من العار، ثم زاد ظلم الحاكم وعن له أن يدعي الربوبية كما فعل فرعون فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون: يا واحد يا أحد يا محيي يا مميت.

وكان قد أسلم جماعة من اليهود فكانوا يقولون: إنما نريد أن نعاود ديننا فيأذن لهم.

وأوحش أخته بمرسلات قبيحة وأنها ترتكب الزنا. فراسلت ابن دواس الأمير وكان متخوفا من الحاكم، ثم جاءت إليه فقبل الأرض بين يديها فقالت: قد جئتك في أمر أحرس نفسي ونفسك. قال: أنا خادمك. فقالت: أنت ونحن على خطر عظيم من هذا. وقد انضاف إلى ذلك ما تظاهر به وهتك الناموس الذي أقامه آباؤنا وزاد جنونه وحمل نفسه على ما لا يصبر المسلمون على مثله. وأنا خائفة أن يثور الناس علينا فيقتلوه ويقتلونا فتنقضي هذه الدولة أقبح انقضاء. قال: صدقت في الرأي. قالت: تحلف لي وأحلف لك على الكتمان. فتحالفا على: قتله وإقامة ولده مكانه وتكون أنت مدبر دولته. قالت: فاختر لي عبدين تثق بهما على سرك وتعتمد عليهما. فأحضر عبدين موصوفين بالأمانة والشهامة. فحلفتهما ووهبتهما ألف دينار ووقعت لهما بإقطاع وقالت: إصعدوا إلى الجبل فاكمنا له، فإن غدا يصعد الحاكم إليه وليس معه إلا الركابي وصبي وينفرد بنفسه، فإذا جاء فاقتلاه مع الصبي، وأعطتهما سكينتين مغربيتين، وكان الحاكم ينظر في النجوم، فنظر مولده وكان قد حكم عليه بقطع في هذا الوقت وأنه متى تجاوزه عاش نيفا وثمانين سنة.

فأحضر أمه وقال: علي في هذه الليلة قطع، وكأني بك قد هتكت وهلكت مع أختي فتسلمي هذا المفتاح فلي في هذه الخزانة صناديق تشتمل على ثلاثمائة ألف دينار فحوليها إلى قصرك لتكون ذخيرة لك، فبكت وقالت: إذا كنت تتصور هذا فدع ركوبك الليلة.

فقال: أفعل. وكان في رسمه أنه يطوف كل ليلة حول القصر في ألف رجل ففعل ذلك ثم نام. فانتبه الثلث الأخير وقال: إن لم أركب وأتفرج خرجت نفسي.

فركب وصعد الجبل ومعه صبي. فخرج العبدان فصرعاه وقطعا يديه وشقا جوفه وحملاه في كساء إلى ابن دواس وقتلا الصبي. فحمله ابن دواس إلى أخته فدفنته في مجلس لها سرا وأحضرت الوزير واستكتمته واستحلفه على الطاعة وأن يكاتب ولي العهد عبد الرحيم بن إلياس العبيدي ليبادر وكان بدمشق، وأنفذت إلى أمير يقيم في الطريق فإذا أوصل ولي العهد قبض عليه وعدل به

إلى تنيس.

وكتبت إلى عامل تنيس عن الحاكم أن يحمل إليه ما قد تحصل عنده وكان ألف ألف دينار وألفي درهم، وفقد الحاكم فماجوا في اليوم الثالث وقصدوا الجبل فلم يقفوا له على أثر فعادوا إلى أخته فسألوها عنه فقالت: قد كان راسلني قبل ركوبه وأعلمني أنه يغيب سبعة أيام، فانصرفوا مطمئنين. ورتبت ركابية يمضون ويعودون كأنهم يقصدون موضعه ويقولون لكل من سألهم: فارقناه في الموضع الفلاني وهو عائد في يوم كذا.

تدبير أخت الحاكم لقتل ابن دواس: ولم تزل الأخت في هذه الأيام تدعو وجوه القواد تستحلفهم وتعطيهم، ثم ألبست أبا الحسن علي بن الحاكم أفخر الثياب وأحضرت ابن دواس وقالت: المعمول في القيام بهذه الدولة عليك وهذا ولدك.

فقبل الأرض. وأخرجت الصبي ولقبته بالظاهر إعزاز دين الله وألبسته تاج المعز جدها وأقامت المأتم على الحاكم ثلاثة أيام، وهذبت الأمور وخلعت على ابن دواس خلعًا كثيرة وبالغت في رفع منزلته وجلس معظمًا.

* * *

أحداث سنة اثنتي عشرة وأربعمائة:

إعتراض العرب البدو لقافلة الحجاج: لم يحج العراقيون في العامين الماضيين وقصد طائفة يمين الدولة محمود بن سبكتكين وقالوا: أنت سلطان الإسلام وأعظم ملوك الأرض وفي كل سنة تفتتح من بلاد الكفر ناحية والثواب في فتح طريق الحج أعظم. وقد كان بدر بن حسنويه وما في أمرائك إلا من هو أكبر منه يسير الحاج بماله وتدبيره عشرين سنة. فانظر الله واهتم بهذا الأمر.

فتقد إلى قاضيه أبي محمد الناصحي بالتأهب للحج ونادى في أعمال خراسان بالتأهب للحج، وأطلق العرب في البادية ثلاثين ألف دينار سلمها إلى الناصحي غير مال الصدقات.

فحج بالناس أبو الحسن الأقساسي فلما بلغوا فيد حاصرتهم العرب فبذل لهم الناصحي خمسة آلاف دينار فلم يقنعوا وصمموا على أخذ الركب، وكان رأسهم

جماز بن عدي قد انضم إليه ألفًا رجل من بني نبهان وكان جبارًا. فركب فرسه وعليه درع وبيده رمح، وجال جولة يرهب بها.

* * *

أحداث سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

ضرب الحجر الأسود وكسره: فيها عمد بعض المصريين إلى الحجر الأسود فضربه بدبوس كسر منه قطعًا. فقتله الحجاج وثار أهل مكة بالمصريين فنهبوهم وقتلوا منهم جماعة.

ثم ركب أبو الفتح الحسن بن جعفر صاحب مكة فأطفأ الفتنة وردهم عن المصريين.

قال هلال بن المحسن: قيل إن الضارب بالدبوس ممن استغواهم الحاكم وأفسد أديانهم. وقيل: كان ذلك في سنة أربع عشرة.

* * *

أحداث سنة أربع عشرة وأربعمائة:

مسير السلطان مشرف الدولة إلى بغداد: سار السلطان مشرف مصعدًا إلى بغداد من ناحية واسط وروسل القادر بالله في البروز لتلقيه فتلقاه من الزلاقة. ولم يكن تلقى أحدا من الملوك قبله. فركب في الطيار وعن جانبه الأيمن الأمير أبو جعفر وعن يساره الأمير أبو القاسم وبين يديه أبو الحسن علي بن عبد العزيز وحوالي القبة الشريف أبو القاسم المرتضى، وأبو الحسن الزينبي وقاضي القضاة ابن أبي الشوارب وفي الزبازب المسودة من العباسيين والقضاة والقراء والعلماء.

ونزل مشرف الدولة في زبزبه بخواصه وصعد إلى الطيار فقبل الأرض وأجلس على كرسي وسأله الخليفة عن خبره، وكيف حاله والعسكر واقف بأسره على شاطيء دجلة والعامة في الجانبين، ثم قام مشرف الدولة فنزل إلى زبزبه. وأصعد الطيار.

توغل يمين الدولة في بلاد الهند: وفيها ورد كتاب يمين الدولة محمود بن

سبكتكين إلى القادر يذكر أنه أوغل في بلاد الهند حتى جاء إلى القلعة فيها ستمائة صنم.

وقال: أتيت قلعة ليس لها في الدنيا نظير وما الظن بقلعة تسع خمسمائة فيل وعشرين ألف دابة وتقوم لهؤلاء بالعلوفة، وأعان الله حتى طلبوا الأمان فأنت ملكهم وأقررته على ولايته بخراج ضرب عليه وأنفذ هدايا كثيرة وفيلة، ومن ذلك طائر على شكل القمري إذا حضر على الخوان وكان فيه شيء مسموم دمعت عينه وجرى منها ماء وتحجر ويحك فيطلى بما تحلل من دمعه المتحجر الجراحات الكبار فيلحمها فقبلت هديته. وانقلب العبد بنعمة من الله وفضل. قلت: وهذه وقعة ياردين وهي من الملاحم الكبار بلغت راية الإسلام في الهند إلى مكان لم تبلغه قط. ووجد في بيت بذ عظيم حجر منقوش دلت كتابته على أنه مبني من أربعين ألف سنة فقضى السلطان والناس من جهل القوم عجبًا. إذا بعض أهل الشريعة يقولون إن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة. وعاد السلطان بتلك الغنائم حتى كاد عدد الأرقاء يزيد على عدد الدهماء. ونزلت قيمهم حنى اقتناهم أرباب المهن الخاملة.

وزارة أبي القاسم المغربي: وفيها استوزر مؤيد الملك أبا القاسم المغربي الوزير.

* * *

أحداث سنة خمس عشرة وأربعمائة

إحراق خلع صاحب مصر: فيها حج بالعراقيين أبو الحسن الأقساسي ومعه حسنك صاحب محمود بن سبكتكين فنفذ إليه الظاهر صاحب مصر خلعًا وصلة فقبلها، ثم خاف ولم يدخل بغداد.

فكاتب الخليفة محمودًا بما فعل حسنك فنفذ مع رسوله الخلع المصرية فأحرقت على باب النوبي.

وزارة الجرجرائي. وفيها ولي وزارة مصر للظاهر: نجيب الدين علي بن أحمد ابن الجرجرائي.

موت ست الملك: وماتت ست الملك أخت الحاكم التي قتلت الحاكم.

وفاة سلطان الدولة: وفيها توفي سلطان الدولة أبو شجاع ابن عضد الدولة بن بويه بشيراز وكانت مدة ولايته اثني عشر عامًا وأشهرا وولي صبيًّا ومات عن ثلاث وعشرين سنة.

* * *

أحداث سنة ست عشرة وأربعمائة

انتشار العيارين ببغداد. فيها انتشرت العيارون ببغداد وخرقوا الهيبة وواصلوا العملات والقتل.

وفاة السلطان مشرف الدولة: وفي ربيع الأول توفي مشرف الدولة السلطان ونهبت خزائنه، وهو مشرف الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه الديلمي.

سلطنة جلال الدولة أبي طاهر: واستقر الأمر على توليه جلال الدولة أبي طاهر فخطب له على المنابر وهو بالبصرة.

وزارة ابن ماكولا: فخلع على شرف الملك أبي سعد بن ماكولا وزيره ولقبه علم الدين سعد الدولة أمين الملة شرف الملك، وهو أول من لقب بالألقاب الكثيرة. قلت: ولعله أول من لقب باسم مضاف إلى الدين.

ميل الجند إلى سلطنة أبي كاليجار: ثم إن الجند عدلوا إلى الملك أبي كاليجار ونوهوا باسمه وكان ولي عصر أبيه سلطان الدولة الذي استخلفه بهاء الدولة عليهم فخطب لهذا ببغداد وكوتب جلال الدولة بذلك فأصعد من واسط.

* * *

أحداث سنة سبع عشرة وأربعمائة:

انتهاء الكرخ وإحراقها: فيها ورد الإسفهسلاريه إلى بغداد فراسلوا العيارين بالإنصراف عن البلد فما فكروا فيهم وخرجوا إلى خيم الإسفهسلارية وصاحوا وشتموهم وتحاربوا ولبس الجند من العنق السلاح، وضربوا الدبادب وهجموا على أهل الكرخ، وأحرقوا من الدقاقين إلى النحاسين، ونهب الكرخ وأخذ شيء

كثير من القطيعة ودرب أبي خلف وأشرف الناس على خطة صعبة.

وكان ما نهبه الغوغاء أكثر مما نهبته الأتراك، ومضى المرتضى إلى دار الخلافة فجاء الإسفهسلارية وسألوا التقدم إليه بالرجوع، فخلع عليه وتقدم إليه بالعود، ثم حفظت المحال واشتدت المصادرات وقرر على أهل الكرخ مائة ألف دينار.

شهادة الصيمري عند ابن أبي الشوارب: وفيها شهد الحسين بن علي الصيمري عند قاضي القضاة ابن أبي الشوارب بعد أن استتابه مما ذكر عنه من الإعتزال.

* * *

أحداث سنة ثمان عشرة وأربعمائة:

وقوع البرد في البلاد: في ربيع الأول جاء برد بقطربل والنعمانية قتل كثيرًا من الغنم والوحش. قيل: كان في البردة رطلان وأكثر. وجاء بعده بأيام برد ببغداد كقدر البيض وأكبر.

وجاء كتاب من واسط بأنه وقع برد في الواحد منه أرطال فهلكت الغلات وأملحت البلاد.

إعادة الخطبة لجلال الدولة: وفيها قصد الإسفهسلارية والغلمان دار القادر بالله إنك مالك الأمور وقد كنا عند وفاة الملك مشرف الدولة اخترنا جلال الدولة ظنا منا أنه ينظر في الأمور فأغفلنا فعدلنا إلى الملك أبي كاليجار ظنا منا أنه يحقق وعدنا به فكنا على أقبح من الحالة الأولى. ولا بد من تدبير أمورنا. فخرج الجواب بأنكم أبناء دولتنا وأول ما نأمركم أن تكون كلمتكم واحدة. وقد وقع عقد لأبي كاليجار لا يحسن حله ولبني بويه في رقابنا عهود لا نعدل عنها. فدعونا حتى نكاتب أبا كاليجار ونعرف ما عنده.

وكتب إليك أنك إن لم تدارك الأمر خرج عن اليد.

ثم آل الأمر إلى أن عاودوا وسألوا إقامة الأمر لجلال الدولة أبي الطاهر فأعيدت الخطبة له.

* * *

أحداث سنة تسع عشرة وأربعمائة:

احتجاج الغلمان والإسفهسلارية على جلال الدولة: في المحرم اجتمع الغلمان وأكابر الإسفهسلارية وتحالفوا على اتفاق الكلمة وبرزوا الخيم، ثم أنفذوا إلى الخليفة يقولون: نحن عبيد أمير المؤمنين وهذا الملك متوفر على لذاته لا يقوم بأمورنا ونريد أن تأمره أن يصير إلى البصرة وينفذ ولده نائبًا له. فأجيبوا.

فأنفذ السلطان أبا الحسن الزيني وأبا القاسم المرتضى برسالة فاعتذر.

فقالوا: تعجل ما وعدنا به. فأخرج من المصاغ والفضة أكثر من مائة ألف درهم فلم ترضيهم، ثم بكروا فنهبوا دار الوزير أبي علي بن ماكولا وعظمت الفتنة وزالت الهيبة ونهبوا بعض العوام ووكلوا جماعة بدار السلطنة ومنعوا من دخول الطعام والماء، فضاق الأمر على من فيها حتى أكلوا ما في البستان وشربوا ما في الآبار.

فخرج جلال الدولة ودعا الموكلين بالأبواب فلم يجيبوه فكتب ورقة: إني راجع عن كل ما أنكرتموه، فقالوا: لو أعطيتنا مال بغداد لم تصلح لنا. فقال: أكرهتموني فمكنوني من الانحدار. فاتبع له زبزب شعث فقال: يكون نزولي بالليل. قالوا: لا بل الساعة.

والغلمان يرونه فلا يسلمون عليه، ثم حمل قوم من الغلمان إلى السرادق فظن أنهم يريدون الحرم فخرج من الدار وفي يده طبر. فقال: قد بلغ الأمر إلى الحرم فقال بعضهم: إرجع إلى دارك فأنت ملكنا. وصاحوا: " جلال الدولة يا منصور ".

وترجلوا فقلبوا الأرض فأخرج المصاغ والفرش والآلات الكثيرة فأبيعت ولم تف بمقصودهم.

فاجتمعوا إلى الوزير ابن ماكولا وهموا بقتله فقال: لا ذنب لي.

* * *

أحداث سنة عشرين وأربعمائة

وقوع البرد بالنعمانية: فيها وقع برد كبار بالنعمانية في البردة أرطال.

وجاءت ريح عظيمة قلعت الأصول والزيتون العاتية وكثيرًا من النخل. ووجدت بردة عظيمة يزيد وزنها على مائة رطل وقد نزلت في الأرض نحوا من ذراع.

كتاب سبكتكين إلى القادر بالله: وفيها ورد كتاب محمود بن سبكتكين وهو: " سلام على سيدنا ومولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين إن كتاب العبد صادر عن معسكره بظاهر الري غرة جمادى الآخرة، وقد أزال الله عن هذه البقة أيدي الظلمة وطهرها من أيدي الباطنية الكفرة، وقد تناهت إلى الحضرة حقيقة الحال فيما قصر العبد عليه سعيه واجتهاده غزو أهل الكفر والضلال وقع من بع بخراسان من الفئة الباطنية، وكانت الري مخصوصة بالتجائهم إليها وإعلانهم بالدعاء إلى كفرهم فيها يختلطون بالمعتزلة والرافضة ويتجاهرون بشتم الصحابة ويسيرون الكفر ومذهب الإباحة، وكان زعيمهم رستم بن علي الديلمي، فعطف العبد بالعساكر فطلع بجرجان وتوقف بها إلى انصراف الشتاء، ثم سار إلى دامغان ووجه غالب الحاجب في مقدمة العسكر فبرز رستم على حكم الإستسلام والاضطرار فقبض عليه وعلى رؤوس الباطنية من قواده وخرج الديالمة معترفين بذنوبهم شاهدين بالكفر والرفض على نفوسهم فرجع إلى الفقهاء في تعرف أحوالهم فأفتوا بأنهم خارجون عن الطاعة داخلون أهل الفساد يجب عليهم القتل والقطع والنفي على مراتب جنايتهم إن لم يكونوا من أهل الإحاد.

فكيف واعتقادهم لا يخلوا من التشيع والرفض والباطن، وذكر هؤلاء الفقهاء أن أكثر هؤلاء القوم يصلون ولا يزكون ولا يعترفون بشرائط الذين ويجاهرون بالقذف وشتم الصحابة، والأمثل منهم معتقد مذهب الإعتزال والباطنية منهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

وحكموا - يعني: الفقهاء - بأن رستم بن علي في حباله خمسون امرأة من الحرائر ولدن له ثلاثة وثلاثين نفسًا. وحول رايته إلى خرسان فانضم إليه أعيان المعتزلة والرافضة، ثم نظر فيما احتجبه رستم فعثر من الجواهر على ما قيمته خمسمائة ألف دينار.

* * *

أحداث سنة إحدى وعشرون وأربعمائة

فتنة أهل الكرخ بعاشوراء: في عاشوراء أغلق أهل الكرخ أسواقهم وعلقوا عليها المسوح وناحوا وذلك؛ لأن السلطان انحدر عنهم فوقع القتال بينهم وبين السنة، ثم أنزل المسوح وقتل جماعة من الفريقين وخربت عدة دكاكين، وكثرت العملات من البرجمي مقدم العيارين وأخذ أموالاً عظيمة.

انتهاب الأهواز: وفيها دخل جلال الدولة وعسكره ونهبتها الأتراك وبدعوا بها وزاد قيمة الذي أخذ منها على خمسة آلاف دينار وأحرقت عدة أماكن بل ما يمكن ضبطه.

* * *

أحداث سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

سرقة دار الملكة: في المحرم نقب اللصوص دار الملكة وأخذوا قماشًا وهربوا وأقام التجار على المبيت في الأسواق وأمر العيارين يتفاقم؛ لأن أمور الدولة منحلة فلا قوة إلا بالله.عزل أبي الفضل ابن حاجب النعمان: وفيها عزل أبو الفضل محمد بن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان عن كتابة الإنشاء للقادر بالله وكانت مباشرته سبعة أشهر؛ لأنه لما توفي أبوه أبو الحسن وأقيم مقامه لم تكن له دربة بالعمل.

* * *

أحداث سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

الاستسقاء ببغداد: في المحرم خرجوا ببغداد للاستسقاء.

تعليق المسوح في عاشوراء: وفي عاشوراء علقت المسوح وناحوا. أقام

ذلك العيارين.

ثورة أهل الكرخ بالعيارين وفيها ثار أهل الكرخ بالعيارين فهربوا وكبسوا دورهم ونهبوا سلاحهم وطلبوا من السلطان المعاونة؛ لأن العيارين نهبوا تاجرا فغضب له أهل سوقه فرد العيارين بعض ما أخذوا، ثم كبسوا دار ابن الفلو الواعظ وأخذوا ماله، وأخذوا في الكبسات وانضاف إليهم مولدوا الأتراك وحاشيتهم.

ثم إن الغلمان صمموا على عزل جلال الدولة وإظهار أمر أبي كاليجار وتحالفوا وقالوا: لا بد إن يروح عنا إلى واسط.

* * *

أحداث سنة أربع وعشرين وأربعمائة

معافاة الخليفة من الجدري فيها هني الخليفة بالعافية من جدري أصابه وكتم ذلك إلى إن عوفي.

* * *

أحداث سنة خمس وعشرين وأربعمائة

مواصلة العيارين لعملاتهم كان العيارون مواصلين للعملات بالليل والنهار ومضى البرجمي إلى العامل الذي على الماصر الأعلى فقرر معه إن يعطيه كل شهر عشرة دنانير من الارتفاع، ثم أخذ عدة عملات كبار.

هذا والناس يبيتون في الأسواق، ثم جد السلطان والخليفة في طلب العيارين.

هبوب ريح بنصيبين وورد كتاب من نصيبين إن ريحًا سوداء هبت فقلعت من بساتينها أكثر من مائتي ألف شجرة وأن البحر جزر في تلك الناحية نحو ثلاثة فراسخ وخرج الناس يتبعون السمك والصدف فرد البحر ففرق بعضهم.

الزلازل بفلسطين.

في المحرم كبس العيارون دارا فأخذوا ما فيها. ورد أبو محمد بن النسوي لكشف العملة فأخذ هاشميا فقتله فثار أهل الناحية ورفعوا المصاحف على القصب ومضوا إلى دار الخلافة وجرى خطب طويل.

* * *

أحداث سنة ثمان وعشرين وأربعمائة

وفيها تقلد الزينبي نقابة العباسيين فيها قلد أبو تمام محمد بن محمد بن علي الزينبي نقابة العباسيين وعزل أبوه.

* * *

أحداث سنة ست وعشرين وأربعمائة

مقاتلة أبي الغنائم للعيارين تجدد في المحرم وصول العرب إلى أطراف الجانب الغربي فعاثوا ونهبوا، ثم ظهر قوم من العيارين ففتكوا وقتلوا. فنهض أبو الغنائم بن علي المتولي فقتل اثنين فعاودوا الخروج وقتلوا رجلين وقاتلوا أبا الغنائم. وتتابعت العملات فنهض أبو الغنائم ومسك وقتل، ثم عاد الفساد والعيارون يكمنون في دور الأتراك ويخرجون ليلاً، وكتب العيارون رقاعًا يقولون فيها: إن صرف أبو الغنائم عنا حفظنا البلد وإن لم يصرف ما نترك الفساد.

* * *

أحداث سنة سبع وعشرين وأربعمائة

ثورة الهاشميين على ابن النسوي.

في المحرم كبس العيارون دارا فأخذوا ما فيها. ورد أبو محمد بن النسوي لكشف العملة فأخذ هاشميا فقتله فثار أهل الناحية ورفعوا المصاحف على القصب ومضوا إلى دار الخلافة وجرى خطب طويل.

إحراق دار ابن النسوي، وفي ربيع الآخر دخل العيارون بغداد في مائة نفس من الأكراد والأعراب فأحرقوا دار ابن النسوي وفتحوا خانا وأخذوا ما فيه وخرجوا بالكارات على رؤوسهم والناس ينظرون.

شغب الجند على جلال الدولة وشغب الجند على جلال الدولة وقالوا: هذا البلد لا يحملنا وإياك فاخرج فإنه أولى بك. قال: كيف يمكنني الخروج على هذه الصورة أمهلوني ثلاثة أيام حتى آخذ حرمي وولدي وأمضي. فقالوا: لا تفعل. ورموه بآجرة فتلقاها بيده وأخرى في كتفه فاستجاش بالحاشية والعامة. وكان عنده المرتضى والزينبي والماوردي فاستشارهم في العبور إلى الكرخ كما فعل تلك لامرة فقالوا: ليس الأمر كما كان وأحداث الموضع قد ذهبوا. وحول الغلمان خيامهم إلى حول الدار وأحاطوا بها.

وبات الناس على أصعب خطة فخرج الملك في نصف الليل إلى زقاق غامض فنزل إلى دجلة وركب سميرية فيها بعض حاشيته ومضى إلى دار المرتضى وبعث حرمه إلى دار الخلافة. ونهب الأجناد دار الملك حتى الأبواب وساجها. وراسلوا الخليفة أن تقطع خطبة جلال الدولة فقيل لهم: سننظر. وخرج الملك إلى أوانا ثم إلى كرخ سامراء، ثم خرجوا إليه واعتذروا ومشي الحال.

* * *

أحداث سنة ثمان وعشرين وأربعمائة

تقلد الزينبي نقابة العباسيين فيها قلد أبو تمام محمد بن محمد بن علي الزينبي نقابة العباسيين وعزل أبوه.

شغب الجند على جلال الدولة، ثم عاد شغب الجند على جلال الدولة المعثر وآل الأمر إلى إن قطعوا خطبته وخطبوا للملك أبي كاليجار، ثم عادوا وخطبوا لهما، ثم صلحت حال جلال الدولة وحلف الخليفة القائم له.

القبض على ابن ما كولا: وقبض على الوزير ابن ماكولا.

وزارة أبي المعالي ووزر أبو المعالي بن عبد الرحيم.

مطر فيه سمك بفم الصلح وفيها ورد كتاب من فم الصلح فيها: إن قومًا من أهل الجبل وردوا فحكوا أنهم مطروا مطرا كثيرا في أثنائه سمك وزنوا بعضه فكانت رطلاً ورطلين - يعني: بالعراقي.

* * *

أحداث سنة تسع وعشرين وأربعمائة

هلاك جماعة تحت الردم في ليلة الميلادة أوقدوا النيران والفتائل في الأسطحة فأوقدت فتيلة في سطح كبير بعكبرا فوقع بهم فهلك تحت الردم ثلاثة وأربعون نفسا.

إلزام أهل الذمة باللباس وفي رجب اجتمع القضاة والدولة واستدعي جاثليق النصارى ورأس جالوت اليهود وخرج توقيع الخليفة في أمر الغيار وإلزام أهل الذمة به فامتثلوا.

* * *

أحداث سنة ثلاثين وأربعمائة

تملك السلاجقة البلاد فيها في جمادى الآخرة تملك بنو سلجوق خراسان والجبل وهرب مسعود بن محمود بن سبكتكين وأخذوا الملك منه وتملك طغرلبك أبو طالب محمد وأخوه داود. واستولى أولاد ميكائيل بن سلجوق على البلاد.

مخاطبة ابن جلال الدولة بالملك العزيز وفي هذه السنة خوطب أبو منصور بن السلطان جلال الدولة أبي طاهر بالملك العزيز.

قلت: وهذا أول من لقب بألقاب ملوك زماننا كالملك العادل والملك المظفر.

انقراض ملك بني بويه قال: وكان مقيمًا بواسط وبه انقرض ملك بني بويه.

امتناع الحج هذا الموسم ولم يحج في هذه السنة من العراق ومصر والشام كثير أحد.

* * *

أحداث سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة

شغب الأتراك فيها شغب الأتراك وخرجوا بالخيم وتشكوا من تأخر النفقات ووقوع الاستيلاء على إقطاعهم، فعرف السلطان فكاتب دبيس بن علي بن مزيد. وأبا الفتح بن ورام وأبا الفوارس بن سعدي في الإستظهار بهم وكتب إلى الأتراك رقعة يلومهم.

* * *

أحداث سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة

إستيلاء الغز والسلاجقة على خراسان فيها نزلت الغز الري وانصرف مسعود إلى غزته. وعاد طغرلبك إلى نيسابور. واستولت الغز والسلجوقية على جميع خراسان وظهر من خرقهم الهيبة وأطراحهم الحشمة وقتلهم الناس ما جاوز الحد. وقصدوا خلقا كثيرا من الكتاب فقتلوا منهم وصادروا وبدعوا.

الفتنة بين السنة والشيعة وتجددت الفتن. ووقع القتال بين أهل الكرخ والسنة واستمر ذلك. وقتل جماعة. وسبب ذلك انخراق الهيبة وقلة الأعوان.

* * *

أحداث سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة

دفع الغز عن همذان فيها دخل الملك أبو كاليجار ودفع الغز عن همذان شغب الأتراك وإفسادهم وفيها شغبت الأتراك وتبسطوا في أخذ ثياب الناس وخطف عمائمهم. وأفسدوا إلى أن وعدوا بإطلاق أرزاقهم.

التعريف بالبلغر قدم رجل من البلغر من أعيان قومه ومعه خمسون نفسًا قاصدًا للحج فأهدي له شيء من دار الخلافة وكان معه رجل يقال له: القاضي علي بن إسحاق الخوارزمي فسئل عن البلغر من أي الأمم هم قال: قوم تولدوا بين الأتراك والصقالبة وبلادهم من أقصى بلاد الترك، وكانوا كفارًا ثم ظهر فيهم الإسلام. وهم على مذهب أبي حنيفة. ولهم عيون وأنهار ويزرعون على المطر. وحكى أن الليل يقصر عندهم حتى يكون ست ساعات وكذلك النهار.

موت علاء الدولة بن كاكويه وفيها مات علاء الدولة أبو جعفر بن كاكويه متولي إصبهان الدعوة لأبي كاليجار في بلاد ابن كاكويه وولي بعده ابنه أبو منصور فأقام الدعوة والسكة للملك أبي كاليجار في جميع بلاد ابن كاكويه.

* * *

أحداث سنة أربع وثلاثين وأربعمائة

الخلاف بين الخليفة والملك جلال الدولة في المحرم انفتحت الجوالي بأمر الخليفة فأنفذ الملك جلال الدولة من منع أصحاب الخليفة وأخذ ما استخرج منها، وأقام من يتولى جبايتها. فشق ذلك على الخليفة وترددت منه مراسلات فلم تنفع. فأظهر العزم على مفارقة البلد وأمر بإصلاح الطيار والزبازب وروسل وجوه الأطراف والقضاة والأعيان بالتأهب للخروج في الصحبة وتكلم بأنه عامل على غلق الجوامع. ومنع من الجمعة في سابع المحرم، وكاتب جلال الدولة فجاء كتابه: أنه يرى الطاعة وإنه نائب عن الخدمة نيابة لا تنتظم إلا بإطلاق العساكر. وقد التجأ جماعة من خدمتنا إلى الحريم ونحن معذورون للحاجة.

* * *

أحداث سنة خمس وثلاثين وأربعمائة

خروج طغرلبك إلى الجبل ومكاتبته جلال الدولة فيها ردت الجوالي إلى وكلاء الخدمة. وسار طغرلبك إلى الجبل، وورد كتابه إلى جلال الدولة من الري وكان أصحابه قد أخربوها ولم يبق منها غير ثلاثة الآف نفس وسدت أبواب مساجدها. وخاطب طغرلبك جلال الدولة في المكاتبة بالملك الجليل وخاطب عميد الدولة بالشيخ الرئيس أبي طالب محمد بن أيوب من طغرلبك محمد بن ميكائيل مولى أمير المؤمنين، فخرج التوقيع إلى أقضى القضاة الماوردي وروسل به طغرلبك برسالة تتضمن تقبيح ما صنع في البلاد وأمره بالإحسان إلى الرعية، فمضى المارودي وخرج طغرلبك يتلقاه على أربع فراسخ إجلالا له ولرسالة الخلافة.

* * *

أحداث سنة ست وثلاثين وأربعمائة

دفن جلال الدولة بمقابر قريش فيها نقل تابوت جلال الدولة إلى تربتهم بمقابر قريش الوزارة ببغداد: ودخل الملك أبو كاليجار بغداد وصرف أبا المعالي بن عبد الرحيم عن الوزارة موقرًا وولي أبو الفرج محمد بن جعفر بن العباس.

وفاة المرتضى: وتوفي المرتضى وقلد مكانه ابن أخيه أبو أحمد عدنان بن الشريف الرضي.

وفاة الجرجرائي ووزارة أبي نصر: وتوفي بمصر الوزير الجرجرائي فوزر أبو نصر أحمد بن يوسف الذي أسلم.

ضرب الطبل عند أوقات الصلاة: وضرب أبو كاليجار الطبل في أوقات الصلوات الخمس ولم تكن الملوك يضرب لها الطبل في بغداد إلى أيام عضد الدولة فأكرم بأن ضرب له ثلاث مرات. فأحدث أبو كاليجار ضرب الطبل في أوقات الصلوات الخمس.

ولاية ابن المسلمة الكتابة للقائم: وفيها ولي رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن المسلمة كتابة القائم بأمر الله وكان ذا منزلة عالية منه.

* * *

أحداث سنة سبع وثلاثين وأربعمائة

الفتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة: فيها حدثت الفتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة وأخذ منها جماعة من الفريقين.

احراق كنيس اليهود: ونفر العامة على اليهود وأحرقوا كنيسة العتيقة ونهبوا دور اليهود.

الوباء بالخيل: ووقع الوباء بالخيل فهلك من معسكر أبي كاليجار اثنا عشر ألف فرس، وامتلأت حافات دجلة من جيف الخيل.

موت العلاء النصراني وسلب أكفانه: ومات العلاء بن أبي الحسين النصراني بواسط فجلس أقاربه في مسجد عند بيته للعزاء، وأخرج تابوته نهارًا ومعه جماعة من الأتراك فثار العوام وسلبوا الميت من أكفانه وأحرقوه ومضوا إلى الدير فنهبوه. وعجز الأتراك عنهم وذلوا أذلهم الله.

* * *

أحداث سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة

حبس صاحب الشرطة وتغريمه الديات فيها كلم ذو السعادات أبو الفرج

لرئيس الرؤساء أبي القاسم في أبي محمد بن النسوي صاحب الشرطة، وكان معزولاً فقال: هذا رجل قد ركب العظائم ولا سبيل إلى الإبقاء عليه فتقدم الخليفة بحبسه. ورفع عليه بأنه كان يتتبع الغرباء من التجار ويقبض عليهم ليلاً ويأخذ أموالهم ويقتلهم ويلقيهم في حفائر فحفرت فوجد فيها رمم الموتى، فثار العوام ونشروا المصاحف وآل الأمر إلى أن حمل خمسة الآف وخمسمائة دينار عن ديات ثلاثة قتلهم فقبض ذلك صيرفي السلطان وصرفه في أفساط الجند.

حصار طغرلبك إصبهان: وفيها حاصر طغرلبك إصبهان وضيق على أميرها قرامرز بن علاء الدولة، ثم هادنه على مال يحمل إليه وأن يخطب له بإصبهان.

مراسلة أهل التبت لأرسلان خان وفيها خرج من بلاد التبت وهي من إقليم الصين خلائق عظيمة وراسلوا أرسلان خان ملك بلاشاغون يثنون على سيرته فراسلهم يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا ولم ينفروا منه.

* * *

أحداث سنة تسع وثلاثين وأربعمائة

غدر الأكراد بسرخاب: فيها غدر الأكراد بسرخاب بن محمد بن عناز وحملوه إلى إبراهيم ينال فقلع عينيه.

الظفر بأصفر التغلبي: وفيها ظفروا بأصفر التغلبي الذي خرج برأس عين وتبعه خلق وكان قد أوغل في بلاد الروم فسلم إلى ابن مروان فسد عليه برجًا من أبراج آمد.

القحط بالموصل: وكان القحط بالموصل حتى أكلوا الميتة وصلي يوم الجمعة بها على أربعمائة جنازة وعد من هلك يومئذ من أهل الذمة، فكانوا مائة وعشرين نفسًا.

القبض على الوزير ذي السعادات: وفيها قبض على الوزير ذي السعادات أبي الفرج محمد بن جعفر.

الوباء والقحط ببغداد: وكثر الوباء ببغداد أيضًا والقحط.

* * *

أحداث سنة أربعين وأربعمائة

قتال أهل الكرخ وباب البصرة: فيها هاج القتال بين أهل الكرخ وباب البصرة موت الملك أبي كاليجار: ومرض الملك أبو كاليجار وفصد في يوم ثلاث مرات ثم مات وانتهب الغلمان الخزائن والسلاح وأحرق الجواري الخيم وناح الحريم.

ولاية أبي نصر الملك بعد أبيه: وولي مكانه ابنه أبو نصر ولقبوه بالملك الرحيم، ثم قصد حضرة الخليفة فقبل الأرض وجلس على كرسي، ثم ألبس سبع خلع وعمامة سوداء والطوق والسوارين ووضع على رأسه التاج المرصع وبرز له لواءان معقودان. وأوصاه الخليفة بالتقوى والعدل، وقريء صدر تقليده، وكان يومًا مشهودًا.

* * *

أحداث إحدى وأربعين وأربعمائة

اشتداد الخلاف بين السنة والشيعة تقدم إلى أهل الكرخ أن لا يعملوا مأتمًا، يوم عاشوراء فأخلفوا وجرى بين أهل السنة والشيعة ما زاد على الحد من القتل والجراحات.

انهزام الملك الرحيم وفيها ذهب الملك الرحيم إلى الأهواز وفارس، فلقيه عسكر فارق واقتتلوا؛ فانهزم هو وجيشه إلى أن قدم واسط.

امتلاك عسكر فارس الأهواز وسار عسكر فارس إلى الأهواز فملكوها وخيموا بظاهرها.

* * *

سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة

الصلح بين السنة والشيعة ندب أبو محمد بن النسوي لضبط بغداد واجتمع

العامة من الشيعة والسنة على كلمة واحدة على أنه متى ولي ابن النسوي أحرقوا أسواقهم ونزحوا عن البلد، ووقع الصلح بين السنة والشيعة وصار أهل الكرخ إلى نهر القلايين فصلوا فيه وخرجوا كلهم إلى الزيارة بالمشاهد.

وصار أهل الكرخ يترحمون على الصحابة في الكرخ وهذا أمر لم يتفق مثله.

وقوع صاعقة بالحلة وفي ليلة الجمعة ثاني رمضان وقعت صاعقة بالحلة على خيمة لبعض العرب كان فيها رجلان فأحرقت نصف الخيمة ورأس أحد الرجلين وقدت نصف بدنه وبقي نصفه الآخر. وسقط الآخر مغشيًّا عليه ما أفاق إلا بعد يومين.

الرخص ببغداد ورخص السعر ببغداد حتى أبيع كر الحنطة بسبعة دنانير.

استيلاء ألب رسلان على فسا وفيها سار الملك ألب رسلان السلجوقي من مرو وقصد فارس في المفازة فلم يعلم أحد ولا عمه طغرلبك فوصل إلى فسا واستولى عليها وقتل من جندهم الديلم نحو ألف وطائفة من العامة ونهب وأسر وفتك وعاد إلى مرو مسرعًا.

* * *

سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة

تجدد الفتنة بين السنة والشيعة في صفر تجددت الفتنة بني الشيعة والسنة وزال الاتفاق الذي كان عام أول، وشرع أهل الكرخ في بناء باب السماكين وأهل القلايين في عمل ما بقي من بابهم،

وفرغ أهل الكرخ من بنيانهم وعملوا أبراجًا وكتبوا بالذهب: محمد علي خير البشر فمن رضي فقد شكر ومن أبى فقد كفر.

* * *

سنة أربع وأربعين وأربعمائة

عودة الفتن ببغداد في ذي القعدة عادت الفتن ببغداد وأحرقت جماعة دكاكين

وكتبوا أعني: أهل الكرخ - على مساجدهم: " محمد وعلى خير البشر " وأذنوا بحيي على خير العمل فتجمع أهل القلايين وحملوا حملة على أهل الكرخ فهرب النظارة وآزدحموا في مسلك ضيق فهلك من النساء نيف وثلاثون امرأة وستة رجال وصبيان وطرحت النار في الكرخ وعادوا في بناء الأبواب والقتال.

فلما كان في سادس ذي الحجة جرى بينهم قتال فجمع الطقطقي قومًا من الأعوان وكبس نهر طابق من الكرخ وقتل رجلين ونصب الرأسين على حائط مسجد القلايين.

* * *

سنة خمس وأربعين وأربعمائة

إحراق الكرخ فيها أحضر ابن النسوي فقويت يده فضرب وقتل وخرب ما كتبوا من محمد وعلي خير البشر وطرحت النار في الكرخ ليلاً ونهارًا.

وصول الغز إلى حلوان، ثم وردت الأخبار بأن الغز قد وصلوا إلى حلوان وأنهم على قصد العراق ففزع الناس.لعن الأشعري بنيسابور وفيها أعلن بنيسابور بلعن أبي الحسن الأشعري فضج من ذلك الشيخ أبو القاسم القشيري وصنف رسالة " شكاية السنة لما نالهم من المحنة ".

وكان قد رفع إلى السلطان طغرلبك شيء من مقالات الأشعري، فقال أصحاب الأشعري: هذا محال وليس هذا مذهبة. فقال السلطان: إنما نأمر بلعن الأشعري الذي قال هذه المقالة، فإن لم تدينوا بها ولم يقل الأشعري شيئًا منها فلا عليكم مما نقول.

* * *

سنة ست وأربعين وأربعمائة

شغب الأتراك على وزير السلطان فيها تفاوض الأتراك في الشكوى من وزير السلطان وعزموا على الشغب فبرزوا الخيم وركبوا بالسلاح وكثرت الأراجيف وغلقت الدروب ببغداد ولم يصل أحد جمعة إلا القليل في جامع القصر. ونقل الناس أموالهم فنودي في البلد: متى وجد الوزير عند أحد حل ماله ودمه. وركبت الأتراك فنهبوا دورا للنصارى وأخذوا أموالاً من البيعة

وأحرقوها.

ودافع العوام عن نفوسهم فراسل الخليفة الأتراك وأرضاهم.

* * *

سنة سبع وأربعين وأربعمائة

استيلاء أعوان الملك الرحيم على شيراز فيها استولى أعوان الملك الرحيم على شيراز بعد حصار طويل وبلاء شديد من القحط والوباء حتى قيل: لم يبق بها إلا نحو ألف إنسان فما أمهله الله في الملك بعدها.

ابتداء الدولة السلجوقية وفيها كان ابتداء الدولة السلجوقية بالعراق. وكان من قصة ذلك أن أبا المظفر أبا الحارث أرسلان التركي المعروف بالبساسيري كان قد عظم شأنه بالعراق واستفحل أمره وبعد صيته وعظمت هيبته في النفوس وخطب له على المنابر. وصار هو الكل ولم يبقى للملك الرحيم بن بويه معه إلا مجرد الاسم.

ثم إنه بلغ أمير المؤمنين القائم أن البساسيري قد عزم على نهب دار الخلافة والقبض على الخليفة، فكاتب الخليفة القائم السلطان طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق يستنجد به وبعده بالسلطنة ويحضه على القدوم، وكان طغرلبك بالري وكان قد استولى على الممالك الخراسانية وغيرها.

وكان البساسيري يومئذ بواسطة ومعه أصحابه ففارقه طائفة منهم ورجعوا إلى بغداد فوثبوا على دار البساسيري فنهبوها وأحرقوها، وذلك برأي رئيس الرؤساء وسعيه، ثم اتجه عند القائم بأنه يكاتب المصريين وكاتب الملك الرحيم يأمره بإبعاد البساسيري فأبعده،

وكانت هذه الحركة من أعظم الأسباب في استيلاء طغرلبك على العراق.

فقدم السلطان طغرلبك في شهر رمضان بجيوشه فذهب البساسيري من العراق وقصد الشام ووصل إلى الرحبة، وكاتب المستنصر بالله العبيدي الشيعي صاحب مصر واستولى على الرحبة للمستنصر بها فأمده المستنصر بالأموال.

وأما بغداد فخطب بها للسلطان طغرلبك بعد القائم، ثم ذكر بعده الملك

الرحيم وذلك بشفاعة القائم فيه إلى السلطان.

* * *

سنة ثمان وأربعين وأربعمائة

زواج القائم بأمر الله فيها تزوج الخليفة القائم بأمر الله بخديجة أخت السلطان طغرلبك.وقيل: خديجة بنت داود أخي طغرلبك.

وكان الصداق مائة ألف دينار محاصرة تكريت وفيها سار السلطان بالجيش وآلات الحصار والمجانيق قاصدًا الموصل فنازل تكريت وحاصرها.

الخطبة للعبيدي بالكوفة وواسط وفيها وقعت فتن كبار بالعراق وذلك بتأليب البساسيري ومكاتباته. وحاصل الأمر أن الكوفة وواسط وغيرهما خطب بها لصاحب مصر المستنصر بالله العبيدي وسرت الرافضة بذلك سرورًا زائدًا.

القحط والوباء بديار مصر.

* * *

سنة تسع وأربعين وأربعمائة

خلعة القائم بأمر الله على السلطان طغر لبك السلجوقي سبع خلع وسوره وطوقه وتوجهن وكتب له عهدا مطلقًا بما وراء بابه واستوسق ملكه ولم يبق له منازع بالعراق ولا بخراسان.

مخاطبة الخليفة بملك المشرق والمغرب وفيها سلم طغرلبك الموصل إلى أخيه إبراهيم ينال وعاد إلى بغداد فلم يكن جنده من النزول في دور الناس، ولما شافهه الخليفة بالسلطنة خاطبه بملك المشرق والمغرب.

ومن جملة تقدمته للخليفة خمسون ألف دينار وخمسون مملوكًا من الترك الخاص بخيلهم وسلاحهم وعدتهم إلى غير ذلك من النفائس.

* * *

سنة خمسين وأربعمائة

خلع القائم بأمر الله والخطبة للمستنصر بالعراق فيها خطب للمستنصر بالله العبيدي على منابر العراق وخلع القائم بأمر الله.

وكان من قصة ذلك أن السلطان طغرلبك اشتغل بحصار تلك النواحي ونازل الموصل، ثم توجه إلى نصيبين لفتح الجزيرة وتمهيدها، وراسل البساسيري إبراهيم ينال أخا السلطان يعره ويمنيه ويطمعه في الملك، فأصغى إليه وخالف أخاه وساق في طائفة من العسكر إلى الري، فانزعج السلطان وسار وراءه وترك بعض العسكر بديار بكر مع زوجته ووزيره عميد الملك الكندري وربيبه أنوشروان، فتفرقت العساكر وعادت زوجته الخاتون بالعسكر إلى بغداد.

وأما السلطان فالتقى هو وأخوه فظهر عليه أخوه فدخل السلطان همدان فنازله أخوه وحاصره، فعزمت على إنجاد زوجها واختبطت بغداد واستفحل البلاء وقامت الفتنة على ساق، وتم للبساسيري ما دبر من المكر، وأرجف الناس بمجيء البساسيري إلى بغدد ونفر الوزير الكندري وأنوشروان إلى الجانب الغربي وقطعا الجسر ونهبت الغز دار الخاتون، وأكل القوي الضعيف وجرت أمور هائلة.

* * *

سنة إحدى وخمسين وأربعمائة

على سبيل الاختصارهرب آل البساسيريفيها عود الخليفة القائم بأمر الله إلى دار الخلافة وقتله البساسيري، وذلك أن السلطان طغرلبك رجع إلى العراق فهرب آل البساسيري وحشمه وانهزم أهل الكرخ بأهاليهم على الصعب والذلول. ونهبت بنو شيبان الناس وقتل طائفة.

وكانت عدة أيام البساسيري سنة كاملة، فثار أهل باب البصرة فنهبوا الكرخ وأحرقوا درب الزعفراني وكان من أحسن الدروب.

* * *

سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة

وقعة الفنيدق

حاصر محمود بن شبل الدولة الكلابي حلب ثم رحل عنها، ثم حاصرها فافتتح البلد عنوة وامتنعت القلعة، وأرسل من بها إلى المستنصر بالله فندب للكشف عنها ناصر الدولة أبا علي الحسين بن حمدان، فسار بعسكر من دمشق فنزح عن حلب محمود ودخلها ابن حمدان بعسكره فنهبوها، ثم التقى الفريقان بظاهر حلب فانهزم ابن حمدان وتملك محمود حلب ثانيًّا واستقام أمره وقتل عمه معز الدولة وتعرف بوقعة الفنيدق.

* * *

سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة

وزارة ابن دارست

فيها ولي الوزارة للقائم بأمر أبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست.

تقليد الزينبي نقابة النقباء

وفيها ولي شمس الدين أسامة نقابة العلويين ببغداد ولقب المرتضى.

* * *

وفاة أمير مكة

وفيها توفي شكر الحسيني أمير مكة.

* * *

سنة أربع وخمسين وأربعمائة

زواج بنت الخليفة بطغرلبك

فيها زوج الخليفة بنته بطغرلبك بعد أن دافع بكل ممكنه وانزعج واستعفى ثم؛ لأن لذلك برغم منه وهذا أمر لم ينله أحد من ملوك بني بويه مع قهرهم للخلفاء وتحكمهم فيهم.

* * *

سنة خمس وخمسين وأربعمائة

دخول السلطان بغداد

فيها قدم السلطان بغداد ومعه من الأمراء أبو علي بن الملك أبي كاليجار البويهي وسرحاب بن بدر فنزل جيشه بالجانب الغربي، وأخرجوا الناس من الدور وفسقوا ودخل جماعة منهم حمامًا للنساء فأخذوا ما استحسنوا من النساء؛ وخرج من بقي إلى الطريق عراة فخلصهن الناس من أيديهم. فعلوا هذا بحمامين.

وأعاد السلطان ما كان أطلقه رئيس العراقين من المواريث والمكوس.

وعقد ضمان بغداد على أبي سعد والعابني بمائة وخمسين ألف دينار.

* * *

سنة ست وخمسين وأربعمائة

قتل الوزير عميد الدولة

فيها قبض السلطان ألب أرسلان على الوزير عميد الدولة، ثم قتله بعد قليل.

* * *

وزارة نظام الملك

وتفرد بوزارته نظام الملك فأبطل ما كان عمله عميد الملك من سب الأشعرية وانتصر للشافعية، وأكرم إمام الحرمين وأبا القاسم القشيري.

* * *

تملك ألب هراة وغيرها

وفيها تملك السلطان ألب أرسلان هراة وصغانيان وختلان، فأما هراة فكان بها عمه بيغو بن ميكايل فأخذها منه بعد حصار شديد وأحسن إليه واحترمه ولم يؤذه، وأما ختلان فإن ملكها قتل بسهم في الحصار، وأما صغانيان فافتتحها عنوة وقتل صاحبها.

* * *

سنة سبع وخمسين وأربعمائة

الوقعة بأفريقية بين تميم بن المعز والناصر بن علناس

فيها كان بأفريقية هيج عظيم وحروب فكانت وقعة مهولة بين تميم بن المعز وبين قرابته الناصر بن علناس بن حماد ملك قلعة حماد وانتصر فيها تميم؛ وقتل من زناتة وصنهاجة أربعة وعشرون ألفًا ونجا الناصر في نفر يسير.

وكان مع تميم خلق من العرب فغنموا شيئًا كثيرًا واستغنوا وكثرت أسلحتهم ودوابهم.

* * *

بناء مدينة بجاية

فيها شرع الناصر بن علناس في بناء مدينة بجاية الناصرية، وكان مكانها مرعى للدواب والمواشي.

* * *

سنة ثمان وخمسين وأربعمائة

سلطنة ملكشاه

وفيها سلطن ألب أرسلان ولده ملكشاه وجعله ولي عهده وحمل بين يديه الغاشية وخطب له معه في سائر البلاد.

* * *

سنة تسع وخمسين وأربعمائة

التدريس في النظامية

في ذي القعدة فرغت المدرسة النظامية وقرر لتدريسها الشيخ أبو إسحاق فاجتمع الناس فلم يحضر وسببه أنه لقيه صبي فقال: كيف تدرس في مكان مغصوب فتشكك واختفى فلما أيسوا من حضوره درس ابن الصباغ مصنف

" الشامل ". فلما بلغ نظام الملك الخبر أقام القيامة على العميد أبي سعد، فلم يزل أبو سعد يرفق بالشيخ أبي إسحاق حتى درس فكانت مدة تدريسه أي: ابن الصباغ عشرين يوما.

* * *

سنة ستين وأربعمائة

الزلزلة الهائلة بالرملة

فيها كانت بالرملة الزلزلة الهائلة التي خربتها حتى طلع الماء من رؤوس الآبار وهلك من أهلها كما نقل ابن الأثير خمسة وعشرون ألفًا.

وقال أبو يعلى بن القلانسي: كان في مكتب الرملة نحو من مائتي صبي فسقط عليهم فما سأل أحد عنهم لموت أهليهم.

* * *

أحداث إحدى وستين وأربعمائة

حريق جامع دمشق في نصف شعبان حريق جامع دمشق.

قال ابن الأثير: كان سبب احتراقه حرب وقع بين المغاربة والمشارقة يعني الدولة فضربوا دارًا مجاورة للجامع بالنار فاحترقت واتصل الحريق إلى الجامع. وكانت العامة تعين المغاربة فتركوا القتال واشتغلوا بإطفاء النار فعظم الأمر واشتد الخطب وأتى الحريق على الجامع فدثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة وتشوه منظره واحترقت سقوفه المذهبة.

تغلب حصن الدولة على دمشق وفيها وصل حصن الدولة معلى بن حيدرة الكتامي إلى دمشق وغلب عليها قهرا من غير تقليد بل بحيل نمقها واختلقها، وذكر أن التقليد بعد ذلك وافاه فصادر أهلها وبالغ وعاث وزاد في الجور إلى أن خربت أعمال دمشق وجلا أهلها عنها وتركوا أملاكهم وأوطانهم إلى أن أوقع الله بين العسكرية الشحناء والبغضاء فخاف على نفسه فهرب إلى جهة بانياس سنة سبع وستين فأقام بها وعمر الحمام وغيره بها، وأقام إلى سنة اثنتين وسبعين بها فنزح منها إلى صور خوفا من عسكر المصريين.

ثم سار من صور إلى طرابلس فأقام عند زوج أخته جلال الملك بن عمار مدة. ثم أخذ منها إلى مصر وأهلك سنة ٤٨١، ولله الحمد.

وصول الروم إلى الثغور وفيها أقبلت الروم من القسطنطينية ووصلت إلى الثغور.

* * *

أحداث اثنتين وستين وأربعمائة

نزول ملك الروم على منبج أقبل صاحب القسطنطينية - لعنه الله - في عسكر كبير إلى أن نزل على منبج فاستباحها قتلا وأسرا وهرب من بين يديه عسكر قنسرين والعرب ورجع الملعون لشدة الغلاء على جيشه حتى أبيع فيهم رطل الخبز بدينار.

محاصرة أمير الجيوش صور وفيها سار بدر أمير الجيوش، فحاصر صور وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل فسار لنجدته من دمشق الأمير قرلوا في ستة آلاف فحصر صيداء وهي لأمير الجيوش فترحل بدر فرد العسكر النجدة.

ثم عاد بدر فحاصر صور برًا وبحرًا سنة فلم يقدر عليها فرحل عنها.

إعادة الخطبة للعباسيين بمكة وفيها ورد رسول أمير مكة محمد بن أبي هاشم وولد أمير مكة على السلطان ألب أرسلان بأنه أقام الخطبة العباسية وقطع خطبة المستنصر المصري وترك الأذان بحي على خير العمل فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعا وقال: إذا فعل مهنا أمير المدينة كذلك أعطيناه عشرين ألف دينار.

أحداث ثلاث وستين وأربعمائة

الخطبة في حلب للخليفة القائم.

فيها خطب محمود بن شبل الدولة بن صالح الكلابي صاحب حلب بها للخليفة القائم وللسلطان ألب أرسلان عندما رأى من قوة دولتهما وإدبار دولة

المستنصر فقال للحلبيين: هذه دولة عظيمة نحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دماءكم لأجل مذهبكم يعني: التشيع. فأجابوا ولبس المؤذنون السواد. فأخذت العامة حصر الجامع وقالوا: هذه حصر الإمام علي فليأت أبو بكر بحصر يصلي عليها الناس، فبعث الخليفة القائم له الخلع مع طراد الزينبي نقيب النقباء.

* * *

أحداث أربع وستين وأربعمائة

فتح نظام الملك حصن فضلون فيها سار نظام الملك الوزير إلى بلاد فارس فافتتح حصن فضلون، وكان يضرب المثل بحصانته وأسر فضلون صاحبه فأطلقه السلطان.

الوباء في الغنم وفيها كان الوباء في الغنم حتى قيل: إن راعيًّا بطرف خراسان كان معه خمسمائة شاة ماتوا في يوم.

وفاة قاضي طرابلس ابن عمار ومات قاضي طرابلس أبو طالب بن عمار الذي كان قد استولى عليها توفي في رجب.

* * *

أحداث خمس وستين وأربعمائة

مقتل ألب أرسلان فيها قتل السلطان ألب أرسلان وقام في الملك ولده ملكشاه.

إنتقال السلطنة إلى نظام الملك فسار أخو السلطان قاروت بك صاحب كرمان بجيوشه يريد الإستيلاء على السلطنة فسبقه إلى الري السلطان ملكشاه ونظام الملك فالتقوا بناحية همذان في رابع شعبان فانتصر ملكشاه وأسر عمه قاروت فأمر بخنقه بوتر فخنق وأقر مملكته على أولاده. ورد الأمور في ممالكه إلى نظام الملك وأقطعه أقطاعا عظيمة من جملتها مدينة طوس ولقبه " الأتابك " ومعناه الأمير الوالد. وظهرت شجاعته وكفايته وحسن سيرته.

الفتنة بين جيش المستنصر.

* * *

أحداث ست وستين وأربعمائة

الغرق العظيم ببغداد فيها كان الغرق العظيم ببغداد فغرق الجانب الشرقي وبعض الغربي وهلك خلق كبير تحت الهدم، وقام الخليفة يتضرع إلى الله ويصلي.

واشتد الأمر وأقيمت الجمعة في الطيار على ظهر الماء مرتين ودخل الماء في هذه النوبة من شبابيك المارستان العضدي. وارتفعت دجلة أكثر من عشرين ذراعًا وبعض المحال غرقت بالكلية وبقيت كأن لم تكن، وهلكت الأموال والأنفس والدواب، وكان الماء كأمثال الجبال.

وغرقت الأعراب والتركمان وأهل القرى، وكان من له فرس يركبه ويسوق إلى التلول العالية. وقيل: إن الماء ارتفع ثلاثين ذراعًا. ولم يبلغ مثل هذه المرة أبدًا.

وركب الناس في السفن وقد ذهبت أموالهم وغرقت أقاربهم واستولى الهلاك على أكثر الجانب الشرقي.

* * *

أحداث سبع وستين وأربعمائة

دخول بدر الجمالي مصر وتمهيدها قال ابن الأثير: قد ذكرنا في سنة خمس ما كان من تغلب الأتراك وبني حمدان على مصر وعجز صاحبها المستنصر عن منعهم وما وصل إليه من الشدة العظيمة والفقر المدقع وقتل ابن حمدان. فلما رأى المستنصر أن الأمور لا تنصلح ولا تزداد إلا فسادا أرسل إلى بدر الجمالي وكان بساحل الشام فطلبه ليوليه الأمور بحضرته فأعاد الجواب: إن الجند قد فسدوا ولا يمكن إصلاحهم فإن أذنت أن أستصحب معي جندًا حضرت وأصلحت الأمور. فأذن له أن يفعل ما أراد. فاستخدم عسكرا يثق بهم وبنجدتهم وسار في هذا العام من عكا في البحر زمن الشتاء وخاطر؛ لأنه أراد أن يهجم مصر بغتة.

وكان هذا الأمر بينه وبين المستنصر سرا فركب البحر في كانون الأول

وفتح الله له بالسلامة ودخل مصر فولاه المستنصر جميع الأمر ولقبه " أمير الجيوش " فلما كان الليل بعث من أصحابه عدة طوائف إلى أمراء مصر فبعث إلى كل أمير طائفة ليقتلوه ويأتوه برأسه ففعلوا، فلم يصبحوا إلا وقد فرغ من أمراء مصر ونقل جميع حواصلهم وأموالهم إلى قصر المستنصر وسار إلى دمياط وكان قد تغلب عليها طائفة فظفر بهم وقتلهم وشيد أمرها.

وسار إلى الإسكندرية فحاصرها ودخلها عنوة وقتل طائفة ممن استولى عليها.

وسار إلى الصعيد فهذبه. وقتل به في ثلاثة أيام اثني عشر ألف رجل، وأخذ عشرين ألف امرأة وخمسة عشر ألف فرس وبيعت المرأة بدينار والفرس بدينار ونصف.

فتجمعوا بالصعيد لحربه وكانوا عشرين ألف فارس وأربعين ألف راجل فساق إليهم فكبسهم وهم على غرة في نصف الليل فأمر النفاطين فأضرموا النيران وضربت الطبول والبوقات فارتاعوا وقاموا لا يعقلون، وألقيت النار في دجلة هناك وامتلأت الدنيا نارا وبلغت السماء فولوا منهزمين وقتل منهم خلق وغرق خلق وسلم البعض. وغنمت أموالهم ودوابهم.

ثم عمل بالصعيد مصافا آخر ونصر عليهم وأحسن إلى الرعية وأقام المزارعين فزرعوا البلاد وأطلق لهم الخراج ثلاث سنين فعمرت البلاد وعادت وذلك بعد الخراب إلى أحسن ما كانت عليه.

* * *

أحداث ثمان وستين وأربعمائة

استرجاع منبج من الروم فيها أخذ صاحب حلب نصر بن محمود مدينة منبج من الروم.

محاصرة أتسز دمشق وفيها حصر أتسز مدينة دمشق وأميرها المعلى بن

حيدرة من جهة المستنصر فلم يقدر عليها فترحل.

هرب المعلى من دمشق وقتله وفي ذي الحجة هرب المعلى بن حيدرة منها وكان ظلومًا غشومًا للجند والرعية فثاروا عليه فهرب إلى بانياس فأخذ إلى مصر وحبس إلى أن مات.

ولاية المصمودي دمشق فلما هرب اجتمعت المصامدة وهم أكثر جند البلد يومئذ فولوا على البلد رزين الدولة انتصار بن يحيى المصمودي. والمصامدة قبيلة من المغاربة.

* * *

أحداث تسع وستين وأربعمائة

إنهزام أتسز عن مصر فيها سار أتسز بجيوشه الشامية وقصد مصر وحاصرها ولم يبق إلا أن يملكها فاجتمع أهلها عند ابن الجوهري الواعظ ودعوا وتضرعوا فترحل عنهم شبه المنهزم من غير سبب.دخول أتسز دمشق.

وعصى عليه أهل القدس فقاتلهم ودخل البلد عنوة فقتل وعمل كل نحس وقتل بها ثلاثة آلاف نفس وذبح القاضي والشهود صبرا بين يديه.

وقيل: إنه إنما جاء من مصر منهزما في أنحس حال بعد مصاف كان بينه وبين بدر الدين الجمالي وهذا أشبه.

* * *

سنة سبعين وأربعمائة

الصلح بين ابن باديس وابن علناس فيها اصطلح تميم بن المعز بن باديس صاحب أفريقية مع الناصر بن علناس صاحب قلعة حماد بعد حروب وفصول تطول. وزوجه تميم بابنته فبعث الصداق ثلاثين ألف دينار فأخذ منها تميم دينارًا واحدا ورد الباقي وبعث معها جهازًا عظيمًا.

الفتنة ببغداد وفيها كانت ببغداد فتنة هائلة بسبب الاعتقاد ونهب بعضهم بعضًا فركب الجند وقتلوا جماعة فسكنوا على حنق وتشفت الرافضة بهم.

نزول ناصر الدولة الجيوشي على دمشق وفيها نزل المصريون مع ناصر

الدولة الجيوشي على دمشق، فأقام عليها مديدة ثم ترحل عنها.

نزول تتش على حلب وفيها نزل تاج الدولة تتش على حلب محاصرًا لها، ثم رحل عنها.

منازلة دمشق ثانية ثم جاء جيش مصر فنازلوا دمشق ثانيًّا.

* * *

أحداث إحدى وسبعين وأربعمائة

عزل ابن جهير من الوزارة

فيها عزل فخر الدولة بن جهير من وزارة المقتدي بالله بأبي شجاع بن الحسين لكونه شذ من الحنابلة.

* * *

أحداث اثنتين وسبعين وأربعمائة

أخذ مسلم بن قريش حلب

كتب شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي صاحب الموصل إلى السلطان جلالا الدولة ملكشاه ابن السلطان عضد الدولة ألب أرسلان السلجوقي يطلب منه أن يسلم إليه حلب على أن يحمل إليه في العام ثلاثمائة ألف دينار. فأجابه إلى ذلك وكتب له توقيعًا بها. فسار إليها وبها سابق آخر ملوك بني مرداس، فأعطاه مسلم بن قريش إقطاعًا بعشرين ألف دينار على أن يخرج من البلد فأجاب، فوثب عليه أخواه فقتلاه واستوليا على القلعة فحاصرهما مسلم، ثم أخذها صلحا.

* * *

أحداث ثلاث وسبعين وأربعمائة

الخلاف بين السلطان ملكشاه وأخيه

فيها عرض السلطان ملكشاه جيشه بالري، فأسقط منهم سبعة آلاف لم يرض حالهم. فساروا إلى أخيه تكش فقوي بهم وأظهر العصيان واستولى على مرو

وترمذ وسار إلى نيسابور؛ فسبقه إليها السلطان فرد وتحصن بترمذ، ثم نزل إليه فعفا عنه.

* * *

أحداث أربع وسبعين وأربعمائة

خطبة الخليفة المقتدي بنت السلطان

فيها بعث الخليفة المقتدي بالله الوزير أبا نصر بن جهير يخطب ابنة السلطان. فأجابوا: على أن لا يتسرى عليها ولا يبيت إلا عندها.

* * *

أحداث سبع وسبعين وأربعمائة

الحرب بين العرب والتركمان عند آمد

فيها بعث السلطان جيشا عليهم الأمير أرتق بن اكسب نجدة لفخر الدولة بن جهير، وكان ابن مروان قد مضى إلى مشرف الدولة صاحب الموصل واستنجد به على أن يسلم إليه آمد وحلف له على ذلك وكانت بينهما إحن قديمة فاتفقا على حرب ابن جهير وسارا فمال ابن جهير إلى الصلح وعلمت التركمان نيته فساروا في الليل وأتوا العرب فأحاطوا بهم والتحم القتال فانهزمت العرب وأسرت أمراء بني عقيل وغنمت التركمان لهم شيئًا كثيرًا.

واستظهر ابن جهير وحاصر شرف الدولة فراسل شرف الدولة أرتق وبذل له مالاً وسأله أن يمن عليه ويمكنه من الخروج من آمد، فأذن له فساق على حمية وقصد الرقة وبعث بالمال إلى أرتق. وسافر فخر الدولة إلى خلاط.

وبلغ السلطان أن شرف الدولة قد انهزم وحصر بآمد فجهز عميد الدولة بن جهير في جيش مدادا لأبيه فقدم الموصل وفي خدمته من الأمراء: قسيم الدولة آقسقر جد السلطان نور الدين - رحمه الله - والأمير أرتق وفتح له أهل الموصل البلد فتسلمه.

* * *

استرجاع أنطاكية من الروم

وفيها سار سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب قونية وأقصرا بجيوشه إلى الشام فأخذ أنطاكية وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وسبب أخذها أن صاحبها كان قد سار عنها إلى بلاد الروم ورتب بها شحنة. وكان مسيئًا إلى أهلها وإلى جنده حتى أنه حبس ابنه. فاتفق ابنه والشحنة على تسليم البلد إلى سليمان، فكاتبوه يستدعونه فركب في البحر في ثلاثمائة فارس وجمع من الرجالة وطلع من المراكب وسار في جبال وعرة ومضائق صعبة حتى وصل إليها بغتة ونصب السلالم ودخلها في شعبان. وقاتلوه قتالاً ضعيفًا وقتل جماعة وعفا عن الرعية وعدل فيهم وأخذ منها أموالاً لا تحصى، ثم أرسل إلى السلطان ملكشاه يبشره فأظهر السلطان السرور وهنأه الناس.

* * *

أحداث ثمان وسبعين وأربعمائة

استيلاء الأدفونش على طليطلة.

* * *

أحداث سبع وسبعين وأربعمائة

الحرب بين العرب والتركمان عند آمد

فيها بعث السلطان جيشًا عليهم الأمير أرتق بن اكسب نجدة لفخر الدولة بن جهير، وكان ابن مروان قد مضى إلى مشرف الدولة صاحب الموصل واستنجد به على أن يسلم إليه آمد وحلف له على ذلك وكانت بينهما إحن قديمة فاتفقا على حرب ابن جهير وسارا فمال ابن جهير إلى الصلح وعلمت التركمان نيته فساروا في الليل وأتوا العرب فأحاطوا بهم والتحم القتال فانهزمت العرب وأسرت أمراء بني عقيل وغنمت التركمان لهم شيئًا كثيرًا.

واستظهر ابن جهير وحاصر شرف الدولة فراسل شرف الدولة أرتق وبذل له مالاً وسأله أن يمن عليه ويمكنه من الخروج من آمد، فأذن له فساق على

حمية وقصد الرقة وبعث بالمال إلى أرتق، وسافر فخر الدولة إلى خلاط.

وبلغ السلطان أن شرف الدولة قد انهزم وحصر بآمد فجهز عميد الدولة بن جهير في جيش مدادا لأبيه فقدم الموصل وفي خدمته من الأمراء: قسيم الدولة آقسقر جد السلطان نور الدين - رحمه الله - والأمير أرتق وفتح له أهل الموصل البلد فتسلمه.

* * *

أحداث ثمان وسبعين وأربعمائة

استيلاء الأدفونش على طليطلة

كان قد جمع الأدفونش - لعنه الله - جيوشه وسار، فنزل على مدينة طليطلة من بلاد الأندلس في السنين الماضية فحاصرها سبع سنين وأخذها في العام من صاحبها القادر بالله ولد المأمون يحيى بن ذي النون فازداد قوة وطغى وتجبر.

* * *

موقعة الملثمين بالأندلس

وكان ملوك الأندلس حتى المعتمد صاحب قرطبة وإشبيلية يحمل إليه قطيعة كل عام، فاستعان المعتمد بن عباد على حربه بالملثمين من البربر فدخلوا إلى الأندلس، فكانت بينهم وقعة مشهورة ولكن أساء يوسف بن تاشفين ملك الملثمين إلى ابن عباد وعمل عليه وأخذ منه البلاد وسجنه بأغمات إلى أن مات.

* * *

أحداث تسع وسبعين وأربعمائة

خبر وقعة الزلاقة بالأندلس

وهو أن الأدفونش - لعنه الله - تمكن وتمرد وجمع الجيوش فأخذ طليطلة

فاستعان المسلمون بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب سبتة ومراكش، فبادر وعدى بجيوشه واجتمع بالمعتمد بن عباد بإشبيلية وتهيأ عسكرها وعسكر قرطبة وأقبلت المطوعة من النواحي.

وسار جيش الإسلام حتى أتوا الزلاقة من عمل بطليوس، وأقبلت الفرنج وتراءى الجمعان فوقع الأدفونش على ابن عباد قبل أن يتواصل جيش ابن تاشفين، فثبت ابن عباد وأبلى بلاء حسنًا وأشرف المسلمون على الهزيمة فجاء ابن تاشفين عرضًا فوقع على خيام الفرنج فنهبها وقتل من بها فلم تتمالك النصارى لما رأت ذلك أن انهزمت فركب ابن عباد أقفيتهم ولقيهم ابن تاشفين من بين أيديهم ووضع فيهم السيف فلم ينج منهم إلا القليل. ونجا الأدفونش في طائفة، وجمع المسلمون من رؤوس الفرنج كومًا كبيرًا وأذنوا عليه، ثم أحرقوها لما جيفت.

وكانت الوقعة يوم الجمعة في أوائل رمضان وأصاب المعتمد بن عباد جراحات سليمة في وجهه، وكان العدو خمسين ألفًا فيقال: لم يصل منهم إلى بلادهم ثلاثمائة نفس، وهذه ملحمة لم يعهد مثلها، وحاز المسلمون غنيمة عظيمة.

* * *

استيلاء ابن تاشفين على غرناطة

وطابت الأندلس للملثمين فعمل ابن تاشفين على أخذها فشرع أولاً وقد سار في خدمته ملك غرناطة فقبض عليه وأخذ بلده واستولى على قصره بما حوى فيقال: إن في جملة ما أخذ أربعمائة حبة جوهر، فقومت كل واحدة بمائة دينار.

* * *

أحداث ثمانين وأربعمائة

عرس الخليفة المقتدي

في أولها عرس أمير المؤمنين على بنت السلطان ملكشاه عندما ذهب

السلطان للصيد، فنقل جهازها إلى دار الخليفة فيما نقل ابن الأثير على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج الرومي وعلى أربعة وسبعين بغلاً مجللة بألوان الديباج وأجراسها، وقلائدها الذهب فكان على ستة بغال اثنا عشر صندوقًا فيها الحلي والمصاغ وثلاثة وثلاثون فرسًا عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجوهر والحلي ومهد كبير كثير الذهب، وبين يدي الجهاز الأميران كوهرائين وبرسق، فأرسل الخليفة وزيره أبا شجاع إلى تركان خاتون وبين يديه ثلاثمائة مركبية ومثلها مشاعل، ولم يبق في الحريم دكان إلا وقد أشعل فيها الشمع.

وأرسل الخليفة محفة لم ير مثلها.

وقال الوزير لتركان: يقول أمير المؤمنين: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وقد أذن في نقل الوديعة إليه.

فأجابت وحضر نظام الملك فمن دونه وكل معهم الشمع والمشاعل، وكان نساء الأمراء بين أيديهن الشمع والمشاعل، ثم أقبلت الخاتون في محفة مجللة بألوان الذهب والجواهر الكوشي قد أحاط بالمحفة مائتا جارية من الأتراك بالمراكب العجيبة فسارت إلى دار الخلافة، وكانت ليلة مشهودة لم ير ببغداد مثلها، وعمل الخليفة من الغد سماطًا لأمراء السلطان يحكى أن فيه أربعين ألفًا منا من السكر وخلع عليهم، وجاءه منها ولد في ذي القعدة سماه جعفرًا.

وجاء السلطان في هذه السنة من تركان خاتون ولده محمود الذي ولي الملك.

* * *

أحداث إحدى وثمانين وأربعمائة

استيلاء الفرنج على مدينة زويلة

فيها استولت الفرنج على مدينة زويلة من بلاد أفريقية جاؤوا في البحر في أربعمائة قطعة فنهبوا وسبوا، ثم صالحهم تميم بن باديس وبذل لهم من خزانته ثلاثين ألف دينار فردوا جميع ما حووه.

* * *

أحداث ثلاث وثمانين وأربعمائة

تسلم المصريين صور وصيدا وعكا وجبيل

وفيها جاءت عساكر مصر وحاصروا صور وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة ابن أبي عقيل، ثم توفي ووليها أولاده فسلموها لضعفهم، وسارت العساكر إلى صيدًا فتسلموها، ثم ساروا إلى عكا فحاصروها وضيقوا على المسلمين فافتتحوها.

وملكوا مدينة جبيل ورتبوا نواب المستنصر بها ورجعوا إلى مصر منصورين ظافرين بعزم أمير الجيوش.

* * *

أحداث أربع وثمانين وأربعمائة

عزل أبي شجاع عن الوزارة

وفيا عزل عن الوزارة ببغداد أبو شجاع بعميد الدولة بن جهير، وأمر بلزوم داره فتمثل عن نفسه:

تولاها وليس له عدو ::: وفارقها وليس له صديق

* * *

سجن الصاحب بن عباد

وفيها استولى أمير المسلمين يوسف على بلاد الأندلس قرطبة، وإشبيلية وسجن ابن عباد وفعل في حقه ما لا ينبغي لملك، فإن الملوك إما أن يقتلوا وإما أن يسجنوا ويقرر لذلك المحبوس راتب يليق به وهذا لم يفعل ذلك بل استولى على جميع ممالكه وذخائره وسجنه بأغمات ولم يجر على أولاده ما يكفيهم، فكان بنات المعتمد بن عباد يغزلن بأيديهن وينفقن على أنفسهن فأبان أمير

المسلمين بهذا عن صغر نفس ولؤم طبع.

* * *

أحداث خمس وثمانين أوربعمائة

وقعة جيان بالأندلس

فيها وقعة جيان بالأندلس.

كانت بعد وقعة الزلاقة وتقاربها في الكبر، فإن الأذفونش جمع جموعًا عظيمة وقصد بلاد جيان فالتقاه المرابطون، فانهزم المسلمون وأشرف الناس على خطة صعبة، ثم أنزل الله النصر فثبتوا وهزموا الكفار ووضعوا السيف فيهم ونجا الأذفونش في نفر يسير. كتاب.

* * *

أحداث ست وثمانين وأربعمائة

وزارة عز الملك

استهلت وبركياروق منازل إصبهان فخرج إليه جماعة من أولاد نظام الملك فاستوزر عز الملك بن نظام الملك الذي كان متولي خوارزم.

* * *

استيلاء تاج الدولة تتش على الرحبة ونصيبين

وأما تاج الدولة تتش صاحب دمشق فلما علم بموت أخيه ملكشاه جمع الجيوش، وأنفق الأموال وسار يطلب السلطنة فمر بحلب وبها قسيم الدولة اقسنقر فصالحه وصار معه وأرسل إلى ياغي سيان صاحب أنطاكية، وإلى بوزان صاحب الرها وحران يشير عليهما بطاعة تتش فصاروا معه وخطبوا له في بلادهم وقصدوا الرحبة فملكوها في المحرم سنة ست،

ثم سار بهم وحاصر نصيبين فسبوه ونالوا منه فغضب وأخذها عنوة وقتل بها خلقا ونهبها، ثم سلمها إلى محمد بن شرف الدولة العقيلي وقصد الموصل.

* * *

أحداث سبع وثمانين وأربعمائة

الخطبة لبركياروق بالسلطنة

في أولها خطب للسلطان بركياروق ولقب " ركن الدولة " وعلم الخليفة على تقليده.

وفاة الخليفة المقتدي

ومات الخليفة المقتدي من الغد فجأة.

خلافة المستظهر

وبويع بالخلافة ولده المستظهر.

* * *

أحداث ثمان وثمانين وأربعمائة

قتل صاحب سمرقند

في المحرم قتل أحمد خان صاحب سمرقند، وكان قد كرهه جنده واتهموه بالزندقة؛ لأن السلطان ملكشاه لما تملك سمرقند وأسر أحمد خان وكل به جماعة من الديلم فحسنوا له الانحلال وأخرجوه إلى الإباحة، فلما عاد إلى سمرقند كان يظهر منه الانحلال وعصى طغرل ينال بقلعة له فسار لحصاره فتمكن الأمراء وقبضوا عليه ورجعوا به وأحضروا الفقهاء وأقاموا له خصوما ادعوا عليه بالزندقة، فأنكر فشهدوا عليه فأفتى العلماء بقتله فخنقوه وملكوا ابن عمه.

* * *

أحداث تسع وثمانين وأربعمائة

" تملك كربوقا الموصل " قد ذكرنا أن تتش سجنه فأطلقه رضوان بن تتش،

وأطلق أخاه التونتاش فالتف عليهما كثير من العسكر البطالين فأتيا حران وجاء إليهما محمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش يستنصر بهما على أخيه علي صاحب الموصل من جهة تتش فسار كربوقا، ثم غدر بمحمد وقبض عليه وغرقه ونازل الموصل على فرسخ منها ونزل أخوه ألتونتاش من الجهة الأخرى فجاء صاحب الجزيرة العمرية جكرمش ليكشف عنهم فهزمه ألتونتاش وطالت مصابرتهما لأهل الموصل حتى عدمت بها الأقوات وكل شيء حتى ما يوقدونه ودام الحصار تسعة أشهر ففارقها صاحبها وسار إلى الحلة إلى الأمير صدقة واستولى كربوقًا على الموصل وشرع ألتونتاش في مصادرة الناس فقتله أخوه وأحسن السيرة، ثم سار فملك الرحبة.

* * *

أحداث تسعين وأربعمائة

قتل الملك أرسلان أرغون

فيها قتل الملك أرسلان أرغون ابن السلطان ألب أرسلان السلجوقي بمرو وكان قد حكم على خراسان. وسبب قتله أنه كان مؤذيًّا لغلمانه جبارًا عليهم فوثب عليه غلام بسكين قتله.

وكان قد ملك مرو وبلخ ونيسابور وترمذ وأساء السيرة وخرب أسوار مدن خراسان وصادر وزيره عماد الملك بن نظام الملك وأخذ منه ثلاثمائة ألف دينار، ثم قتله.

* * *

سنة إحدى وتسعين وأربعمائة

ابتداء دولة الإفرنج.

قال ابن الأثير: ابتداء دولة الإفرنج - لعنهم الله - في سنة ثمان وسبعين فملكوا طليطلة وغيرها من الأندلس، ثم قصدوا صقلية في سنة أربع وثمانون فملكوها وأخذوا بعض أطراف أفريقية.

بدء حملات الإفرنج إلى بلاد الشام وخرجوا في سنة تسعين إلى بلاد الشام

فجمع ملكهم بردويل جمعًا كثيرًا وبعث إلى الملك رجار صاحب صقلية يقول: أنا واصل إليك وسائر من عندك إلى الإفريقية أفتحها وأكون مجاورا لك فاستشار رجار أكابر دولته فقالوا: هذا جيد لنا وله وتصبح البلاد بلاد النصرانية فضرط ضرطة وقال: وحق ديني هذا خير من كلامهم. قالوا: ولم ذلك قال: إذا وصل احتاج إلى كلفة كبيرة ومراكب وعساكر من عندي، فإن فتحوا أفريقية كانت له ويأخذون أكثر مغل بلادي، وإن لم يفتحوا رجعوا إلى بلادي وتأذيت.

ويقول تميم يعني: ابن بادرس: غدرت ونقضت العهد ونحن إن وجدنا قوة أخذنا أفريقية، ثم أحضر الرسول إذا عزمتم على حرب المسلمين فالأفضل فتح بيت المقدس تخلصونه من أيديهم ويكون لكم الفخر، وأما أفريقية فبيني وبين صاحبها عهود وأيمان، فتركوه وقصدوا الشام. وقيل: إن صاحب مصر لما رأى قوة السلجوقية واستيلائهم على الشام ودخول اتسز إلى القاهرة وحصارها كاتب إفرنج يدعوهم إلى المجيء إلى الشام ليملكوه، عبور الإفرنج خليج القسطنطينية إلى إنطاكية وقيل: إنهم عبروا خليج القسطنطينية وقدموا إلى بلاد قليج أرسلان بن سلمان بن قتلمش السلجوقي فالتقاهم فهزموه في رجب سنة تسعين، واجتازوا ببلاد ليون الأرمني فسلكوها، وخرجوا إلى إنطاكية فحاصروها فخاف ياغي سيان من النصاري الذين هم رعيته فأخرج المسلمين خاصة لعمل الخندق أيضًا فعملوا فيه إلى العصر ومنعهم من الدخول وأغلق الأبواب وأمن غائلة النصارى، وحاضرته الإفرنج تسعة أشهر وهلك أكثر الإفرنج قتلاً وموتًا بالوباء وظهر من شجاعة ياغي سيان وحزمه ورأيه ما لم يشاهد من غيره وحفظ بيوت رعية النصارى بما فيها، ثم إن الإفرنج راسلوا الزراد أحد المقدمين وكان متسلمًا برجًا من الوادي فبذلوا له مالا فعامد إلى المسلمين يطلعوا إلى أن تكاملوا خمسمائة فضربوا البوق وقت السحر ففتح ياغي سيان الباب وهرب في ثلاثين فارسًا ثم هرب نائبه في جماعة.

إستباحة الإفرنج إنطاكية واستبيحت إنطاكية فأنا لله وأنا إليه راجعون وذلك في جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين، وأسقط في يد يغيسيان صاحبها وأكل يديه ندمًا حيث لم يعد ويقاتل عن حرمة حتى يقتل، فلشدة ما لحقه سقط مغشيًا عليه وأراد أصحابه أن يركبوه فلم يكن فيه حيل يتماسك به بل قد خارت قوته

فتركوه ونجوا. فاجتاز به أرمني حطاب فرآه بآخر رمق فقطع رأسه وحمله إلى الإفرنج.

* * *

سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة

مقتل أنر عامل بركياروق: لما سار السلطان بركياروق إلى خراسان استعمل أنر على فارس وبلادها، وكان قد تغلب عليها خوارج الأعراب وآغتضدوا بصاحب كرمان ابن قاروت فالتقاهم أنر فهزموه وجاء مفلولاً، ثم ولي إمارة العراق يعني: قبل بركياروق فأخذ يكاتب الأمراء المجاورين له وعسكر بإصبهان، ثم سار إلى إقطاعه بأذربيجان وقد عاد وانتشرت دعوة الباطنية بأصبهان فانتدب لقتالهم وحاصر قلعة لهم بأرض إصبهان، واتصل به مؤيد الملك ابن نظام الملك وجرت له الأمور، ثم كاتب غياث الدين محمد بن ملكشاه وهوذا ذاك بكنجة ثم سار إلى الري في نحوعشر الآف وهم بالخروج على بركياروق فوثب عليه ثلاثة فقتلوه في رمضان بعد الإفطار، فوقعت الصيحة ونهبت خزائنه تفرق جمعه ثم نقل إلى إصبهان فدفن في داره.

استيلاء الإفرنج على بيت المقدس وفيها أحدق الإفرنج ببيت المقدس، لما كسرت الإفرنج خذلهم الله المسلمين على إنطاكية في العام الماضي قووا وطغوا وكان تاج الدولة تتش قد استولى على فلسطين وغيرها وانتزع البلاد من نواب بني عبيد فاقطع الأمير سقمان بن أرتق التركي بيت المقدس فرتبه وحصنه فسار الأفضل بن بدر أمير الجيوش فحاصر الأمير سقمان وأخاه إيلغازي ونصبوا على القدس نيفًا وأربعين منجنيقا فهدموا في سوره، ودام الحصار نيفًا وأربعين يومًا وأخذوه بالأمان في شعبان سنة تسع وثمانين، وأنعم الأفضل على سقمان وأخيه وأجزل لهم الصلات، فسار سقمان واستولى على الرها وذهب أخوه إلى العراق. وولي على القدس افتخار الدولة فدام فيه إلى هذا الوقت، وسارت الجيوش النصرانية من حمص ونازلت عكا أيامًا، ثم ترحلوا وأتوا القدس فحاصروه شهرًا ونصف ودخلوا من الجانب الشمالي ضحوة نهار الجمعة لسبع بقين من شعبان واستباحوه فأنا لله وأنا إليه راجعون، واحتمى جماعة ببرج داود ونزلوا بعد ثلاث بالأمان وذهبوا إلى عسقلان.

* * *

سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة

دخول عسكر بركياروق الحلة لما سار بركياروق إلى خوزستان دخلها بجميع من معه وهم في حال سيئة، ثم سار عسكره إلى واسط فظلموا الناس ونهبوا البلاد وسار إلى خدمته الأمير صدقة بن مزيد صاحب الحلة.

إعادة الخطبة لبركياروق ببغداد، ثم سار ودخل بغداد في سابع عشر من صفر وأعيدت خطبته وتراجع إليه بعض الأمراء ولم يؤآخذ كواهرئين وخلع عليه وقبض على وزير بغداد عميد الدولة ابن جهير والتزم بحمل مائة وستين ألف دينار.

هزيمة بركياروق أمام أخيه محمد، ثم سار بالعساكر إلى شهرزور وانضم إليه عسكر لجب فالتقى الأخوان، فكان محمد في عشرين ألفًا وكان على ميمنته أمير آخر وعلى مسيرته مؤيد الملك والنظامية، وكان على ميمنة بركياروق كوهرائين والأمير صدقة وعلى مسيرته كبر بوقًا صاحب الموصل فهزم كوهرائين ميسرة محمد وهزم أمير آخر بميسرة محمد ميمنة بركياروق فعاد كوهرائين فكبا به الفرس فأتاه فارس فقتله وانهزمت عساكر بركيائروق وذل وبقي في خمسين فارسًا، وأسر وزيره الجديد الأعز أبوالمحاسن فبالغ مؤيد الملك وزير محمد في احترامه وكفله عمادة بغداد وإعادة الخطبة لمحمد فساق إلى بغداد وخطب لمحمد ثاني مرة في نصف رجب.

* * *

سنة أربعة وتسعين وأربعمائة

هزيمة السلطان محمد وذبح وزيره مؤيد الملك.

في وسطها كان مصاف كبير بين السلطانين: محمد وبركياروق، كان مع بركياروق خمسون ألفًا فانهزم محمد وأسر وزيره مؤيد الملك فذبحه بركياروق بيده،

وكان بخيلاً سيء الخلق مذموم السيرة إلا أنه كان من دهاة العالم عاش خمسين سنة.

دخول بركياروق الري ودخل بركياروق الري وسجد لله وجاء إلى خدمته صاحب الموصل كبربوقا ونور الدولة دبيس ولد صدقة.

تحالف السلطان محمد وأخيه سنجر وانهزم محمد إلى خراسان فأقام بجرجان وراسل أخاه لأبويه الملك سنجار يطلب منه مالاً وكسوة فسير إليه ما طلب، ثم تحالفًا وتعاهدًا واتفقًا، ولم يكن بقي مع محمد غير ثلاثمائة فارس فقدم إليه أخيه سنجر وانضم إليهما عسكر كثير وتضرر بالعسكر أهل خراسان.

تراجع بركياروق إلى همذان وأما السلطان بركياروق فسار جيشه قريبًا من مائة ألف فغلت الأسعار واستأذنته الأمراء في التفرق بالفلاة فبقي في عسكر قليل فبلغ ذلك أخويه فقصداه وطويًا المراحل فتقهقر ونقصت هيبته وقصد همذان فبلغه أن إياز متوليها قد راسل محمدًا ليكون معه فسار إلى خوزستان، ثم خرج إلى حلوان.

مرض بركياروق وأما إياز فلم يقبله محمد فخاف وهرب إلى عند بركياروق فدخلت أصحاب محمد ونهبوا حواصله فيقال أنهم الخمسمائة فرس العربية. وتكامل مع بركياروق خمسة آلاف ضعيف قد ذهبت خيامهم وثقلهم وقدم بهم بغداد ومرض وبعث يشكوقلة المال إلى الديوان فتقرر الأمر على خمسين ألف دينار حملت إليه ومد أصحابه أيديهم إلى أموال الرعية وظلموهم.

* * *

سنة خمس وتسعين وأربعمائة

وفاة المستعلي بالله العبيدي، فيها توفى المستعلي بالله أحمد بن المستنصر بالله معد العبيدي الشيعي صاحب مصر.

خلافة الآمر بأحكام الله العبيدي، وقام بعده ولده الآمر بأحكا الله منصور طفل له خمس سنين، والأمور كلها إلى أمير الجيوش الأفضل، أقام هذا الصغير ليتمكن من جميع الأمور وذلك في سابع عشر صفر.

* * *

سنة ست وتسعين وأربعمائة

خلعة المستظهر بالله على ينال بن انوشتكين كان ينال بن أنوشتكين الحسامي من أمراء السلطان محمد فسار هووأخوه علي من جهة محمد إلى الري فورد إليه الأمير برسق من جهة السلطان بركياروق فاقتتلا بظاهر الري فانهزم ينال وسلك الجبال وقتل خلق من أصحابه فقدم بغدد في سبعمائة فارس فأكرمه المستظهر بالله وخلع عليه واجتمع هو وإيلغازي وسقمان ابنا أرتق تحالفوا على مناصحة محمد وساروا إلى سيف الدولة صدقة فخلف لهم.

ظلم ينال ببغداد ورجع ينال فظلم ببغداد وعسف واستطال عسكره على العامة بالضرب والأذية البالغة والمصادرة تزوج هوبأخت إيلغازي فبعث الخليفة إليه ينهاه عن الظلم فلم ينته.

إفساد ينال في البلاد وسار بعد أشهر إلى أوانًا فنهب وقطع الطريق وأقطع القرى لأصحابه، ثم شغب باجسرا وقصد شهربان فمنعه أهلها فقاتلهم فقتل منهم طائفة وسار لا سلمه الله إلى أذربيجان قاصدًا مخدومه السلطان محمد.

* * *

سنة سبع وتسعين وأربعمائة

الصلح بين بركياروق وأخيه محمد.

في ربيع الآخر وقع الصلح بين السلطانين بركياروق ومحمد؛ وسببه أن الحرب لما تطاولت بينهما وعم المفساد وصارت الأموال منهوبة والدماء مسفوكة والبلاد مخربة والسلطنة مطموعًا فيها محكومًا عليها وأصبح الملوك مقهورين بعد أن كانوا قاهرين، وكان بركياروق حاكما حينئذ على الري والجبال وطبرستان وفارس ودياربكر والجزيرة والحرمين وهو بالري، وكان محمد بأذربيجان وهوالحاكم عليها وعلى إرمينية وأران وإصبهان والعرق جميعه سوى تكريت وبعض البطائح، وأما خراسان،

فإن السلطان سنجر كان يخطب له فيها جميعها ولأخيه محمد وبقي بركياروق ومحمد كفتي رهان فدخلل العقلاء بينهم بالصلح وكتب بينهم أيمان

وعهود ومواثيق فيها ترجيح جانب بركياروق واقيمت له الخطبة بغداد وتسلم لإصبهان بمقتضى الصلح وأرسل الخليفة خلع السلطنة إلى بركياروق.

* * *

سنة ثمان وتسعين وأربعمائة

وفاة السلطان بركياروق في ربيع الآخر مات السلطان بركياروق وملكت الأمراء بعده ولده جلال الدولة ملكشاه وخطب له ببغداد وهوصبي دون الخمس سنين.

دخول جكرمش في طاعة السلطان محمد، وأما السلطان محمد فكان مقيما بتبريز فسار إلى مراغة يريد جكرمش فحصن الموصل وجعل أهل الضياع إلى البلد فنازله محمد وجد في قتاله وقاتل في جكرمش أهل الموصل لمحبتهم فيه ودام القتال مدة، فلما بلغت جكرمش وفاة بركياروق ارسل إلى محمود يبذل الطاعةن فدخل إليه وزير محمد سعد الملك وخرج معه جكرمش فقام له محمد واعتنقه وقال: ارجع إلى رعيتك، فإن قلوبهم إليك فقبل الأرض وعاد فقدم للسلطان وللوزير تحفًا سنية ومد سماطًا عظيمًا بظاهر الموصل.

سلطنة محمد على بغداد، ثم أسرع محمد إلى بغداد وفي خدمته صاحب الموصل، وكان ببغداد ملكشاه بن بركياروق الصبي الذي سلطنه الخليفة وأتابك الصبي إياز، فبرز وأمن بغداد وتحالفوا على حرب محمد ومنعه من السلطنة. وجاء محمد ونزل بالجانب الغربي وخطب لديه، ثم ضعف إياز والأمراء فراسلوا محمدا في الصلح - وليعطي إياز أمانًا على ما سلف منه، وتم الدست لمحمد واجتمعت الكلمة عليه فاستخلف السلطان إلكيا الهراسي وأقام السلطان محمد ببغداد ثلاثة اشهر وتوجه إلى إصبهان.

* * *

سنة تسع وتسعين وأربعمائة

قتل متنبيء بنهاوند وفيها ظهر بنواحي نهاوند ولد فادعى النبوة وكان يمخرق بالسحر والنجوم وتبعه الخلق وحملوا إليه أموالهم فكان لا يدخر شيئًا، وسمى أصحابه باسماء الصحابة أبي بكر وعمر.

قتل خارج يطلب الملك بنهاوند وخرج أيضًا بنهاوند من ولد ألب أرسلان السلطان رجل يطلب الملك فأخذا وقتلا في وقت واحد.

استرجاع طغتكين حصنين من الإفرنج وفيها شرع الإفرنج وعملوا في حصن بين طبرية والبثنية يقال له: عال فبلغ طغتكين صاحب دمشق فسار وأخذ الحصن وأعاد الأسارى والغنائم وزينت دمشق أسبوعًا، ثم سار إلى حصن رفنية وصاحبه ابن أخت صنجيل فحاصره طغتكين وملكه وقتل به خمسمائة من الإفرنج.

* * *

سنة خمسمائة

وفاة يوسف بن تاشفين فيها توفي أمير المغرب والأندلس يوسف بن تاشفين، سلطنة علي بن يوسف بن تاشفين وولي الملك بعده ابنه علي بن يوسف، وكان قد بعث فيما تقدم تقدمة جليلة ورسلاً إلى المستظهر بالله يلتمس أن يولى السلطة وأن يقلد ما بيده من البلاد فكتب له تقليدًا ولقب أمير المسلمين وبعث له خلع السلطنة ففرح بذلك وسر فقهاء المغرب بذلك، وهوالذي أنشأ مدينة مراكش.

* * *

سنة إحدى وخمسمائة

فتنة العميد على سيف الدولة صدقة بن مزيد كان سيف الدولة صدقة قد صار ملك العرب في زمانه وبنى مدينة الحلة وغيرها، وقبل ذلك كان صاحب عمود وسيف فعظم شأنه وارتفع قدره وصار ملجأ لمن يستجير. وكان معينًا للسلطان محمد على حروبه مع أخيه وناصرًا له فزاد في إقطاعه مدينة واسط وأذن له في أخذ البصرة، ثم افتن ما بينهما العميد أبو جعفر محمد بن الحسين البلخي مع ما كان يفعله صدقة من إجارة من يلتجيء إليه من أعداء السلطان

محمد، وشغب العميد السلطان عليه، ثم زاد عليه بأن صبغه بأنه من الباطنية ولم يكن كذلك؛ كان شيعيًّا. وسخط السلطان على سرخاب بن دلف صاحب ساوة فهرب منه فأجاره صدقة فطلبه السلطان منه فامتنع، إلى أمور أخر فتوجه السلطان إلى العراق.

فاستشار صدقة أصحابه فأشار إليه ابنه دبيس بأن ينفذه إلى السلطان بتقادم وتحف وخيل وأشار سعيد بن حميد صاحب جيش صدقة بالحرب فأصغى إليه وجمع العساكر وبذل الأموال، فاجتمع له عشرون ألف فارس وثلاثون ألف راجل. فأرسل إليه المستظهر ينهاه عن الخروج ويعده بأن يصلح أمره، وأرسل السلطان يطلبه ويطيب قلبه ويأمره بالتجهز معه لقصد غزو الفرنج فأجاب بأنهم ملأوا قلب السلطان علي ولا آمن من سطوته.

وقال صاحب جيشه: لم يبق لنا في صلح السلطان مطمع.

* * *

سنة اثنتين وخمسمائة

حصار مودود الموصل كان السلطان قد بعث الأمير مودود إلى الموصل فحاصرها مدة وانتزعها من يد جاولي سقاووا، وكان جاولي قد سار في سنة خمسمائة في المحرم منها قد بعثه السلطان محمد إلى الموصل والأعمال التي بيد جكرمش وكان جاولي سقاووا قبل هذا قد استولى على البلاد التي بخوزستان وفارس فأقام بها سنتين وعمر قلاعها وظلم وعسف وقطع وشنق، ثم خاف جاولي من السلطان فبعث إليه السلطان الأمير مودود فتحصن جاولي وحصره مودود ثمانية أشهر، ثم نزل بالأمان ووصل إلى السلطان فأكرمه وأمره بالمسير لغزو الفرنج وأقطعه الموصل ونواحيها.

* * *

سنة ثلاث وخمسمائة

سقوط طرابلس بيد الفرنج.

قال ابن الأثير: في حادي عشر ذي الحجة تملك الفرنج طرابلس، وكانت قد صارت في حكم صاحب مصر من سنتين وبها نائبه والمدد يأتي إليها فلما كان في شعبان وصل أصطول كبير من الفرنج في البحر عليهم ريمند بن صنجيل ومراكبه مشحونة بالرجال والميرة فنزل على طرابلس مع السرداني ابن أخت صنجيل الذي قام بعد موت صنجيل وهو منازل لها فوقع بينهما خلف وقتال فجاء تنكري صاحب أنطاكية نجدة للسرداني وجاء بغدوين صاحب القدس، فأصلح بينهما ونزلوا جميعهم على طرابلس وجدوا في الحصار في أول رمضان وعملوا أبراجًا وألصقوها بالسور فخارت قوى أهلها وذلوا وزادهم ضعفًا تأخر الأصطول المصري بالنجدة والميرة وزحفت الفرنج عليها فأخذوها عنوة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ونجا واليها وجماعة من الجند التمسوا الأمان قبل فتحها فوصلوا إلى دمشق.

* * *

سنة أربع وخمسمائة

سقوط بيروت نزل بغدوين وابن صنجيل على بيروت وجاءت الفرنج الجنوية في أربعين مركبًا وأحاطوا بها، ثم أخذوها بالسيف.

سقوط صيدا ثم نازلوا صيدا في ثالث ربيع الآخر فأخذوها في نيف وأربعين يوما وأمنوا أهلها فتحول خلق من أهلها إلى دمشق وأقام أكثر الناس رعية للفرنج وقرر عليهم في السنة قطيعة عشرين ألف دينار.

عصيان نائب عسقلان، وكان نائب بعسقلان شمس الخلافة فراسل بغدوين صاحب القدس وهادنه وهاداه وخرج عن طاعة صاحب مصر فتحيلوا للقبض عليه فعجزوا، ثم إنه أخرج الذي عنده من عسكر مصر خوفًا منهم وأحضر جماعة من الأرمن واستخدمهم فمقته أهل عسقلان وقتلوه ونهبوا داره فسر بذلك أمير الجيوش الأفضل وبعث إليها أميرًا.

أخذ الفرنج حصني الأثارب وزردنا وفيها نازل صاحب أنطاكية حصن

الأثارب وهو على بريد من حلب فأخذوه عنوة وقتل ألفي رجل وأسر الباقين.

ثم نازل حصن زردنا وأخذه بالسيف، وجفل أهل منبج وأهل بالس فقصدت الفرنج البلدين فلم يروا بها أنيسًا.

* * *

سنة خمس وخمسمائة

محاصرة المسلمين الرها وفيها سارت عساكر العراق والجزيرة لقتال الفرنج فحاصروا الرها ولم يقدروا عليها واجتمعت جموع الفرنج فلم يكن وقعة.

مسير المسلمين إلى الشام، ثم سار المسلمون وقطعوا الفرات إلى الشام ونازلوا تل باشر خمسة وأربعين يومًا ورحلوا فجاءوا إلى حلب فأغلق في وجوههم صاحبها رضوان بابها ومات مقدمهم سقمان القطبي واختلفوا ورجعوا وما فعلوا شيئًا إلا أنهم أطمعوا في المسلمين عساكر الفرنج.

حصار صور فتجمعت الملاعين وساروا مع بغدوين فحاصروا صور.

قال ابن الأثير: عملوا عليها ثلاثة أبراج خشب علو البرج سبعون ذراعًا وفيه ألف رجل؛ فألصقوها بالسور.

* * *

سنة ست وخمسمائة

موت بسيل الأرمني فيها مات الملك بسيل الأرمني صاحب الدروب فسار تنكري صاحب أنطاكية الفرنجي ليملكها فمرض فعاد ومات بعد أيام، وتملك أنطاكية بعده سرخالة ابن أخته.

موت قراجًا صاحب حمص وفيها مات قراجًا صاحب حمص وقام بعده ولده قرجان. وكلاهما ظالم.

قدوم القادة للجهاد في الإفرنج وفي أواخر السنة خاض الفرات صاحب الموصل مودود بن التون تكين وصاحب سنجار تميرك والأمير اياز بن إيلغازي بنية الجهاد فتلقاهم صاحب دمشق طغتكين إلى سلمية وكان كثير

المودة بمودود، وكانت الفرنج قد تابعت الغارات على حوران وغلت الأسعار بدمشق فاستنجد طغتكين بصديقه مودود فبادر إليه فاتفق على قصد بغدوين صاحب القدس فساروا حتى صاروا إلى الأردن ونزل بغدوين على الصنبرة وبينهما الشريعة.

* * *

سنة سبع وخمسمائة

موقعة المسلمين والفرنج عند الشريعة: في ثالث عشر المحرم التقى عسكر دمشق الجزيرة وعسكر الفرنج بقرب طبرية وصبر الفريقان واشتد الحرب، وكانت وقعة مشهورة ثم انكسرت الفرنج ووضع المسلمون فيهم السيف وأسروا خلقًا وأسر ملكهم بغدوين لكن لم يعرف فأخذ الذي أسره سلاحه وأطلقه فنجا جريحًا، ثم مات بعد أشهر، وغرق منهم في الشريعة طائفة، وغنم المسلمون الغنيمة.

ثم جاء عسكر أنطاكية وعسكر طرابلس فقويت نفوس المنهزمين وعاودوا الحرب فثبت لهم المسلمون فآنحاز الملاعين إلى جبل ورابط المسلمون بإزائهم يرمونهم بالنشاب فأقاموا كذلك ستة وعشرين يومًا وهذا شيء لم يسمع بمثاله قط وعدموا الأقوات.

ثم سار المسلمون إلى بيسان فنهبوا بلاد الفرنج وضياعهم من القدس إلى عكا ورجعوا فنزلوا بمرج الصفر وسافرت عساكر الموصل.

اغتيال مودود صاحب الموصل ودخل مودود في خواصه دمشق وأقام عند صاحبه طغتكين وأمر عساكره بالبحر في الربيع ونزل هو وطغتكين يوم الجمعة في ربيع الأول للصلاة ومشى ويده في يد طغتكين في صحن الجامع فوثب على مودود باطني جرحه في مواضع وقتل الباطني وأحرق.

* * *

سنة ثمان وخمسمائة

خروج البرسقي لحرب الفرنج في أولها قدم أقسنقر البرسقي على مملكة الموصل وسير معه السلطان محمد ولده مسعودًا في جيش كبير لحرب الفرنج، فنازل البرسقي الرها في خمسة عشر ألف راكب فحاصرها شهرين، ثم رحل لقلة الميرة وعاد إلى شحنان فقبض على إياز بن إيلغازي ونهب أعمال ماردين.

ثم تسلم حصن مرعش من الفرنج صلحًا.

* * *

سنة تسع وخمسمائة

عصيان صاحبي ماردين ودمشق على السلطان لما بلغ السلطان عصيان صاحب ماردين وصاحب دمشق غضب وبعث الجيوش لحربهما فساروا وعليهم برسق صاحب همذان في رمضان من السنة الماضية وعدوا الفرات في آخر العام فأخذوا حماه عنوة ونهبوها وهي لطغتكين فاستعان بالفرنج فأعانوه.

استرجاع كفر طاب من الفرنج وسار عسكر السلطان وهم خلق كثير فأخذوا كفر طاب من الفرنج واستباحوها.

خذلان المسلمين أمام الفرنج، ثم ساروا إلى المعرة فجاء صاحب أنطاكية في خمسمائة فارس وألفي راجل فوقع على أثقال العساكر وقد تقدمتهم على العادة فنهبوها وقتلوا السوقية والغلمان وأقلبت العساكر متفرقة ولم يشعروا بشيء، فكان الفرنج يقيلون كل من وصل، وأقبل برسق مقدم العساكر في مائة فارس فرأى الحال فصعد تلا هناك والتجأ إليه الناس وعليهم ذل وانكسار فأشار على برسق أخيه بأننا ننزل وننجو، فنزل بهم على حمية وساق وراءهم الفرنج نحو فرسخ، ثم ردوا فتمموا الغنيمة والأسر وأحرقوا كثيرا من الناس واشتد البلاء وتبدل فرح المسلمين خوفًا وحزنًا؛ لأنهم رجوا النصر من عساكر السلطان، فجاء ما لم يكن في الحساب وعادت العساكر بأسوأ حال - نعوذ بالله من الخذلان.

موت برسق وأخيه ومات برسق وأخوه زنكي بعد سنة{قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن

فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾} [الأحزاب: ١٦].

* * *

سنة عشر وخمسمائة

قتل صاحب مراغة: الأصح أن أحمديل صاحب مراغة قتل في أول سنة عشر ببغداد بدار السلطان وكان جالسًا إلى جانب طغتكين صاحب دمشق أتاه رجل فبكى وبيده قصة وتضرع إليه أن يوصلها إلى السلطان محمد فأخذها منه فضربه بسكين فجذبه أحمديل في الحال وبرك فوقه فوثب باطني آخر فضرب أحمديل بسكين فأخذتهما السيوف. ووثب رفيق لهما والسيوف تنزل عليهما فضرب أحمديل ضربة أخرى فهبروه أيضًا.

* * *

سنة إحدى عشر وخمسمائة

زلزلت بغداد يوم عرفة وفيها زلزلت بغداد يوم عرفة ووقعت دور وحوانيت بالجانب الغربي.

مهاجمة الفرنج حماه وفيها هجمت الفرنج حماه في الليل وقتلوه بها مائة وعشرين رجلاً.

رحيل العساكر عن الألموت وفيها ترحلت العساكر وتركت حصار الألموت عندما بلغها موت السلطان محمد بعد أن كادوا يفتحونها.

غرق سنجار بالسيل وفيها غرقت سنجار، جاءها سيل عرم وهدم سورها. خلق كثير حتى أن السيل أخذ باب المدينة وذهب به عدة فراسخ واختفي تحت التراب الذي جره السيل، ثم ظهر بعد سنوات.

وسلم طفل في سرير له حمله السيل فتعلق السرير بثوبه وعاش وكبر.

مقتل لؤلؤ الخادم وفيها قتل قوم من الأتراك لؤلؤًا الخادم صاحب حلب وهو متوجه إلى قلعة جعبر.

* * *

سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

حريق محلات ببغداد فيها كان حريق كبير ببغداد احترقت الريحانيتين ومسجد ابن عبدون.

إعدام ابن الجزري وفيها قبض على صاحب المخزن أبي طاهر بن الجزري وأعدم، وأخذ من داره أربعمائة ألف دينار مدفونة.

وفاة ولدي المسترشد بالله وتوفي ولد المسترشد بالله الكبير، ثم الصغير بالجدري فبكى عليه المسترشد بالله حتى أغمي عليه.

* * *

سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

انفصال ابن المستظهر بالله عن الخليفة وفيها انفصل على الحلة الأمير أبو الحسن بن المستظهر بالله فمضى إلى واسط ودعى إلى نفسه واجتمع معه جيش وملك واسط وأعمالها وجبى الخراج، وشق ذلك على الخليفة فبعث ابن الأنباري كاتب الإنشاء إلى دبيس وعرفه وقال: أمير المؤمنين يعول عليك فأجاب وجهز صاحب جيشه عنان في جمع كبير فلما سمع أبو الحسن ترحل من واسط في عسكره ليلا فأضلوا الطريق وساروا ليلهم أجمع حتى وصلوا إلى عسكر دبيس فلما لاح لهم العسكر انحرف أبو الحسن عن الطريق فتاه مع عدد من خواصه وذلك في تموز ولم يكن معهم ماء فأشرفوا على التلف فأدركه نصر بن سعد الكردي فسقاه وعادت نفسه إليه ونهب ما كان معه من مال وحمله إلى دبيس إلى النعمانية فأقدمه إلى بغداد خيم بالرقة وبعث به إلى المسترشد بعد تسليم عشرين ألف دينار قررت عليه. وكانت أيامه أحد عشر شهرًا وشهر وزيره ابن زهمويه على جمل، ثم قتل في الحبس.

فقيل: إن الأمير أبا الحسن دخل على أخيه المسترشد فقبل قدمه فبكيا جميعًا، ثم قال له: قضحت نفسك وباعوك مع العبيد، وأسكنه في داره التي كان فيها وهو ولي عهد. ورد جواريه وأولاده وأحسن إليه، ثم شدد عليهن بعد ذلك.

* * *

سنة أربع عشرة وخمسمائة

الخطبة واللقب للسلطان سنجر وابن أخيه فيها هطب للسلطان سنجر ولابن

أخيه السلطان محمود معًا في موضع واحد وسمي كل واحد شاهنشاه.

ولقب سنجر: عضد الدولة ولقب محمود: جلال الدولة.

نقل أبي الفتح من الحجابة وفي صفر نقل أبو الفتوح حمزة بن علي من الحجابة إلى وكالة الخليفة وإلى نظر المخزن.

تمرد العيارين ببغداد وتمرد العيارون وأخذوا زوارق منحدرة إلى بغداد وفتكوا بأهل السواد وأسرفوا وهجموا على محلة العتابين فحفظوا أبواب المحلة ونهبوها عنوة فأمر الخليفة بإخراج أتراك دارية لقتالهم فخرجوا وحاصروهم في الأجمة خمسة عشر يومًا.

* * *

سنة خمس عشرة وخمسمائة

وفاة جدة السلطان محمود فيها بلغ السلطان محمود وفاة جدته فرد من الصيد عمل عزاءها ببغداد، وتلكم أبو سعد إسماعيل بن أحمد، وأبو الفتوح أحمد الغزالي الطوسيان.

عزل ابن طراد عن النقابة وإعادته وفيها استدعى علي بن طراد النقيب الحاجب من الديوان وقرأ عليه الوزير توقيعًا بأن قد استغني عن خدمتك، فمضى ولزم بيته، وكانت بنته متصلة بالأمير أبي عبد الله بن المستظهر وهو المقتفي.

وفي ربيع الأول انحدر أبو طالب علي بن أحمد السميرمي وزير السلطان متفرجًا فلما حاذى باب الأزج عبر إليه علي بن طراد وحدثه فوعده، ثم تلكم في حقه فأعيد إلى النقابة.

إنقضاض كوكب وفيه انقض كوكب صارت من ضوئه أعمدة عند انقضاضه وسمع عند ذلك هدة كالزلزلة.

خلعة القضاء للهروي وفيه خلع على القاضي أبي سعد الهروي خلعة القضاء قلده السلطان محمود القضاء بجميع الممالك سوى العراق مراعاة

لقاضي القضاة أبي القاسم الزينبي وركب إلى داره ومعه كافة الأمراء.

احتراق دار المملكة.

وفي جمادى الآمرة احترقت دار المملكة التي استجدها بهروز الخادم، وكان بها السلطان نائمًا على سطح فنزل وخرب في سفينة وذهب من الفرش والآلات والجواهر ما يزيد ثمنه على ألف ألف دينار وغسل الغسالون التراب وظفروا بالذهب والحلي قد تسبك ولم يسلم من الدار ولا خشبة وأمر السلطان ببناء دار على المسناة المستحدثة وأعرض عن الدار التي احترقت وقال: إن أبي لم يمتع بها ولا آمتد بقاؤه بعد انتقاله إليها، وقد ذهبت أموالنا فيها.

* * *

سنة ست عشرة وخمسمائة

مصالحة البرسقي ودبيس بن صدقة فيها كلم الخيفة الوزير أبا طالب السميرمي في أمر دبيس وأن في قرية من بغداد خطرًا فنؤثر مقام أقسنقر البرسقي عندنا لنصحه فوافق السلطان محمود على ذلك.

ثم خرج في ربيع الأول من بغداد وكانت إقامته بها سنة وسبعة أشهر ونصف. وخلع على البرسقي وكلم في شأن دبيس فتوجه إلى صرصر وتصاف العسكران وانجلت الوقعة عن هزيمة البرسقي، وكان في خمسة الآف فارس ودبيس في أربعة الآف بأسلحة ناقصة إلا أن رجالته كانت كثيرة. ورأى البرسقي في المسيرة خللاً فأمر بحط خيمته لتنصب عندهم ليشجعهم بذلك وكان ذلك ضلة من الرأي؛ لأنهم لما رأوها حطت أشفقوا فانهزموا، وكان الحر شديدًا فهلكت البراذين والهمالج عطشا وترقب الناس من دبيس الشر، فلم يفعل وأحسن السيرة وراسل الخيفة وتلطف وتقررت قواعد الصلح.

* * *

سنة سبع عشرة وخمسمائة

الحرب بين المسترشد ودبيس في أولها رحل المسترشد بالله، ثم نزل بقرية

تعرف بالحديثة من نهر الملك وأتاه البرسقي وجماعة من الأمراء وحلفوا على المناصحة والمبالغة في الحرب.

وقرأ محمد بن عمر الأهوزاي على المسترشد جزء ابن عرفة وهو سائر، ثم سار إلى النيل؛ ورتب البرسقي بنفسه الجيش صفوفا فكانوا نحو الفرسخ عرضًا وجعل بين كل صفين مجالاً للخيل ووقف الخيفة في موكبه من ورائهم بحيث يراهم: فرتب دبيس عسكره صفًا واحدًا والرجالة بين يدي الفرسان بالتراس الكبار ووقف في القلب ومنى عسكره ووعدهم نهب بغداد.

فلما تراءى الجمعان حملت رجاله دبيس، وكان قد استصحب معه القيان والمخانيث بالدفوف والزمر يحرضون عسكره ولم يسمع في عسكر الخليفة إلا القرآن والكر والدعاء فحمل عنبر الكردي على صنف الخليفة فتراجعوا وتأخروا، ثم جرد الخليفة سيفه وصعد على تل فقال عسكر دبيس: إن عنبرًا خامر فلم يصدق فلما رأى المهد والعلم والموكب قد صعدوا أيقن غدر عنبر بن أبي العسكر فهرب ووقعت الهزيمة، وعبر دبيس الفرات بفرسه وأدركته الخيل ففاتهم فقيل: إن عجوزًا هناك قالت: دبيس دبير خبيث. فقال: دبير من لم يجيء. وقتل خلق من رجالته وأسر خلق كبير. وقتل ممن عسكر الخليفة عشرون فارسًا وعاد منصورًا.

* * *

سنة ثمان عشرة وخمسمائة

ظهور الباطنية بآمد وردت الأخبار بأن الباطنية ظهروا بآمد وكثروا فنفر إليهم أهل أمد فقتلوا منهم سبعمائة رجل.

رد شحنكية بغداد إلى برتقش وردت شحنكية بغداد إلى سعد الدولة برتقش الزكوي وأمر البرسقي بالعود إلى الموصل.

تأهب الخيفة لمواجهة ابن صدقة وورد الخبر بان دبيس بن صدقة التجأ إلى الملك طغرلبك أخي السلطان محمود بعد عوده من الشام، وأنهما على قصد

بغداد فتأهب الخليفة وجمع الجيوش من كل ناحية.

* * *

سنة تسع عشرة وخمسمائة

القبض على دبيس في صفر برز الخليفة إلى صحراء الشماسية بجيوشه، ثم رحل فنزل الدسكرة، وجاء دبيس وطغرلبك فدبروا أن يكبسوا بغداد ليلاً ويحفظ دبيس المخايض وينهب طغرلبك بغداد فمرض طغرلبك تلك الليلة وجاء المطر وزاد الماء وضج الناس بالإبتهال إلى الله تعالى وأرجف عند الخيفة بأن دبيسًا دخل بغداد فرحل مجدا إلى النهروان فلم يشعر دبيس إلا برايان الخليفة فلما رآها دهش وقبل الأرض وقال: أنا العبد المطرود أما أن يعفى عن العبد المذنب فلم يجبه أحد فأعادو القول والتضرع فرق له الخليفة وهم بالعفو عنه فصرفه عن ذلك الوزير أبو علي بن صدقة وبعث الخليفة نظر الخادم إلى بغداد بالبشارة ونودي في البلد بأن يخرج العسكر لطلب دبيس والإسراع مع الوزير ابن صدقة، ودخل الخليفة. وسار دبيس وطغرلبك إلى سنجر مستجيرين به هذا من أخيه وهذا من الخليفة فأجارهما وليسا عليه فقالا: قد طردنا الخليفة وقال: هذه البلاد لي.

* * *

سنة عشرين وخمسمائة

كتاب سنجر إلى السلطان محمود لما علم السلطان محمود بقتال الخليفة لطغرلبك فرح وكاتب الخليفة وقال: قد علمت ما فعلت لأجلي وأنا خادمك. وتراسلا بالأيمان والعهود عل أنهما ينقصان على سنجر فعلم سنجر وبعث إلى محمود يقول: أنت صبي والخليفة قد عزم على أن يمكر بك وبي، فإذا اتفقتما علي ففرغ مني عاد إليك فلا تصغ إليه، وأنا فما لي ولد ذكر وأنت لما ضربت معي مصافًا فظفرت بك لم أسيء إليك وقتلت من كان سببًا لقتالنا وأعدتك إلى السلطنة وجعلتك ولي عهدي وزوجتك ابنتي فلما توفيت زوجتك الأخرى فسر إلى بغداد بالعساكر وأمسك الوزير أب صدقة واقتل رؤوس الأكراد وخذ آلة السفر التيعلمها وتقول للخليفة: ما تحتاج إلى هذا أنا سيفك وخادمك، فإن فعل

وإلا أخذته بالشدة وإلا لم يبق لي ولا لك معه أمر.

وبعث إليه رجلاً وقال: هذا يكون وزيرك. فثنى عزمه.

* * *

سنة إحدى وعشرين وخمسمائة

حرب الخليفة والسلطان في بغداد قد ذكرنا أن أهل بغداد كانوا بالجانب الغربي وعسكر محمود في الجانب الشرقي وتراموا بالنشاب.

ثم إن جماعة من عسكر محمود حاولوا الدخول إلى دار الخلافة من باب النوبي فمنعتهم الخاتون فجاءوا إلى باب الغربة في رابع المحرم ومعهم جمع من الساسة والرعاع، فأخذوا مطارق الحدادين وكسروا باب الغربة ودخلوا إلى التاج فنهبوا دار الخلافة من ناحية الشط فخرج الجواري حاسرات تلطمن ودخلن دار خاتون؛ وضج الخلق فبلغ الخليفة فخرج من السرداق وابن صدقة بين يديه وقدموا السفن دفعة واحدة ودخل عسكر الخليفة وألبسوا الملاحين السلاح وكشفوا عنهم، ورمى العيارون أنفسهم في الماء وعبروا، وصاح المسترشد بالله بنفسه يا آل بني هاشم، فصدق الناس معه القتال وعسكر السلطان مشغولون بالنهب فلما رأوا عسكر الخليفة ذلوا وولوا الأدبار ووقع فيهم السيف واختفوا في السراديب فدخل وراءهم البغداديون وأسروا جماعة من الأمراء ونهب العامة دور وقتلوا أصحاب السلطان ودار وزيره ودار العزيز أبي نصر المستوفي وأبي البركات الطيب وأخذ من داره ودائع وغيرها بما قيمته ثلاثمائة ألف.

وقتل من أصحاب السلطان عدة وافرة في الدروب والمضائق.

ثم عبر الخليفة إلى داره في سابع المحرم بالجيش وهم ثلاثين ألف مقاتل بالعوام وأهل البر وحفروا بالليل خنادق عند أبواب الدروب ورتب على أبواب المحال من يحفظها.وبقي القتال أيامًا إلى يوم عاشوراء انقطع القتال وترددت الرسل ومال الخليفة إلى الصلح والتحالف، فأذعن السلطان وأحب ذلك وراجع الطاعة واطمأن الناس وطمت الخنادق، ودخل أصحاب السلطان يقولون: لنا ثلاثة أيام ما أكلنا خبزًا ولولا الصلح لمتنا جوعًا، فكانوا يسلقون القمح

ويأكلونه.فما رؤي سلطان حاصر فكان هو المحاصر إلا هذا.وظهر منه حلم وافر عن العوام.

إرسال الخلع إلى ابن طراد وبعث الخليفة مع علي بن طراد إلى سنجر خلعًا وسيفين وطوقًا ولواءين ويأمره بإبعاد دبيس من حضرته.

* * *

سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

الختم على وقف مدرسة أبي حنيفة في المحرم دخل السلطان محمود بغداد، وأقام دبيس في بعض الطريق واجتهد في أن يمكن دبيس فامتنع.

وأمر السلطان بالختم على أموال وقف مدرسة أبي حنيفة ومطالبة العمال بالحساب ووكل بقاضي القضاة الزينبي كذلك.

وكان قد قيل للسلطان: إن دخل المكان ثمانين ألفًا ما ينفق عليه عشرة.

وزارة علي بن طراد وفي ربيع الآخرة خلع المسترشد علي أبي القاسم علي بن طراد واستوزره.

إقرار زنكي في مكانه وضمن زنكي أن ينفذ السلطان مائة ألف دينار وخيلاً وثيابًا على أن يقر في مكانه، واستقر الخليفة على مثل ذلك على أن لا يولي دبيس شيئًا.

بيع عقار للخليفة، وباع الخليفة عقارًا بالحرم وقريء لذلك ومازال يصحح.

دخول دبيس بغداد، ثم إن دبيسًا دخل إلى بغداد بعد جلوس الوزير ابن طراد ودخل دار السلطان وركب في الميدان ورآه الناس.

تسليم الحلة بهروز وجاء زنكي فخدم.

وسلمت الحلة والشحنكية إلى بهروز خطف دبيس ولدًا للسلطان، وكانت بنت سنجر التي عند ابن عمها السلطان محمود قد تسلمت دبيسًا من أبيها فكانت تشد منه وتمانع عنه فماتت ومرض السلطان محمود، فأخذ دبيس ولدًا صغيرا لمحمود فلم يعلم به حتى قرب من بغداد فهرب بهروز من الحلة فقصدها دبيس ودخلها في رمضان وبعث بهروز عرف السلطان فطلب قزل والأجهيلي وقال:

أنتما ضمنتما دبيسًا فلا أعرفه إلا منكما.

أخذ دبيس الأموال من القرى وساق الأجهيلي يطلب العراق، فبعث دبيس إلى المسترشد: إن رضيت عني رددت أضعاف ما نفذ من الأموال.

فقال الناس: هذا لا يؤمن.

* * *

سنة أربع وعشرين وخمسمائة

المطر والحريق بالموصل وردت أخبار بأن في جمادى الأولى ارتفع سحاب أمطر بلد الموصل مطرًا عظيمًا وأمطر عليهم نارًا أحرقت من البلد مواضع ودورًا كثيرة وهرب الناس.

كسرة الإفرنج عند دمشق وفيها كسرت الإفرنج على دمشق وقتل منهم نحو عشرة آلاف ولم يفلت منهم سوى أربعين.

وصل الخبر إلى بغداد بذلك وكانت ملحمة عظيمة.

الملحمة بين ابن تاشفين وابن تومرت، وفيها كانت ملحمة كبرى بين ابن تاشفين وبين جيش ابن تومرت فقتل من الموحدين ثلاثة عشر ألفًا وقتل قائدهم عبد الله الونشريسي، ثم تحيز عبد المؤمن بباقي الموحدين.

وجاء خبر الهزيمة إلى ابن تومرت وهو مريض، ثم مات في آخر السنة.

غدر زنكي بسونج مرة أخرى.

وفيها راسل زنكي ابن آقسنقر صاحب حلب تاج الملوك بوري يلتمس منه إنفاذ عسكره ليحارب الفرنج فتوثق منه بأيمان وعهود ونفذ إلى زنكي خمسمائة فارس وأرسل إلى ولده سونج وهو على حماة أن يسير إلى زنكي فأحسن ملتقاهم وأكرمهم، ثم عمل عليهم وغدر بهم وقبض على سونج وجماعة أمراء ونهب خيامهم وهرب الباقون.

تملك زنكي حماة، ثم زحف إلى حماة فتملكها، ثم ساق إلى حمص وغدر بصاحبها خرخان بن قراجًا واعتقله ونهب أمواله وتحلف منه أن يسلم حمص

ففعل فأبى عليه بوابه بها فحاصرها زنكي مدة ورجع إلى الموصل ومعه سونج، ثم أطلقه بمال كثير.

مقتل الخليفة الآمر وفيها قتل صاحب مصر الخليفة الآمر بأحكام الله.

إستيلاء سنجر على سمرقند وفي سنة أربع قتل أمير سمرقند فسار السلطان سنجر فاستولى عليها ونزل محمد خان من قلعتها بالأمان وهو زوج بنت سنجر وأقام سنجر بسمرقند مدة.

إنكسار الإفرنج أمام زنكي عند الأثارب، وأما أهل حلب فكانوا مع الفرنج الذين استولوا على حصن الأثارب في ضر شديد لقربهم منهم.

والأثارب على ثلاثة فراسخ من غربي حلب فجاء عماد الدين زنكي في هذا العام وحاصره فسارت ملوك الفرنج لنجدته وللكشف عنه فالتقاهم زنكي واشتد الحرب وثبت الفريقان ثباتا كليًّا، ثم وقعت الكسرة على الملاعين ووضع السيف فيهم وأسر فيهم خلق.

وكان يومًا عظيمًا وافتتح زنكي الحصن عنوة وجعله دكا.

محاصرة زنكي حارم، ثم نزل على حارم وهي بالقرب من أنطاكية فحاصرها وصالحهم على نصف دخلها، ومنها ذلت الفرنج وعلموا عجزهم عن زنكي واشتد أزر المسلمين.

إنهزام صاحب ماردين أمام زنكي وعدى زنكي الفرات فنازل بعض ديار بكر فحشد صاحب ماردين لقتاله ونجده ابن عمه داود بن سقمان من حصن كيفًا وصاحب آمد حتى صاروا في عشرين ألفًا فهزمهم زنكي وأخذ بعض بلادهم.

خلافة الحافظ بمصر وفيها مات الآمر بأحكام الله صاحب مصر وولي بعده الحافظ.

* * *

سنة خمس وعشرين وخمسمائة

القبض على دبيس وبيعه.

فمن الحوادث أن دبيسًا ضل في البرية فقبض عليه مخلد بن حسان بن مكتوم الكلبي بأعمال دمشق وتمزق أصحابه وتقطعوا فلم يكن له منجى من العرب فحمل إلى دمشق فباعه أميرها ابن طغتكين من زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل بخمسين ألف دينار.

وكان زنكي عدوه لكنه أكرمه وخوله المال والسلاح وقدمه على نفسه.

وفاة المسترشد وتوفي للمسترشد ابن بالجدري وعمره إحدى وعشرين.

الحرب بين السلطان داود وعمه مسعود وتوفي السلطان محمود فأقاموا ابنه داود مكانه وأقيمت له الخطبة ببلاد الجبل وأذربيجان وكثرت الأراجيف، وأراد داود قتل عمه مسعود بقيام عمه سنجر.

وكان طغرل يوم المصاف على ميمنة عمه، وكان على المسيرة خوارزم ابن أتسز بن محمد فبأهم قراجًا بالحملة فحمل على القلب بعشرة آلاف فعطف على حنيتي العشرة آلاف ميمنة سنجر وميسرته فصار في الوسط وقاتلوا قتال الموت وأثخن قراجًا بالجراحات، ثم أسروه فانهزم الملك مسعود وذلك في ثامن رجب.

وقيل: وجاء مسعود مستأنسًا إلى السلطان فأكرمه وأعاده إلى كنجة وصفح عنه.

* * *

سنة ست وعشرين وخمسمائة

الحرب على السلطنة في بغداد فيها سار الملك مسعود بن محمد إلى بغداد في عشرة آلاف فارس وورد قراجًا الساقي معه سلجوق شاه بن محمد أخو مسعود وكلاهما يطلب السلطنة.

وانحدر زنكي من الموصل لينضم إلى مسعود، أو سلجوق فأرجف الناس بمجيء عمهما سنجر فعملت السور وجنى العقار وخرجوا جريدة بأجمعهم متوجهين لحرب سنجر وألزم المسترشد قراجًا بالمسير فكرهه ولم يجد بدًا من ذلك وبعث سنجر يقول: أنا العبد ومهما أريد مني فعلت، فلم يقبل منه، ثم خرج المسترشد بعد الجماعة وقطعت خطبة سنجر فقدم سنجر همذان فكانت الوقعة

قريبا من الدينور.

رواية ابن الجوزي قال ابن الجوزي: وكان مع سنجر مائة ألف وستون ألفًا وكان مع قراجًا ومسعود ثلاثون ألفًا.

وكانت ملحمة كبيرة أحصي القتلى، فكانوا أربعين ألفًا وقتل قراجًا وأجلس طغرل على سرير الملك وعاد سنجر إلى بلاده.

هزيمة زنكي ودبيس وجاء زنكي ودبيس في سبعة آلاف ليأخذ بغداد فبلغ المسترشد اختلاط بغداد وكسرة عسكره فخرج من السرداق بيده السيف مجذوب وسكن الأمر.

وخاف هو وعاد من خانقين وإذا بزنكي ودبيس قد قاربا بغداد من غربيها فعبر الخليفة إليهم في ألفين وطلب المهادنة فاشتطا عليه فحاربهما بنفسه وعسكره فانكسرت ميسرته فكشف الطرحة ولبس البردة وجذب السيف وحمل فحمل العسكر فانهزم زنكي ودبيس وقتل من جيشهما مقتلة عظيمة وطلب زنكي تكريت ودبيس الفرات منهزمين.

هلاك بغدوين وفيها هلك بغدوين الرويس ملك الفرنج بعكا وكان شيخًا مسنا داهية ووقع في أسر المسلمين غير مرة في الحروب ويتخلص بمكره وحيله وتملك بعده القومص كندانحور فلم يكن له رأس فاضطربوا واختلفوا ولله الحمد.

تملك شمس الملوك دمشق، وتملك دمشق شمس الملوك بعد أبيه تاج الملوك بوري بن طغتكين فقام بالأمر وخافته الفرنج ومهد الأمور وأبطل بعد المظالم وفرح الناس بشهامته وفرط شجاعته واحتملوا ظلمه.

* * *

سنة سبع وعشرين وخمسمائة

الخطبة بالسلطنة لمسعود خطب لمسعود بن محمد بالسلطنة ببغداد في صفر ومن بعده لداود وخلع عليهما وعلى الأمير آقسنقر الأحمديلي مقدم جيوش السلطان محمود وهو المقيم داود بعده في الملك، واستقر مسعود بهمذان، إنهزام طغرل وكانت وقعة انهزم فيها طغرل، مقتل آقسنقر ثم قتل آقسنقر قتلته الباطنية.

غارة التركمان على بلاد طرابلس وفيها قصد أمير التركمان الجزريين بلاد الشام فأغاروا على بلاد طرابلس وصمموا وسبوا فخرج ملك طرابلس بالفرنج فتقهقر التركماني، ثم كروا عليه فهزموه وقتلوا في الفرنج فأكثروا وأطنبوا فالتجأ إلى حصن بعرين فحاصرته التركمان أيامًا.

وخرج في الليل هاربًا فجمعت الفرنج لنجدته ملوكهم ورد فواقع التركمان ونال منهم.

الخلاف بين الفرنج وفيها وقع الخلف بين الفرنج بالشام وتحاربوا وقتل منهم ولم يجر لهم بذلك سابقة.

وقعة الأمير سوار بالفرنج وفيها واقع الأمير سوار نائب زنكي على حلب الفرنج فقتل من الفرنج نحو الألف ولله الحمد.

* * *

سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

الخلعة لإقبال الخادم فيها خلع على إقبال الخادم خلعة الملك ولقب بسيف الدولة ملك العرب.

مصالحة زنكي ووقع الصلح مع زنكي بن آقسنقر وجاء منه الحمل.

وزارة ابن طراد وصرف عن الوزارة أنوشروان، وأعيد أبو القاسم بن طراد، وقبص على بطر الخادم وسجن وأخذت أمواله، وخلع على ابن طراد خلعة الوزارة وأعطي فرسًا برقية وثلاثة عشر حمل كوسات وأعلامًا ومهدًا.

الخلعة لابن الأنباري وقدم رسول السلطان سنجر فخلع عليه وأرسل إلى سنجر مع رسوله ومع ابن الأنباري خلعًا عظيمة الخطر بمائة وعشرين ألف دينار.

محاصرة بهروز وبعث الخليفة إلى بهروز الخادم وهو بالقلعة يطلب منه حملاً فأبى فبعث جيشًا لقتاله فحاصروه،

خدمة السلحدار وقدم ألبقش السلحدار التركي طلبًا للخدمة مع الخليفة.

إستعراض الخليفة الجيش، ثم إن الخليفة خلع على الأمراء وعرض الجيش

يوم العيد ونادى: لا يختلط بالجيش أحد ومن ركب بغلاً أو حمارًا أبيح دمه.

وخرج الوزير وصاحب المخزن والقاضي ونقيب النقباء وأركان الدولة في زي لم ير مثله من الخيل والزينة والعسكر والملبس، فكان الجيش خمسة عشر ألف فارس.

توطد الملك لطغرل وعاد طغرل إلى همذان وانضمت إليه عساكر كثيرة وتوطد له الملك وانحل أمر أخيه مسعود.

وسببه أن الخليفة بعث بخلع إلى خوارزم شاه فأشار دبيس على طغرل بأخذها وإظهار أن الخليفة بعثها له ففعل.

الخلاف بين الخليفة ومسعود وبعث الخليفة يحث مسعودًا على المجيء ليرفع عنه فدخل إصبهان في زي التركمان وخاطر إلى أن وصل بغداد في ثلاثين فارسًا فبعث إليه الخليفة تحفا كثيرة.

وعثر على بعض الأمراء أنه يكاتب طغرل فقبض عليه الخليفة فهرب بقية الأمراء إلى مسعود وقالوا: نحن عبيدك فإذا خذلتنا قتلنا الخليفة.

فطلبهم الخليفة فقال مسعود: قد التجأوا إلي.

فقال الخليفة: إنما أفعل هذا لأجلك أو يصيبك نوبة بعد نوبة.

ووقع الاختلاف بينهما وشاش العسكر ومدوا أيديهم إلى أذى المسلمين وتعذر المشي بين المحال فبعث إليه الخليفة يقول له: تنصرف إلى بعض الجهات وتأخذ العسكر الذين صاروا إليك، فرحل في آخر السنة والخواطر متوحشة، فأقام بدار الغربة.

* * *

سنة تسع وعشرين وخمسمائة

إخراج مسعود من بغداد قد ذكرنا أن الخليفة قال لمسعود: ارحل عنا.

وأنه بعث إليه بالخلع والتاج، ثم نفذ إلى الجاولي شحنة بغداد مصانعًا له على الخروج وأمره إن هو دافع أن يرمي خيمته.

ثم أحس منه أنه قد باطن الأتراك واطلع منه على سوء نية، فأخرج أمير

المؤمنين سرادقه وخرج أرباب الدولة فجاء الخبر بموت طغرل فرحل مسعود جريدة وتلاحقته العساكر فوصل همذان واختلف عليه الجيش وانفرد عنه قزل وسنقر وجماعة فجهز لحربهم، وفرق شملهم فجاء منهم إلى بغداد جماعة وأخبروا سوء نيته منهم البازدار وقزل وسنقر.

القبض على أنوشروان وسار أنوشروان بأهله إلى خراسان لوزارة السلطان مسعود فأخذ في الطريق.

استرجاع زنكي المعرة وفيها افتتح الأتابك زنكي بن أقسنقر المعرة فأخذها من الفرنج، وكان لها في أيديهم سبع وثلاثون سنة ورد أملاكهم وكثر الدعاء له.

طاعة ابن زنكي للخليفة وفيها قدم الموصل ابن زنكي من عند والده بمفاتيح الموصل مذعنا بالطاعة والعبودية للخليفة فخرج الموكب لتلقيه وأكرم مورده، ونزل وقبل العتبة.

* * *

سنة ثلاثين وخمسمائة

رفض الراشد بالله مضمون كتاب المسترشد جاء برتقش بأمور صعبة فقالوا للراشد بالله: جاء مطالبًا بخط كتبه المسترشد بالله لتخليص من أسره بمبلغ وهو سبعمائة ألف دينار ويطالب لأولاد صاحب المخزن بثلاثمائة ألف وبقسط على أهل بغداد خمسمائة ألف دينار.

فاستشار الراشد الكبار فأشاروا عليه بالتجنيد وأرسل الخليفة إلى برتقش: أما الأموال المضمونة، فإنما تكتب لإعادة الخليفة إلى داره وذلك لم يكن وأنا مطالب بالثأر وأما مال البيعة فلعمري لكن ينبغي أن تعاد إلى أملاكي وإقطاعي حتى يتصور ذلك، وأما الرعية فلا سبيل لكم عليهم وما عندي إلا السيف، ثم أحضر بكبة وخلع عليه وأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال له: دون بهذه العسكر كله.

وجمع العسكر وبعث إلى برتقش يقول: قد تركنا البلد مع الشحنة والعميد فلما جئت بهذه الأشياء فعلنا هذا.

إنزعاج أهل بغداد وانزعج أهل بغداد وباتوا تحت السلاح ونقل الناس إلى دار الخلافة ودار خاتون متاعهم وقيل للخليفة: إنهم قد عزموا على كبس بغداد وقت الصلاة فركب العسكر وحفظ الناس البلد وقطع الجسر وجرى في أطراف البلد قتال قوي.

وفي صفر قدم زنكي والبازدار وإقبال عليهم ثياب العزاء وحسنوا للراشد الخروج فأجابهم واستوزر أبا الرضا بن صدقة واتفقوا على حرب مسعود.

دخول السلطان دار المملكة وجاء السلطان داود بن محمود فنزل بالمزرفة، ثم دخل دار المملكة وأظهر العدل وجاء إليه أرباب الدولة ومعهم تقدمة من الراشد فقام ثلاث مرات فقبل الأرض.

* * *

سنة إحدي وثلاثين وخمسمائة

القبض على أبي الفتوح بن طلحة وجباية الأموال ورد أبو البركات بن مسلمة وزير السلطان مسعود فقبض على أبي الفتوح بن طلحة وقرر عليه بحمل مائة ألف دينار من ماله ومن دار الخلافة فبعث إليه المقتفي يقول: ما رأينا أعجب من أمرك أنت تعلم أن المسترشد سار إليك بأمواله فجرى ما جرى.

وأن المسترشد ولي ففعل ما فعل ورحل وأخذ ما تبقى ولم يبق إلا الأثاث، فأخذته كله وتصرفت في دار الضرب وأخذت التركات والجوالي فمن أي وجه نقيم لك هذا المال وما بقي إلا نخرج من الدار ونسلمها، فإني عاهدت أن لا آخذ من المسلمين حبة ظلمًا.

قال: فأسقط ستين ألفا وقام أبو الفتوح صاحب المخزن من ماله بعشرة آلاف دينار وأمر السلطان بجباية الأملاك فلقي الناس من ذلك شدة فخرج رجل صالح يقال له: ابن الكواز إلى السلطان إلى الميدان وقال: أنت المطالب بما يجري على الناس فما يكون جوابك فانظر بين يديك ولا تكن ممن:{ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ } [البقرة: ٢٠٦]، فأسقط ذلك.

الوبــاء بهمــذان وإصــبهان وجــاءت الأخبــار بــأن الوبــاء شــديد بهمــذان وإصبهان، ثم عادت الجباية من الأملاك وصودر التجار ولم يترك إلا العقار الخاص، بيعة سنجر للمقتفي وجاءت مكاتبة سنجر إلى ابن أخيه مسعود يأمره أن يدخل إلى المقتفي ويبايع عنه، بيعة زنكي صاحب الموصل ثم أخذت البيعة من زنكي صاحب الموصل، ودفع الراشد عن زنكي فتوجه نحو أذربيجان.

زواج المقتفي أخت السلطان وتزوج المقتفي بفاطمة أخت السلطان مسعود، إستبانة ألبقش على بغداد وتوجه مسعود إلى بلاد الجبل واستناب على بغداد ألبقش السلاحي فورد سلجوق شاه أخو مسعود إلى واسط فطرده البقش، وكان مستضعفًا.

وقعة الملك داود والسلطان واجتمع الملك داود وعساكر أذربيجان فواقعوا السلطان مسعودًا وجرت وقعة هائلة.

ثم قصد مسعود أذربيجان وقصد داود همذان ووصلها الراشد المخلوع يوم الوقعة، وتقررت القواعد أن الخليفة المقتفي يكتب لزنكي عشرة بلاد ولا يعين الراشد.

ونفذت إليه المحاضر التي أوجبت خلع الراشد، وأثبتت على قاضي الموصل فخطب للمقتفي ومسعود.

فلما سمع الراشد نفذ يقول لزنكي: غدرت!

قال: ما لي طاقة بمسعود.

ذهاب الراشد إلى مراغة فمضى الراشد إلى داود في نفر قليل وتخلف عنه وزيره ابن صدقة، ولم يبق معه صاحب عمامة سوى أبي الفتوح الواعظ.

ونفذ مسعود ألفي فارس لتأخذه ففاتهم ومضى إلى مراغة فدخل إلى قبر أبيه وبكى وحثى التراب على رأسه.

فوافقه أهل مراغة وحملوا إليه الأموال وكان يومًا مشهودًا.

عودة الظلم إلى بغداد وقوي داود وضرب المصاف مع مسعود فقتل من

أصحاب مسعود خلق وعادت الجباية والظلم ببغداد.

* * *

سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة

صلب العيارين ببغداد فيها ظفروا بأحد عشر عيارًا فصلبوا في الأسواق ببغداد وصلب صوفي من رباط البسطامي لكم صبيًّا فمات.

أخذ الروم بزاعة وفيها أخذ الروم بزاعة فاستباحوها وجاء الناس يستنفرون.

القبض على نائب بغداد وفيها قبض على نائي بغداد وولي مكانه بهروز الخادم.

زواج السلطان ببنت دبيس وتزوج السلطان بسفرى بنت دبيس الأسدي.

وسببه أن أولاد دبيس أقطعت أماكنهم واحتاجوا فجاءت بنت دبيس وأمها بنت عميد الدولة جهير، وكانت بديعة الحسن فدخلت على خاتون زوجة المستظهر لتشفع لها إلى السلطان لبعيد عليها بعض ما أخذ منها فوصفت له فتزوجها وأغلقت بغداد سبعة أيام للفرح وضربت الطبول وشربت الخمور ظاهرًا وكثر الفساد.

صلب أحد رجال الشحنة، وفي جمادى الآخرة قتل شحنة بعض البلدان صبيًّا مستورًا من المختارة فأمر السلطان بصلب الشحنة فصلب ورهطه العوام فقطعوه.

زواج السلطان وفي رمضان وصف للسلطان مسعود أمرأة بالحسن فخطبها، وتزوجها وأغلق البلد ثلاثة أيام.

قتل الباطنية الراشد وكان أمر الراشد بالله قد استفحل واجتمعت عليه عساكر كثيرة فدخل عليه الباطنية - لعنهم الله - فقتلوه.

قتل ألبقش وفيها أمر السلطان بقتل ألبقش الذي كان نائب بغداد فقتل وقيل: غرق نفسه فأخرجوه من الماء وقطعوا رأسه.

* * *

سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

الزلزلة بجنزة قال أبو الفرج بن الجوزي: كانت فيها زلزلة عظيمة بجنزة أتت على مائتي ألف وثلاثين ألفًا فأهلكهم الله وكانت الزلزلة عشرة فراسخ في مثلها فسمعت شيخنا ابن ناصر يقول: جاء الخبر أنه خسف بجنزة وصار مكان البلد ماء أسود وقدم التجار من أهلها فلزموا المقابر يبكون على أهاليهم فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قلت: في " مرآة الزمان " مائتي ألف وثلاثين ألفًا أعني: الذين هلكوا في جنزة بالزلزلة.

وكذا قال ابن الأثير في " كامله " : ولكن ذكر ذلك سنة أربع وثلاثين.

خطبة زوجة المستظهر لصاحب كرمان وفيها وصل رسول ابن قاروت صاحب كرمان إلى السلطان مسعود يخطب خاتون زوجة المستظهر بالله ومعه التقادم والتحف.

فجاء وزير مسعود إلى الدار يستأذنها ونثرت الدنانير وقت العقد وبعثت إليه، فكانت وفاتها هناك.

إزالة المواخير ببغداد وفي ربيع الأول أزيلت المواخير والمكوس من بغداد ونقشت الألواح بذلك.

قتل الوزير كمال الدين الرازي كان السلطان قد استوزر محمد بن الحسن كمال الدين الرازي الخازن، فأظهر العدل ورفع المكوس والضرائب، ثم دخل إليه ابن عمارة وابن أبي قيراط فدفعا في المكوس مائة ألف دينار فرفع أمرهما إلى السلطان فشهرا في البلد مسودين الوجوه وحبسًا.

فلم يتمكن مع الوزير أعداؤه مما يريدون فأوحشوا بينه وبين قراسنقر صاحب أذربيجان فأقبل قراسنقر في العساكر الكثيرة وقال: إما يحمل رأسه إلي

أو الحرب.

فخوفوا السلطان مسعود من حادثة لا تتلافى ففسح لهم في قتله على كره شديد فقتله تتر الحاجب وحمل رأسه إلى قراسنقر.

واستولى الأمراء على مغلات البلاد؛ وعجز مسعود ولم يبق له إلا مجرد الاسم.

خروج خوارزم شاه عن طاعة السلطان سنجر وفيها خرج خوارزم شاه عن طاعة السلطان سنجر فسار سنجر لحربه وقاتله وقتل في الوقعة ولد لخوارزم شاه ودخل سنجر خوارزم وأقطعها ابن أخيه سليمان بن محمد ورتب له وزيرًا وأتابگا ورد إلى مرو؛ فجاء خوارزم شاه وهرب منه سليمان فاستولى على البلد.

أخذ الأتابك زنكي بعلبك وفيها قتل شهاب الدين محمود، وأحضروا أخاه محمدًا من بعلبك فتملك دمشق.

فجاء زنكي الأتابك فأخذ بعلبك بعد أن نصب عليها أربعة عشر منجنيقًا ترمي بالليل والنهار فأشرف أهلها على الهلاك وسلموا البلد وعصى بالقلعة جماعة من الأتراك ونزلوا بالأمان فغدر بهم وصلبهم فمقته الناس وأبغضوه ونفر منه أهل دمشق وقالوا: لو ملك دمشق لفعل بنا مثل ما فعل بهؤلاء.

الزلازل بالشام والجزيرة وفي صفر كانت زلازل هائلة بالشام والجزيرة وخرب كثير من البلاد لاسيما حلب، فلما كثرًا عليهم خرج أهلها إلى الصحراء.

قال ابن الأثير: عدوا ليلة واحدة أنها جاءتهم ثمانين مرة ولم تزل تتعاهدهم بالشام من رابع صفر إلى تاسع عشره، وكان معها صوت وهدة شديدة.

* * *

سنة أربع وثلاثين وخمسمائة

عقد السلطان على بنت المقتفي في رجب عقد السلطان مسعود على بنت

المقتفي لأمر الله.

وقوع الوحشة بين الوزير والخليفة وتمكن الوزير أبو القاسم بن طراد من الدولتين تمكنا زائدًا، ثم وقعت وحشة بينه وبين الخليفة.

عودة الحياة إلى رجل بعد الصلاة عليه وتوفي رجل مبارك من أهل باب الأزج نودي عليه واجتمع الناس في مدرسة الشيخ عبد القادر للصلاة عليه فلما أريد غسله عطس وعاش.

تكاثر كبسات العيارين ببغداد وفيها تكاثرت كبسات العيارين ببغداد وصاروا يأخذون جهارا وعم الخطب.

محاصرة زنكي دمشق وفيها حاصر زنكي دمشق فذكر ابن الأثير أن زنكي ملك بعلبك وسار فنزل داريًّا وراسل جمال الدين محمد بن بوري يطلب منه دمشق ويعوضه عنها أي بلد يختار فلم يجبه.

فالتقى العسكران فانهزم الدمشقيون وقتل كثير منهم، ثم تقدم زنكي إلى المصلى فالتقاه جمع كبير من جند دمشق وأحداثها ورجال الغوطة وقاتلوه فانهزموا وأخذهم السيف فقتل فيهم وأكثر الأسر ومن سلم عاد جريحًا.

وأشرف البلد على أن يؤخذ لكن عاد زنكي فأمسك عدة أيام عن القتال وتابع الرسل إلى صاحب دمشق، وبذل له بعلبك وحمص فلم يجيبوه.

فعاود القتال والزحف متتابعًا فلم يقدر على البلد.

* * *

سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

وزارة المظفر أبي نصر فيها استوزر أبو نصر المظفر محمد بن جهير.

نقل من الأستاذ دارية إلى الوزارة وعزل ابن طراد.

إدعاء رجل الزهد ببغداد وفيها ظهر ببغداد رجل قدم إليها وأظهر الزهد والنسك وقصده الناس من كل جانب فمات ولد لإنسان فدفنه قريبًا من قبر السبتي فذهب ذلك المتزهد فنبشه ودفنه في موضع ثم قال للناس: اعلموا أنني رأيت عمر بن الخطاب في المنام ومعه علي - رضي الله عنهما - فسلما علي

وقالا: في هذا الموضع صبي من أولاد علي بن أبي طالب.

ودلهم على المكان فحفروه، فإذا صبي أمرد فمن الذي وصل إلى قطعة من أكفانه.

وانقلبت بغداد وخرج أرباب الدولة وأخذ التراب للبركة وازدحم الخلق وبقوا يقبلون يد التزهد وهو يبكي ويتخشع.

وبقي الناس على هذا أيامًا والميت مكشوف يراه الناس ويتمسحون به، ثم أنتن.

وجاء الأذكياء وتفقدوا الكفن، فإذا هو جديد فقالوا: كيف يمكن أن يكون هذا هكذا من أربعمائة سنة؟!

ونقبوا على ذلك حتى جاء أبوه فعرفه وقال: هو والله ولدي دفنته عند السبتي.فمضوا معه فرأوا القبر قد نبش فكشفوا فإذا ليس فيه ميت، وسمع المتزهد فهرب ثم وقعوا به وقرروه فأقر فأركب حمارًا وصفع في ربيع الأول.

* * *

سنة ست وثلاثين وخمسمائة

موت البهلوي رئيس الباطنية فيها مات رئيس الباطنية إبراهيم البهلوي، فأحرقه شحنة الري في تابوته.

دخول ملك خوارزم مدينة مرو وفيها دخل ملك خوارزم أتسز بن محمد مدينة مرو وفتك بها مراغمة للسلطان سنجر حين تمت عليه الهزيمة وقبض على رئيس الحنفية أبي الفضل الكرماني وعلى جماعة من الفقهاء.

إنجاز شق النهروان وفيها تم عمل شق النهروان وخلع المقدم بهروز على الصناع جميعهم جباب ديباج رومي وعمائم مذهبة، وبنى لنفسه هناك تربة.

وجاء السلطان مسعود عقيب فراغه وعند جريان الماء في النهر فقعد بهروز والسلطان في سفينة وسار في النهر المحفور وفرح السلطان به.

وقيل: إنه عاتبه في تضييع المال فقال: أنفقت عليه سبعين ألف دينار أنا أعطيك إياها من ثمن التبن في سنة واحدة، شحنكية بغداد ثم إنه عزله عن

شحنكية بغداد وولى قزل، استفحال أمر العيارين وظهر من العيارين ما حير الناس.

وذاك أن كل قوم منهم اجتمعوا بأمير واحتموا به وأخذوا الأموال وظهروا مكشوفين.

وكانوا يكبسون الدور بالشموع ويدخلون الحمامات ويأخذون الثياب فلبس الناس السلاح لما زاد النهب وأعانهم وزير السلطان؛ والنهب يعمل والكبسات متوالية، ثم أطلق السلطان الناس في العيارين فتتبعوهم.

* * *

سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

إجتماع العسكر مع سنجر أرسل سنجر إلى السلطان مسعود أن يجمع الجيش وينزل الري بحيث إن احتاجه طلبه لأجل النكبة الماضية من الترك، ووصل إلى مسعود عباس شحنة الري بعسكر كثير وخدمه، ووصل إليه جماعة من الأمراء.

أخذ زنكي الحديثة وفيها أخذ زنكي الحديثة واعتقل من فيها من آل مهارش.

وفاة صاحب ملطية وفيها توفي محمد بن الدانشمند صاحب ملطية فاستولى على بلاده الملك مسعود بن قلج أرسلان سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب قونية.

* * *

سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة

مصالحة السلطان مسعود وزنكي على مال جمع السلطان مسعود العساكر لقصد الموصل والشام وترددت رسل زنكي، ثم تم الصلح على ثلاثمائة ألف دينار في نوب.

فعجل ثلاثين ألفًا ثم تقلبت الأحوال واحتاج إلى مدارة زنكي وسقط المال وقبض البعض.

الصلح بين سنجر وخوارزم شاه وفيها سار السلطان سنجر وحاصر خوارزم، وكاد أن يفتحها عنوة فأخرج خوارزمشاه أتسز الرسل ببذل الطاعة والمال ويعود إلى الإنقياد ويعتذر عما تقدم، فصالحه سنجر وانعقد الصلح، فتوحات زنكي وافتتح زنكي في هذا العصر فتوحات عظيمة وهابته الملوك واتسعت ممالكه.

حرامية بغداد وكان البلاء شديدًا ببغداد من الحرامية وأذيتهم، ثم صلب جماعة منهم فسكن الناس قليلاً.

قدوم المناظر النيسابوري بغداد وقدم السلطان بغداد وقدم معه الحسن بن أبي بكر النيسابوري الحنفي أحد الكبار والمناظرين، طويلة فكشف عنها تاشفين بن علي.

* * *

سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

غارة عسكر بعلبك على الفرنج فيها نهض عسكر بعلبك فأغاروا على الفرنج فقتلوا وسبوا، ثم التقوا الفرنج فنصرهم الله ورجعوا إلى بعلبك وكذا فعل عسكر حلب، وأخذوا قفلاً كبيرًا للفرنج وجاءوا بالغنيمة فلله الحمد.

فتح الرها وفيها نازل زنكي على الرها وهي للفرنج فنصب عليها المجانيق ونقب سورها وطرح فيها الحطب والنار فانهدم ودخلها فحاربهم ونصر المسلمون وغنموا وسبوا وخلص منها خمسمائة أسير، فلما قتل زنكي استردها الفرنج وقتلوا من بها من المسلمين فلله الأمر.

* * *

إحدى وأربعين وخمسمائة

مقتل زنكي

في ربيع الآخر وثب ثلاثة من غلمان زنكي من اقسنقر فقتلوه وهو يحاصر جعبر فقام بأمر الموصل ابنه غازي وبحلب نور الدين محمود.

احتراق قصر المسترشد

وفيها احترق قصر المسترشد الذي بناه في البستان وكان فيه الخليفة فسلم وتصدق بأموال.

* * *

اثنتين وأربعين وخمسمائة

ولاية ابن هبيرة ديوان الزمام

فيها ولي أبو المظفر يحيى بن هبيرة ديوان الزمام.

* * *

مقتل بزبة شحنة إصبهان

وفيها سار الأمير بزبة واستمال شحنة إصبهان وانضاف معه محمد شاه فأرسل السلطان مسعود عساكر أذربيجان، وكان بزبة في خمسة آلاف فالتقوا فكسرهم بزبة واشتغل جيشه بالنهب فجاء في الحال مسعود بعد المصاف في ألف فارس فحمل عليهم فتقنطر الفرس ببزبة فوقع وجيء به إلى مسعود فوسطه وجيء برأسه فعلق ببغداد.

* * *

ثلاث وأربعين وخمسمائة

هزيمة الفرنج عند دمشق

فيها جاءت من الفرنج ثلاثة ملوك إلى بيت المقدس وصلوا صلاة الموت وردوا على عكا وفرقوا في العساكر سبعمائة ألف دينار وعزموا على قصد الإسلام. وظن أهل دمشق أنهم يقصدون قلعتين بقرب دمشق فلم يشعروا بهم في سادس ربيع الأول إلا وقد صبحوا دمشق في عشرة آلاف فارس وستين ألف رجل فخرج المسلمون فقاتلوا فكانت الرجالة الذين برزوا لقتالهم مائة وثلاثين ألفًا والخيالة طائفة كبيرة فقتل في سبيل الله نحو المائتين منهم الفقيه

يوسف الفندلاوي والزاهد عبد الرحمن الحلحولي، فلما كان في اليوم الثاني خرجوا أيضًا واستشهد جماعة وقتلوا من الفرنج ما لا يحصى.

فلما كان في اليوم الخامس وصل غازي بن أتابك زنكي في عشرين ألف فارس ووصل أخوه نور الدين محمود إلى حماه رديفًا له. وكان في دمشق البكاء والتضرع وفرش الرماد أيامًا وأخرج مصحف عثمان إلى وسط الجامع، وضج النساء والأطفال مكشفين الرؤوس فأغاثهم الله.

وكان مع الفرنج قسيس ذو لحية بيضاء فركب حمارًا وعلق في حلقه الطيب وفي يديه صليبين وقال للفرنج: أنا قد وعدني المسيح أن آخذ دمشق ولا يردني أحد. فاجتمعوا حوله وأقبل يريد البلد فلما رآه المسلمون صدقت نيتهم وحملوا عليه فقتلوه وقتلوا الحمار وأحرقوا الصلبان وجاءت النجدة المذكورة؛ فهزم الله الفرنج وقتل منهم خلق.

* * *

أربع وأربعين وخمسمائة

ارتفاع الغلاء عن بغداد، في المحرم ارتفع عن الناس ببغداد الغلاء وخرج أهل القرى.

* * *

مقتل صاحب أنطاكية

وغزا نور الدين محمود بن زنكي فكسر الفرنج وقتل صاحب أنطاكية، وكانت وقعة عظيمة قتل فيها ألف وخمسمائة من الفرنج وأسر مثلهم وذل دين الصليب.

* * *

وقوع جوسلين في الأسر

وكان جوسلين لعنه الله قد ألهب الخلق بالأذية والغارات وهو صاحب تل باشر واعزاز وعينتاب والراوندان وبهسنا والبيرة ومرعش

وغير ذلك فسار لحربه سلحدار نور الدين فأسره جوسلين، فدس نور الدين جماعة من التركمان: من جاءني بجوسلين أعطيته مهما طلب، فنزلوا بأرض عنتاب فأغار عليهم جوسلين وأخذ امرأة مليحة فأعجبته وخلا بها تحت شجرة فكمن له التركمان وأخذوه أسيرًا حقيرًا وأحضروه إلى نور الدين فأعطى الذي أسره عشرة آلاف دينار، وكان أسره فتحًا عظيمًا، واستولى نور الدين على أكثر بلاده.

* * *

ومن حوادث سنة أربع وأربعين وخمسمائة

رواية ابن القلانسي عن انتصار نور الدين على صاحب أنطاكية

قال أبو يعلى التميمي في تاريخه: كان قد كثر فساد الفرنج المقيمين بعكا وصور والسواحل بعد رحيلهم عن حصار دمشق وفساد شروط الهدنة التي بين أنر وبينهم، فشرعوا في العبث بالأعمال الدمشقية فنهض معين الدين أنر بالعسكر مغيرًا على ضياعهم وخيم بحوران وكاتب العرب وشن الغارات على أطراف الفرنج وأطلق أيدي التركمان في نهب أعمال الفرنج حتى طلبوا تجديد الهدنة والمسامحة ببعض المقاطعة وترددت الرسل، ثم تقررت الموادعة مدة سنتين وتحالفوا على ذلك، ثم بعث أنر الأمير مجاهد الدين بزان بن مامين في جيش نجدة لنور الدين على حرب صاحب أنطاكية فكانت تلك الوقعة المشهودة التي انتصر فيها نور الدين على الفرنج ولله الحمد والمنة، وكان جمعه نحوا من ستة آلاف فارس سوى الأتباع والفرنج في أربعمائة فارس وألف رجل فلم ينج منهم إلا اليسير وقتل ملكهم البلنس فحمل رأسه إلى نور الدين، وكان هذا الكلب أحد الأبطال والفرسان المشهورين بشدة البأس عظيم الخلقة والتباهي في الشر،

ثم نازل نور الدين أنطاكية وحاصرها إلى أن ذلوا وسلموها بالأمان، فرتب فيها من يحفظها فجاءتها أمداد الفرنج، ثم اقتضت الحال مهادنة من في أنطاكية وموادعتهم.

* * *

موت معين الدين أنر

وأما معين الدين أنر، فإنه مرض وجيء به من حوران في محفة ومات بدوسنطاريا في ربيع الآخر ودفن بمدرسته.

* * *

خمس وأربعين وخمسمائة

الأخبار بما جرى على الركب العراقي

جاءت الأخبار بما جرى على ركب العراق، طمع فيهم أمير مكة واستهون بقيماز وطمعت فيهم العرب ووقفوا يطلبون رسومهم، فأشار بذلك قيماز فامتنع الناس عليه ولما وصلوا إلى الغرابي خرجت عليهم العرب فأخذوا ما لا يحصى حتى أنه أخذ من خاتون أخت السلطان مسعود ما قيمته مائة ألف دينار، وذهب للتجار أموال كثيرة، واستعنت العرب وتمزق الناس وهربوا مشاة في البرية فمات خلق جوعًا وعطشًا وبردًا وطلى بعض النساء أجسادهن بالطين سترا للعورة. وتوصل قيماز في نفر قليل.

* * *

الصلح بين نور الدين ومجير الدين

وفيها كان الصلح، فإن نور الدين نازل دمشق وضايقها، ثم اتقى الله في دماء الخلق وخرج إليه مجير الدين أبق صاحب البلد ووزيره الرئيس ابن الصوفي وخلع عليهما ورحل إلى حلب والقلوب معه لما رأوا من دينه.

مطر الدم باليمن

قال ابن الجوزي: وجاء في هذه السنة باليمن مطر كله دم وصارت الأرض مرشوشة وبقي أثره في ثياب الناس.

دفاع الموحدين عن قرطبة

وفيها جهز عبد المؤمن بن علي ثاني مرة جيشًا من الموحدين في إثني عشر ألف فارس إلى قرطبة؛ لأن الفرنج نازلوها في أربعين ألفًا ثلاثة أشهر

وكادوا أن يملكوها، فكشف عنها الموحدون ولطف الله.

* * *

ست وأربعين وخمسمائة

وعظ ابن العبادي بجامع المنصور

قدم السلطان بغداد في رمضان وسأل الواعظ ابن العبادي أن يجلس في الجامع المنصور، فقيل له: لا تفعل فإن أهل الجانب الغربي لا يمكنون إلا الحنابلة، فلم يقبل وضمن له نقيب النقباء الحماية، فجلس في ذي الحجة يوم جمعة وحضر أستاذ دار والرؤساء وخلائق فلما شرع في الكلام كثر اللغط والضجات، ثم أخذت عمائم وفوط وجذبت السيوف حول ابن العبادي فثبت وسكن الناس، ثم وعظ.

* * *

أسر جوسلين

وفيها أسر نور الدين جوسلين فارس الفرنج وبطلها المشهور وأخذ بلاده وهي عزاز وعينتاب وتل باشر.

* * *

ومن سنة ست وأربعين وخمسمائة

تحشد عساكر نور الدين قرب دمشق

في عاشوراء نزل عسكر نور الدين بعذرًا ونواحيها، ثم قصد من الغد طائفة منهم إلى ناحية النيرب والسهم وكمنوا عند الجبل لعسكر دمشق فلما خرجوا جاءهم النذير فانهزموا إلى البلد وسلموا، وانتشرت العساكر الحلبية بنواحي البلد واستؤصلت الزروع والفاكهة من الأوباش وغلت الأسعار، وتأهبوا الحفظ البلد، فجاءت رسل نور الدين يقول: أنا أؤثر الإصلاح للرعية وجهاد المشركين، فإن جئتم معي في عسكر دمشق وتعاضدنا على الجهاد فذلك المراد.

فلم يجيبوه بما يرضيه فوقعت مناوشة بين العسكرين ولم يزحف نور الدين

رفقًا بالمسلمين، ولكن خربت الغوطة والحواضر إلى الغاية بأيدي العساكر وأهل الفساد وعدم التبن وعظم الخطب والأخبار متوالية بإحشاد الفرنج واجتماعهم لإنجاد أهل البلد. فضاقت صدور أهل الدين. ودام ذلك شهرًا والجيش النوري في جمع لا يحصى وأمداده واصلة وهو لا يأذن لأحد في التسرع إلى القتال، ولكن جرح خلق.

* * *

تحالف الفرنج وعسكر دمشق

ثم ترحل بهم إلى ناحية الأعوج لقرب الفرنج، ثم تحول إلى عين الجر بالبقاع فاجتمعت الفرنج مع عسكر دمشق وقصدوا بصرى لمنازلتها فلم يتهيأ لهم ذلك وانكفأ عسكر الفرنج إلى أعمالهم وراسلوا مجير الدين والرئيس المؤيد يلتمسون باقي المقاطعة المبذولة لهم على ترحيل نور الدين وقالوا: لولا نحن ما ترحل.

* * *

غزوة الأسطول المصري إلى سواحل الشام

وورد الخبر بمجيء الأسطول المصري إلى ثغور الساحل في هيئة عظيمة وهم سبعون مركبًا حربية مشحونة بالرجال قد أنفق عليها على ما قيل ثلاثمائة ألف دينار، فقربوا من يافا فقتلوا وأسروا واستولوا على مراكب الفرنج، ثم قصدوا عكا ففعلوا مثل ذلك وقتلوا خلقًا عظيمًا من حجاج الفرنج وقصدوا صيدا وبيروت وطرابلس وفعلوا بهم الأفاعيل. ولولا شغل نور الدين لأعان الأصطول. وقيل: إنه عرض عسكره فبلغوا ثلاثين ألفًا.

* * *

سبع وأربعين وخمسمائة

فتح أنطرطوس وغيرها

جاءت الأخبار بافتتاح أنطرطوس وقتل من بها من الفرنج وأمن بعضهم

وافتتح نور الدين عدة حصور صغار، وظفر أهل عسقلان بفرنج غزة وقتلوا.

* * *

دخول نور الدين دمشق

ومن سنة سبع وأربعين وخمسمائة في أولها قدم شيركوه رسولاً من نور الدين، فنزل بظاهر دمشق في ألف فارس فوقع الاستيحاش منه ولم يخرجوا لتلقيه، وترددت المراسلات ولم يتفق حال، ثم أقبل نور الدين في جيوشه فنزل ببيت الآبار وزحف على البلد فوقعت مناوشة ثم زحف يومًا آخر فلما كان في عاشر صفر باكر الزحف وتهيأ لصدق الحرب وبرز إليه عسكر البلد ووقع الطراد وحملوا من الجهة الشرقية من عدة أماكن فاندفعوا بين أيديهم حتى قربوا من سور باب كيسان والدباغة وليس على السور آدمي لسوء تدبير صاحب دمشق غير نفر يسير من الأتراك لا يعول عليهم فتسرع بعض الرجالة إلى السور وعليه يهودية فأرسلت إليه حبلاً فصعد فيه وحصل على السور ولم يدر به أحد وتبعه من تبعه ونصبوا علمًا وصاحوا: نور الدين يا منصور. فامتنع الجند والرعية من الممانعة محبة في نور الدين وبادر بعض قطاعي الخشب بفأسه فكسر قفل الباب الشرقي فدخل العسكر. وفتح باب توما ودخل الجند، ثم دخل نور الدين وسر الخلق.

ولما أحس مجير الدين بالغلبة انهزم إلى القلعة وطلب الأمان على نفسه وماله ثم خرج إلى نور الدين فطيب قلبه، وتسرع الغوغاء إلى سوق علي وغيره فنهبوا فنودي في البلد بالأمان.

وأخرج مجير الدين ذخائره وأمواله من القلعة إلى الأتابكية دار جده، ثم تقدم إليه بعد أيام بالمسير إلى حمص في خواصه وكتب له المنشور بها.

* * *

أخذ الفرنج عسقلان

قال ابن الأثير: وفيها أخذت الفرنج عسقلان وكانت للظافر بالله، وكان الفرنج كل سنة يقصدونها ويحضرونها المصريون يرسلون إليها الأسلحة والذخائر والأموال، فلما قتل ابن السلار في هذا العام اغتنم الفرنج اشتغال

المصريين ونازلوها وجدوا في حصارها فخرج المسلمون وقاتلوهم وطردوهم فأيسوا من أخذها وعزموا على الرحيل عنها فأتاهم الخبر بأن أهلها قد اختلفوا وذلك؛ لأنهم لما قهروا الفرنج داخلهم العجب وادعى كل طائفة أن النصرة على يده ووقع بينهم خصام على ذلك حتى قتل بينهم رجل فعظمت الفتنة وتفاقم الشر وتجادلوا فقتل بينهم جماعة وزحفت الفرنج في الحال فلم يكن على السور من يمنعهم فملكوا البلد، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

ثمان وأربعين وخمسمائة

خروج الغز على السلطان سنجر

فيها خرجت الترك على السلطان سنجر وهم الغز يدينون بالإسلام في الجملة ويفعلون فعل التتار، وكان بينهم ملحمة عظيمة فكسر سنجر واستبيح عسكره قتلا وأسرا، ثم هجمت الغز نيسابور فقتل معظم من فيها من المسلمين، ثم ساروا إلى بلخ فملكوا البلد وكانت عدتهم فيما قيل: مائة ألف خركاه، ثم أسروا سنجر وأحاطوا به وذاق الذل وملكوا بلاده وبتوا الخطبة باسمه وقالوا: أنت السلطان ونحن أجنادك ولو أمنا إليك لمكناك من الأمر وبقي معهم صورة بلا معنى.

* * *

تسع وأربعين وخمسمائة

حصار تكريت

فيها نفذ الخليفة عسكرا فما أخذوا تكريت بعد حصار ومجانيق وتعب وقتل من الفريقين عدة، ثم رأى الخليفة أن أخذها يطول فرجع بعد أن نازلها مدة أيام، ثم بعد شهر عرض جيشه فكانوا ستة آلاف فجهزهم لحصارها مع الوزير ابن هبيرة، وأنفق في الجيش نحو ثلاثمائة ألف دينار سوى الإقامة، فإنها كانت تزيد على ألف كر فوصل الخبر بأن مسعود بلال جاء في عسكر عظيم إلى شهرابان ونهبوا الناس. وطلب ابن هبيرة للخروج إليهم.

* * *

ولاية نور الدين مصر

فكتب المقتفي لأمر الله عهدًا لنور الدين محمود بن زنكي وولاه مصر وأمره بالمسير إليها، وكان مشغولاً بحرب الفرنج وهو لا يفتر من الجهاد وما له إلا أيامًا قد تملك دمشق في صفر، وأخذها من صاحبها مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن طغتكين.

* * *

أخذ نور الدين دمشق

وكانت الفرنج قد ملكوا عسقلان وطمعوا في دمشق حتى أنهم استعرضوا من بها من الرقيق فمن أراد المقام تركوه ومن أراد العود إلى وطنه أخذ قهرًا من مالكه. وكان لهم على أهلها كل سنة قطيعة فتجيء رسلهم ويأخذون من الناس، فراسل نور الدين مالكها مجير الدين واستماله وواصله بالهدايا وأظهر له المودة حتى ركن إليه وكان يرسل إليه أن فلانًا قد بعث إلي وكاتبني في تسلم دمشق فاحذره، فكان مجير الدين يقبض على ذلك الرجل ويقطع خبره إلى أن قبض على نائبه عطاء بن حفاظ وقتله.وكان نور الدين لا يتمكن مع وجود عطاء من أخذ دمشق، ثم كاتب نور الدين من بدمشق من الأحداث واستمالهم ووعدهم ومناهم فوعدوه بأن يسلموا إليه البلد فلما وصل نور الدين إلى دمشق بعث مجير الدين يستنجد بالفرنج فتسلم نور الدين البلد من قبل أن يقدموا وذلك أن نور الدين حاصرها فسلم إليه أهل البلد من ناحية الباب الشرقي وحصر مجير الدين في القلعة وبذل له إن سلم القلعة بلد حمص فنزل فلما سار إلى حمص أعطاه عوضها بالس فغضب، ولم يرض بها وسار إلى بغداد فبقي بها مدة وبنى بها دارًا فاخرة بقرب النظامية.

انهزام الإسماعيلية أمام الخراسانيين

وفيها ثارت الإسماعيلية واجتمعوا سبعة آلاف مقاتل من بين فارس وراجل وقصدوا خراسان ليملكوها عندما ينزل بها من الغز فتجمع لهم أمراء من جند خراسان ووقع المصاف فهزم الله الإسماعيلية وقتل رؤوسهم وأعيانهم ولم ينج

منهم إلا الأقل، وخلت قلاعهم من الحماة، ولولا أن عسكر خراسان كانوا مشغولين بالغز لملكوا حصونهم واستأصلوا شأفتهم.

* * *

خمسين وخمسمائة

دخول الغز نيسابور

من أولها جاءت الأخبار إلى بغداد بدخول الغز التركمان نيسابور والفتك بأهلها فقتلوا بها نحوا من ثلاثين ألفًا وكان سنجر معهم عليه اسم السلطنة وهو في غاية الإهانة بين الغز ولقد أراد أن يركب فلم يجد من يحمل سلاحه فشده على وسطه وإذا قدم إليه الطعام خبأ منه شيئًا لوقت آخر خوفًا من انقطاعه عنه.

* * *

الوقعة بين عسكر التركماني وعسكر الخليفة

كانت وقعة بين العسكر التركماني وبين عسكر الخليفة فهزموه وتبعوه، ثم خرج لهم كمين فهزمهم، ثم أذعن بطاعة الخليفة وأطلق الأسرى.

* * *

دخول المقتفي الكوفة

وفيها سار المقتفي إلى الكوفة واجتاز في سوقها ودخل جامعها.

* * *

مسير ابن رزيك إلى القاهرة

وفي أولها سار الصالح طلائع بن رزيك من الصعيد على قصد القاهرة للانتقام من عباس صاحب مصر الذي قتل الظافر بالله، فلما سمع مجيئه خرج من مصر لقلة من بقي معه من الجند وسار نحو الشام

بما معه من الأموال والتحف التي لا تحصى، لأنه كان قد استولى على القصر وتحكم في ذخائره ونفائسه.

* * *

قتل الفرنج صاحب مصر

فخرجت عليه الفرنج من عسقلان فقاتلوه وقتلوه واستولوا على جميع ما معه وأسروا ابنه نصرا وباعوه للمصريين.

* * *

دخول ابن رزيك القاهرة

وأما طلائع فدخل القاهرة بأعلام مسودة وثياب سود في هيئة الحزن وعلى الرماح شعور النساء مقطعة حزنًا على الظافر، ثم نبش الظافر من دار عباس ونقله إلى مقبرة آبائه.

* * *

تملك نور الدين قلاعا بنواحي قونية

وأما نور الدين فإنه سار بجيشه فملك عدة قلاع وحصون بالسيف وبالأمان من بلاد الروم من نواحي قونية وعظمت ممالكه وبعد صيته وبعث إليه المقتفي تقليدًا وأمر بالمسير إلى مصر ولقب بالملك العادل.

* * *

سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

دخول السلطان سليمان شاه بغداد والخلعة عليه قدم في أواخر سنة خمسين إلى بغداد السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه مستجيرًا بالخلافة فخرج عليه لتلقيه ولد الوزير عون الدين ولم يترجل أحد منهما للآخر ولم يحتفل بمجيئه لتمكن الخليفة وقوته وكثرة جيوشه، فلما كان في نصف المحرم استدعي إلى باب الحجرة وحلف على النصح ولزوم طاعة أمير المؤمنين، ثم خطب له في آخر الشهر. وذكر في الخطبة بعد اسم السلطان سنجر ولقب بألقاب أبيه.

وفي وسط صفر أحضر وألبس الخلعة والتاج والسوارين وقرر بأن العراق

لأمير المؤمنين ولا يكون لسليمان شاه إلا ما يفتحه من بلاد خراسان، ثم خرج فقدم له الخليفة عشرين ألف دينار ومائتي كر وخلع على أمرائه، ثم سار الخليفة ومعه سليمان شاه إلى أن وصل حلوان ونفذ معه العسكر.

هرب السلطان سنجر من يد الغز وفيها في رمضان هرب السلطان سنجر بن ملكشاه من يد الغز في جماعة من الأمراء فساروا إلى قلعة ترمذ فاستظهر بها على الغز، وكان خوارزم شاه أتسز هو والخاقان محمود بن محمد ابن أخت سنجر يقاتلان الغز والحرب بينهم سجال فذلت الغز بموت علي بك وكان أشد شيء على السلطان سنجر وعلى غيره، ثم قضت الأتراك الفارغية إلى خدمة سنجر وتجمع جيش ورد إلى دار ملكه مرو فكانت مدة أسره مع الغز إلى أن رجع إلى دست سلطنته ثلاث سنين وأربعة أشهر.

* * *

سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة

الحرب بين محمد شاه والخليفة، ثم قرب محمد شاه بن محمود من بغداد وجاءه زين الدين علي كوجك صاحب إربل نجدة فحصرا بغداد واختلف عسكر الخليفة عليه وفرق الخليفة سبعة آلاف جوشن وعملت الأترسة الكبار والمجانيق الكثيرة وأذن للوعاظ في الجلوس بعد منعهم في سنة وخمسة أشهر، ثم ركب محمد شاه وعلي كوجك وصاروا في ثلاثين ألفًا ورموا بالنشاب إلى ناحية التاج؛ وقاتلت العامة ونهب الجانب الغربي وأحرقوا مائتين وسبعين دولابًا.

وقاتل عسكر الخليفة في السفن كل ذلك في المحرم.

فلما كان ثالث صفر جاء عسكر محمد في جمع عظيم وانتشروا على دجلة وخرج عسكر الخليفة في السفن يقاتلون، وكان يومًا مشهودًا. فلما كان يوم سادس عشر صفر وصلت سفن للقوم فخرجت سفن الخليفة تمنعها من الإصعاد وجرى قتال عظيم وقاتل سائر أهل البلد.

وجاء الحاج سالمين فدخلوا بغداد من هذا الجانب، فلما كان يوم سادس وعشرين جاء بريد يخبر بدخول ملكشاه بن السلطان مسعود همذان وكبس

بيوت المخالفين ونهبها، ففرح الناس، فلما كان يوم سلخ صفر عبر في السفن ألف فارس وصعدوا فدخلوا دار السلطنة فنزل منكورس الشحنة، وكان أحد الأبطال المذكورين فأحاط بهم وقتل منهم جماعة ورمى الباقون أنفسهم في الماء، واتصل القتال وكان الخليفة يفرق كل يوم نحوا من مائة كر، وفي بعض الأيام فرق على الجند خمسة وعشرين ألف نشابة والكل من عنده لم يكلف أحدًا ولا استقرض.

وحكى الزجاج الحلبي أنه عمل في هذه النوبة ثمانية عشر ألف قارورة للنفط، وفي خامس ربيع الأول خرج منكورس وقيماز السلطاني والخيالة والرجالة فحملوا اثنتي عشر حملة واقتتلوا.

وفي العشرين من ربيع الأول جاءوا بالسلالم التي عملوها وكانت أربعمائة سلم لينصبوها على السور فلم يقدروا وأصبحوا يوم الجمعة فلم يجر يومئذ كبير قتال وهي الجمعة الثالثة التي لم تصل بها الجمعة ببغداد في غير جامع القصر.

ثم قدمت بنت خوارزم شاه زوجة سليمان شاه وكانت قد أصلحت بين ملكشاه وبين الأمراء جميعهم في همذان وجاءت في زي الحجاج الصوفية إلى الموصل وعليها مرقعة ومعها ركابي في زي شحاذ، ثم جاءت حتى صارت في عسكر محمد شاه وتوصلت وعبرت إلى الخليفة فأكرمت وأفردت لها دار، وأخبرت بدخول ملكشاه همذان وبأنه نهب دور المخالفين.

وفي الخامس والعشرين منه صعد أهل بغداد السور بالسلاح وجاء العدو ومعهم السلالم وهموا بطم الخندق فخرج الناس واقتتلوا.

وفي التاسع والعشرين منه نادوا: اليوم يوم الحرب العظيم فلا يتأخرن أحد فخرج الناس ولم يجر قتال.

وبعث محمد شاه إلى علي كوجك يعاتبه ويقول: أنت وعدتني بأخذ بغداد فبغداد ما حصلت وخرجت من يدي همذان وأخربت بيوتي وبيوت أمرائي، فأنا عازم على المضي فشجعه ونخاه وقال: نمد الجسر ونعبر ونطم الخندق وكانوا قد صنعوا غرائر وملأوها ترابًا وننصب هذه السلالم الطوال ونحمل حملة

واحدة ونأخذ البلد.

ثم أخذوا يتسللون وقلت عليهم الميرة وهلك منهم خلق، ثم استأمن خلق كثير منهم وخامروا ودخلوا وأخبروا بأن القوم على رحيل.

وفي العشرين من ربيع الآخر جرى قتال وعطلت الجمعة إلا من جامع القصر وهي الجمعة السابعة ووقع الواقع بين محمد شاه وبين كوجك، وهو يطمعه ويهون عليه أخذ بغداد.

ثم نصبوا الجسر وعبر أكثر عسكر محمد شاه وعبر محمد شاه من الغد في أصحابه إلى عشية فلما كان العشاء قطع كوجك الجسر وقلع الخيم وبعث نقله طول الليل، ثم أصبح وضرب النار في زواريق الجسر وأخذ خزانة محمد شاه وخزانة وزيره ورحل، وبقي محمد شاه وأصحابه بقية يوم الثلاثاء، ثم وثب هو وعسكره فمنع الخليفة العسكر من أن يلحقوه ونهب أصحاب محمد شاه بعض الأعمال ثم قال الخليفة: اذهبوا إلى همذان فكونوا مع ملكشاه، وخلع عليهم وفرح الناس بالسلامة.

ثم ركب الخليفة يفتقد السور من أوله إلى آخره وكثرت الأمراض وغلت الأسعار، ثم جاء الخبر بوفاة السلطان سنجر فقطعت خطبته.

* * *

سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

الإتفاق بين ملكشاه وأخيه وقع الإتفاق بين ملكشاه وأخيه محمد شاه وأمده بعسكر ففتح به خوزستان ودفع عنها شملة التركماني.

زيارة المقتفي مشهد الحسين وفي ربيع الآخر زار المقتفي مشهد الحسين رضي الله عنه ومضى إلى واسط وعبر في سوقها.

إنفاق الوزير على مرضه وكان الوزير مريضًا فأنفق في مرضته نحو خمسة آلاف دينار لابن التلميذ الطبيب حمله.

خروج الخليفة إلى المدائن: وخرج الخليفة إلى المدائن، ثم خرج مرة أخرى

إلى المدائن، وخرج يوم الفطر، وكان موكبه بتجمل وحشمة لم يعهد مثلها من الإعمار، وقوع المطر ووقع في شوال مطر وبرد أكبر من البيض.

* * *

نجاة نور الدين بعد انهزام عسكره، ثم التقى نور الدين الفرنج فانهزم عسكره وثبت هو ساعة، ثم ولى العدو خوفا من كمين يكون للمسلمين ونجى الله نور الدين وسلمه.

تحريض نور الدين على فرض الرسوم وفي رجب تجمع قوم من الظلمة وعزموا على تحريض نور الدين على إعادة ما كان أبطله وتملك دمشق من رسوم دار البطيخ والأنهار وضمنوا القيام بعشرة آلاف دينار حتى أجيبوا إلى ما راموه وعسفوا الناس، ثم أبطل نور الدين ذلك كله بعد أربعين يومًا.

خروج ملك القسطنطينية لقتال المسلمين وفيها بدر ملك الروم من القسطنطينية بجيوشه وقصد ممالك الإسلام ووصلت خيله غائرة على أعمال أنطاكية فتأهب المسلمون للجهاد.

* * *

سنة أربع وخمسين وخمسمائة

الرضا عن ترشك فيها وقع ترشك ولم يشعر به إلا وقد ألقى نفسه تحت التاج ومعه كفن فوقع الرضا عنه.

انتهاب الغز نيسابور وفيها عاد الغز ونهبوا نيسابور، وكان بها ابن أخت سنجر فهرب إلى جرجان.

وقوع الخليفة وفيها سافر الخليفة إلى واسط فرماه فرسه وشج جبينه بقبيعة السيف.

* * *

سنة خمس وخمسين وخمسمائة

سلطنة سليمان شاه فيها أفرج علي كوجك عن سليمان شاه بن محمد وسلطنه وخطب له وبعثه إلى همذان؛ وذهب ابن أخيه ملكشاه بن محمود إلى

أصبهان طالبًا للملك فمات بها.

منع المحدثين من السماع بجامع القصر وفيها منع المحدثون من السماع في جامع القصر؛ لأن بعض الأحداث قرأوا شيئًا من الصفات وأتبعوه بذم المناوئين فمنعوا.

وفاة المقتفي لأمر الله وفي ثاني ربيع الأول توفي المقتفي لأمر الله وطلبت الناس نصف النهار لبيعه المستنجد بالله فأول من بايعه عمه أبو طالب، ثم أخوه أبو جعفر، وكان أسن من أخيه المستنجد ثم بايعه ابن هبيرة وقاضي القضاة.

الخطبة لرسلان شاه وفي شوال اتفق الأمراء، بهمذان على القبض على سليمان شاه وخطبوا لرسلان شاه ابن طغرل.

العفو عن علي كوجك وفيه ورد علي كوجك إلى بغداد قاصدًا للحج فخلع عليه وعفي عنه ما أسلف من حصار بغداد مع محمد شاه.

وفاة قاضي القضاة الثقفي وولي قضاء القضاة أبو جعفر الثقفي وعزل أبو الحسن علي بن أحمد الدامغاني، فلم يبق الثقفي إلا أشهرًا ومات فولي مكانه ولده جعفر.

* * *

سنة ست وخمسون وخمسمائة

قطع خطبة سليمان شاه في المحرم قطعت خطبة سليمان شاه من المنابر، ثم خطب لأرسلان شاه.

الخطبة لأرسلان شاه قال ابن الأثير: لما قتل سليمان شاه أرسلوا إلى إيلدكز، صاحب أران وأكثر أذربيجان فطلبه الأمير كردباز ليخطب لأرسلان الذي معه. وكان إيلدكز قد تزوج بأم أرسلان وولدت له البهلوان بن إيلدكز. وكان إيلدكز أتابكه وأخوه لأمه البهلوان حاجبه.

وكان إيلدكز مملوكًا للسلطان مسعود فأقطعه أران وبعض أذربيجان ووقع الاختلاف فلم يحضر إيلدكز عند فرقتهم أصلاً. وعظم شأنه وجاءته الأولاد من أم السلطان أرسلان فسار إيلدكز في العساكر وهم نحو من عشرين ألفًا ومعه

أرسلان ابن طغرل بن محمد ملكشاه فتلقاهم ابن كردباز وأنزله بهمذان في دار السلطنة وخطب لأرسلان، ثم بعثوا إلى بغداد يطلبون له السلطنة فأهين رسولهم.

وكان قد تغلب على الري الأمير إينانج وقوي حاله فصالحه إيلدكز وزوج ولده البهلوان بابنة إينانج وزفت إليه بهمذان.

إنهزام البهلوان، ثم التقى البهلوان وصاحب مراغة اقسنقر فانهزم البهلوان فجاء إلى همذان على أسوأ حال.

النهب والإحراق بنيسابور وفيها كثر اللصوص والحرامية بنيسابور ونهبوا دور الناس نهارًا وجهارًا فقبض المؤيد على نقيب العلويين أبي القاسم زيد الحسيني وعلى جماعة وقتل جماعة وخربت نيسابور.

ومما خرب سبع عشرة مدرسة للحنفية وأحرقت خمس خزائن للكتب ونهبت سبع خزائن وبيعت بأبخس الأثمان. وخرب مسجد عقيل.

الخوف من الفتنة بين الرافضة والسنة وانتشر في هذه الأيام وقت عاشوراء الرفض والتسنن حتى خيف من فتنة تقع.

ركوب المستنجد للصيد وفيه ركب المستنجد بالله وراح إلى الصيد، ثم بعد أيام خرج أيضًا إلى الصيد.

الرخص ببغداد وكان الرخص كثيرًا ببغداد فأبيع اللحم أربعة أرطال بقيراط والبيض كل مائة بقيراط.

مقتل الصالح طلائع بن رزيك وفيها كان مقتل الملك الصالح طلائع بن رزيك واستولى على مصر شاور.

* * *

سنة سبع وخمسين وخمسمائة

رجوع الحاج العراقي فمن الحوادث فيها أن الحاج العراقي وصلوا مكة فلم يدخل أكثرهم لفتن جرت، وإنما دخلت شرذمة ورجع أكثر الناس بلا حج.

خروج الخليفة للصيد وفيها خرج الخليفة للصيد على طريق واسط.

الحريق ببغداد، ووقع فيها حريق عظيم ببغداد احترق سوق الطير والبزوريين وإلى سوق الصفر وإلخان واحترق كثير من الطيور.

انتصار المسلمين على الكرج وفيها كان مصاف كبير وحرب شديد بين جيوش أذربيجان وأرمينية وبين الكرج فنصر المسلمون وغنموا ما لا يحد ولا يوصف.

* * *

سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

عودة الحجيج جاءت الأخبار بما تم على الحجيج عاث عبيد مكة في الركب، فثار عليهم أصحاب أمير الحاج فقتلوا منهم جماعة فردوا إلى مكة وتجمعوا، ثم أغاروا على جمال الحاج فانتهبوا نحوا من ألف جمل فركب أمير الحاج وجنده بالسلاح ووقع القتال وقتل طائفة، ثم جمع الأمير الناس ورجع بهم ولم يطوفوا.

بناء كشك الخليفة والوزير وفيها بني ببغداد كشك للخليفة وكشك للوزير وأنفق عليهما مبلغ عظيم.

ثورة بني خفاجة وثار بنو خفاجة بالعراق فعاثت وأفسدت، وكانت القوافل تؤخذ إلى باب الحربية.

قتل العادل بن الصالح طلائع وفيها قتل العادل بن الصالح طلائع بن رزيك وقام بعده شاور.

استيلاء المؤيد على بسطام ودامغان وفيها سار المؤيد أي: أبه صاحب نيسابور فاستولى على بسطام ودامغان واستعمل عليهما مملوكه تنكز.

انتصار المؤيد على صاحب مازندران وفيها التقى المؤيد وصاحب مازندران وانتصر المؤيد.

* * *

سنة تسع وخمسين وخمسمائة

مقتل بعض اللصوص وفيها خرج ببغداد تسعة من اللصوص فقتلوا.

كسرة الفرنج وفيها كسر نور الدين الفرنج كسرة هائلة وأخذ الإبرنس والقومص أسيرين.

قتل الملك المنصور ضرغام وفيها جهز نور الدين جيشًا عليهم أسد الدين شيركوه إلى مصر نجدة لشاور لكونه قصده واستجار به، فأول دخولهم قتل الملك المنصور ضرغام الذي كان قد قهر شاور وأخذ وزارة مصر منه في آخر العام الماضي.

تمكن شاور من مصر، ثم تمكن شاور ولم يلتفت على شيركوه فاستولى على بلبيس وأعمال الشرقية.

استنجاد شاور بالفرنج أرسل شاور يستنجدبالفرنج فسارعوا إليه وبذل لهم ذهبًا عظيمًا فجاءوا من القدس والسواحل والتجأ شيركوه وعسكر الشام إلى بلبيس وجعلها ظهرا له وحصروه ثلاثة أشهر ومنعته مع قصر سورها وعدم خندق لها. فبينا هم كذلك إذ أتاهم الفرنج أن نور الدين أخذ حصن حارم منهم وسار إلى بانياس فسقط في أيديهم فهموا بالعودة إلى بلادهم ليحفظوها وطلبوا الصلح مع شيركوه فأجابهم لقلة الأقوات عليه وسار إلى الشام سالما.

وقعة حارم: وفيها وقعة حارم وذلك أن نجم الدين ألبى الأرتقي صاحب ماردين نازل حارم ونصب عليها المجانيق فجاءتها نجدات الفرنج من كل ناحية واجتمع طائفة من ملوكهم وعلى الكل بيمند صاحب أنطاكية فكشفوا عن حارم وترحل عنها صاحب ماردين فقصدهم نور الدين - رضي الله عنه - فالتقى الجمعان فحملت الفرنج على ميمنة الإسلام فهزمتها فيقال: إنهم انهزموا عن خديعة قررت فتبعتهم الفرنج الفرسان، فمال المسلمون من الميسرة فحصدت رجاله الفرنج، ثم ردت الفرسان عليهم اللعنة، فأحاط بهم المسلمون واشتدت الحرب وطاب القتل في سبيل الله وكثر القتل في الفرنج والأسر، فكان في جملة الأسرى سلطان أنطاكية وصاحب طرابلس والدوك مقدم الروميين وابن جوسلين، وزادت عدة القتلى منهم على عشرة آلاف فلله الحمد على هذا الفتح

المبين.

فتح قلعة بانياس، ثم سار نور الدين بعد أن افتتح حارم فافتتح قلعة بانياس في آخر السنة، وكان لها بيد الفرنج ستة عشر عامًا، ولما عاد منها إلى دمشق قال ابن الأثير: كان في يده خاتم بفص ياقوت يسمى الجبل لكبره وحسنه فسقط من يده في شعرة بانياس فنفذ وراءه من فتش عليه فلقيه فقال فيه بعض الشعراء:

إن يمتري الشكاك فيك بأن ال ::: مهدي مطفئ جمرة الدجال
فلعودة الجبل الذي أضللته ::: بالأمس بين غياطل وجبال

* * *

سنة ستين وخمسمائة

القبض على الأمير ثوبة البدوي فيها خرج الخليفة إلى الصيد فقبض على الأمير ثوبة البدوي وسجن، ثم أهلك وكان قد واطأ عسكر همذان على الخروج.

مولد أربعة توائم وفي يوم النحر ولدت امرأة من درب بهروز يقال لها: بنت أبي العز الأهوازي أربع بنات ولم يسمع مثل هذا.

طرد الغز عن هراة وفيها كاتب أهل هراة المؤيد صاحب نيسابور، فبعث إليهم مملوكه تنكز فتسلمها وطرد الغز عن حصارها.

الفتنة بإصبهان وفيها وقعت فتنة عظيمة آلت إلى الحرب بإصبهان بين صدر الدين عبد اللطيف بن الخجندي وغيره من أصحاب المذاهب وسببها التعصب للمذاهب فدام القتال بين الفريقين ثمانية أيام قتل فيها خلق كثير وأحرق كثير من الدروب والأسواق. قاله: ابن الأثير.

* * *

أحداث سنة إحدى وستين وخمسمائة

الرفض في عاشوراء ظهر في أيام عاشوراء من الرفض ببغداد أمر عظيم حتى سبوا الصحابة وكانوا في الكرخ إذا رأوا مكحلاً ضربوه.

وقوع الرخص ووقع الرخص حتى أبيعت كارة الدقيق بعشرة قراريط قال ابن الجوزي: وقد اشتريتها في زمن المسترشد باثنتي عشر دينارًا هياج الكرج على بلاد الشام وفيها هاجت الكرج على بلاد الإسلام وقتلوا وسبوا وغنموا ما لا يحصى.

فتح المنيطرة وفيها افتتح نور الدين حصن المنيطرة.

* * *

سنة اثنتين وستين وخمسمائة

إرسال العسكر لحرب شملة وقع الإرجاف بمجيء شمله التركماني إلى قلعة الماهكي، وبعث يطلب ويتنطع فامتنع الخليفة أن يعطيه ما طلب من البلاد وبعث لحربه أكثر عسكر بغداد.

عودة ركب الحاج وقدم الركب وأخبروا بالأمن والرخص والمياه، وأنهم نقضوا القبة التي بنيت بمكة للمصريين.

مشاركة قطب الدين لعمه نور الدين الغزو: وفيها قدم قطب الدين من الموصل للغزو مع عمه نور الدين فاجتمعا على حمص وسارا بالجيوش فأغاروا على بلاد حصن الأكراد وحاصروا عرقة وحاصروا حلبة وأخذوا العريمة وصافيتا، ثم صاموا رمضان بحمص وساروا إلى بانياس فنازلوا حصن هونين وأحرقوه، وعزم نور الدين على منازلة بيروت فوقع خلف في العسكر فعاد قطب الدين إلى الموصل وأعطاه أخوه بلد الرقة.

مسير شيركوه إلى مصر وفيها كان مسير الأمير أسد الدين شيركوه المسير الثاني إلى مصر، جهز السلطان نور الدين المعظم جيوشه وقيل: بل جهز معه ألفي فارس فنزل بالجيزة محاصرًا لمصر مدة نيف وخمسين يوما فاستنجد شاور بالفرنج فدخلوا مصر من دمياط لنجدته فرحل أسد الدين من بين أيديهم وتقدم عن منزلته، ثم وقع بينه وبين المصرتين حرب على قلة عسكره وكثرة عدوه فانتصر فيها أسد الدين وقتل من الفرنج ألوفًا وأسر منهم سبعين فارسًا.

قال ابن الأثير: كانت هذه الوقعة من أعجب ما يؤرخ أن ألفي فارس تهزم عساكر مصر والفرنج الساحلية.

قلت: صدق والله ابن الأثير وهذه تسمى وقعة البابين وهو موضع بالصعيد أدركته فيه الفرنج والمصريون في جمادى الآخرة من السنة فعمل مشورة فأشاروا بالتعدية إلى الجانب الشرقي والرجوع إلى الشام وقالوا: إن انهزمنا إلى أين نالتجئ؟ فقال برغ النوري صاحب الشقيف: من خاف القتل إن القتل والأسر فلا يخدم الملوك والله لئن عدنا إلى نور الدين من غير غلبة ليأخذن إقطاعاتنا ويطردنا.

فقال أسد الدين: هذا رأيي. وقال صلاح الدين كذلك فوافق الأمراء ونصبوا للملتقى وجعلوا الثقل في القلب حفظًا له وتكثيرًا للسواد، وأقيم صلاح الدين في القلب وقال له عمه أسد الدين: إذا حملوا عل القلب فلا تصدقوهم القتال وتقهقروا، فإن ردوا عنكم فارجعوا على أعقابهم، ثم اختار هو طائفة يثق بشجاعتهم ووقف في الميمنة؛ فحملت الفرنج على القلب فناوشوهم القتال واندفعوا بين أيديهم على بقيتهم فتبعتهم الفرنج فحمل أسد الدين على باقي الفرنج والمصريين فهزمهم ووضع فيهم السيف، فلما عاد الفرنج من حملتهم على القلب رأوا عسكرهم مهزوما فولوا وانهزموا ونزل النصر.

ثم سار أسد الدين إلى الصعيد فجبى خراجها وأقام الفرنج بالقاهرة حتى استراشوا وقصدوا الإسكندرية وقد أخذها صلاح الدين يوسف ابن أخي أسد الدين فحاصروها أربعة أشهر وقاتل أهلها مع صلاح الدين أشد قتال بجموعه فترحل الفرنج عن الإسكندرية.

المهادنة بين أسد الدين وشاور، ثم وقعت مهادنة بين أسد الدين وشاور على أن ينصرف أسد الدين إلى الشام ويعطي خمسين ألف دينار، فأخذها ورجع.

واستقر بالقاهرة شحنة للفرنج وقطيعة مائة دينار في السنة.

* * *

سنة ثلاث وستين وخمسمائة

إمتناع حج المصريين لم يحج المصريون لما فيه ملكهم من الويل والاشتغال بحرب أسد الدين.

رخص الورد ببغداد ورخص الورد ببغداد إلى أن أبيع كل ثمانين رطلاً بقيراط.

وزارة البلدي وفيها ولي الوزير شرف الدين أبو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد ابن البلدي وزارة المستنجد بالله، وكان ناظرًا بواسط.

مصالحه البهلوان وصاحب مراغة وفيها كان حرب ومحاصرة من البهلوان لصاحب مراغة آقسنقر الأحمديلي، ثم وقع الصلح بعد مصاف كبير.

مشيخة الشيوخ وفيها ولي مشيخة الشيوخ والأوقاف بدمشق وحمص وحماه: أبو الفتح عمر بن علي بن حمويه.

* * *

سنة أربع وستين وخمسمائة

الإيقاع بالعيارين فيها واقع غلمان الخليفة العيارين بالدجيل، وقتل كثير منهم وجاءوا برؤوسهم وأخذ قائدهم، ثم صلب ببغداد وتسعة من اللصوص.

مصادرة الأمير قيماز وفيها صودر الأمير قيماز ببغداد أخذ منه ثلاثون ألف دينار وانكسر بذلك.

مسير أسد الدين إلى مصر: وفيها كان مسير أسد الدين إلى مصر المسير الثالث، وذلك أن الفرنج قصدت الديار المصرية في جمع عظيم، وكان السلطان نور الدين في جهة الشمال ونواحي الفرات فطلعوا عليه من عسقلان وأتوا بلبيس فحاصروها وملكوها واستباحوها، ثم نزلوا على القاهرة فحاصروها فأحرق شاور مصر خوفًا من الفرج فلما ضايقوا القاهرة بعث إلى ملكهم يطلب الصلح عل ألف ألف دينار يعجل له بعضها، فأجابه به ملك الفرنج مري إلى ذلك وحلف له، فحمل إليه شاور مائة ألف دينار وماطله بالباقي.

وكاتب في غضون ذلك الملك العادل نور الدين يستنجد به وسود كتابه وجعل في طيه ذوائب النساء وواصل كتبه يستحثه، فكان بحلب فساق أسد الدين من حمص إلى حلب في ليلة.

قال القاضي بهاء الدين يوسف بن شداد: قال لي السلطان صلاح الدين: كنت أكره الناس في الخروج إلى مصر هذه المرة وهذا معنى قوله:{فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا } [النساء: ١٩].

دعوة صلاح الدين لدخول مصر وقال ابن الأثير: حكي عن صلاح الدين قال: لما وردت الكتب من مصر إلى نور الدين أحضرني وأعلمني الحال وقال: تمضي إلى عمك أسد الدين مع رسولي تحثوه على الحضور. ففعلت فلما سرنا عن حلب ميلا لقيناه قادمًا فقال له نور الدين: تجهز. فامتنع خوفًا من غدرهم أولا وعدم ما ينفقه في العسكر آخرًا فأعطاه نور الدين الأموال والرجال وقال: إن تأخرت عن مصر سرت أنا بنفسي، فإن ملكها الفرنج لا يبقى معهم بالشام مقام.

فالتفت إلي عمي وقال: تجهز يا يوسف، قال: فكأنما ضرب قلبي بسكين!.

فقلت: والله لو أعطيت ملك مصر ما سرت، إليها فلقد قاسيت بالإسكندرية من المشاق ما لا أنساه.

قال عمي لنور الدين: لا بد من مسيره معي، فترسم له، فأمرني نور الدين وأنا أستقيله وانقضى المجلس.

ثم قال نور الدين: لا بد من مسيرك مع عمك، فشكوت الضائقة فأعطاني ما تجهزت به وكأنما أساق إلى الموت.

وكان نور الدين مهيبًا مخوفًا مع لينه ورحمته فسرت معه، فلما توفي أعطاني الله من الملك ما لا كنت أتوقعه.

وزارة أسد الدين رجعنا إلى ذكر مسير أسد الدين فجمع الجيوش وسار إلى دمشق وعرض الجيش، ثم سار إلى مصر في جيش عرمرم فقيل: كانوا سبعين ألف فارس وراجل. فتقهقهر الفرنج لمجيئه ودخل القاهرة في ربيع الآخر وجلس في الدست وخلع عليه العاضد خلع ودخل السلطنة وولاه وزارته وهذه نسخة العهد: من عبد الله أبي محمد عبد الله بن يوسف العاضد لدين الله أمير المؤمنين إلى السيد الأجل الملك المنصور سلطان الجيوش ولي الأئمة أسد الدين هادي دعاة المؤمنين أبي الحارث شيركوه العاضدي عضد الله بن الدين ومتع

ببقائه أمير المؤمنين وأدام أقدرته وأعلى كلمته سلام عليك؛ فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو ونسأله أن يصلي على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطاهرين والأئمة المهديين، ثم أتبع ذلك بخطبتين بليغتين وأنه ولاه الوزارة فوض إليه تدبير الدولة.

وكتب هو في أعلى المنشور بخطه: هذا عهد لم يعهد لوزير بمثله فتقلد أمانة رآك أمير المؤمنين أهلاً لحملها والحجة عليك عند الله بما أوضحه لك من مراشد سبله فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة واسحب ذيل الفخار بأن اعتزت بك بنو النبوة واتخذ للفوز سبيلا:{وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا } [النحل: ٩١].

قتل شاور وكان هذا قبل مقتل شاور؛ وهو أن أسد الدين لما دخل القاهرة، فأقام شاور بضيافته وضيافة عسكره وتردد إلى خدمته فطلب منه أسد الدين مالاً ينفقه على جيشه فماطله، فبعث إليه الفقيه ضياء الدين عيسى بن محمد الهكاري يقول: إن الجيش طلبوا نفقاتهم وقد مطلتهم بها وتغيرت قلبوبهم فإذا أبيت فكن على حذر منهم، فلم يؤثر هذا عند شاور وركب على عادته وأتى أسد الدين مسترسلا وقيل: إنه تمارض فجاء شاور يعوده فاعترضه صلاح الدين يوسف بن أيوب وجماعة من الأمراء النورية فقبضوا عليه فجاءهم رسول يطلب رأس شاور فذبح وحمل رأسه إليه.

موت شيركوه ثم لم يلبث أسد الدين أن حضرته المنية بعد خمسة وستين يومًا من ولايته.

تقليد صلاح الدين أمور الخليفة: وقلد العاضد الملك الناصر صلاح الدين يوسف الأمور، وهو لقبه الملك الناصر وكتب تقليده القاضي الفاضل فقام بالسلطنة أتم قيام.

* * *

سنة خمس وستين وخمسمائة

الزلازل في الشام وردت الأخبار بوقوع زلازل في الشام وقع فيها نصف حلب ويقال: هلك من أهلها ثمانون ألفًا، ذكره ابن الجوزي.

وقال العماد الكاتب: تواصلت الأخبار من جميع بلاد الشام بما أحدثت الزلزلة بها من الإنهداد والإنهدام وأن زلات زلازلها حلت وجلت ومعاقد معاقلها انحلت واختلت وانبت ما فيها وتخلت، وأن أسوارها علتها الأسواء وعرتها وقرت بها النواكب فنكبتها وما أقرتها وأنهارت بالأرجاف أجراف أنهارها، وأن سماءها انفطرت وشموسها كورت وعيونها غورت وعورت، وذكر فصلا طويلاً في الزلزلة وتهويلها.

* * *

سنة ست وستين وخمسمائة

وفاة المستنجد بالله فيها وفاة المستنجد بالله وما زالت الحمرة الكثيرة تعرض في السماء منذ مرض، وكانت ترمي ضوءها على الحيطان.

خلافة المستضيء بالله وبويع ابنه المستضيء أبو محمد الحسن وأمه أرمنينة؛ بايعه الناس وصلى ليومه على المستنجد ونادى برفع المكوس ورد مظالم كثيرة وأظهر من العدل والكرم ما لم نره من الأعمار قاله ابن الجوزي.

ثم قال: واحتجب المستضيء عن أكثر الناس فلم يركب إلا مع الخدم ولم يدخل عليه غير قيماز.

كتاب التهنئة برحيل الفرنج عن دمياط، وقال العماد الكاتب: أنشأت عن نور الدين كتابًا إلى العاضد يهنئه برحيل الفرنج عن دمياط، وكان قد ورد كتاب العاضد بالإسقالة من الأتراك في مصر خوفًا منهم والإقتصار منهم على صلاح الدين فقلت: الخادم يهنيء بما مضاه الله من الظفر الذي أضحك سن الإيمان، ثم ذكر أن الفرنج لا تؤمن غائلتهم والرأي إبقاء الترك بديار مصر.

وفاة قطب الدين ولما بلغ نور الدين وفاة أخيه قطب الدين بالموصل توجه ليدبر أحوالها.

دخول نور الدين الموصل، وكان الخادم فخر الدين عبد المسيح قد تعرض للحكم وأقام سيف الدين غازي مقام أبيه فقال نور الدين: أنا أولى بتدبير البلاد فسار مارا على قلعة جعبر واستصحب معه العسكر، ثم سير من الرقة العماد الكاتب في الرسيلة إلى الخليفة، ثم حاصر نور الدين سنجار وهدم سورها

بالمجانيق، ثم تسلمها وسلمها إلى ابن أخيه زنكي بن مودود.

وقصد الموصل فنزل عليها خاض إليها دلة من مخاضة دجلة عليها تركماني، ثم أنعم نور الدين على أولاد أخيه وأقر غازيًّا عليها وألبسه التشريف الذي وصل إليه من الإمام المستضيء، ثم دخل نور الدين قلعة الموصل فأقام بها سبعة عشر يومًا وجدد مناشير ذوي المناصب، فكتب منسورا لقاضيها حجة الدين ابن الشهرزوري وتوقيعًا لنقيب العلويين وكتب منشورا بإسقاط المكوس والضرائب فما أعيدت إلا بعد وفاته.

قال العماد: وكتبت له منشورًا أيضًا بإطلاق المكوس والضرائب في جمع بلاده.

قال: وحضر مجاهد الدين قايماز صاحب إربل في الخدمة النورية وزخرت الموصل بأمواج هداياه، ثم ولى نور الدين سعد الدين كمشتكين بقلعة الموصل عنه نائبًا وأمر فخر الدين عبد المسيح بأن يكون له في خدمته بالشام مصاحبًا، واقتطع عن صاحب الموصل: حران ونصيبين والخابور وعاد إلى سنجار فأعاد إلى عمارة أسوارها ودخل حلب في رجب.

أسر جماعة من الفرنج وكان ثلاثمائة فارس من الفرنج قد أغاروا فصادفهم صاحب البيرة شهاب الدين محمد بن إلياس بن إيلغازي بن أرتق وهو يتصيد فقتل وأسر أكثرهم وقدم بالأسارى على نور الدين، وكان بينهم سبعة عشر فارسًا فيهم مقدم الإسبتار الأعور بحصن الأكراد.

وللعماد الكاتب في شهاب الدين قصيدة مطلعها:

يروق ملوك الأرض صيد القنـــائص ::: وصيد شهاب الدين صيد القوامص

بناء مدرسة للشافعية والمالكية بمصر وفيها عمل صلاح الدين بمصر حبس المعونة مدرسة للشافعية وبنى دار الغزل مدرسة للمالكية.

تقليد قضاء مصر وقلد القضاء بديار مصر صدر الدين عبد الملك بن درباس الغارة على الرملة وعسقلان وغيرهما.

وخرج بجيوشه فأغار على الرملة وعسقلان وأولي الكفر الخذلان وهجم ربض غزة ورجع إلى مصر فتح قلعة أيلة واقتتح قلعة أيلة في السنة غزاها

جنده في المراكب واستباحها قتلاً وسبيًا.

سماع صلاح الدين من السلفي وفيها سار إلى الإسكندرية ليشاهدها ويرتب قواعدها وسمع بها حينئذ من السلفي.

تحويل منازل العز إلى مدسة للشافعية وفيها اشترى تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب منازل العز بمصر وصيرها مدرسة للشافعية.

وفاة ابن الخلال وفي جمادى الآخرة توفي بمصر القاضي ابن الخلال صاحب ديوان الإنشاء بمصر ولما كبر جلس في بيته، وكان القاضي الفاضل يوصل إليه كل ماله.

استيلاء الخزر على دوين وفيها ظهر ملك الخزر وفتح دوين وهي بلدة قرب أذربيجان وقتلوا من المسلمين بها ثلاثين ألفًا.

ظهور مغربي دعي وقتله وفيها ظهر بدمشق مغربي فربط طائفة من الأغنياء وأظهر التخابيل، ثم أدعى الربوبية فقتل ولله الحمد.

* * *

سنة سبع وستين وخمسمائة

عزل ابن رئيس الرؤساء في هذه السنة دخل نجاح الخادم على الوزير ابن رئيس الرؤساء ومعه خط الخليفة بعزله وأمر بطبق دواته وحل أزراره وإقامته من مسنده وقبض على ولده أستاذ الدار، ثم نهبت داره ودار ولده واستنيب ابن جعفر ناظر المخزن في الوزارة.

* * *

سنة ثمان وستين وخمسمائة

تدريس ابن الجوزي بجامع المنصور قال ابن الجوزي: جلست يوم عاشوراء بجامع المنصور فحضر من الجمع ما حزر بمائة ألف.

التخوف من عسكر همذان وفيها وقعت الأراجيف بمجيء العسكر من همذان، فأخذ الخليفة في التجنيد وعمارة السور وجمع الغلات وعرض العساكر.

حفل ختان إخوة الخليفة وعمل ختان إخواته إخوة الخليفة وأقاربه فتفرقت الخلع وذبح ألف رأس غنم وثلاثة آلاف دجاجة وعشرون ألف خشكنانكة وغير ذلك.

حضور الخليفة مجلس ابن الجوزي وفي رجب تقدم إلي بالجلوس بباب ليسمع الخليفة، فكنت أجلس أسبوعًا وأبو الخير القزويني إلى آخر رمضان وجمعي عظيم وجمعه يسير، ثم شاع أن أمير المؤمنين لا يحضر إلا مجلسي فكانت زيادة عظيمة ببغداد.

استيلاء قراقوش على طرابلس الغرب قال ابن الأثير: وفيها سار طائفة من الترك مع قراقوش مملوك تقي الدين عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين إلى جبال نفوسه، فاجتمع به بعض المقدمين هناك فاتفقا وكثر جمعهما ونزلا على طرابلس الغرب فحاصراها مدة، ثم فتحت فاستولى عليها قراقوش وسكنها وكثرت عساكره.

فتح برقة واليمن وفبها افتتح شمس الدولة أخو صلاح الدين برقة على يد غلام له تركي، ثم سار وافتتح اليمن بعد ذلك، وقبض على ابن مهدي الخارج باليمن. وكان شابًا أسود منحل الإعتقاد.

حصار صلاح الدين الكرك: وفيها سار صلاح الدين بعساكر مصر يريد الكرك، وإنما بدأ بها لقربها إليه، وكانت تمنع من يقصد الديار المصرية وتقطع القوافل فحاصرها وقاتل الفرنج، ثم رجع ولم يفتحتها.

* * *

سنة تسع وستين وخمسمائة

حريق الظفرية في المرحم وقع حريق بالظفرية فاحترقت مواضع كثيرة.

تدريس ابن الجوزي بجامع المنصور قال ابن الجوزي: وجلست يوم عاشوراء في جامع المنصور فحزر الجميع بمائة ألف كذا قال.

الإزدحام على درس ابن الجوزي بالحربية قال: وسألني في ربيع الأول أهل الحربية أن أعمل عندهم مجلسًا فوعدتهم ليلة، فانقلبت بغداد وعبر أهلها وتلقيت بشموع حزرت ألف شمعة وما رأيت البرية إلا مملوءة بالضوء وكان أمرا مفرطا فلو قال قائل: إن الخلق كانوا ثلاثمائة ألف لما أبعد.

وصول التقادم من نور الدين إلى الخليفة بمصر وفي رجب وصل ابن الشهرزوري بتحف، وتقادم للخليفة من نور الدين وفيها حمار مخطط كثوب عتابي وخرج الخلق للفرجة عليه.

وكان فيهم رجل عتابي كثير الدعاوى وهو بليد ناقص الفضيلة فقال رجل: إن كان بعث إلينا حمار عتابي فنحن عندنا عتابي حمار.

منازلة الفرنج الإسكندرية فلما كان السادس والعشرون من ذي الحجة وصل أصطول الفرنج من صقلية فنازلوا الإسكندرية بغتة فجاءوا على بناء مراسلة الذين صلبوا، وكان معهم ألف وخمسمائة فرس وعدتهم ثلاثون ألف مقاتل من بين فارس وراجل وكان معهم مائتا شيني وست سفن كبار وأربعون مركبًا.

وبرز لحربهم أهل الثغر فحملوا على المسلمين حملة أوصلتهم إلى السور ففقد من المسلمين فوق المائتين فلما أصبحوا زحفوا على الإسكندرية ونصبوا ثلاث دبابات بكباشها وهي كالأبراج وثلاث مجانيق تضرب بحجارة سود استصحبوها من صقلية فزحفوا إلى أن قاربوا السور فرأى الفرنج من شجاعة أهل الإسكندرية ما راعهم. وبعثت بطاقة إلى الملك صلاح الدين وهو نازل على فاقوس فاستنهض الجيش وبادروا. واستمر القتال.

وفي اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد وكبسوا الفرنح على غفلة وحرقوا الدبابات وصدقوا اللقاء ودام القتال إلى العصر، ونزل من الله النصر واستحر بالفرنج القتل، ورد المسلمون إلى البلد لأجل الصلاة، ثم كبروا عند المغرب وهاجموا الفرنج في خيامهم فتسلموها بما حوت وقتلوا من الرجالة ما لا

يوصف. واقتحم المسلمون البحر فغرقوا المراكب وخرقوها وهربت باقي المراكب وصار العدو بين أسير وقتيل وغريق، وأحتمى ثلاثمائة فارس في تل فأخذوا أسرى وغنم المسلمون غنيمة عظيمة فلله الحمد كثيرًا.

هلاك مري ملك الفرنج وفي آخر السنة هلك مري ملك الفرنج - لا رحمه الله. وهو الذي حاصر القاهرة وأشرف على أخذها.

رسالة ابن المقدم إلى صلاح الدين ورده عليها ولما بلغ صلاح الدين سوء تدبير الأمراء في دولة ابن نور الدين كتب إليهم ونهاهم عن ذلك، فكتب إليه ابن المقدم يردعه عن هذه العزيمة ويقول له: لا يقال عنك إنك طمعت في بيت من غرسك ورباك وأنبتك وصفى مشربك وأصفى ملبسك وفي دست ملك مصر أجلسك فما يليق بحالك غير فضلك وإفضالك.

فكتب إليه صلاح الدين: إنه لا يؤثر للإسلام وأهله إلا ما جمع شملهم وألف كلمتهم وللبيت الأتابكي أعلاه الله تعالى إلا ما حفظ أصله وفرعه فالوفاء إنما يكون بعد الوفاء، ونحن في دار والظانون بنا ظن السوء في واد.

* * *

سنة سبعين وخمسمائة

إعادة ابن الدمغاني إلى قضاء القضاة فيها أعيد أبو الحسن بن الدامغاني إلى قضاء القضاة ببغداد بعد أن بقي معزولا خمسة عشر عامًا.

موقف قايماز من توزير ابن المظفر وفيها أراد المستضيء بالله إعادة ابن المظفر إلى الوزارة فغضب من ذلك قايماز، وأغلق باب النوبي وباب العامة وهم بأمر سوء وقال: لا أقيم ببغداد حتى يخرج منها ابن المظفر هو وأولاده، فإنه عدوي ومتى عاد إلى الوزارة قتلني. فقيل لابن المظفر: تخرج من البلد فقال: لا أفعل.

فلما شدد عليه قال: إن خرجت قتلت فاقتلوني في بيتي.

فتلطفوا به فجاء فخر الدولة بن المطلب وشيخ الشيوخ وحلف له قايماز أن لا يؤذيه ولا يتبعه، وأصبح العسكر في السلاح والدروب تحفظ، ثم خرج بالليل الوزير ابن رئيس الرؤساء وأولاده وسكن البلد.

ثم دخل قايماز إلى الخليفة فاعتذر، ثم خرج طيب النفس، ثم بقيت الرسل تتردد واستقر الأمر أن ابن رئيس الرؤساء يعبر إلى الجانب الغربي.

إمتلاك صلاح الدين دمشق وفيها ملك صلاح الدين دمشق بلا قتال وكتب إلى مصر رجل من بصرى في الرابع والعشرين من ربيع الأول وقد توجه صاحبها في الخدمة، ثم لقينا ناصر الدين بن المولى أسد الدين والأمير سعد الدين بن أنر ونزلنا في الثامن والعشرين يجر الخشب والأجناد إلينا متوافية من دمشق، وأصبحنا ركبنا على خيرة الله فعرض دون الدخول عدد من الرجال فدعستهم عساكرنا المنصورة وصدمتهم ودخلنا البلد وساتقرت بنا دار ولدنا وأذعنا في أرجاء البلد النداء بإطابة النفوس وإزالة المكوس، وكانت الولاية فيهم قد ساءت وأسرفت وأجحفت فشرعنا في امتثالنا أمر الشرع.

هدم قلعة حمص، ثم نازل صلاح الدين بحمص ونصبت المجانيق على قلعتها حتى دكتها.

أخذ حماه وسار إلى حماه فملكها في جمادى الآخرة، محاصرة حلب واستغاثة صاحبها بالباطنية، ثم سار إلى حلب وحاصرها إلى آخر الشهر واشتد على الصالح إسماعيل بن نور الدين بها الحصار، وأساء صلاح الدين العشرة في حقه، واستغاث الصالح بالباطنية ووعدهم بالأموال فقتلوا الأمير ناصح الدين خمارتكين وجماعة، ثم قتلوا عن آخرهم.

* * *

سنة إحدى وسبعون وخمسمائة

جلوس ابن الجوزي تحت المنظرة قال ابن الجوزي: تقدم إلي بالجلوس تحت المنظرة فتكلمت في ثالث المحرم والخليفة حاضر وكان يومًا مشهودًا، ثم تقدم إلي بالجلوس يوم عاشوراء فكان الزحام شديدًا زائدًا على الحد وحضر أمير المؤمنين.

القبض على أستاذ الدار صندل وفي صفر قبض على أستاذ الدار صندل الذي جاء في الرسلية إلى نور الدين وعلى خادمين أرجف الناس على أنهم تحالفوا على سوء، وولي أبو الفضل ابن الصاحب أستاذية الدار وولي مكانه في

الحجابة ابن الناقد.

زواج بنت ابن الجوزي قال ابن الجوزي: وكانت ابنتي رابعة قد خطبت فسأل الزوج أن يكون العقد بباب الحجرة فحضرنا يوم الجمعة وحضر قاضي القضاة ونقيب النقباء فزوجتها بأبي الفرج بن رشيد الطبري وتزوج حينئذ ولدي أبو القاسم بابنة الوزير عون الدين بن هبيرة.

قلت: رابعة هي والدة الواعظ شمس الدين بن الجوزي لم يطل عمر ابن الرشيد معها، ثم تزوجها أبو شمس الدين، وأما ابنه أبو القاسم فإنه تحارب وصار ينسخ بالأجرة وهو ممن أجاز للقاضي تقي الدين الحنبلي.

كلام ابن الجوزي تحت المنظرة قال: وتكلمت في رجب تحت المنظرة وازدحم الخلق وحضر أمير المؤمنين، وكنت إذا تكلمت أصعد المنبر، ثم أضع الطرحة إلى جانبي فإذا فرغت أعدتها.

وكان المستضيء بالله كثيرًا ما يحضر مجلس ابن الجوزي في مكان من وراء الستر وقال مرة: ما على كلام ابن الجوزي مزيد. يعني: في الحسن.

كثرة الرفض قال: وكان الرفض قد كثر، فكتب صاحب المخزن إلى أمير المؤمنين إن لم تقو يد ابن الجوزي لم يطق رفع البدع، فكتب بتقوية يدي فأخبرت الناس بذلك على المنبر فقلت: إن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قد بلغه كثرة الرفض وقد خرج توقيعه بتقوية يدي في إزالة البدع فمن سمعتموه يسب، فأخبروني حتى أخرب داره وأسجنه. فانكف الناس.

وأمر بمنع الوعاظ إلا ثلاثة أنا وأبو الخير القزويني من الشافعية وصهر العبادي من الحنفية، ثم سئل في ابن الشيخ عبد القادر فأطلق.

خروج المستضيء إلى كشكه وفي ذي القعدة خرج المستضيء إلى الكشك الذي جدده راكبًا والدولة مشاة ورآه الناس ودعوا له.

ولاية المخزن وفيها خلع على الظهير بن العطار بولاية المخزن: وليمة الوزير ابن رئيس الرؤساء وفيها عمل الوزير ابن رئيس الرؤساء دعوة جمع فيها أرباب المناصب وخلع علي ونصب لي منبر في الدار وحضر الخليفة الدعوة فلما أكلوا تكلمت وحضر السلطان والدولة وجميع علماء بغداد ووعاظها

إلا النادر.

الفتنة بمكة وفيها أرسل إلى صاحب المدينة تقليد بمكة فجرت لذلك فتنة بمكة وقتل جماعة، ثم صعد أمير مكة المعزول وهو مكثر بن عيسى بن فليتة إلى القلعة التي على أبي قبيس، ثم نزل وخرج عن مكة، ووقع النهب بمكة وأحرقت دور كثيرة.

وحكى القليوبي في تاريخه أن الركب خرجوا عن عرفات ولم يبيتوا بمزدلفة ومروا بها ولم يقدروا على رمي الجمار وخرجوا إلى الأبطح، فبكروا يوم العيد وقد خرج إليهم من يحاربهم من مكة فتطاردوا وقتل جماعة بين الفريقين، ثم آل الأمر إلى أن أصيح في الناس: الغزاة إلى مكة.

قال ابن الجوزي: فحدثني بعض الحاج أن زراقًا ضرب بالنفط دارًا فاشتعلت ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكانت تلك الدار لأيتام، ثم سوى قارورة نفط ليضرب بها فجاء حجر فكسرها فعادت إليه وأحرقته، وبقي ثلاثة أيام فتفسخ الجسد ورأى بنفسه العجائب ثم مات.

قال: ثم ذلك الأمير الجديد قال: لا أجسر أن أقيم بعد الحاج بمكة؛ فأمروا غيره.

وقعة تل السلطان وفيها كانت وقعة تل السلطان، وحيث ذلك أن عسكر الموصل نكثوا وحنثوا ووافوا تل السلطان بنواحي حلب في جموع كثيرة وعلى الكل السلطان سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي فالتقاهم السلطان صلاح الدين في جمع قليل فهزمهم وأسرهم ونهب وحقن دماءهم، ثم أحضر الأمراء الذين أسرهم فأطلقهم ومن عليهم.

قال ابن الأثير: لم يقتل من الفريقين على كثرتهم إلا رجل واحد، ووقفت على جريدة العرض، فكان عسكر سيف الدين غازي في هذه الوقعة يزيدون على ستة آلاف فارس والرجالة أقل من خمسمائة.

فتوحات صلاح الدين قلت: سار صلاح الدين إلى منبج فأخذها، ثم سار إلى عزاز فنازل القلعة ثمانية وثلاثين يومًا وورد عليه وهو محاصرها قوم من

الفداوية وجرح في فخذه وأخذوا وقتلوا ثم افتتح عزاز.

كتاب فاضلي إلى الخليفة ومن كتاب فاضلي عن صلاح الدين إلى الخليفة يطالع أن الحلبيين والموصليين لما وضعوا السلاح وخفضوا الجناح اقتصرنا بعد أن كانت البلاد في أيدينا على استخدام عسكر الحلبيين في البيكارات إلى الكفر وعرضنا عليهم الأمانة فحملوها والأيمان فبذلوها، وسار رسولنا وحلف صاحب الموصل يمينًا جعل الله فيها حكمًا، وعاد رسوله ليسمع منا اليمين فلما حضر وأحضر نسختها أومأ بيده ليخرجها فأخرج نسخة يمين كانت بين الموصليين والحلبيين على حربنا والتساعد على حزبنا، وقد حلف بها كمشتكين الخادم بحلب وجماعة معه يمينًا نقضت الأول فرددنا اليمين إلى يمين الرسول وقلنا: هذه يمين عن الأيمان خارجة وأردت عمرا وأراد الله خارجة، وانصرف الرسول، وعلمنا أن الناقد بصير والمواقف الشريفة مستخرجة الأوامر إلى الموصلي إما بكتاب مؤكد بأن لا ينقض، العهد وإما الفسحة لنا في حربه.

استعراض صلاح الدين ذخائر ابن حسان: وقال ابن أبي طيء: لما ملك صلاح الدين منبج في شوال صعد الحصن وجعل يستعرض أموال ابن حسان وذخائره فكانت ثلاثمائة ألف دينار، فرأى على بعض الأكياس والآنية مكتوبا يوسف، فسأل عن هذا الاسم فقيل: له ولد يحبه اسمه يوسف كان يدخر هذه الأموال له. فقال السلطان: أنا يوسف وقد أخذت ما جبى لي.

جرح السلطان من الحشيشية ومن كتاب السلطان إلى أخيه العادل يقول: ولم ينلني من الحشيشي الملعون إلا خدش قطرت منه قطرات دم خفيفة انقطعت لوقتها واندملت لساعتها.

منازلة حلب وأما صلاح الدين فسار من عزاز فنازل حلب في نصف ذي الحجة وقامت العامة في حفظها بكل ممكن، وصابرها صلاح الدين شهرًا، ثم ترددت الرسل في الصلح فترحل عنهم وأطلق لابنة نور الدين قلعة عزاز.

كسوف الشمس قال ابن الأثير: وفي رمضان انكسفت الشمس ضحوة نهار وظهرت الكواكب حتى بقي الوقت كأنه ليل مظلم وكنت صبيًّا حينئذ.

* * *

سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة

وعظ ابن الجوزي في المحرم وعظ ابن الجوزي وحضر الخليفة في المنظرة وازدحمت الأمم.

عرس ابنة ابن الجوزي قال: وكان عرس ابنتي رابعة وحضرت الجهة المعظمة وجهزتها من عندها بمال كثير.

نقص دجلة وفي صفر نقصت دجلة واخترقت حتى ظهرت جزائر كثيرة وكانوا يجرون السفن في أماكن.

البرد في بغداد جاء في آب برد شديد ببغداد فنزلوا عن الأسطحة، ثم عاد الحر.

وعظ ابن الجوزي بجامع القصر وفي جمادى الآخرة وعظت بجامع القصر واجتمع خلائق فحزروا الجمع بمائة ألف وكان يومًا مشهودًا.

وقعة السلجوقي الطامع بالسلطنة وفيها قارب بغداد بعض السلجوقية ممن يروم السلطة وجاء رسوله ليؤذن له في المجيء فلم يلتفت إليه فجمع جمعًا ونهب قرى فخرج إليه عسكر فتواقعوا، وخرج جماعة، وعاد العسكر فعاد هو إلى النهب فرد إليه العسكر وعليهم شكر الخادم فترحل إلى ناحية خراسان.

الزلزلة بالري وقزوين وفيها كانت بالري وقزوين زلزلة عظيمة.

معاقبة الطحان وفيها قال رجل لطحان: أعطني كارة دقيق. فقال: لا. فقال: والله ما أبرح حتى آخذ. فقال الطحان: وحق علي ما هو خير من الله ما أعطيك. فشهد عليه جماعة فسجن أيامًا، ثم ضرب مائة سوط وسود وجهه وصفع والناس يرجمونه وأعيد إلى الحبس.

جلوس ابن الجوزي وجلس ابن الجوزي في السنة غير مرة يحضر فيها الخليفة.

وقعة الكنز وفيها كانت وقعة الكنز مقدم السودان بالصعيد؛ جمع خلقًا عظيمًا وسار إلى القاهرة في مائة ألف ليعيد دولة العبيديين فخرج إليه العادل

سيف الدين وأبو الهيجا الهكاري وعز الدين موسك فالتقوا فقتل الكنز وما انتطح عنز مع عنز وقتل خلق عظيم من جموعه حتى قيل: إنه قتل منهم ثمانون ألفًا. كذا قال أبو المظفر بن قزغلي فالله أعلم بذلك.

أخذ صلاح الدين منبج وفيها أخذ صلاح الدين منبج من صاحبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجي وكان قد ولاه إياها الملك نور الدين لما انتزعها نور الدين من أخيه غازي بن حسان.

مصالحة صلاح الدين حلب وفيها حاصر صلاح الدين حلب مدة، ثم وقع الصلح وأبقى حلب على الملك الصالح ابن نور الدين ورد عليه عزاز.

تخريب مصياف وعاد إلى مصياف بلد الباطنية فنصب عليها المجانيق وأباح قتلهم وخرب بلادهم فضرعوا إلى شهاب الدين صاحب حماه خال السلطان فسأل فيهم فترحل عنهم.

بناء سور مصر وتوجه إلى مصر وأمر ببناء السور الأعظم المحيط بمصر والقاهرة وجعل على بنائه الأمير قراقوش.

قال ابن الأثير: دوره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع بالقاسمي ولم يزل العمل فيه إلى أن مات صلاح الدين.

وقال أبو المظفر ابن الجوزي: ضيع فيه أموالاً عظيمة ولم ينتفع به أحد وأمر بإنشاء قلعة بجبل المقطم وهي التي صارت دار السلطنة.

قال ابن واصل: شرع بهاء الدين قراقوش الأسدي فيها وقطع الخندق وتعميقه وحفر واديه وهناك مسجد سعد الدولة فدخل في القلعة؛ وحفر فيها بئرًا كبيرًا في الصخر، ولم يتأت هذا بتمامه إلا بعد موت السلطان بمدة، وبعد ذلك كمل السلطان الملك الكامل ابن أخي صلاح الدين العمارات بالقلعة وسكنها، وهو أول من سكنها، وإنما كان سكناه وسكنى من قبله بدار الوزارة بالقاهرة.

سماع السلطان من السلفي، ثم سار إلى الإسكندرية وسمع فيها من السلفي

وتردد إليه مرات عديدة وأسمع منه ولديه الملك العزيز والملك الأفضل.

بناء تربة الشافعي، ثم عاد إلى مصر وبنى تربة الشافعي - رضي الله عنه.

* * *

سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة

العفو عن تتامش في أولها دخل بغداد تتامش الأمير الذي خرج مع قيماز ونزل تحت التاج وقبل الأرض مرارًا فعفي عنه وأعطي إمرية.

وعظ ابن الجوزي وحضر ابن الجوزي مرتين فوعظ وأمير المؤمنين يسمع واجتمع خلق لا يحصون.

وجرت ببغداد همرجة وقبض على صاحب الحجاب وعلى جماعة.

فتوى لابن الجوزي قال ابن الجوزي: وجاءتني فتوى في عبد وأمة أعتقهما مولاهما وزوج أحدهما بالآخر فبقيت معه عشرين سنة وجاءت منه بأربعة أولاد، ثم بان الآن أنها أخته لأبويه وقد وقعا في البكاء والنحيب، فعجبت من وقوع هذا وأعلمتهما أنه لا إثم عليهما وبوجوب العدة وأنه يجوز له النظر إليها نظره إلى أخته إلا أنه يخاف على نفسه.

تكلم ابن الجوزي وفي ليلة رجب تكلمت تحت المنظرة الشريفة والخليفة حاضر ومن الغد حضرنا دعوة الخليفة التي يعملها كل رجب وحضر الدولة والعلماء والصوفية وختمت ختمة وخلع على جماعة كثيرة وانصرف من عادته الانصراف وبات الباقون على عادتهم لسماع الأبيات وفرق عليهم المال.

بناء مسجد عظيم ببغداد وفيها عمل الخليفة مسجدًا عظيمًا ببغداد وجعل إمامه حنبليا وزخرفه، وتقدم إلي فصليت فيه التراويح.

وتكلمت في رمضان في دار صاحب المخزن وازدحموا وكان الخليفة حاضرًا.

هبوب الريح ببغداد وفي شوال هبت ريح عظيمة ببغداد فزلزلت الدنيا بتراب عظيم حتى خيف أن يكون القيامة.

وقوع البرد وجاء برد ودام ساعة ووقعت مواضع على أقوام ومات

بعضهم.

اغتيال الوزير ابن رئيس الرؤساء وتهيأ الوزير ابن رئيس الرؤساء للحج فقيل: إنه اشترى ستمائة جمل منها مائة للمنقطعين ورحل في رابع ذي القعدة فلما وصل في الموكب إلى باب قطفتا قال رجل: يا مولانا أنا مظلوم، وتقرب فزجره الغلمان فقال: دعوه. فتقدم إليه فضربه بسكين في خاصرته فصاح الوزير: قتلني، ووقع وانكشف رأسه فغطى رأسه بكمه على الطريق وضرب ذلك الباطني بسيف، فعاد وضرب الوزير فهبروه بالسيوف، وقيل: كانوا اثنين وخرج منهم شاب معه سكين فقتل ولم يعمل شيئًا وأحرق الثلاثة. وحمل الوزير إلى داره وجرح الحاجب.

وكان الوزير قد رأى أنه معانق عثمان - رضي الله عنه - وحكى عنه ابنه أنه اغتسل قبل خروجه وقال: هذا غسل الإسلام، فإني مقتول بلا شك، ثم مات بعد الظهر ومات حاجبه بالليل.

وعمل عزاء الوزير فلم يحضره إلا عدد يسير فتعجب من هذه الحال، فإنه قد يكون عزاء تاجر أحسن من ذلك، وكان انقطاع الدولة إرضاء لصاحب المخزن.

ولما كان في اليوم الثاني لم يقعد أولاده فلما علم السلطان بالحال أمر أرباب الدولة بالحضور فحضروا، وتكلمت على كرسي.

حجابة ابن طلحة الباب، ثم ولي ابن طلحة حجابة الباب وبعث صاحب المخزن بعلامة بعد ثلاث إلى الأمير تتامش فحضر فوكل به في حجرة من داره ونفذ إلى بيته فأخذت الطبل والكوسات وكل ما في الدار، واختلفت الأراجيف في دينه وقيل: إنه اتهم بالوزير وخيف أن تكون نيته رزية للخليفة فقيل: إنه كاتب أمراء خراسان وما صح ذلك، وناب صاحب المخزن في الوزارة.

وقعة الرملة وفيها وقعة الرملة فسار السلطان صلاح الدين من القاهرة إلى عسقلان فسبى وغنم وسار إلى الرملة فخرج عليه الفرنج مطلبين وعليهم البرنس أرناط صاحب الكرك وحملوا على المسلمين، فانهزموا وثبت السلطان

وابن أخيه المظفر تقي الدين عمر ودخل الليل واحتوت الملاعين على أثقال المسلمين فلم يبق لهم قدرة على ماء ولا زاد وتعسفوا تلك الرمال راجعين إلى مصر وتمزقوا وهلكت خيلهم.

ومن خبر هذه الوقعة أن الفقيه عيسى أسر فافتداه السلطان بستين ألف دينار وكان موصوفًا، بالشجاعة والفضيلة أسر هو وأخوه ظهير الدين وكانا قد ضلا عن الطريق بعد الوقعة، ووصل صلاح الدين إلى القاهرة في نصف جمادى الآخرة.

قال ابن الأثير: رأيت كتابًا بخط يده كتبه إلى شمس الدولة تورانشاه وهو بدمشق يذكر الوقعة وفي أوله:

فذكرتك والخطي يخطر بيننا ::: وقد نهلت منا المثقفة السمر

ويقول فيه: لقد أشرفنا على الهلاك غير مرة وما نجانا الله إلا لأمر يريده.

وما ثبتت إلا وفي نفسها أمر وقال غيره: انهزم السلطان والناس لم يكن لهم بلد يلجأون إليه إلا مصر فسلكوا البرية ولقوا مشاقًا وقل عليهم القوت والماء وهلكت خيلهم وفقد منهم خلق.

ودخل السلطان القاهرة بعد ثلاثة عشر يومًا وتواصل العسكر وأسر الفرنج فيهم. واستشهد جماعة منهم: أحمد ولد تقي الدين عمر المذكور وكان شابًا حسنًا له عشرون سنة.

وكان أشد الناس قتالاً يومئذ الفقيه عيسى الهكاري، وحملت الفرنج على صلاح الدين وتكاثروا عليه فانهزم يسيرا قليلا قليلا، وكانت نوبة صعبة.

نزول الفرنج على حماه وفيها نزلت الفرنج على حماه وهي لشهاب الدين محمود بن تكش خال السلطان وكان مريضًا، وكان الأمير سيف الدين المشطوب قريبًا من حماه فدخلها وجمع الرجال فزحفت الفرنج على البلد وقاتلهم المسلمون قتالاً شديدًا مدة أربعة أشهر، ثم ترحلوا عنها.

وأما السلطان، فإنه أقام أيامًا بمن سلم معه، ثم خرج من مصر وعيد بالبركة،

ثم كمل عدة جيشه فبلغه أمر حماه، فأسرع إليها فلما دخل دمشق تحقق رحيل الفرنج عن حماه.

عصيان ابن المقدم ببعلبك، وعصى الأمير شمس الدين محمد بن المقدم ببعلبك فكاتبه السلطان وترفق به فلم يجب ودام إلى سنة أربع.

كتاب ابن المشطوب بقتلى الفرنج، وجاء كتاب ابن المشطوب أن الذي قتل من الفرنج على حماه أكثر من ألف نفس.

مطالعة القاضي الفاضل بقتل الوزير ووردت مطالعة القاضي الفاضل إلى صلاح الدين تتضمن التوقيع لقتل الوزير عضد الدين ابن رئيس الرؤساء وفيها:{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ } [فصلت: ٤٦]، فقد كان عفا الله عنه قتل ولدي الوزير ابن هبيرة وأزهق أنفسهما وجماعة لا تحصى وهذا البيت بيت ابن المسلمة عريق في القتل وجده هو المقتول بيد البساسيري.

ثم قال: وقد ختمت له السعادة بما حتمت به له الشهادة لاسيما وهو خارج من بيته إلى بيت الله ووقع أجره على الله.

إن المساءة قد تسر وربما ::: كان السرور بما كرهت جديرا

إن الوزير وزير آل محمد ::: أودى فمن يشناك كان وزيرا

وهما في أبي سلمة الخلال وزير بني العباس قبل أن يستخلفوا.

* * *

سنة أربع وسبعين وخمسمائة

جلوس ابن الجوزي في عاشوراء.

قال ابن الجوزي: تكلمت في أول السنة وفي عاشوراء تحت المنظرة وحضر الخليفة وقلت: لو أني مثلت بين يدي السدة الشريفة لقلت: يا أمير المؤمنين، كن لله سبحانه مع حاجتك إليه كان لك مع غناه عنك. إنه لم يجعل أحدا فوقك فلا ترض أن يكون أحد أشكر له منك، فتصدق أمير المؤمنين يومئذ بصدقات وأطلق محبوسين.

كسوف القمر والشمس، وانكسف القمر في ربيع الأول، وكسفت الشمس في التاسع والعشرين منه أيضًا.

اجتماع الفرنج عند حصن الأكراد وفيها اجتمعت الفرنج عند حصن الأكراد وسار السلطان الملك الناصر صلاح الدين فنزل على حمص في مقابلة العدو.

تسلم صلاح الدين بعلبك: فلما أمن من غاراتهم سار إلى بعلبك فنزل على رأس العين وأقام هناك أشهرًا يراود شمس الدين ابن المقدم على طاعته وهو يأبى، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن دخل رمضان فأجاب شمس الدين إلى تسليم بعلبك على عوض طلبه، فتسلمها السلطان وأنعم بها على أخيه المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب، وسار إلى دمشق في شوال، ثم أقطع أخاه شمس الدولة تورانشاه بمصر واسترد منه بعلبك.

قتل هنفري الفرنجي قال ابن الأثير: في ذي القعدة أغارت الفرنج على بلاد الإسلام وعلى أعمال دمشق فسار لحربهم فرخشاه ابن أخي السلطان في ألف فارس، فالتقاهم وألقى نفسه عليهم وقتل من مقدميهم جماعة منهم هنفري وما أدراك ما هنفري كان يضرب المثل في الشجاعة.

غارة البرنس على شيزر وفيها أغار البرنس صاحب أنطاكية على شيزر.

غارة صاحب طرابلس وأغار صاحب طرابلس على التركمان.

إنعام السلطان على الملك المظفر وفيها أنعم السلطان على ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بحماه والمعرة وفامية ومنبج وقلعة نجم فتسلمها وبعث نوابه إليها وذلك عند وفاة صاحب حماه شهاب الدين محمود خال السلطان.

ثم توجه إليها الملك المظفر تقي الدين ورتب في خدمته أميران كبيران: شمس الدين بن المقدم وسيف الدين علي بن المشطوب فكانوا في مقابلة صاحب أنطاكية. ورتب بحمص ابن شيركوه في مقابلة القومص.

* * *

سنة خمس وسبعين وخمسمائة

الظفر بذيل كتاب المنتظم أجاز لنا شيخنا أبو بكر محفوظ بن معتوق بن أبي بكر بن عمر البغدادي أن البذوري التاجر قد ذيل المنتظم في عدة مجلدات ذهبت في أيام التتار الغازانية سنة تسع وتسعين وستمائة من خزانة كتبه الموقوفة بتربته بسفح قاسيون ثم ظفرنا ببعضها. فذكر في حوادث هذه السنة سنة ٥٧٥، أن أبا الحسن علي بن حمزة بن طلحة حاجب باب النوبي عزل بعميد الدين أبي طالب يحيى بن زيادة.

وصول البشارة إلى بغداد بكسر الفرنج وفي صفر وصل إلى بغداد ثلاثة عشر نجابا نفذهم صلاح الدين يبشرون بكسرة الفرنج فضربت الطبول على باب النوبي وخلع عليهم وأخبر وأن صلاح الدين حارب الفرنج ونصر عليهم وأسر أعيانهم وأسر صاحب الرملة وصاحب طبرية.

وقعة مرج العيون قلت: وهي وقعة مرج العيون: ومن حديثها أن صلاح الدين كان نازلاً بتل بانياس بين سراياه فلما استهل المحرم ركب فرأى راعيًا فسأله عن الفرنج فأخبر بقربهم فعاد إلى مخيمه وأمر الجيش بالركوب فركبوا وسار بهم حتى أشرف على الفرنج وهم في ألف قنطارية وعشرة آلاف مقاتل من فارس وراجل فحملوا على المسلمين فثبتوا لهم وحمل المسلمون عليهم فولوا الأدبار فقتل أكثرهم وأسر منهم مائتان وسبعون أسيرًا منهم: بادين مقدم الداوية وأوذ بن القومصة، وأخو صاحب جبيل وابن صاحب مرقية، وصاحب طبرية.

فأما بادين بن بارزان فاستفك نفسه بمبلغ وبألف أسير من المسلمين، واستفك الآخر نفسه بجملة، ومات أوذ في حبس قلعة دمشق، وانهزم من الوقعة ملكهم مجروحًا، وأبلى في هذه الوقعة عز الدين فرخشاه بلاء حسنًا.

* * *

سنة ست وسبعين وخمسمائة

عزل وتولية في نيابة الوزارة في أولها عزل شرف الدين بن شادوش عن نيابة الوزارة لأجل علو سنه وثقل سمعه ووليها جلال الدين هبة الله بن علي بن البخاري.

صلاة الناصر بجامع الرصافة وفي المحرم ركب الناصر لدين الله إلى الكشك وصلى الجمعة بجامع الرصافة.

قدوم رسول الملك طغرل وفيه قدم رسول الملك طغرل السلجوقي.

القبض على ابن الوزير وفيه تقدم إلى أستاذ الدار بالقبض على كمال الدين عبيد الله ابن الوزير عضد الدين محمد ابن رئيس الرؤساء فنفذ للقبض عليه عز الدولة مسعود الشرأبي في جماعة من المماليك، فحملَ مسحوبًا إلى بين يديه فأمرهم أن يرفقوا به وقيد وسجن.

وصول أمير الحاج وفي صفر وصل أمير الحاج وفي صحبته صاحب المدينة عز الدين أبو سالم القاسم بن مهنى للمبايعة.

خروج صلاح الدين لمحاربة الأرمن وفيها توجه السلطان صلاح الدين قاصدًا بلاد الأرمن وبلاد الروم ليحارب قليج رسلان بن مسعود بن قليج رسلان. والموجب لذلك أن قليج زوج بنته لمحمد بن قرا رسلان بن داود صاحب حصن كيفا ومكثت عنده حينًا وأنه أحب مغنية وشغف بها فنزوجها وصارت تحكم في بلاده فلما سمع بذلك حموه قصد بلاده عازمًا على أخذ ابنته منه فأرسل محمد إلى صلاح الدين يستنجد به وكرر إليه الرسل، ثم استقر الحال على أن يصبروا عليه سنة ويفارق المغنية.

ونزل صلاح الدين على حصن من بلاد الأرمن فأخذه وهدمه.

وصول الخلع إلى صلاح الدين، ثم رجع إلى حمص فوصله التقليد والخلع من الخليفة الناصر فركب بها بحمص وكان يومًا مشهودًا.

من كتاب صلاح الدين إلى الخليفة الناصر ومن كتاب السلطان صلاح الدين إلى الخليفة: والخادم ولله الحمد جدد سوابق في الإسلام والدولة العباسية لا تعدها أولية أبي مسلم لأنه والى ثم دارى ولا آخرية طغرلبك؛ لأنه نصر ثم

حجر. والخادم من كان ينازع الخلافة رواءها وأساغ الغصة التي أذخر الله للإساغة في سيفه ماءها فرجل الأسماء الكاذبة الراكبة على المنابر وأعز بتأييد إبراهيمي فكسر الأصنام الباطنية بسيفه الطاهر.

* * *

سنة سبع وسبعين وخمسمائة

تخريب بلاد الكرك فيها قصد عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بلاد الكرك بالعساكر وخربها وعاد.

وكان ملك الفرنج برنس - لعنه الله - قد سولت له نفسه قصد المدينة النبوية ليتملكها فسار فروخشاه إلى بلد المذكور ونهبه فآل البرنس بالخيبة.

ركوب الخليفة في موكب وفي رجب ركب الخليفة في موكبه إلى الكشك فنزل به وقدم إلى بغداد بزرافة من صاحب جزيرة قيس.

معاتبة صلاح الدين على تسميه بالناصر وفيها أرسل من الديوان إلى السلطان صلاح الدين يأخذ عليه في أشياء منها تسميه بالملك الناصر مع علمه أن الإمام اختار هذه السمة لنفسه.

أخذ عز الدين حلب: وفي شعبان ساق عز الدين مسعود وأخذ حلب، وكان الصالح إسماعيل بن نور الدين قد أوصى له بها.

مقايضة سنجار بحلب وفي شوال تزوج بأم الصالح، ثم قايض أخاه عماد الدين بسنجار وقدم عماد الدين فتسلم حلب.

* * *

سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

رخاء الأسعار بالعراق فيها تراخت الأسعار بالعراق.

الوثوب على صاحب قلعة الماهكي وفيها وثب على عبد الوهاب الكردي صاحب قلعة الماهكي ابن عمه جوبان فأخرجه مهنا ونادى بشعار الدولة العباسية فأرسلت إليه الخلعة والتقليد بولايتها.

الكتابة إلى صلاح الدين بالرحيل عن الموصل وفيها وصل قاضي الموصل ووزيرها ابن الشهرزوري إلى الديوان العزيز يطلب أن يتقدم إلى السلطان صلاح الدين بالارتحال عن الموصل، فإنه نزل محاصرًا ذاكرًا أن الخليفة أقطعه إياها؛ فأجيب سؤاله وكتب إلى السلطان بالارتحال عنها، وسار إليه في الرحلية شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم.

فتح بلد كبير بالروم وفيها افتتح ملك الروم قليج رسلان بن مسعود بلدًا كبيرًا بالروم كان للنصارى وكتب إلى الديوان بالبشارة.

فتح حران وسروج وسنجار وغيرها وافتتح فيها صلاح الدين حران وسروج وسنجار ونصيبين والرقة والبيرة ونازل الموصل وحاصرها فبهره ما رأى من حصانتها فرحل عنها وقصده شاه أرمن بعساكر جمة واجتمع في ماردين بصاحبها وفتح آمد.

ملك صلاح الدين حلب، ثم رجع إلى حلب فملكها وعوض صاحبها سنجار.

الخلعة بشرف الفتوة وفيها تفتى الناصر لدين الله إلى الشيخ عبد الجبار ولقب بشرف الفتوة عبد الجبار وخلع عليه. وكان النقيب لهم أبو المكارم أحمد بن محمد ابن داذي النيلي، وفتى الناصر لدين الله في ذلك الوقت ولد رفيقه علي بن عبد الجبار وخلع عليه وعلى النقيب.

* * *

سنة تسع وسبعين وخمسمائة

قدوم رسول ملك مازندران إلى الخليفة في المحرم قدم رسول ملك مازندران فتلقي وأكرم ولم يكن لمرسله عادة بمراسلة الديوان بل الله هداه من غي هواه وقدمه هدية.

قتل مستفت سب الشافعي وفيها جاء رجل إلى النظامية يستفتي فأفتي بخلاف غرضه فسب الشافعي فقام إليه فقيهان لكمه أحدهما وضربه الآخر بنعله فمات ليومه فحبس الفقيهان أيامًا وأطلقا عملاً بمذهب أبي حنيفة.

القبض على مجاهد الدين قايماز وإعادته وفي جمادى الأولى قبض عز الدين مسعود صاحب الموصل على نائبه وأتابكه مجاهد الدين قايماز وكان هو

سلطان تلك البلاد في المعنى وعز الدين معه صورة، ولكن تخرم عليه بإمساكه.. ثم إنه أخرجه وأعاده إلى رتبته.

مجيء الرسلية إلى صلاح الدين وفي رمضان جاء إلى صلاح الدين بالرسلية شيخ الشيوخ وبشير الخادم.

منازلة صلاح الدين حلبًا وتسلمها ونازل السلطان حلب وحاصرها أشد حصار، ثم وقع الصلح بين صاحبها عماد الدين وبين السلطان على أن يعوضه عنها سنجار ونصيبين والرقة وسروج والخأبور، وتسلم حلب في ثاني عشر صفر. وفيه يقول القاضي محيي الدين ابن القاضي زكي الدين ابن المنتخب يمدحه بأبيات جاد منها قوله:

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر ::: مبشر بفتوح القدس في رجب

البشارة بفتح القدس، نيابة الملك المظفر بمصر.

وبعث السلطان ابن عمه الملك المظفر تقي الدين عمر صاحب حماه على نيابة الديار المصرية موضع الملك العادل.

* * *

سنة ثمانين وخمسمائة

جعل مشهد الكاظم أمنا فيها جعل الخليفة الناصر مشهد موسى الكاظم أمنا لمن لاذ به فالتجأ إليه خلق وحصل بذلك مفاسد.

موت رجل راهن على دفنه نصف يوم وفي صفر راهن رجل ببغداد على خمسة دنانير أن يندفن من غدوة إلى الظهر فدفن وأهيل عليه التراب، ثم كشف عنه وقت الظهر فوجد ميتًا وقد عصفر سواعده من هول ما رأى.

مهاجمة السلطان نابلس وفيها هجم السلطان نابلس، وكان قد وصل لنجدته عسكر ديار بكر وعسكر آمد والحصن والعادل من حلب وتقي الدين من حماه ومظفر الدين صاحب إربل، هكذا ذكر أبو المظفر في مرءآته.

قال: نازل الكرك ونصب عليها المجانيق فجاءتها نجدات الفرنج من كل فج وأجلبوا وطلبوا، واغتنم السلطان خلو الساحل منهم ورأى أن حصارها يطول

فسار ونزل الغور وهجم نابلس فقتل وسبى وطلع على عقبة فيق ودخل دمشق.

منازلة الكرك وأما ابن الأثير فقال: نازل الكرك ونصب المنجنيقات على ربضه وملكه وبقي الحصن وهو والربض على سطح واحد إلا أن بينهما خندقًا عظيمًا عمقه نحو ستين ذراعًا فأمر السلطان بإلقاء الأحجار والتراب فيه ليطمه فلم يقدروا على الدنو منه لكثرة النشاب وأحجار المجانيق فأمر أن يبنى من الأخشاب واللبن ما يمكن للرجال يمشون تحت السقائف فيلقون في الخندق ما يطمه ومجانيق المسلمين مع ذلك ترمي الحصن ليلاً ونهارًا فاجتمعت الفرنج عن آخرها وساروا عجلين فوصل صلاح الدين إلى طريقهم يتلقاهم فقرب منهم ولم يمكن الدنو منهم لخشونة الأرض وصعوبة المسلك فأقام ينتظر خروجهم إليه فلم يبرحوا منه فتأخر عنهم فساروا إلى الكرك فعلم صلاح الدين أنه لا يتمكن منهم حينئذ ولا يبلغ غرضه فسار إلى نابلس ونهب كل ما على طريقه من قرى الفرنج وأحرق نابلس وأسر وسبى واستنقذ الأسرى. وبث السرايا يمينًا وشمالاً.

منازلة السلطان الكرك وفي جمادى الأولى جمع السلطان الجيوش وسار إلى الكرك فنازلها ونزل بواديها ونصب عليها تسعة مجانيق قدام الباب فهدمت السور ولم يبق مانع إلا الخندق العميق ولم يكن حيلة إلا ردمه فضرب اللبن وجمعت الأخشاب وعملوا مثل درب مسقوف يمرون فيه ويرمون التراب في الخندق إلى أن امتلأ بحيث أن أسيرًا رمى نفسه من السور إليه ونجا.

وكانت فرنج الكرك وسائر ملوكهم وفرسانهم يستمدون بهم فأقبلوا من كل فج في حدهم وحديدهم فنزلوا بمضائق الوالة فرحل السلطان ونزل على البلقاء وأقام ينتظر الملتقى فما تغيروا فتقهقر على حسبان فراسخ فوصلوا إلى الكرك فقصد السلطان الساحل لخلوه ونهب كل ما في طريقه وأسر وسبى فأكثر وبدع بسبطية وجينين ثم قدم دمشق.

حصار الكرك في كتاب للعماد ومن كتاب عمادي في حصار الكرك يقول: لولا الخندق الذي هو واد لسهل مشرع فعملنا دبابات قدمناها وبنينا إلى سفيرة ثلاثة أسراب باللبن وسقفناها وشرعنا في الطم وتسارع الناس ولم يبق إلا من يستبشر بالعمل وتجاسروا حتى ازدحموا نهارا كازدحامهم يوم العيد

ليلاً كاجتماعهم في جامع دمشق ليلة النصف السعيد وهم من الجراح سالمون وبنصر الله موقنون وإن أبطأ العدو عن النجدة، والنصر قريب سريع والحصن بمن فيه صريع قد خرقت الحجارة حجابهن وقطعت بهم أسبابه وناولته من الأجل كتابه وحسرت لثام سوره وخلعت نقابه فألوف الأبراج مجدوعة وثنايا الشرفات مقلوعة ورؤوس الأبدان مخروزة وخروق العوامل مهموزة وبطون السقوف مبقورة وعصا الأساقف معقورة ووجوه الجدر مسلوخة وجلود البواشير مبشورة والنصر اشهر من نار على علم والحرب قدم من ساق على قدم.

وفاة رسولي الخليفة بالشام.

وقدم السلطان وبدمشق الرسولان شيخ الشيوخ صدر الدين والطواشي بشير فمرضا ومات جماعة من أصحابهما وكان الشيخ نازلاً بالمنبع فكان السلطان يعوده في كل يوم، وكان قدومهما في الصلح بين السلطان وبين عز الدين صاحب الموصل فلم ينبرم أمر فطلبا العود إلى بغداد وعادا فمات بشير بالسخنة وشيخ الشيوخ بالرحبة.

الإذن للجيوش بالعودة إلى أوطانها وأذن السلطان للجيوش بالرجوع إلى أوطانهم.

خلعة السلطان على صاحب حصن كيفا وخلع على نور الدين بن قرا رسلان صاحب حصن كيفا الخلعة التي جاءته هذه المرة من الخليفة بعد أن لبسها السلطان.

كتابة منشور لصاحب إربل، ثم كتب لزين الدين يوسف بن زين الدين علي صاحب إربل منشورا بإربل وأعمالها لما اغتدى إليه وفارق صاحب الموصل.

خروج السلطان بقصد الموصل، ثم وصلت رسل زين الدين يوسف إلى السلطان بأن عسكر الموصل وعسكر قزل صاحب العجم نازلوا إربل مع مجاهد الدين قايماز، وأنهم نهبوا وأحرقوا وأنه نصر عليهم وكسرهم فكان هذا مما حرك عزم السلطان على قصد الموصول هذه المرة، فسار السلطان على

طريق البقاع وبعلبك، ثم حمص وحماهن فأقام بحماه إلى انسلاخ السنة.

وفاة صاحب ماردين وفيها مات صاحب ماردين قطب الدين إيلغازي بن نجم الدين الرتقي - رحمه الله تعالى.

* * *

سنة إحدي ثمانين وخمسمائة

وفي ربيع الأول استدعي مجد الدين هبة الله ابن الصاحب أستاذ الدار إلى باطن دار الخلافة فقتل بها، وكان قد ارتفعت رتبته وعلا شأنه وتولى قتله ياقوت الناصري وعلق رأسه على باب داره، وولي أستاذية الدار قوام الدين أبو طالب يحيى بن زيادة نقلا من حجابة الباب النوبي وأمر بكشف تركة ابن الصاحب فكانت ألف ألف دينار وخمسة وثلاثين ألف دينار سوى الأقمشة والآلات والأملاك، وتقدم أن لايتعرض إلى مايخص أولاده من أملاكهم التي باسمهم.

وقال سبط الجوزي: قربه الناصر تقريبًا زائدًا فبسط يده في الأموال وسفك الدماء وسب الصحابة ظاهرًا وبطر بطرًا شديدًا وعزم على تغيير الدولة.

إلى أن قال: وثب عليه في الدهليز ياقوت شحنة بغداد فقتله ووجد له مالم يوجد في دور الخلفاء.

إحراق النقيب قلت: وتوفي النقيب عبد الملك بن علي بالسجن وكان خاصًا بابن الصاحب والمنفذ لمراسمه وأخرج، فلما رأت العامة تابوته رموه وشدوا في رجله حبلاً وسحبوه وأحرقوه بباب المراتب.

نيابة الوزارة وفي شوال عزل ابن الدريج عن نيابة الوزارة، ثم نفذ إلى جلال الدين أبي المظفر عبيد الله بن يونس فولي الأمر، ثم استدعي يوم الجمعة إلى باب الحجرة وخلع عليه خلعة الوزارة الكاملة ولقب يومئذ جلال الدين وقبل يد الخليفة وقال له: قلدتك أمور الرعية فقدم تقوى الله أمامك.

وفاة ابن الدامغاني وقد كان ابن يونس يشهد عند قاضي القضاة أبي الحسن ابن الدامغاني وتوقف مرة في سماع قوله، فلما كان هذا اليوم كان قاضي القضاة ممن مشى بين يديه. فقيل إنه قال: لعن الله طول العمر، ثم مات بعد أيام

في ذي الحجة فولي قضاء القضاة بالعراق أبو طالب علي بن علي بن البخاري.

هدم مملكة السلطان طغرل وفيها أرسل السلطان طغرل بن أرسلان بن طغرل ابن محمد السلجوقي إلى الديوان يطلب أن تعمر دار المملكة ليجيء وينزلها ولناصر قاصدًا الموصل، فلما قارب حلب تلقاه صاحبها الملك العادل أخوه، ثم عدى الفرات إلى حران، وكانت إذ ذاك لمظفر الدين ابن صاحب إربل وقد بذل خطه بخمسين ألف دينار يوم وصول السلطان إلى حران برسم النفقة فأقام السلطان أيامًا لم ير للمال أثرًا فغضب على مظفر الدين واعتقله، ثم عفا عنه وكتب له تشريفًا بعد أن تسلم منه حران والرها، ثم أعادهما إليه في آخر العام، وسار إلى الموصل فحاصرها وضايقها وبذلت العامة نفوسهم في القتال بكل ممكن لكون بنت السلطان نور الدين وهي زوجة صاحب الموصل عز الدين سارت إلى صلاح الدين قبل أن ينازل البلد وخضعت له تطلب الصلح والإحسان فردها خائبة، ثم إنه ندم ورأى أنه عاجز عن أخذ البلد عنوة فأتت الأخبار بوفاة شاه أرمن صاحب خلاط وبوفاة نور الدين محمد صاحب حصن كيفا وآمد فتقسم فكره واختلفت آراء أمرائه، فلم يلبث أن جاءته رسل أمراء خلاط بتعجيل المسير إليهم فأسرع إليهم وجعل على مقدمته ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين كوكبوري ابن صاحب إربل إلى خلاط فوجد الأمير بكتمر مملوك شاه أرمن قد تملك فنزلا بقربها.

ووصل الملك شمس الدين البهلوان محمد بن ألدكز بجيش أذربيجان ليأخذ خلاط فنزل أيضًا بقربها، وكان الوزير بها مجد الدين عبد الله بن الموفق بن رشيق فكاتب صلاح الدين مرة وصلاح الدين أخرى.

منازلة صلاح الدين ميافارقين ووصل صلاح الدين ميافارقين فنازلها وحاصرها وكتب إلى مقدمته يأمرهم بالعود إليه فعادوا وتسلمها بأمان وسلمها إلى مملوكه سنقر في جمادى الأولى، فأتته رسل البهلوان بما فيه المصلحة وأن يرجع عن خلاط فأجاب: على أن ترحل أنت أيضًا إلى بلادك.

منازلة الموصل: ثم عاد صلاح الدين فنازل الموصل وضايقها فخرج إليه جماعة من النساء الأتابكيات فخضعن له فأكرمهن وقبل شفاعتهن، واستقر الأمر على أن يكون عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار هو

المتكلم فتوسط بأن تكون بلاد شهرزور وحصونها للسلطان وتضرب السكة باسمه والخطبة له بالموصل وأن تكون الموصل لصاحبها وأن يكون طوعه.

مرض السلطان، ثم رجع السلطان فتمرض بحران مديدة واشتد مرضه وتناثر شعر رأسه ولحيته وأرجفوا بموته، ثم عوفي.

وفاة صاحب حمص وتوفي ناصر الدين محمد بن أسد الدين صاحب حمص، فأنعم بها السلطان على ولده الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد، وسنه يومئذ ثلاث عشرة سنة وأمتدت أيامه.

مصالحة أهل خلاط للبهلوان وأما أهل خلاط، فإنهم أصطلحوا مع البهلوان محمد وصاروا من حزبه.

* * *

سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة

إعتدال صحة السلطان في أولها صح مزاج السلطان بحران فرحل عنها ومعه والداه الظاهر والعزيز وأخوه العادل وقدم الشام، فبذل العادل بلاد حلب لأولاد أخيه فشكره السلطان على ذلك وملكها للسلطان الملك الظاهر غازي ولده، وسير أخاه العادل إلى مصر ونزل على نواحي البلقاء.

وقيل: إن الملك الظاهر لما تزوج بابنة العادل نزل له العادل عن حلب وقال: أنا ألزم خدمة أخي وأقنع بما أعطاني، وسمح بهذا؛ لأن السلطان أخاه كان في مرضه قد أوصى إليه على أولاده وممالكه فأعجبه ذلك.

* * *

سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

إتفاقات الأوائل أول يوم في السنة كان أول أيام الأسبوع وأول السنة الشمسية وأول سني الفرس والشمس والقمر في أول البروج، وكان ذلك من الإتفاقات العجيبة. قاله لنا ابن البزوري.

نقابة النقباء قال: وفي صفر عزل نقيب النقباء ابن الرمال بأبي القاسم قثم بن طلحة الزينبي.

قتل مجد الدين ابن الصاحب: وفي ربيع الأول استدعي مجد الدين هبة الله ابن الصاحب أستاذ الدار إلى باطن دار الخلافة فقتل بها، وكان قد ارتفعت رتبته وعلا شأنه وتولى قتله ياقوت الناصري وعلق رأسه على باب داره، وولي أستاذية الدار قوام الدين أبو طالب يحيى بن زيادة نقلاً من حجابة الباب النوبي وأمر بكشف تركة ابن الصاحب، فكانت ألف ألف دينار وخمسة وثلاثين ألف دينار سوى الأقمشة والآلات والأملاك، وتقدم أن لايتعرض إلى مايخص أولاده من أملاكهم التي باسمهم.

وقال سبط الجوزي: قربه الناصر تقريبًا زائدًا فبسط يده في الأموال وسفك الدماء وسب الصحابة ظاهرًا وبطر بطرًا شديدًا وعزم على تغيير الدولة.

إلى أن قال: وثب عليه في الدهليز ياقوت شحنة بغداد فقتله ووجد له مالم يوجد في دور الخلفاء.

هزيمة الفرنج بصفورية وقدم من الشرق مظفر الدين صاحب إربل بالعساكر وقدم بدر الدين ولدرم على عسكر حلب وقايماز النجمي على عسكر دمشق فساروا مدلجين حتى صبحوا صفورية فخرجت الفرنج فنصر الله المسلمين وقتل من الفرنج خلق من الإسبتار وأسروا خلقًا.

موقعة حطين وأسرع السلطان حتى نزل بعشترا وعرض العساكر وأنفق فيهم وسار بهم وقد ملأوا الفضاء فنزل الأردن ونزل معظم العساكر، وسار إلى طبرية فأخذها عنوة فتأهبت الفرنج وحشدوا وجاءوا من كل فج وأقبلوا فرتب عساكره في مقابلهم وصابحهم وبايتهم.

وكان المسلمون اثني عشر ألف فارس وخلق من الرجالة، وقيل: كان الفرنج ثمانين ألفًا مابين فارس وراجل، والتجأوا إلى جبل حطين فأحاط المسلمون بهم من كل جانب فهرب القومص - لعنه الله - ووقع القتال فكانت الدائرة على الفرنج وأسر خلق منهم الملك كي وأخوه جفري وصاحب جبيل وهنفري بن هنفري والإبرنس أرناط صاحب الكرك وابن صاحب إسكندرونة وصاحب مرقية.

وما أحلى قول العماد الكاتب: " فمن شاهد القتلى يومئذ قال: ما هنالك أسير ومن عاين الأسرى قال: ما هنالك قتيل ".

قلت: ولا عهد للإسلام بالشام بمثل هذه الوقعة من زمن الصحابة. فقتل السلطان صاحب الكرك بيده؛ لأنه تكلم بما أغضب صلاح الدين فتنمر وقام إليه طير رأسه فأرعب الباقون.

وقال ابن شداد: بل كان السلطان نذر أن يقتله؛ لأنه سار ليملك الحجاز وغدر وأخذ قفلاً كبيرًا وهو الذي كان مقدم الفرنج نوبة الرملة لما كبسوا صلاح الدين وكسروه سنة ثلاث وسبعين.

وكان أرناط فارس الفرنج في زمانه وقد وقع في أسر الملك نور الدين وحبسه مدة بقلعة حلب، فلما مات نور الدين وذهب ابنه إلى حلب وقصده صلاح الدين غير مرة ليأخذ حلب أطلق أرناط وجماعة من كبار الفرنج ليعينوه على صلاح الدين.

ثم قيد جميع الأسارى وحملوا إلى الحصون وأخذ السلطان يومئذ منهم صليب الصلبوت.

وكانت وقعة حطين هذه في نصف ربيع الآخر ولم ينج فيها من الفرنج إلا القليل وهي من أعظم الفتح في الإسلام.

وقيل: كان للفرنج أربعين ألفًا.

وأبيع فيها الأسير بدمشق بدينار فلله الحمد.

قال أبو المظفر بن الجوزي: خيم السلطان على ساحل البحيرة في اثني عشر ألفًا من الفرسان سوى الرجالة وخرج الفرنج من عكا فلم يدعوا بها محتلمًا. فنزلوا صفورية وتقدم السلطان إلى طبرية فنصب عليها المجانيق وافتتحها في ربيع الآخر وتقدمت الفرنج فنزلوا لوبية من الغد وملك المسلمون عليهم الماء، وكان يومًا حارًا. والتهب الغور عليهم وأضرم مظفر الدين النار في الزروع وأحاط بهم المسلمون طول الليل فلما طلع الفجر قاتلوا إلى الظهر وصعدوا إلى تل حطين والنار تضرم حولهم وساق القومص على حمية وحرق وطلع إلى صفد وعملت السيوف في الفرنج وانكسر من الملوك جماعة وجيء

بصليب الصلبوت إلى السلطان وهو مرصع بالجواهر واليواقيت في غلاف من ذهب، فأسر ملك الفرنج درباس الكردي وأسر إبرنس الكرك إبراهيم غلام المهراني.

قال: واستدعاهم السلطان فجلس الملك عن يمينه ويليه إبرنس الكرك فنظر السلطان إلى الملك وهو يلهث عطشًا فأمر له بماء وثلج فشرب وسقى البرنس فقال السلطان: ما أذنت لك في سقيه، والتفت إلى البرنس فقال: ياملعون ياغدار حلفت ونكثت، وجعل يعدد عليه غدراته، ثم قام إليه فضربه حل كتفه وتممه المماليك فطار عقل الملك فطار عقل الملك فأمنه السلطان وقال: هذا كلب غدر غير مرة.

إلى أن قال: وأبيعت الأسارى بثمن بخس حتى باع فقير أسيرًا بنعل فقيل: له في ذلك فقال: أردت هوانهم.

ووصل القاضي ابن عصرون دمشق وصليب الصلبوت منكسًا بين يديه وعاد السلطان إلى طبرية وآمن صاحبتها فخرجت بأموالها إلى عكا، وأما القومص فسار من صفد إلى طرابلس فمات بها فقيل: مات من جراحات أصابته. وقيل: إن إمرأته سمته.

قال القاضي جمال الدين بن واصل: اجتمعت الجحافل على رأس الماء عند الملك الأفضل ابن السلطان فتأخرت العساكر الحلبية لانشغالها بفرنج أنطاكية وبالأرمن فدخل الملك مظفر صاحب حماه فأخمد ثائرتهم، ثم رد إلى حماه ومعه فخر الدين مسعود بن الزعفراني على عساكر الموصل وعسكر ماردين فلحقوا السلطان بعشترا، ثم ساروا وأحاطت جيوشه بحيرة طبرية عند قرية الصفيرة، ثم نازل طبرية فافتتحها في ساعة من نهار. رواية ابن الأثير.

وحكى ابن الأثير عمن أخبره عن الملك الأفضل قال: كنت إلى جانب والدي السلطان في مصاف حطين وهو أول مصاف شاهدته فلما صار ملك الفرنج على التلة حملوا حملة منكرة علينا حتى ألحقوا المسلمين بوالدي فنظرت إليه وقد أربد لونه وأمسك بلحيته وتقدم وهو يصيح: كذب الشيطان، فعاد المسلمون على الفرنج فرجعوا إلى التل، فلما رأيت ذلك صحت: هزمناهم

هزمناهم فعاد الفرنج وحملوا حملة ثانية حتى ألحقوا المسلمين بوالدي وفعل مثل ما فعل أولاً وعطف المسلمون عليهم وألحقوهم بالتل فصحت أنا: هزمناهم. فقال والدي: اسكت ما نهزمهم حتى تسقط تلك الخيمة يعني خيمة الملك.

قال: فهو يقول لي وإذا الخيمة قد سقطت، فنزل أبي وسجد شكرا لله وبكى من فرحه.

وكان سبب سقوطها أنهم عطشوا وكانوا يرجون بالحملات الخلاص فلما لم يجدوه نزلوا عن خيلهم وجلسوا فصعد المسلمون إليهم وألقوا خيمة ملكهم وأسروهم كلهم.

رواية ابن شداد قال القاضي بهاء الدين بن شداد: وحدثني من أثق به أنه لقي بحوران شخصًا واحدًا ومعه طنب خيمة وفيه نيف وثلاثون أسيرًا يجرهم وحده بخذلان وقع عليهم.

إنشاء العماد ومن إنشاء عمادي إلى الخليفة: " الحمد لله الذي أعاد الأسلام جديدًا.

إلى أن قال: ونورد البشرى بما أنعم الله تعالى في يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الآخر إلى الخميس الآخر عمل سبع ليال وثمانية أيام حسوما فيوم الخميس فتحت طبرية ويوم الجمعة والسبت نودي الفرنج فكسروا كسرة ما لهم بعدها قائمة.

وفي يوم الخميس سلخ الشهر فتحت عكا بالأمان ورفعت بها أعلام الإيمان وهي أم البلاد وأخت إرم ذات العماد ".

إلى أن قال: " فأما القتلى والأسرى، فإنها تزيد على ثلاثين ألفًا - يعني: في وقعة حطين - وما حولها في هذا الأسبوع " وقد ذكر العماد - رحمه الله - أيضًا أنه خلص من هذه السنة من أسر الكفر أكثر من عشرين ألف أسير ووقع في الأسر من الكفار مائة ألف أسير، هكذا قال.

تتابع الفتوحات ثم سار السلطان إلى عكا فوصلها بعد خمسة أيام من الوقعة فأخذها بالأمان وملكها بلا مشقة، وبلغ السلطان الملك العادل هذا النصر العظيم

فخرج من مصر بالجيوش فمر بيافا ومجدل فافتتحهما عنوة وغنم من الأموال ما لا يوصف، ثم فتح الله الناصرة وصفورية على يد مظفر الدين صاحب إربل عنوة وفتحت قيسارية على يد ولدرم وغرس الدين قليج عنوة ونابلس على يد حسان الدين لاجين بالأمان بعد قتال شديد، ثم حصن الفولة بالأمان.

فتح تبنين وصيدا وبيروت وجبيل، ثم نازل السلطان تبنين فافتتحها، ثم صيدًا فافتتحها، ثم بيروت ثم جبيل، ثم سار إلى عسقلان فحاصرها وضيق عليها بالقتال والمجانيق ثم أخذها بالأمان، وأخذ الرملة والداروم وغزة وبيت جبريل والنطرون بالأمان.

فتح بيت المقدس، ثم سار مؤيدًا منصورًا إلى البيت المقدس فنزل من غربيه في نصف رجب، وكان بها يومئذ ستون ألف مقاتل، فقاتلهم المسلمون أشد قتال ثم انتقل السلطان بعد خمس إلى الجانب الشمالي من البلد ونصب المجانيق ووقع الجد فطلب الفرنج الأمان، فأمنهم بعد تمنع وقرر على كل رجل عشرة دنانير وعلى كل امرأة خمسة دنانير وعلى كل صغير وصغيرة دينارين، فإن من عجز أمهل أربعين يومًا ثم يسترق، فأجابوا إلى ذلك، وجمع المال فكان سبعمائة ألف دينار فقسمه في الجيش، وبقي ثلاثون ألفًا ليس فيهم فكاك فاستبعدهم وفرقهم. وخلص من أسارى المسلمين عشرين ألفًا.

وخرج منها البترك بأموال لا تحصى، فأراد الأمراء الغدر به فمنعهم وخفره وقال: الوفاء خير من الغدر وهذا البترك عندهم أعظم رتبة من ملك الفرنج.

وكان ببيت المقدس أيضًا من الكبار صاحب الرملة ياليان ابن ياوران وهو دون ملك الفرنج في الرتبة بقليل وخلق كثير من كبار فرسانهم.

وكان الموت أهون عليهم من أخذ المسلمين القدس من أيديهم إذ هو بيت عبادتهم الأعظم ومحل تجسد الناسوت فيما زعموا باللاهوت - تعالى الله وتقدس عما يقولون علوًا كبيرًا - وبه قمامة التي تدعى القيامة محل ضلالتهم وقبلة جهالتهم زعموا أن المسيح دفن بعد الصلب بها ثلاثة أيام، ثم قام من القبر وصعد إلى السماء فبالغوا في تحصينه بكل طريق. فنازله السلطان وما وجد

عليه موضعًا أقرب من جهة الشمال، فنزل عليه واشتد الحرب وبقيت الفرسان تخرج من المدينة وتحمل وتقاتل أشد القتال وأقواه، ثم إن المسلمين حملوا عليهم يومًا حتى أدخلوهم القدس ولصقوا بالخندق، ثم جدوا في النقوب وتتابع الرمي بالمجانيق من الفريقين ووقع الجد واجتمعت الفرنج واتفقوا على طلب الأمان فامتنع السلطان - أيده الله - من إجابتهم فقال: لا أفعل فيه إلا كما فعلتم بأهله حين ملكتموه من نحو تسعين سنة.

فرجعت رسلهم خائبين، فحرج صاحب الرملة ياليان بنفسه فطلب الأمان فلم يعط فاستعطف السلطان فامتنع فلما أيس قال: نحن خلق كثير، وإنما يفترون عن القتال رجاء الأمان ورغبة في الحياة وإذا رأينا أن الموت لابد منه لنقتلن أبناءنا ونساءنا وتحرق أموالنا ولا ندع لكم شيئًا فإذا فرغنا أخربنا الصخرة والأقصى وقتلنا الأسرى وهم خمسة آلاف مسلم وقتلنا الدواب، ثم خرجنا إليكم وقاتلنا قتال الموت فلا يقتل منا رجل حتى يقتل رجلاً ونموت أعزاء.

فاستشار حينئذ السلطان أمراءه فقالوا: المصلحة الأمان. وقالوا: نحسب أنهم أسارى بأيدينا فنبيعهم نفوسهم، فأمنهم بشرط أن يزن كل رجل عشرة دنانير، وكل أمرأة خمسة دنانير، والطفل دينارين.

ثم رفعت أعلام الإسلام على السور ورتب السلطان أمناءه على أبواب القدس ليأخذوا المال ممن يخرج، وكان بها ستون ألفًا سوى النساء والولدان. ووزن ياليان من عنده عن ثمانية عشر ألف رجل، ثم بعد ذلك أسر منها عشرة آلاف نفس فقراء لم يقدروا على شراء أنفسهم.

ثم إن جماعة من الأمراء ادعوا أن لهم في القدس رعية فكان يطلقهم، كمظفر الدين ابن صاحب إربل ادعى أن جماعة من أهل الرها بالقدس وعدتهم ألف نفس، وكذلك صاحب البيرة ادعى أن فيها خمسمائة نفس من أهل البيرة.

تطهير قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وكان على رأس قبة الصخرة صليب كبير مذهب، فطلع المسلمون ورموه وضج الخلق ضجة عظيمة إلى الغاية.

وكان المسجد الأقصى مشغولاً بالخنازير والخبث والأبنية بنت الداوية في غربيه مساكن وفيها المراحيض وسدوا المحراب، فبادر المسلمون إلى تنظيفه وتطهيره وبسطوا فيه البسط الفاخرة وعلقت القناديل وخطب به الناس يوم الجمعة وهو رابع شعبان القاضي محيي الدين بن الزكي.

وتسامع الناس وتسارعوا من كل فج وقرب وبعد للزيارة وازدحموا يوم هذه الجمعة حتى فاتوا الإحصاء.

وحضر السلطان فصلى بقبة الصخرة وفرح إذ جعله الله تعالى في هذا الفتح ثانيًّا لعمر - رضي الله عنه - فاستفتح القاضي خطبته بقوله تعالى:{فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾} [الأنعام: ٤٥]، ثم أول الأنعام، وآخر سبحان، وأول الكهف، وحمدلة النمل، وأول سبأ، وفاطر، ثم قال: الحمد لله معز الإسلام ينصره.. إلى آخرها. ثم خطب ثلاث جمع بعدها من إنشائه.

عمل منبر الأقصى وقد كان الملك نور الدين أنشأ منبرًا برسم الأقصى قبل فتح بيت المقدس طمعًا في أن يفتتحه، ولم تزل نفسه تحدثه بفتحه وكان بحلب نجار فائق الصنعة فعمل لنور الدين هذا المنبر على أحسن نعت وأجمله وأبدعه فاحترق جامع حلب فنصب فيه لما جدد المنبر المذكور، ثم عمل النجار المذكور ويعرف بالأختريني نسبة إلى قرية أخترين محرابًا من نسبة ذلك المنبر، فلما افتتح السلطان بيت المقدس أمر بنقل المنبر إلى جانب محراب الأقصى، فلله الحمد على هذه النعم التي لا تحصى.

وقد كانت الفرنج بنوا على الصخرة كنيسة، وغيروا أوضاعها وصوروها ونصبوا مذبحًا وعملوا على موضع القدم قبة لطيفة مذهبة بأعمدة رخام؛ فخربت تلك الأبنية عن الصخرة وأبرزت، وكانت الفرنج قد قطعوا منها قطعًا وحملوها إلى القسطنطينية وإلى صقيلية حتى قيل: كانوا يبيعونا بوزنها ذهبا.

وحضر الملك المظفر تقي الدين فحمل إليها أحمالاً من ماء الورد فغسلها بها وكنس ساحتها بيده وغسل جدرانها، ثم بخرها بالطيب.

وحضر الملك الأفضل ابن السلطان ففرش فيها بسطًا نفيسة ورتب الأئمة والمؤذنين والقوام، ثم عين السلطان كنيسة صندجية وصيرها مدرسة للشافعية

ووقف عليها وقوفًا جليلة، وقرر دار البترك الأعظم رباطًا للفقراء ومحا آثار النصرانية، وأمر بإغلاق كنيسة قمامة ومنع النصارى من زيارتها، ثم تقرر بعد على من زارها ضريبة تؤخذ منه.

ولما افتتح عمر بيت المقدس أقر هذه الكنيسة ولم يهدمها ولهذا أبقاها السلطان.

وللنسابة محمد بن سعد الجواني نقيب الأشراف بمصر:

أتــرى مناما مــابعيني أبصــر ::: القدس يفــتح والنصــارى تكســر
وقمامة قمت من الــرجس الــذي ::: بزوالـــه وزوالهــا يتطهـــر
وملــيكهم في القيــد مصــفود ولم ::: ير قبل هــذا لهــم ملكــا يؤســر
قد جاء نصــر الله والفــتح الــذي ::: وعد الرسول فسبحوا واســتغفروا
يا يوسف الصديق أنــت بفتحهــا ::: فروقهــا عمــر الإمــام الأطهــر

رواية سبط ابن الجوزي قال المظفر ابن الجوزي: ولما افتتح السلطان عكا راح إلى تبنين فتسلمها بالأمان وتسلم صيدا، وبيروت، وجبيل، وغزة، والداورم، والرملة، وبيت جبريل، وبلد الخليل " ونازل عسقلان، فقتل عليها حسام الدين ابن المهراني، ثم تسلمها ". فكان مدة استيلاء الفرنج عليها خمسًا وثلاثين سنة.

إلى أن قال: ملك السلطان هذه الأماكن في أربعين يومًا أولها ثامن عشرين جمادى الأولى، ثم نازل القدس.

إلى أن قال: وخلص من الأسر بعكا أربعة آلاف، ومن القدس ثلاثة آلاف فلله الحمد.

فتح عسقلان وقال ابن الأثير: سار السلطان عن بيروت نحو عسقلان واجتمع بأخيه العادل سيف الدين، ونازلوها في سادس جمادى الآخرة وزحفوا عليها مرة أخرى وأخذت بالأمان في سلخ الشهر وسار أهلها إلى بيت المقدس.

وتسلم البلد لثلاث بقين من رجب، وأنقذه الله من النصارى الأنجاس بعد إحدى وتسعين سنة.

الصلاة في المسجد الأقصى، فلما كان يوم الجمعة رابع شعبان أقيمت الجمعة بالمسجد الأقصى، وخطب للناس قاضي القضاة محيي الدين بن الزكي خطبة موثقة بليغة.

وابتدأ السلطان في إصلاح المسجد الأقصى والصخرة ومحو آثار الفرنج وشعارهم، وتنافس الملوك معه في عمل المآثر الحسنة والآثار الجميلة فرزقنا الله شكر هذه النعم ورحم الله صلاح الدين وأسكنه الجنة.

* * *

الفهرس

* * *